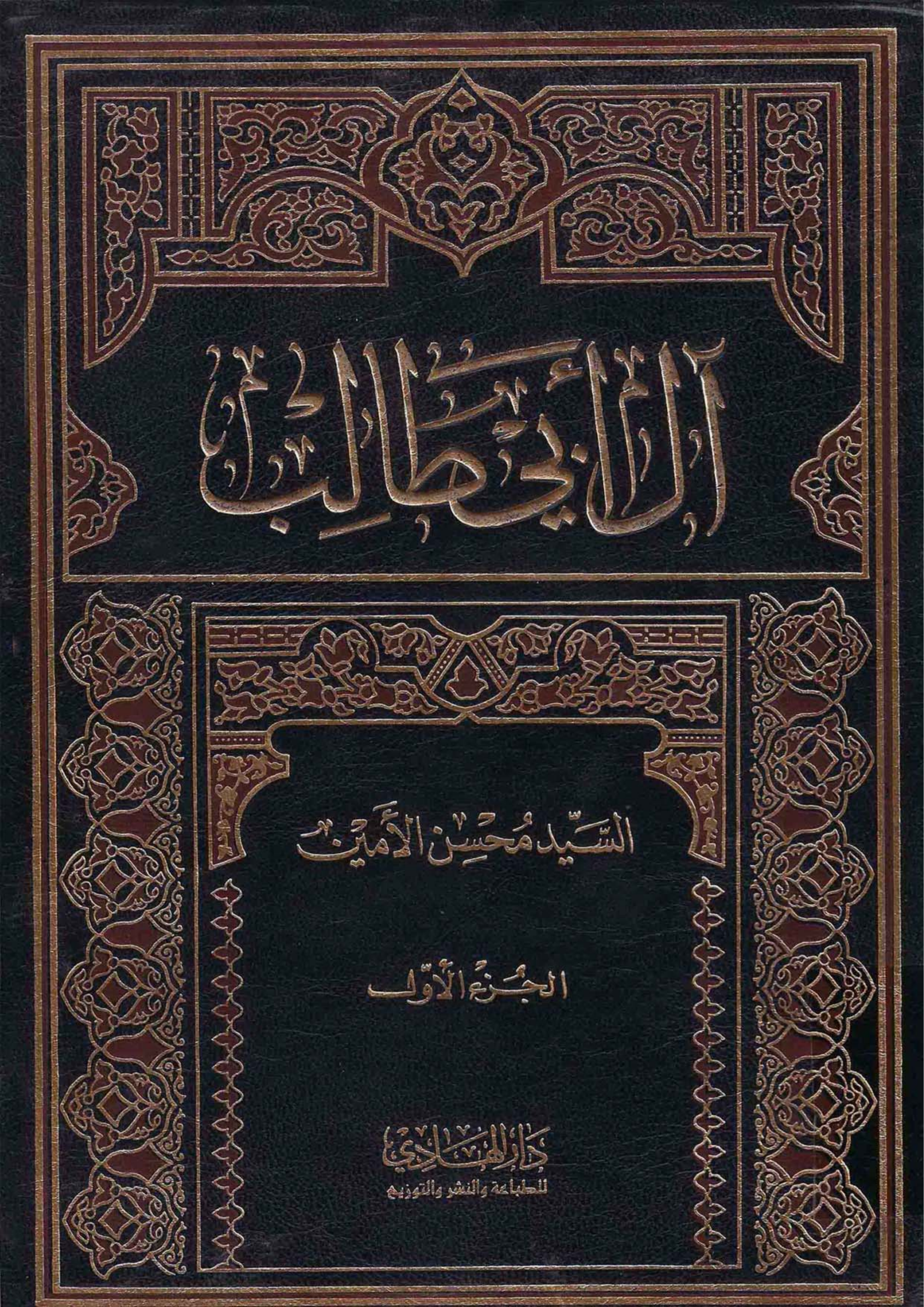


آل أبي طالب
السيد محسن الأمين
الجزء الأول
دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع


شبكة الفكر
alfeker.net

آل أبي طالب





آل أبي طالب

أبو طالب، حمزة بن عبد المطلب،
عقيل بن أبي طالب، جعفر بن أبي طالب،
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)،
فاطمة الزهراء (ع)، الحسنان (ع)،
دول حسنية ودول حسينية

الجزء الأول

أبو طالب، إلى إرسال أمير المؤمنين (ع) عماله إلى الأمصار

السيد محسن الأمين

مضافاً إليه أبحاث أخرى



دار الهادي

للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٠١/٥٥٠٤٨٧ - ٠٣/٨٩٦٣٢٩ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٥/٢٨٦ غبيري - بيروت - لبنان
E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

آل أبي طالب الذين نقصدهم هم حمزة أخو أبي طالب، وجعفر بن أبي طالب، وعقيل بن أبي طالب، وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، والزهراء، والحسن والحسين (ع) وأنسالهم.

وحمزة بن عبد المطلب أخو أبي طالب كان بطلاً من الأبطال، فيه نخوتهم وشهامتهم وشجاعتهم وكرمهم، استشهد في ثاني معارك الإسلام: معركة أحد، وكان استشهاده اغتيالاً لا مواجهة.

ولو قدر لحمزة أن يعيش أكثر مما عاش لكان له في مسيرة الإسلام الشأن الكبير، ولكن شاءت إرادة الله أن يستشهد والإسلام في مطلعه، وأن تنطفىء تلك الجذوة النضالية الباسلة في أول تألقها . . .

وكذلك القول في جعفر بن أبي طالب المحارب الشجاع و(الدبلوماسي) المفاوض اللبق، والمناظر المنطقي الماهر، والمحاور الصعب المتغلب، الذي استشهد هو الآخر في أولى معارك الإسلام خارج الجزيرة العربية: معركة مؤتة. والذي لو قدرت له الحياة أطول مما عاش لكان في الذروة من رجالات الإسلام العاملين.

وكان من حق هذين البطلين أن يعنى بذكرهما، وأن تكتب عنهما دراسات

متتابعة يتلقاها جيل عن جيل، ولكن ذلك لم يحدث، وظل اسماهما مطموسين إلا في نطاق ضيق، أو أضيق من ضيق.

وقد أردنا هنا في هذه المجموعة التاريخية، أن نجمع شمل هذه الأسرة العظيمة التي ولد الإسلام في حجرها وربي بحنانها وعطفها ونشأ بظلها، واحتمى بسيوفها، أردنا أن نجمع شملها ـ بعد تفرّقه في بطون الكتب القديمة ـ في كتاب واحد جديد، ليكون للناشئة من سير رجالها مثل عليا، وللقراء مهما تنوّعوا سناً وثقافة وفكراً، مشاعل تنير لهم سبل النضال وطرق الهداية ومناهج العمل.

كما ألمحنا بشيء من مواقف عقيل بن أبي طالب في عهد خلافة أمير المؤمنين وما جرى من المراسلة بينه وبين أخيه علي عليه السلام، هذا فضلاً عن رأس الأسرة العظيم (أبي طالب) كافل النبي وحاميه والمنافح عنه.

فعسى أن نكون في عملنا هذا قد أنصفنا هذه الأسرة التي لم تنصفها الحياة ولا أبناء الحياة.

قد أنصفناها بتسهيل تعرف القراء إلى سير رجالها واحداً واحداً في جمع هذه السير في سفر واحد.

وهذه الدراسات هي بقلم السيد محسن الأمين. وما لم يكن بقلمه أشرنا إليه.

الناشر

أبو طالب

اسم أبي طالب: عبد مناف، وهو ابن عبد المطلب واسمه شيبة الحمد بن هاشم، واسمه عمرو بن عبد مناف، واسمه المغيرة بن قصي بن كلاب بن مرة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان عم رسول الله ﷺ شقيق أبيه أمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ المخزومية ووالد أمير المؤمنين علي (ع).

الخلاف في اسمه

قيل: اسمه عبد مناف وهو الأصح لقول أبيه عبد المطلب في وصيته له بالنبي ﷺ: (أوصيك يا عبد مناف بعدي) وسيأتي واشتهر بكنيته. وعن صاحب عمدة الطالب قيل: اسمه عمران، وهي رواية ضعيفة رواها أبو بكر محمد بن عبد اللّه الطرسوسي النسابة، وقيل اسمه كنيته استناداً إلى ما وجد بآخر المصحف الذي بخط أمير المؤمنين علي (ع): وكتب علي بن أبو طالب بالواو، ولكن قيل إن الموجود في آخر ذلك المصحف بالياء ولكنها مشتبهة بالواو في الخط الكوفي مع أن الكنية إذا كانت علماً جرى عليها الإعراب بالحروف كما كانت (وفي الإصابة): اشتهر بكنيته واسمه عبد مناف على المشهور، وقيل عمران، وقال الحاكم أكثر المتقدمين على أن اسمه كنيته «اهـ». (أقول): في

المستدرك للحاكم بالإسناد عن يحيى بن معين اسم أبي طالب عبد مناف، قال الحاكم، وهكذا ذكره زياد بن محمد بن إسحاق، وقد تواترت الأخبار بأن أبا طالب كنيته اسمه والله أعلم «اهـ».

مولده ووفاته ومدة عمره

ولد قبل مولد النبي ﷺ بخمس وثلاثين سنة كما في الإصابة وغيرها، وتوفي في النصف من شوال في السنة العاشرة من النبوة وهو ابن بضع وثمانين سنة عن الواقدي، وسبع وثمانين سنة عن المواهب اللدنية، وقبل الهجرة بثلاث سنين عن ابن الجوزي بعد ما خرج من الحصار بالشعب بثمانية أشهر وواحد وعشرين يوماً عن سيرة اليعمري فيكون عمره على هذا ثماني وثمانين سنة، خمس وثلاثون قبل مولد النبي ﷺ وأربعون إلى بعثته.

أحواله

ذكره السيد علي خان في الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة في الطبقة الأولى من الصحابة فقال: هو عم النبي ﷺ وكافله ومربيه وناصره وكان سيد البطحاء وشيخ قريش ورئيس مكة. قالوا: ولم يسد في قريش فقير قط إلا أبو طالب وعتبة بن ربيعة، هذا لشرفه وهذا لصدقه، وإنما كانت قريش تسود بالمال «اهـ». وكان أبو طالب شاعراً خطيباً.

تربيته للنبي ﷺ وحبه إياه

في الإصابة: لما مات عبد المطلب أوصى بمحمد ﷺ إلى أبي طالب فكفله وأحسن تربيته وسافر به صحبته إلى الشام وهو شاب «اهـ».

(وقال الواقدي): توفي عبد اللّه بن عبد المطلب أبو النبي ﷺ وهو طفل يرضع، وروي وهو حمل وهذه الرواية أثبت، فلما وضعته أمه كفله جده عبد المطلب ثماني سنين ثم احتضر للموت فدعا ابنه أبا طالب وقال له يا بني: تكفل ابن أخيك مني فأنت شيخ قومك وعاقلهم ومن أجد فيه الحجى دونهم ثم أنشأ عبد المطلب يقول:

أوصيك يا عبد مناف بعدي | بموحد بعد أبيه فرد
فارقه وهو ضجيع المهد | فكنت كالأم له في الوجد
ألصقه على الحشى والكبد | حتى إذا خفت فراق الوحد
أوصيك أرجى أهلنا بالرفد | بابن الذي غيبته في اللحد

ثم قال:

وصيت من كفيت بطالب[1] | عبد مناف وهو ذو تجارب
يا ابن الحبيب أكرم الأقارب | يا ابن الذي قد غاب غير آيب

وما زال عبد المطلب يكرر الوصية بالنبي ﷺ لأولاده كلهم وهم تسعة غير عبد الله حتى خرجت روحه، فكفل أبو طالب النبي ﷺ وأحسن تربيته وسافر به إلى الشام وهو ابن اثنتي عشرة سنة وقيل تسع سنين والأول أكثر.

وروى ابن سعد في الطبقات بعدة أسانيد عن جماعة دخل حديث بعضهم في حديث بعض. قالوا: لما توفي عبد المطلب قبض أبو طالب رسول الله ﷺ إليه فكان يكون معه، وكان أبو طالب لا مال له وكان يحبه حباً شديداً لا يحبه ولده، وكان لا ينام إلا إلى جنبه، ويخرج فيخرج معه.

قال ابن أبي الحديد: قرأت في أمالي أبي جعفر محمد بن حبيب قال: كان أبو طالب إذا رأى رسول الله ﷺ أحياناً يبكي ويقول: إذا رأيته ذكرت أخي، وكان عبد الله أخاه لأبويه، وكان شديد الحب له والحنو عليه، وكذلك كان عبد المطلب شديد الحب له. وكان أبو طالب كثيراً ما يخاف على رسول الله ﷺ البيات إذا عُرف مضجعُه، وكان يقيمه ليلاً من منامه ويضجع ابنه علياً مكانه فقال له علي ليلة: يا أبت إني مقتول.

فقال له أبو طالب:

إصبرن يا بني فالصبر أحجى | كل حي مصيره لشعوب

---

(١) هكذا في الأصل وخلله ظاهر ولعل الصواب: من كفلته أو نحو ذلك.

قد بذلناك والبلاء شديد لفداء الحبيب وابن الحبيب
لفداء الأغر ذي الحسب الثا قب والباع والكريم النجيب
إن تصبك المنون فالنبل تبرى فمصيب منها وغير مصيب
كل حي وإن تملى بعمر آخذ من مذاقها بنصيب

فقال علي عليه السلام مجيباً له:

أتأمرني بالصبر في نصر أحمد ووالله ما قلت الذي قلت جازعا
ولكنني أحببت أن تر نصرتي وتعلم أني لم أزل لك طائعا
سأسعى لوجه الله في نصر أحمد نبي الهدى المحمود طفلاً ويافعا

استسقاء أبي طالب بالنبي ﷺ وهو صغير

أخرج ابن عساكر عن حليمة بن عرفة قال: قدمت مكة وهم في قحط، فقالت قريش: يا أبا طالب أقحط الوادي وأجدب العيال فهلم لنستسقي. فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجن تجلت عنه سحابة قتماء وحوله أغيلمة، فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام بإصبعه وما في السماء قزعة، فأقبل السحاب من ها هنا وها هنا وأغدق واغدودق وانفجر الوادي وأخصب النادي والبادي وفي ذلك يقول أبو طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

قيامه بنصرة النبي ﷺ ومنابذة قومه له

كان أبو طالب هو الناصر الوحيد لرسول الله ﷺ والمحامي عنه والمحتمل لعظيم الأذى من قومه في سبيله والباذل أقصى جهده في نصرته فما كان يصل إلى رسول الله ﷺ من قومه سوء مدة حياة أبي طالب، فلما مات نالت قريش من رسول الله ﷺ بغيتها وأصابته بعظيم من الأذى، فقال ﷺ: لأسرع ما وجدنا فقدك يا عم وصلتك رحم وجزيت خيراً يا عم (وقال ابن حجر) في الإصابة: لما بعث النبي ﷺ قام أبو طالب في نصرته وذب عنه من عاداه ومدحه عدة مدائح، منها قوله لما استسقى به أهل مكة فسقوا:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ومنها قوله من قصيدة:

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

وقال ابن عيينة عن علي بن زيد: ما سمعت أحسن من هذا البيت «اهـ».

ولما أمر الله سبحانه رسوله ﷺ أن يصدع بما أمر به، فقام بإظهار دين الله وشهر أمره ودعا الناس إلى الإسلام على رؤوس الأشهاد وذكر آلهة قريش وعابها. أعظمت ذلك قريش وأجمعوا على عداوته وخلافه وأرادوا به السوء فقام أبو طالب بنصرته ومنعه منهم وذب عنه من عاداه وحال بينه وبين كفار قريش. فلما رأت قريش محاماة أبي طالب عنه وقيامه دونه وامتناعه من أن يسلمه، مشى إليه رجال من أشراف قريش منهم عتبة بن ربيعة وشيبة أخوه وأبو سفيان صخر بن حرب وأبو البختري بن هشام والأسود بن المطلب والوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام والعاص بن وائل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وأمثالهم من رؤساء قريش، فقالوا له: يا أبا طالب أن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آراءنا، فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه. فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً وردهم رداً جميلاً، فانصرفوا عنه، ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه يظهر دين الله ويدعو إليه. ثم أسرف الأمر بينه وبينهم تباعداً وتضاعفاً حتى أكثرت قريش ذكر رسول الله ﷺ بينها وتذامروا فيه وحض بعضهم بعضاً عليه، فمشوا إلى أبي طالب مرة ثانية فقالوا: يا أبا طالب أن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا وإنا والله لا نصبر على شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا، فإما أن تكفه عنا أو ننازله وإياك حتى يهلك أحد الفريقين، ثم انصرفوا. فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ولم تطب نفسه بإسلام ابن أخيه لهم ولا خذلانه فبعث إليه فقال له: يا ابن أخي أن قومك قد جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا فابق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر على ما لا أطيقه، فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بداء وإنه خاذله

ومسلمه وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام دونه، فقال: يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك فيه. ثم استعبر باكياً وقام وولى، فلما ولى ناداه أبو طالب: أقبل يا ابن أخي، فأقبل راجعاً، فقال له: إذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً، وأنشأ يقول:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفينا
فأنفذ لأمرك ما عليك مخافة ... وابشر وقر بذاك منه عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي ... ولقد صدقت وكنت قبل أمينا
وعرضت ديناً قد علمت بأنه ... من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

قال بعض علمائنا: اتفق على نقل الأبيات الأربعة قبل البيت الخامس: مقاتل والثعلبي وابن عباس والقاسم وابن دينار، وزاد قوم البيت الخامس ظلماً وزوراً، إذ لم يكن في جملة أبياته مسطوراً ولم يتنبهوا للتناقض الذي فيه ومنافاته باقي الأبيات. ثم قال: قلت وزيادة هذا البيت لا تنافي إسلامه رضي الله عنه، لأن مفهومه لولا حذار الشغب من قريش وخوف الفتنة التي توجب السبة عندهم لأظهرت ما تدعوني إليه وبينته على رؤوس الأشهاد، وهذا لا ينافي إسلامه باطناً واعتقاده الحق كما دل عليه سائر الأبيات وغيره من شعره. ثم إن قريشاً حين عرفت أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه ورأوا إجماعه على مفارقتهم وعداوتهم، مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي، وكان أجمل فتى في قريش، فقالوا له: يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أبهى فتى في قريش وأجمله، فخذه إليك فاتخذه ولداً فهو لك، وأسلم لنا هذا ابن أخيك الذي قد خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك لنقتله، فإنما هو رجل برجل. فقال أبو طالب: والله ما أنصفتموني. تعطونني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه! هذا والله ما لا يكون أبداً. تعلمون أن الناقة إذا فقدت ولدها لا تحن إلى غيره، وقال:

يقولون لي دع نصر من جاء بالهدى | وغالب لنا غلاب كل مغالب
وسلم إلينا أحمداً وأكفلن لنا | بنيا ولا تحفل بقول المعاتب
فقلت لهم الله ربي وناصري | على كل باغٍ من لؤي بن غالب

فقال له المطعم بن عدي بن نوفل وكان له صديقاً مصافياً: والله يا أبا طالب ما أراك تريد أن تقبل من قومك شيئاً، لعمري لقد جهدوا في التخلص مما تكره وأراك لا تنصفهم. فقال أبو طالب: والله ما أنصفوني ولا أنصفتني، ولكن قد اجتمعت على خذلاني ومظاهرة القوم علي فاصنع ما بدا لك. قال: فعند ذلك تنابذ القوم وثارت الأحقاد ونادى بعضهم بعضاً وتذامروا بينهم على من في القبائل من المسلمين الذين اتبعوا محمداً ﷺ فوثبت كل قبيلة على من فيها منهم يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم، ومنع الله رسوله منهم بعمه أبي طالب، وقام في بني هاشم وبني المطلب حين رأى قريشاً تصنع ما تصنع، فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه من الدفاع عن رسول الله ﷺ إلا ما كان من أبي لهب فإنه لم يجتمع معهم على ذلك. ولم يؤثر عن أبي لهب خير قط إلا ما روي أن أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي لما وثب عليه قومه ليعذبوه ويفتنوه عن الإسلام وهرب منهم فاستجار بأبي طالب. وأم أبي طالب مخزومية وهي أم عبد اللّه والد رسول الله ﷺ، فأجاره، فمشى إليه رجال من بني مخزوم وقالوا له: يا أبا طالب هبك منعت منا ابن أخيك محمداً فما لك ولصاحبنا تمنعه منا؟ قال إنه استجار بي وهو ابن أختي[1] وإن أنا لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أخي، فارتفعت أصواتهم وأصواته، فقام أبو لهب، ولم ينصر أبا طالب قبلها ولا بعدها، فقال: يا معشر قريش والله لقد أكثرتم في هذا الشيخ، لا تزالون تتوثبون عليه في جواره من بين قومه، أما والله لتنتهن عنه أو لنقومن معه فيما قام فيه حتى يبلغ ما أراد، فقالوا:

---

(١) هكذا في الأصل، فكأن أمه هاشمية ولو أراد أنه من بني مخزوم وأم أبي طالب مخزومية لكان المناسب أن يقول: وهو ابن خالي.

بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة، فقاموا فانصرفوا، وكان ولياً لهم ومعيناً على رسول الله وأبي طالب فاتقوه وخافوا أن تحمله الحمية على الإسلام.

خبر الصحيفة وحصار بني هاشم في الشعب

ثم لما رأت قريش أنها لا تصل إلى محمد ﷺ لقيام أبي طالب دونه، أجمعت على أن يكتب بينها صحيفة يتعاقدون فيها على أن لا يزاوجوا بني هاشم ولا يبايعوهم ولا يجالسوهم، إلى أن يسلموا إليهم رسول الله، فكتبوها وختم عليها أربعون خاتماً وعلقوها في جوف الكعبة تأكيداً على أنفسهم. وكان كاتبها منصور ابن عكرمة بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي. فلما فعلوا ذلك انحازت بنو هاشم والمطلب فدخلوا كلهم مع أبي طالب في الشِّعب فاجتمعوا إليه وكانوا أربعين رجلاً ما عدا أبي لهب وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وظاهَر أبو لهب قريشا على قومه، وحصّن أبو طالب الشِّعب وكان يحرسه بالليل والنهار، فضاق الأمر ببني هاشم وعدموا القوت إلا ما كان يحمل إليهم سراً وخفية وهو شيء قليل لا يمسك أرماقهم. وأنفقت خديجة فيه مالاً كثيراً على النبي ﷺ. وأخافتهم قريش فلم يكن يظهر منهم أحد ولا يدخل إليهم أحد، وذلك أشد ما لقي رسول الله ﷺ وأهل بيته بمكة، وكانوا لا يأمنون إلا بموسم العمرة في رجب وموسم الحج في ذي الحجة، فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً حتى جهدوا ولا يصل إليهم شيء إلا القليل سراً ممن يريد صلتهم من قريش. وقد كان أبو جهل بن هشام لقي حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ومعه غلام يحمل قمحاً يريد به عمته خديجة بنت خويلد وهي عند رسول الله ﷺ محاصرة في الشعب، فتعلق به وقال أتحمل الطعام إلى بني هاشم؟! والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة، فجاءه أبو البختري العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى فقال: ما لك وله؟! قال: أنه يحمل الطعام إلى بني هاشم، فقال أبو البختري: يا هذا إن طعاماً كان لعمته عنده بعثت إليه فيه أفتمنعه أن يأتيها بطعامها؟! خل سبيل الرجل، فأبى أبو

جهل، حتى نال كل منهما من صاحبه، فأخذ أبو البختري لحي بعير فضربه به فشجه ووطئه وطئاً شديداً فانصرف وهو يكره أن يعلم رسول الله ﷺ وبنو هاشم بذلك فيشمتوا.

ثم بعث الله على صحيفتهم الأرضة فأكلتها، وأطلع الله رسوله على ذلك، فذكره رسول الله ﷺ لعمه أبي طالب، فقال أبو طالب: ربك أطلعك على هذا؟ قال: نعم. قال: فوالله ما يدخل عليك أحد، فانطلق في عصابة من بني هاشم والمطلب إلى المسجد، فلما رأتهم قريش أنكروا ذلك وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله ﷺ، فقالوا لأبي طالب: قد آن أن ترجعوا عما أحدثتم علينا وعلى أنفسكم، فقال: إنما أتيتكم في أمر نَصَف بيننا وبينكم: أن ابن أخي أخبرني أن هذه الصحيفة التي في أيديكم قد بعث الله عليها دابة فأبقت اسم الله وأكلت غدركم وتظاهركم علينا بالظلم، فإن كان كما قال فلا والله لا نسلمه حتى نموت عن آخرنا، وإن كان باطلاً دفعناه إليكم، قالوا: قد رضينا. ففتحوا الصحيفة، فوجدوها كما أخبر الصادق (ع) فقالوا: هذا سحر ابن أخيك، وزادهم ذلك بغياً وعدواناً. فقال أبو طالب: يا معشر قريش فيم نحصر ونحبس وقد بان الأمر وتبين أنكم أولى بالظلم والقطيعة. ثم دخل هو وأصحابه بين أستار الكعبة وقال: اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل ما يحرم عليه منا. ثم انصرف إلى الشعب.

نقض الصحيفة وخروج بني هاشم من الشعب

ولما أراد الله سبحانه إبطال الصحيفة والفرج عن بني هاشم من الضيق والأذى الذي كانوا فيه، قيض هشام بن عمرو بن الحارث بن حبيب بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي فقام في ذلك أحسن قيام، وذلك أن أباه عمرو بن الحارث كان أخاً لنضلة بن هاشم بن عبد مناف بن قصي من أمه، فكان هشام بن عمرو بحسب ذلك واصلاً لبني هاشم وكان ذا شرف في قومه بني عامر بن لؤي، فكان يأتي بالبعير ليلاً وقد أوقره طعاماً، وبنو هاشم وبنو المطلب في

الشعب حتى إذا أقبل به إلى فم الشعب قمع بخطامه من رأسه ثم يضربه على جنبه فيدخل الشعب عليهم، ثم يأتي به مرة أخرى قد أوقره تمراً، فيصنع به مثل ذلك. ثم أنه مشى إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة المخرومي وهو ختن أبي طالب على ابنته عاتكة فقال: يا زهير أرضيت أن تأكل الطعام وتشرب الشراب وتلبس الثياب وأخوالك حيث قد علمت لا يبتاعون ولا يبتاع منهم ولا يواصلون ولا يزارون، أما إني أحلف لو كان أخوال أبي الحكم بن هشام ودعوته إلى مثل ما دعاك إليه منهم ما أجابك أبدا. قال: ويحك يا هشام فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد. والله لو كان معي رجل آخر لقمت في نقض هذه الصحيفة القاطعة.. قال: قد وجدت رجلاً. قال: من هو؟ قال: أنا. قال زهير: أبغنا ثالثاً. فذهب إلى المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف فقال له: يا مطعم أرضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف جوعاً وجهداً وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه، أما والله لئن أمكنتموهم من هذا لتجدن قريشاً إلى مساءتكم في غيره سريعة. قال: ويحك ماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد، قال: قد وجدت ثانياً، قال: من هو؟ قال: أنا. قال: أبغني ثالثاً. قال: قد وجدت، قال: من هو؟ قال: زهير بن أبي أمية. قال: أبغنا رابعاً، فذهب إلى أبي البختري بن هشام فقال له نحو ما قال للمطعم. قال: وهل من أحد يعين على هذا؟ قال: نعم، وذكرهم له قال: فابغنا خامساً، فمضى إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى فكلمه، فقال: وهل يعين على ذلك من أحد؟ قال: نعم، ثم سمى له القوم، فاتّعدوا حطم الحجون ليلاً بأعلى مكة فأجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها. وقال زهير أنا أبدؤكم وأكون أولكم في التكلم، فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم وغدا زهير عليه حلة له فطاف بالبيت سبعاً، ثم أقبل على الناس فقال: يا أهل مكة أنأكل الطعام ونشرب الشراب ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى؟ والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة. وكان أبو جهل في ناحية المسجد فقال: كذبت والله لا تشق. فقال زمعة بن الأسود لأبي جهل: أنت والله أكذب. ما رضينا والله بها حين كتبت. فقال أبو البختري معه:

صدق والله زمعة لا نرضى بها ولا نقر بما كتب فيها. فقال المطعم بن عدي: صدق والله وكذب من قال غير ذلك، نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها. وقال هشام بن عمرو مثل قولهم. فقال أبو جهل: هذا أمر قضي بليل. وقام مطعم بن عدي إلى الصحيفة فحطها وشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا ما كان من «باسمك اللهم» فلما مزقت الصحيفة خرج بنو هاشم من حصار الشعب. وفي ذلك يقول أبو طالب:

ألا هل أتى نجدا بنا صنع ربنا ... على نأيهم والله بالناس أرفد
فيخبرهم أن الصحيفة مزقت ... وإن كل ما لم يرضه الله يفسد
يراوحها أفك وسحر مجمع ... ولم تلق سحرا آخر الدهر يصعد

فلم يزل أبو طالب ثابتاً صابراً مستمراً على نصرة رسول الله ﷺ وحمايته والقيام دونه حتى مات.

إسلام أبي طالب

لما بعث النبي ﷺ أسلم أبو طالب وآمن به وصدقه فيما جاء به ولكنه لم يكن يظهر إيمانه تمام الإظهار بل يكتمه ليتمكن من القيام بنصر رسول الله ﷺ، فإنه لو أظهره إظهاراً تاماً لكان كواحد من المسلمين الذين اتبعوه ولم يتمكن من نصرته والقيام دونه، وإنما تمكن من المحاماة عنه بالثبات في الظاهر على دين قريش وإن أبطن الإسلام كما لو كان لإنسان شرف ووجاهة في بلد الكفر وهو مظهر الكفر ويحفظ ناموسه بينهم بذلك، وفي البلد نفر يسير من المسلمين ينالون بالأذى، فما دام مظهراً لمذهب أهل البلد يكون أشد تمكناً من المحاماة والمدافعة عن أولئك النفر، ولو أظهر الإسلام وكاشف أهل البلد بذلك لصار حكمه حكم واحد من أولئك النفر ولحقه من الأذى والضرر ما يلحقهم، فأبو طالب لو أظهر الإسلام لازدادت نفرة قريش وبغضها له أكثر مما كانت لأجل المحاماة عن ابن أخيه فقط مع بقائه على دين قومه ولارتفع حجاب المراعاة والمداراة بينه وبينهم بالكلية فينابذونه بالقتال ويتوسلون إلى قتله وقتل ابن أخيه

بكل وسيلة، أما ما دام مظهراً لهم أنه على دينهم فلا ييأسون من تسليم ابن أخيه لهم ويبقى لهم طمع في الأسهل منه ويعذرونه في المحاماة عن ابن أخيه بعض العذر لمكان القرابة والشفقة، ولذلك كانوا لا يفترُّون عن طلبهم إليه ردع ابن أخيه أو تسليمه لهم. وأقوى دليل على إسلامه أنه لو لم يؤمن به لهان عليه إسلامه لهم وخذلانه ولم يتحمل ما تحمله في نصره ولانقلب حبه بغضاً، فالدين مفرق بين الآباء والأبناء والأحباب والأصدقاء. مع أنه قد صرح بإسلامه في أشعاره الآتية المتواترة لكنه لم يكن يظهره إظهاراً تاماً مراعاة للمصلحة. وأجمع أئمة أهل البيت عليهم السلام وعلماؤهم على إسلامه وإجماعهم حجة. وعن ابن الأثير في جامع الأصول: ما أسلم من أعمام النبي ﷺ غير حمزة والعباس وأبي طالب عند أهل البيت «اهـ». ووافقنا على إسلامه أكثر الزيدية وبعد شيوخ المعتزلة كأبي القاسم البلخي وأبي جعفر الإسكافي وغيرهما وجماعة من الصوفية، حكى ذلك السيد عبد الرحمن بن أحمد الحسني الإدريسي المغزلي نزيل مكة المشرفة والمتوفى بها سنة ١٠٨٧ عن جمع من أهل الكشف والشهود وحكاه عنه في الدرجات الرفيعة وأثنى عليه وقال إنه كان من أرباب الحال وأقطاب الرجال. ووافقنا على ذلك جماعة من علماء أهل السنة غير من ذكر، وصنفوا فيه بعض الرسائل المطبوعة، لكن جمهورهم على خلافه لروايات رواها أعداء ولده أمير المؤمنين (ع) أو حملوا غيرهم على روايتها مراغمة له وتلقاها من بعدهم بالقبول وصادموا بها الضرورة والبديهة لحسن ظنهم بمن رواها، وأورد بعضها البخاري ومسلم لحسن الظن المذكور وقد صنفت في إثبات إسلامه مصنفات كثيرة بعضها من علماء أهل السنة، كما مر، وأكثرها من علماء الشيعة ومحدثيهم وتعلم كثرتها من تتبع كتب الرجال. ومن مشهور ما صنف في ذلك للشيعة كتاب السيد الفاضل السعيد شمس الدين أبو علي فخار بن معد الموسوي. قال المجلسي في البحار: وهو من أعاظم محدثينا وداخل في أكثر طرقنا إلى الكتب المعتبرة. كما صنف غيرهم في رد ذلك. قال في الدرجات الرفيعة:

ولنا في إيمانه رضي الله عنه روايات (منها) ما روي عن حماد بن سلمة عن ثابت عن إسحاق بن عبد اللّه عن العباس بن عبد المطلب قال: قلت لرسول الله ﷺ: يا ابن أخي ما ترجو لأبي طالب عمك قال أرجو له رحمة من ربي وكل خير (ومنها) ما روي بأسانيد كثيرة بعضها عن العباس بن عبد المطلب وبعضها عن أبي بكر بن أبي قحافة (رض) أن أبا طالب ما مات حتى قال لا إله إلا الله محمد رسول الله، ومنها الخبر المشهور أن أبا طالب عند الموت قال كلاماً خفياً فأصغى إليه أخوه العباس ثم رفع رأسه إلى رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي والله لقد قالها عمك ولكنه ضعف عن أن يبلغك صوته. ومنها ما روي عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال ما مات أبو طالب حتى أعطى رسول الله ﷺ من نفسه الرضا. ومنها ما روي عن أبي عبد اللّه جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام أن رسول الله ﷺ قال: إن أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرتين. ومنها ما روي عن محمد بن علي الباقر عليهما السلام أنه سئل عما يقوله الناس أن أبا طالب في ضحضاح من نار. فقال: ألم تعلموا أن أمير المؤمنين علياً (ع) كان يأمر بالحج عن عبد اللّه وأبيه أبي طالب في حياته ثم أوصى في وصيته بالحج عنهم. ومنها ما روي أن أبان بن محمد كتب إلى أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليهما السلام: جعلت فداك إني قد شككت في إسلام أبي طالب. فكتب إليه: ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين «الآية» ومنها ما روي عن زين العابدين علي بن الحسين (ع) أنه سئل عن إسلام أبي طالب فقال: واعجبا أن الله تعالى نهى رسوله أن يقر مسلمة على نكاح كافر وقد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات إلى الإسلام ولم تزل تحت أبي طالب حتى مات.

وفي الإصابة: أخرج البخاري في التاريخ من طريق صليحة بن يحيى عن موسى بن طلحة عن عقيل بن أبي طالب قالت قريش لأبي طالب أن ابن أخيك هذا قد آذانا فذكر القصة فقال: يا عقيل إئتني بمحمد. فجئت به الظهيرة فقال: إن بني عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم فانته عن أذاهم فقال: أترون هذه الشمس

فما أنا بأقدر على أن أدع ذلك. فقال أبو طالب: والله ما كذب ابن أخي قط. ثم قال صاحب الدرجات: قالت الإمامية: ومما يدل على إيمانه خطبة النكاح التي خطبها عند نكاح رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وهي:

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وجعل لنا بلداً حراماً وبيتاً محجوباً (وروي محجوجا) وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن محمد بن عبد اللّه أخي من لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح عليه براً وفضلاً وحزماً وعقلاً ورأياً ونبلاً وإن كان في المال قل فإنما المال ظل زائل وعارية مسترجعة وله في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك وما أحببتم من الصداق فعلي، وله والله بعد نبأ وخطب جليل.

قالوا: فتراه يعلم نبأه الشائع وخطبه الجليل ثم يعانده ويكذبه وهو من أولي الألباب هذا غير سائغ في العقول.

وفي الإصابة: ذكر جمع أنه مات مسلماً وتمسكوا بما نسب إليه من قوله:

ودعوتني وعلمت إنك صادق ... ولقد صدقت فكنت قبل أمينا

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا

قال ابن عساكر في صدر ترجمته: قيل إنه أسلم ولا يصح إسلامه وقد وقفت على تصنيف لبعض الشيعة أثبت فيه إسلام أبي طالب بأحاديث ما أخرجه من طريق يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق عن العباس بن عبد اللّه بن سعيد بن عباس عن بعض أهله عن ابن عباس قال: لما أتى رسول الله ﷺ أبا طالب في مرضه قال له: يا عم قل لا إله إلا الله كلمة استحل بها لك الشفاعة يوم القيامة. قال: يا ابن أخي والله لولا أن تكون سبة علي وعلى أهلي من بعدي يرون إني قلتها جزعاً عند الموت لقلتها، لا أقولها إلا لأسرك بها. فلما ثقل أبو طالب رئي يحرك شفتيه فأصغى إليه العباس فسمع قوله فرفع رأسه عنه فقال: قد قال والله الكلمة التي سألته عنها. من طريق إسحاق بن عيسى الهاشمي عن أبيه سمعت المهاجر مولى بني نفيل يقول: سمعت أبا رافع يقول: سمعت أبا طالب يقول:

سمعت ابن أخي محمد بن عبد اللّه يقول أن ربه بعثه بصلة الأرحام وأن يعبد الله وحده لا يعبد غيره ومحمد الصدوق الأمين.

قال المؤلف: وأورد ابن حجر في الإصابة هذا الحديث نقلاً عن الخطيب في كتاب رواية الآباء عن الأبناء: أخبرنا أبو نعيم حدثنا محمد بن فارس بن حمدان حدثنا علي بن السراج البرقعيدي حدثنا جعفر بن عبد الواحد القاص قال لنا محمد بن عباد عن إسحاق بن عيسى عن مهاجر مولى بني نوفل: سمعت أبا رافع أنه سمع أبا طالب يقول: حدثني محمد أن الله أمره بصلة الأرحام وأن يعبد الله وحده لا يعبد معه أحداً ومحمد عندي الصدوق الأمين. قال وأخرج الخطيب في الكتاب المذكور من طريق أحمد بن الحسن المعروف بدبيس حدثنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم العلوي حدثني عم أبي الحسين ابن محمد عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه عن علي بن الحسين عن الحسين بن علي عن أبيه قال: سمعت أبا طالب يقول: حدثني محمد ابن أخي وكان والله صدوقاً، قلت له: بم بعثت يا محمد؟ قال بصلة الأرحام وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة. ثم قال في تتمة ما نقله عن مصنفي بعض الشيعة من طريق ابن المبارك عن صفوان بن عمرو عن أبي عامر الهوزني أن رسول الله ﷺ خرج معارضاً جنازة أبي طالب وهو يقول وصلتك رحم. ومن طريق عبد اللّه بن ضميرة عن أبيه عن علي: أنه لما أسلم قال له أبو طالب: إلزم ابن عمك. ومن طريق أبي عبيدة معمر بن المثنى عن رؤبة بن العجاج عن أبيه عن عمران بن حصين أن أبا طالب قال لجعفر بن أبي طالب لما أسلم: صِلْ جناح ابن عمك. فصلّى جعفر مع النبي ﷺ. أقول: كان علي (ع) يصلي مع النبي ﷺ وحده فكان جناحاً له أي واقفاً إلى يمينه متأخراً عنه قليلاً فلما قال أبو طالب لجعفر: صل جناح ابن عمك وقفا معاً خلف رسول الله ﷺ كما ورد في بعض الروايات، وذلك هو المستحب في صلاة الجماعة، يقف الواحد إلى جنب الإمام والاثنان خلفه، ومن طريق محمد بن زكريا العلائي عن العباس بن بكار عن أبي بكر الهذلي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال جاء أبو بكر (رض) بأبي قحافة وهو شيخ قد عمي، فقال رسول الله ﷺ: ألا تركت

الشيخ حتى آتيه. قال: أردت أن يأجره الله والذي بعثك بالحق لأنا كنت أشد فرحاً بإسلام أبي طالب مني بإسلام أبي ألتمس بذلك قرة عينك.

وحكى السيد فخار بن معد في رسالته في إسلام أبي طالب عن أبي علي الموضح أنه قال: ولأمير المؤمنين عليه السلام في أبيه يرثيه يقول:

أبا طالب عصمة المستجير ... وغيث المحول ونور الظلم
لقد هد فقدك أهل الحفاظ ... فصلى عليك ولي النعم
ولقاك ربك رضوانه ... فقد كنت للطهر من خير عم

فلو كان مات كافراً ما كان أمير المؤمنين (ع) يرثيه ويدعو له بالرضوان وفي الدرجات الرفيعة: لا أكاد أقضى العجب ممن ينكر إيمان أبي طالب (رض) أو يتوقف فيه وأشعاره التي يرويها المخالف والمؤالف صريحة في صراحة إسلامه. وأي فرق بين المنظوم والمنثور إذا تضمنا إقراراً بالإسلام. ثم أورد جملة من أشعاره الدالة صريحاً على ذلك ولكنه لم يذكرها كلها وما ذكره فقد اختصره. ونحن نورد جميع ما وصل إلينا من أشعاره في ذلك ولا نحذف منه شيئاً. وعن بعض الثقات أن قصائده في هذا المعنى التي تنفث في عقد السحر وتغبر في وجه شعراء الدهر تبلغ مجلداً أو أكثر فمن أشعاره الدالة صريحاً على إسلامه قوله في أمر الصحيفة:

ألا أبلغا عني على ذات بينها ... لؤيا وخصا من لؤي بني كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً ... نبياً كموسى خط في أول الكتب
وإن عليه في العباد محبة ... ولا حيف فيمن خصه الله بالحب
وإن الذي رقشتم في كتابكم ... يكون لكم يوماً كراغية السقب
أفيقوا أفيقوا قبل أن تحفر الزبى ... ويصبح من لم يجن ذنباً كذي ذنب
ولا تتبعوا أمر الغواة وتقطعوا ... أواصرنا بعد المودة والقرب
وتستجلبوا حرباً عواناً وربما ... أمر على من ذاقه حلب الحرب
فلسنا وبيت الله نسلم أحمداً ... لغراء من عض الزمان ولا كرب

ولما يبن منا ومنكم سوالف ... وأيد أمدت بالمهندة الشهب
بمعترك ضنك ترى قصد القنا ... به والضباع العرج تعكف كالشرب
كأن مجال الخيل في حجزاته ... وغمغمة الأبطال معركة الحرب
أليس أبونا هاشم شد أزره ... وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب
ولسنا نمل الحرب حتى تملنا ... ولا نشتكي مما ينوب من النكب
ولكننا أهل الحفائظ والنهى ... إذا طار أرواح الكماة من الرعب

وقوله:

ترجون منا خطة دون نيلها ... ضراب وطعن بالوشيج المقوم
ترجون أن نسخى بقتل محمد ... ولم تختضب سمر العوالي من الدم
كذبتم وبيت الله حتى تفلقوا ... جماجم تلقى بالحطيم وزمزم
وتقطع أرحام وتنسى حليلة ... حليلاً ويغشى محرم بعد محرم
وينهض قوم في الحديد إليكم ... يذودن عن أحسابهم كل مجرم
على ما مضى من مقتكم وعقوقكم ... وغشيانكم في أمركم كل مأثم
وظلم نبي جاء يدعو إلى الهدى ... وأمر أتى من عند ذي العرش قيم
فلا تحسبونا مسلميه فمثله ... إذا كان في قوم فليس بمسلم
فهذي معاذير مقدمة لكم ... لئلا يكون الحرب قبل التقدم

وقوله:

فلا تسفهوا أحلامكم في محمد ... ولا تتبعوا أمر الغواة الأشائم
تمنيتم أن تقتلوه وإنما ... أمانيكم هذي كأحلام نائم
وإنكم والله لا تقتلونه ... ولما تروا قطف اللحى والجماجم
زعمتم بأنا مسلمون محمدا ... ولما نقاذف دونه ونزاحم
من القوم مفضال أبي على العدى ... تمكن في الفرعين من آل هاشم
أمين حبيب في العباد مسوم ... بخاتم رب قاهر في الخواتم
يرى الناس برهاناً عليه وهيبة ... وما جاهل في قومه مثل عالم

نبي أتاه الوحي من عند ربه فمن قال لا يقرع بها سن نادم

وقوله وقد غضب لعثمان بن مظعون الجمحي حين عذبته قريش ونالت منه:

أمن تذكر دهر غير مأمون أصبحت مكتئباً تبكي كمحزون

أم من تذكر أقوام ذوي سفه يغشون بالظلم من يدعو إلى الدين

ألا ترون أذل الله جمعكم أنا غضبنا لعثمان بن مظعون

ونمنع الضيم من يبغي مضيمتنا بكل مطرد في الكف مسنون

ومرهفات كأن الملح خالطها يشفى بها الداء من هام المجانين

حتى تقر رجال لا حلوم لها بعد الصعوبة بالإسماح واللين

أو تؤمنوا بكتاب منزل عجب على نبي كموسى أو كذي النون

وقوله:

أفيقوا بني عمنا وانتهوا عن الغي من بعض ذا المنطق

وإلا فإني إذا خائف بوائق في داركم تلتقي

كما ذاق من كان من قبلكم ثمود وعاد ومن ذا بقي

غداة أتتهم بها صرصر وناقة ذي العرش إذ تستقي

غداة يعض بعرقوبها حسام من الهند ذو رونق

فحل عليهم بها سخطة من الله في ضربه الأزرق

وقد اشتهر عن عبد الله المأمون بن هارون الرشيد أنه كان يقول أسلم والله أبو طالب بقوله:

نصرت الرسول رسول المليك ببيض تلالا كلمع البروق

أذب وأحمي رسول الإله حماية عم عليه شفيق

وما أن أدب لأعدائه دباب البكار حذار الفنيق

ولكن أزير لهم سامياً كما زار ليث بغيل مضيق

ومن شعره المشهور قوله:

أنت النبي محمد قرم أغر مسود
لمسودين أكارم طابوا وطاب المولد
نعم الأرومة أصلها عمرو الخضم الأوحد
هشم الرميكة في الجفا ن وعيش مكة أنكد
فجرت بذلك سنة فيها الخبيزة تثرد
ولنا السقاية للحجيـ ـج بها يماث العسجد
والمأزمات وما حوت عرفاتها والمسجد
أنى تضام ولم أمت وأنا الشجاع العربد
وبطاح مكة لا يرى فيها نجيع أسود
وبنو أبيك كأنهم أسد العرين توقد
ولقد عهدتك صادقاً في القول لا تتزيد
ما زلت تنطق بالصوا ب وأنت طفل أمرد

وجاء في السيرة وذكره المؤرخون أن عمرو بن العاص لما خرج إلى بلاد الحبشة ليكيد جعفر بن أبي طالب وأصحابه عند النجاشي قال:

تقول ابنتي أين أين الرحيل وما البين مني بمستنكر
فقلت دعيني فإني امرؤ أريد النجاشي في جعفر
لأكويه عنده كية أقيم بها نخوة الأصعر
وإن انثنائي عن هاشم بما أسطعت في الغيب والمحضر
وعن عائب اللات في قوله ولولا رضا اللات لم نمطر
وإني لأشنى قريش له وإن كان كالذهب الأحمر

فكان عمرو يسمى الشاني ابن الشاني لأن أباه كان إذا مر عليه رسول الله ﷺ بمكة يقول والله إني لأشناك. وفيه أنزل أن شانئك هو الأبتر، فكتب أبو طالب إلى النجاشي شعراً يمدحه ويحرضه فيه على إكرام جعفر وأصحابه والإعراض عما يقوله عمرو فيهم يقول فيه:

ألا ليت شعري كيف في الناس جعفر — وعمرو وأعداء النبي الأقارب
وهل نال إحسان النجاشي جعفراً — وأصحابه عاق عن ذاك شاغب
تعلم خيار الحبش أنك ماجد — كريم فلا يشقى لديك المجانب
تعلم بأن الله زادك بسطة — وأسباب خير كلها لك لازب

وعن علي (ع) أنه قال: قال لي أبي: يا بني إلزم ابن عمك فإنك تسلم به من كل بأس عاجل وآجل ثم قال لي:

إن الوثيقة في لزوم محمد — فأشدد بصحبته على يديكا

ومن شعره المناسب هذا قوله:

إن علياً وجعفراً ثقتي — عند ملم الزمان والنوب
لا تخذلا وأنصرا ابن عمكما — أخي لأمي من بينهم وأبي
والله لا أخذل النبي ولا — يخذله من بني ذو حسب

وقوله يخاطب أخاه حمزة حين أسلم وكان يكنى أبا يعلى:

صبراً أبا يعلى على دين أحمد — وكن مظهراً للدين وفقت صابرا
وحط من أتى بالحق من عند ربه — بصدق وعزم لا تكن حمز كافرا
فقد سرني إذ قلت إنك مؤمن — فكن لرسول الله في الله ناصرا
وناد قريشاً بالذي قد أتيته — جهاراً وقل ما كان أحمد ساحرا

وقال مقاتل: تعاقدت قريش لئن مات أبو طالب ليجمعن قبائل قريش على قتل رسول الله ﷺ. وبلغ ذلك أبا طالب، فجمع بني هاشم وأحلافهم من قريش فوصاهم برسول الله ﷺ وقال: إن ابن أخي محمد صادق وأمين ناطق وإن شأنه أعظم شأن ومكان من ربه أعلى مكان فأجيبوا دعوته واجتمعوا على نصرته وراموا عدوه من وراء حوزته فإنه الشرف الباقي لكم الدهر وأنشأ يقول:

أوصي بنصر النبي الخير مشهده — علياً ابني وعم الخير عباسا
وحمزة الأسد المخشي صولته — وجعفراً أن تذودوا دونه الناسا

وهاشماً كلها أوصي بنصرته ... أن يأخذوا دون حرب القوم أمراسا
كونوا فدى لكم نفسي وما ولدت ... من دون أحمد عند الروع أتراسا
بكل أبيض مصقول عوارضه ... تخاله في سواد الليل مقباسا

وقال لابنه طالب:

ابني طالب أن شيخك ناصح ... فيما يقول مسدد لك راتق
فاضرب بسيفك من أراد مساءة ... حتى تكون له المنية ذائق
هذا رجائي فيك بعد منيتي ... لا زلت فيك بكل رشد واثق
فاعضد قواه يا بني وكن له ... إني بجدك لا محالة لاحق
آها أردد حسرة لفراقه ... إذ لا أراه وقد تطاول باسق
أترى أراه واللواء أمامه ... وعلي ابني للواء معانق
أتراه يشفع لي ويرحم عبرتي ... هيهات إني لا محالة زاهق

وفيها أقواء كثير كما هو عادة العرب بل لا يكاد يخلو شعر لهم منه. وقال يذكر حصار الشعب:

وقالوا خطة جوراً وحمقاً ... وبعض القول أبلج مستقيم
لتخرج هاشم فتصير منها ... بلاقع بطن مكة والحطيم
فمهلاً قومنا لا تركبونا ... بمظلمة لها أمر وخيم
فيندم بعضكم ويذل بعض ... وليس بمفلح أبداً ظلوم
فلا والراقصات بكل خرق ... إلى معمور مكة لا تريم
طوال الدهر حتى تقتلونا ... ونقتلكم وتلتقي الخصوم
ويعلم معشر قطعوا وعقوا ... بأنهم هم الجد الظليم (كذا)
أرادوا قتل أحمد ظالميه ... وليس لقتله فيهم زعيم
ودون محمد فتيان قوم ... هم العرنين والعضو الصميم

ومن قصيدة لأبي طالب في أمر الصحيفة:

وقد كان من أمر الصحيفة عبرة ... متى ما يخير غائب القوم يعجب

محا الله منها كفرهم وعقوقهم   وما نقموا من ناطق الحق معرب

وأصبح ما قالوا من الأمر باطلاً   ومن يختلق ما ليس بالحق يكذب

وأمسى ابن عبد الله فينا مصدقاً   على سخط من قومنا غير معتب

ستمنعه منا يد هاشمية   مركبها في الناس خير مركب

فلا والذي تحدى له كل نضوة   طليح بجنبي نخلة فالمحصب

يميناً صدقنا الله فيها ولم نكن   لنحلف بطلاً بالعتيق المحجب

نفارقه حتى نصرع حوله   وما بال تكذيب النبي المقرب

وله في أمر حصار الشعب:

تطاول ليلي بهم نصب   ودمعي كسح السقاء السرب

للعب قصي بأحلامها   وهل يرجع الحلم بعد اللعب

ونفي قصي بني هاشم   كنفي الطهاة لطاف الحطب

وقول لأحمد أنت امرؤ   خلوف الحديث ضعيف النسب

إلا أن أحمد قد جاءهم   بحق ولم يأت بالكذب

على أن إخواننا وازرو   نا بني هاشم وبني المطلب

هما اخوان كعظم اليمين   أمراً علينا كعقد الكرب

فيال قصي ألم تخبروا   بما قد خلا من شؤون العرب

فلا تمسكن بأيديكم   بعيد الأنوف بعجب الذنب

ورمتم بأحمد ما رمتم   على الأصرات وقرب النسب

فإني وما حج من راكب   وكعبة مكة ذات الحجب

تنالون أحمد أو تصطلوا   ظباة الرماح وحد القضب

وتفترقوا بين أبياتكم   صدور العوالي وخيلاً عصب

وقال:

قل لمن كان من كنانة في العز   وأهل الندى وأهل الفعال

قد أتاكم من المليك رسول   فأقبلوه بصالح الأعمال

وانـصـروا أحـمـداً فـإن مـن الله ... رداء عـلـيـه غـيـر مـذال

وقال أنشده أبو عبد الله بن صفية الهاشمي له:

لـقـد كـرم الله الـنـبـي مـحـمـداً ... فأكرم خلق الله في الناس أحمد
وشـق لـه مـن اسـمـه لـيـجـلـه ... فذو العرش محمود وهذا محمد

وأورد الحافظ ابن حجر البيت الثاني له في الإصابة ثم قال: قال ابن عيينة عن علي بن زيد ما سمعت أحسن من هذا البيت.

وأراد أبو طالب الخروج إلى بصرى الشام وعزم على عدم أخذ النبي ﷺ معه إشفاقاً عليه، فلما ركب تعلق بزمام ناقته وبكى وناشده في إخراجه فأخرجه معه ولقيه بحيرا الراهب وحمل له ولأصحابه الطعام والنزل وحثه على سرعة الرجوع به فقال أبو طالب في ذلك:

إن ابـن آمـنـة الأمـيـن مـحـمـداً ... عـنـدي بـمـثـل مـنـازل الأولاد
لـمـا تـعـلـق بـالـزمـام رحـمـتـه ... والـعـيـس قـد قـلـصـن بـالأزواد
فـأرفـض مـن عـيـنـي دمـع ذارف ... مـثـل الـجـمـان مـفـرق الأفـراد
راعـيـت فـيـه قـرابـة مـوصـولـة ... وحـفـظـت فـيـه وصـيـة الأجـداد
وأمـرتـه بـالـسـيـر بـيـن عـمـومـة ... بـيـض الـوجـوه مـصـالـت أنـجـاد
سـاروا لأبـعـد طـيـة مـعـلـومـة ... فـلـقـد تـبـاعـد طـيـة الـمـرتـاد
حـتـى إذا مـا قـوم بـصـرى عـايـنـوا ... لاقـوا عـلـى شـرك مـن الـمـرصـاد
حـبـراً فـأخـبـرهـم حـديـثـاً صـادقـاً ... عـنـه ورد مـعـاشـر الـحـسـاد

وقال أيضاً في ذلك:

ألـم تـرنـي مـن بـعـد هـم هـمـمـتـه ... بـعـزة حـر الـوالـديـن كـرام
بـأحـمـد لـمـا أن شـددت مـطـيـتـي ... لـرحـل وإذ ودعـتـه بـسـلام
بكى حزناً والعيس قد فصلت لنا ... وجـاذب بـالـكـفـيـن فـضـل زمـام
ذكـرت أبـاه ثـم رقـرقـت عـبـرة ... تفيض على الخدين ذات سجام
فقلت له رح راشداً في عمومة ... مواسين في البأساء غير لئام

فلما هبطنا أرض بصرى تشوفوا   لـنـا بـشـراب طـيـب وطـعـام

ولم رأى أبو طالب من قومه ما يسره من جلدهم معه وتحدبهم عليه مدحهم وذكر قديمهم وذكر النبي ﷺ فقال:

إذا اجتمعت يوماً قريش لفخرها   فعبد مناف سرها وصميمها
وإن حضرت أشراف عبد منافها   ففي هاشم أشرافها وقديمها
ففيهم نبي الله أعني محمداً   هو المصطفى من سرها وكريمها
تداعت قريش غثها وسمينها   علينا فلم تظفر وطاشت حلومها

وروى الفقيه إبراهيم بن علي بن محمد الدينوري الحنبلي في كتاب نهاية الطلب وغاية السؤول في مناقب آل الرسول بأسناده إلى محمد بن إسحاق بن عبد اللّه بن مغيرة بن معتب أن أبا طالب فقد رسول الله ﷺ فظن أن قريشاً اغتالته فبعث إلى بني هاشم: ليأخذ كل واحد منكم حديدة صارمة ويجلس إلى جنب عظيم من عظماء قريش فإذا قلت: أبغي محمداً قتل كل منكم الذي إلى جانبه ففعلوا، وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأتاه في المسجد فلما رآه أخذ بيده ثم قال: يا معشر قريش فقدت محمداً فظننت أن بعضكم اغتاله وأخبرهم بما عزم عليه وأراهم السكاكين فهابت قريش رسول الله ﷺ فقال أبو طالب:

ألا أبلغ قريشاً حيث حلت   وكل سرائر منها غرور
فإني والصرائح غاديات   وما يتلو السفافرة الشهور
لآل محمد راع حفيظ   وداد الصدر مني والضمير
فلست بقاطع رحمي وولدي   ولو جرت مظالمها الجرور
أيا من جمعهم أفناء فهر   لقتل محمد والأمر زور
فلا وأبيك لا ظفرت قريش   ولا لقيت رشاداً إذ تشير
بني أخي ونوط القلب مني   وأبيض ماؤه غدق كثير
ويشرب بعده الولدان ريا   وأحمد قد تضمنه القبور
أيا ابن الأنف أنف بني قصي   كأن جبينك القمر المنير

ومن شعره الصريح في إيمانه قصيدته اللامية المشهورة كشهرة قفا نبك. وقال ابن كثير: هي قصيدة بليغة لا يستطيع أن يقولها إلا من نسبت إليه وهي أفحل من المعلقات السبع وأبلغ في تأدية المعنى «اهـ». ولم أعثر عليها بتمامها فأوردت هنا ما وجدته منها:

أعوذ برب البيت من كل طاعن ... علينا بسوء أو ملح بباطل
ومن فاجر يغتابنا بمغيبة ... ومن ملحق في الدين ما لم يحاول
كذبتم وبيت الله نخلي محمداً ... ولما نطاعن دونه ونناضل
وننصره حتى نصرع دونه ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل
وحتى ترى ذا الردع يركب ردعه ... من الطعن فعل الأنكب المتحامل
وينهض قوم في الحديد إليكم ... نهوض الروايا من طريق حلاحل
وأنا وبيت الله إن جد جدنا ... لتلتبسن أسيافنا بالأماثل
بكل فتى مثل الشهاب سميدع ... أخي ثقة عند الحفيظة باسل
وما ترك قوم لا أباً لك سيداً ... يحوط الذمار غير نكس مواكل
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنده في نعمة وفواضل
وميزان صدق لا يخيس شعيرة ... ووازن صدق وزنه غير عائل
ألم تعلموا أن ابننا لا مكذب ... لدينا ولا يعبا بقول الأباطل
فأصبح فينا أحمد في أرومة ... تقصر عنها صولة المتطاول
لعمري لقد كلفت وجداً بأحمد ... وأحببته حب الحبيب المواصل
أقيم على نصر النبي محمد ... أقاتل عنه بالقنا والقنابل
وجدت بنفسي دونه فحميته ... ودافعت عنه بالذرى والكلاكل
فلا زال في الدنيا جمالاً لأهلها ... وشينا لمن عادى وزين المحافل
فمن مثله في الناس أي مؤمل ... إذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عادل غير طائش ... يوالي إلٰهاً ليس عنه بغافل
فأيده رب العباد بنصره ... وأظهر ديناً حقه غير ناصل

ومن شعره المشهور يخاطب النبي ﷺ ويسكن جأشه ويأمره بإظهار الدعوة قوله:

لا يمنعك من حق تقوم به ... أيد تصول ولا سلق بأصوات
فإن كفك كفي إن منيت بهم ... ودون نفسك نفسي في الملمات

إلى غير ذلك. وكل هذه الأشعار قد جاءت مجيء التواتر لأنه إن لم تكن آحادها متواترة فمجموعها يدل على أمر واحد مشترك، وهو تصديق محمد ﷺ، ومجموعها متواتر، كما أن كل واحد من قتلات علي (ع) الفرسان منقولة آحاداً ومجموعها متواتر يفيد العلم الضروري بشجاعته وكذلك القول فيما يروى من سخاء حاتم وحلم الأحنف وذكاء أياس وغير ذلك. وروى أهل السير والمغازي إن عتبة بن ربيعة أو شيبة أخاه لما قطع رجل عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب يوم بدر أشبل عليه علي وحمزة فاستنقذاه منه وخبطا عتبة بسيفيهما حتى قتلاه واحتملا عبيدة من المعركة إلى العريش فألقياه بين يدي رسول الله ﷺ ومخ ساقه يسيل فقال: يا رسول الله لو كان أبو طالب حياً لعلم أنه قد صدق في قوله:

كذبتم وبيت الله نخلي محمداً ... ولما نطاعن دونه ونناضل
وننصره حتى نصرع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فاستغفر له رسول الله ﷺ ولأبي طالب وبلغ عبيدة إلى الصفراء ومات فدفن بها. وروي أن إعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ في عام جدب فقال: أتيناك يا رسول الله ولم يبق لنا صبي يرضع ولا شارف يجتر وأنشد:

أتيناك والعذراء يدمى لبانها ... وقد شغلت أم الرضيع عن الطفل
وألقى بكفيه الفتى لاستكانة ... من الجوع حتى ما يمر ولا يحلي
ولا شيء مما يأكل الناس عندنا ... سوى الحنظل العاصي والعلهز الغسل
وليس لنا إلا إليك فرارنا ... وأين فرار الناس إلا إلى الرسل

فقام النبي ﷺ يجر رداءه حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال:

اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً هنيئاً مريعاً سجالاً غدقاً طبقاً دائماً درراً تحيي به

الأرض وتنبت به الزرع وتدر به الضرع واجعله سقياً نافعاً عاجلاً غير رائث. قال: فوالله ما رد رسول الله ﷺ يده إلى نحره حتى ألقت السماء أرواقها وجاء الناس يضجون: الغرق يا رسول الله. فقال: اللهم حوالينا ولا علينا. فانجاب الغمام عن المدينة حتى استدار حولها كالاء كليل. فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال: لله در أبي طالب لو كان حياً لقرت عينه. من ينشدنا قوله؟ فقام علي (ع) فقال: يا رسول الله لعلك أردت (وأبيض يستسقى الغمام بوجهه). قال: أجل. فأنشده أبياتاً منها ورسول الله ﷺ يستغفر لأبي طالب على المنبر. ثم قام رجل من كنانة فأنشده:

لك الحمد والحمد ممن شكر ... سقينا بوجه النبي المطر
دعا الله خالقه دعوة ... إليه وأشخص منه البصر
فما كان إلا كما ساعة ... أو أقصر حتى رأينا الدرر
دفاق العزالى وجم البعا ... ق أغاث به الله عليا مضر
فكان كما قاله عمه ... أبو طالب ذو رواء غزر
به يسر الله صوب الغمام ... فهذا العيان وذلك الخبر
فمن يشكر الله يلق المزيد ... ومن يكفر الله يلق الغير

فقال رسول الله ﷺ: إن يكن شاعر أحسن فقد أحسنت. ولما ثقل رسول الله ﷺ في مرضه أنشدت فاطمة (ع) (وأبيض يستسقى الغمام بوجهه) «البيت»، فقال رسول الله ﷺ: يا بنية هذا قول عمك أبي طالب ولكن قولي: وما محمد إلا رسول «الآية» وذلك دليل استفاضته واشتهاره، وبلغ من اشتهار قوله:

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا

أنْ استشهد به أهل النحو في كتبهم في باب التمييز (وفي الدرجات الرفيعة): ما أحسن قول السيد أبي محمد عبد اللّه بن حمزة الحسني الزيدي من قصيدة:

حماه أبونا أبو طالب ... وأسلم والناس لم تسلم

وقد كان يكتم إيمانه ... وأما الولاء فلم يكتم

ولله در ابن أبي الحديد المعتزلي حيث يقول:

ولولا أبو طالب وابنه ... لما مثل الدين شخصاً فقاما

فذاك بمكة آوى وحامى ... وهذا بيثرب خاض الحماما

تكفل عبد مناف بأمـ ... ـر وآوى فكان علي تماما

فقل في ثبير مضى بعدما ... قضى ما قضاه وأبقى شماما

فلله ذا فاتحاً للهدى ... ولله ذا للمعالي ختاما

وما ضر مجد أبي طالب ... جهول لغا أو بصير تعامى

كما لا يضر أناة الصبا ... ح من ظن ضوء النهار الظلاما

وذكر السيد علي خان في الدرجات الرفيعة لنفسه:

أبو طالب عم النبي محمد ... به قام أزر الدين واشتد كاهله

ويكفيه فخراً في المفاخر أنه ... مؤازره دون الأنام وكافله

لئن جهلت قوم عظيم مقامه ... فما ضر ضوء الصبح من هو جاهله

ولولاه ما قامت لأحمد دعوة ... ولا انجاب ليل الغي وانزاح باطله

أقر بدين الله سراً لحكمة ... فقال عدو الحق ما هو قائله

وماذا عليه وهو في الدين هضبة ... إذا عصفت من ذي العناد أباطله

وكيف يحل الذم ساحة ماجد ... أواخره محمودة وأوائله

عليه سلام الله ما ذر شارق ... وما تليت أحسابه وفضائله

قال: وكان ابن أبي الحديد من المتوقفين في إسلام أبي طالب صرح بذلك في شرحه لنهج البلاغة فقضى على نفسه بالجهل والتعامي في هذه الأبيات «اهـ».

ولو كان أقل من هذه الأدلة التي ذكرناها لغير إسلام أبي طالب أو توثيقه وأخذ أحكام الدين عنه لما توقف القوم في قبولها، ولكن كيف تساعد النفس على الأذعان بإسلام أبي طالب وهو أبو علي بن أبي طالب، والشيعة كلها

وأئمتها متفقة على ذلك. فكيف يترك حديث رواه مسلم والبخاري ويتبع هذا مهما بلغ من القوة؟!

بعض الأحاديث التي رويت في عدم إسلام أبي طالب

في الدرجات الرفيعة وغيرها. أما ما رووه عن النبي ﷺ أنه قال: إن الله وعدني بتخفيف عذابه لما صنع في حقي وإنه لفي ضحضاح من نار، فهو خبر يروونه كلهم عن رجل واحد، وهو المغيرة بن شعبة، وبغضه لبني هاشم وعلى الخصوص لعلي عليه السلام مشهور معلوم، وقصته وخبره غير خاف، فبطل التمسك به (قال) وما رووه أيضاً: من أن علياً وجعفراً لم يأخذا من تركة أبي طالب شيئاً حديث موضوع ومذهب أهل البيت بخلاف ذلك، فإن المسلم عندهم يرث غير المسلم ولا يرث غير المسلم المسلم ولو كان أعلى درجة منه في النسب وقوله ﷺ لا توارث بين أهل الملتين نقول بموجبه لأن التوارث تفاعل ولا تفاعل عندنا في ميراثهما واللفظ يستدعي الطرفين كالتضارب لا يكون إلا من اثنين (وفي الإصابة): أخرج أحمد من طريق حبة العرني: رأيت علياً ضحك على المنبر حتى بدت نواجذه ثم قال: تذكرت قول أبي طالب وقد ظهر علينا وأنا أصلي مع النبي ﷺ ببطن نخلة. فقال له: ماذا تصنعان؟ فدعاه إلى الإسلام فقال: ما بالذي تقول من بأس ولكن والله لا يعلوني أستي أبداً (قال المؤلف): لم يكن أبو طالب في عقله ونبله وحبه لابن أخيه واستحسانه للإسلام واعترافه بالخالق وعظمته ليصده عنه هذه العلة السخيفة فيترك السجود لله تعالى لأجلها ويسجد لأحجار لا تضر ولا تنفع، إن هذا ما لا يكون أبداً. ولم يكن أمير المؤمنين (ع) ليضحك حتى تبدو نواجذه لترك أبيه الإسلام لعلة لا تصدر من أسفه السفهاء، بل هو موضع الحزن والبكاء لو كان. (وفيها) قال عبد الرزاق: حدثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عمن سمع ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ قال نزلت في أبي طالب، كان ينهي عن أذى النبي ﷺ وينأى عما جاء به. (أقول): مع إرساله يوجب اختلاف مرجع الضميرين في

الآية وظاهرها أن مرجعهما واحد وهو الإسلام. وفي مجمع البيان: قيل عنى به أبا طالب ومعناه يمنعون الناس عن أذى النبي ﷺ ولا يتبعونه، عن عطاء ومقاتل وهذا لا يصح، لأن هذه الآية معطوفة على ما تقدمها وما تأخر عنها معطوف عليها وكلها في ذم الكفار المعاندين للنبي ﷺ (أقول): وأبو طالب لو سُلِّم أنه لم يسلم فلم يكن معانداً.

قال ابن حجر في الإصابة بعد إيراد الأحاديث السابقة التي نقلها عن مصنفي بعض الشيعة: وأسانيد هذه الأحاديث واهية وعلى تقدير صحتها فقد عارضها ما هو أصح منها. (أما الحديث الأول) ففي الصحيحين أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبد اللّه بن أبي أمية فقال يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال له أبو جهل وعبد اللّه بن أبي أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزالا به حتى قال آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب فقال النبي ﷺ لاستغفرن لك ما لم أنه عنك، فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين «الآية» إنك لا تهدي من أحببت «الآية» (قال): وقد أجاب المذكور عن قوله وهو على ملة عبد المطلب بأن عبد المطلب مات غير كافر واستدل بأثر مقطوع عن جعفر الصادق ولا حجة فيه لانقطاعه وضعف رجاله وهو حديث راشد الحماني المتقدم قال (وأما الحديث الثاني) وفيه شهادة أبي طالب بتصديق النبي ﷺ فالجواب عنه وعما ورد في شعر أبي طالب أنه نظير ما حكاه تعالى عن كفار قريش (فجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً» فكان كفرهم عناداً ومنشأه من الأنفة والكبر. إلى ذلك أشار أبو طالب بقوله: لولا أن تعيرني قريش. (قال) في الحديث الأول من حديثي الخطيب: قال الخطيب: لا يثبت هذا الحديث أهل العلم بالنقل وفي إسناده غير واحد من المجهولين وجعفر ذاهب الحديث (وقال) في الحديث الثاني منهما: قال الخطيب: لم أكتبه بهذا الإسناد إلا عن هذا الشيخ، ودبيس المقري صاحب غرائب وكثير الرواية للمناكير (قال) وأما (الحديث الثالث) أي من أحاديث مصنفي الشيعة، وهو حديث الهوزني فهو مرسل، ومع ذلك فليس

في قوله: وصلتك رحم ما يدل على إسلامه بل فيه ما يدل على عدمه وهو معارضته لجنازته، إذ لو كان أسلم لمشى معه وصلى عليه. وقد ورد ما هو أصح منه من طريق ناحية بن كعب عن علي قال: لما مات أبو طالب أتيت النبي ﷺ فقلت: أن عمك الضال قد مات فقال لي: اذهب فواره. وقد أخرجه المذكور من وجه آخر عن ناحية بن كعب عن علي بدون قوله الضال (وأما الرابع والخامس) وهو أمر أبي طالب ولديه باتباعه فتركه ذلك هو من جملة العناد وهو أيضاً من حسن نصرته له وذبه عنه ومعاداته قومه بسببه (وأما حديث إسلام أبي قحافة) فالمراد أني كنت بإسلام عمك لو أسلم أشد فرحاً مني بإسلام أبي واستشهد لذلك ببعض الأحاديث المصرحة به. (قال) وورد في الصحيح عن العباس بن عبد المطلب أنه قال للنبي ﷺ: ما أغنيت عن عمك أبي طالب فإنه كان يحوطك ويغضب لك فقال: هو في ضحضاح من النار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل. (قال) والأحاديث الصحيحة والأخبار المتكاثرة طافحة بذلك وقد فخر المنصور على محمد بن عبد الله بن الحسن لما خرج بالمدينة بقوله في كتاب له: وقد بعث النبي ﷺ وله أربعة أعمام فآمن به اثنان أحدهما أبي وكفر به اثنان أحدهما أبوك ومن شعر عبد الله بن المعتز يخاطب الفاطميين.

وأنتم بنو بنته دوننا ونحن بنو عمه المسلم

ولم يتعرض لحديث الطبقات بشيء ولعله لاكتفائه بما ذكره في غيره من أنه لا يدل إلا على اعتقاده بنبوته لكنه لم يسلم عناداً وأنفة وقال في الحديث الأخير: قال تمام الوليد منكر الحديث قال ابن عساكر والصحيح ما أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ ذكر عنده أبو طالب فقال: تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبه يغلي منه دماغه. انتهى ما أورده ابن حجر في الإصابة. (قال المؤلف): والشنشنة الأخزمية معروفة في كل حديث يكون فيه فضيلة لأهل البيت ومن إليهم أو يوافق رأي الشيعة، فأولاً يقدح في سنده ما أمكن ويتمحل له الوجوه ولو اشتهر وكثر رواته ومؤيداته، ويكفي لذلك وجود من ينسب إلى التشيع في سنده فيقال رواته

غلاة ولو كانوا معروفين بالصدق، أما معارضه فلا يضر وجود الغلاة في النصب في سنده ولا الخوارج أمثال عمران بن حطان أو المغيرة بن شعبة لأنه صحابي مقدس ولو فعل ما فعل. ثم ينتقل إلى دلالته فيتمحل لها التأويلات البعيدة ولو كانت الدلالة صريحة جلية (قوله): وأسانيد هذه الأحاديث واهية، لم يبين وجه ضعفها هذا مع اعتضادها بأشعاره المتواترة الصريحة في إسلامه وقد عارضها بما زعم أنه أصح منها كحديث للصحيحين مع أنه إذا ورد في الصحيحين ما لا يوافقهم لم يتحاشوا من القدح في سنده والقول بأنه ليس كل ما في الصحيحين صحيح مع أن حضور أبي جهل وابن أبي أمية عنده ومضايقتهما ومعارضتهما النبي ﷺ في إظهار إسلامه يمنعه عن إظهاره لأنه لم ييأس من الحياة فيخشى ما كان يخشاه في حياته من عدم التمكن الكافي من نصرة رسول الله ﷺ كما بيناه سابقاً، فاكتفى بقوله أنه على ملة عبد المطلب الذي ثبت من طريق أهل البيت عليهم السلام أنه كان على الحق وعلى ملة أبيه إبراهيم.

أما أن آية: ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين «الآية» فقد اختلف المفسرون في سبب نزولها فقيل نزلت في أبي طالب، وحكى الفخر الرازي في تفسيره عن الواحدي عن الحسين بن الفضل الحسن بن الفضل (خ ل) أنه استبعده لأن هذه السورة من آخر القرآن نزولاً ووفاة أبي طالب كانت بمكة في أول الإسلام وقول الفخر الرازي في رفع هذا الاستبعاد يمكن أن يكون بقي يستغفر له إلى نزول هذه الآية لا يرفعه فإن الاستغفار للمشرك لم تكن فيه مصلحة ولم تتجدد فيه مفسدة حتى يقر الله نبيه عليه كل هذه المدة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ (وقيل) نزلت في غيره ففي مجمع البيان عن تفسير الحسن أن المسلمين قالوا للنبي ﷺ: ألا نستغفر لآبائنا الذين ماتوا في الجاهلية؟ فأنزل الله سبحانه هذه الآية وبين أنه لا ينبغي لنبي ولا لمؤمن أن يدعو لكافر ويستغفر له. (وفي تفسير الرازي) يروي عن علي أنه سمع رجلاً يستغفر لأبويه المشركين فقال له: أتستغفر لأبويك وهما مشركان؟ فقال: أليس قد استغفر إبراهيم لأبويه وهما مشركان؟ فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية (وفي تفسير الطبري)

بسنده عن مجاهد كان المؤمنون يقولون: ألا نستغفر لآبائنا وقد استغفر إبراهيم لأبيه كافراً؟ فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ «الآية» (وفيه أيضاً) بسنده عن ابن عباس: كانوا يستغفرون للمشركين حتى نزلت هذه الآية فلما نزلت أمسكوا عن الاستغفار لأمواتهم وإذا تعارضت الأخبار بطل الاستدلال بها مع أن أخبار إيمانه معتضدة بالمؤيدات القوية المتقدمة والمعارضة لها إنما رويت مراغمة لعلي (ع) وأهل بيته إرضاء للأمويين والعباسيين فرواها العلماء وقبلوها لعدم إطلاعهم على وضعها ولحسن ظنهم بمن نقلها. وأما آية: إنك لا تهدي من أحببت. ففي «مجمع البيان» في تفسير سورة القصص قيل أنها نزلت في أبي طالب فالنبي ﷺ كان يحب إسلامه، فنزلت، ويكره إسلام وحشي قاتل حمزة فنزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ * لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ «الآية» فلم يسلم أبو طالب وأسلم وحشي «قال»: وفي هذا نظر، فإن النبي ﷺ لا يجوز أن يخالف الله تعالى في إرادته كما لا يجوز أن يخالفه في أوامره ونواهيه فكأنه سبحانه بمقتضى اعتقادهم يقول إنك يا محمد تريد إيمانه ولا أريده ولا أخلق فيه الإيمان مع تكفله بنصرتك وبذل مجهوده في إعانتك والذب عنك ومحبته لك ونعمته عليك وفي هذا ما فيه «اهـ»، وعن كتاب السيد فخار المتقدم إليه الإشارة: أما ما ذكروه من أن النبي ﷺ كان يحب عمه أبا طالب ويريد منه أن يؤمن به وهو لا يفعل فنزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ فإنه جهل بأسباب النزول وتحامل على عم الرسول ﷺ لأن لنزول هذه الآية عند أهل العلم سبباً معروفاً وذلك أنه ﷺ لما جرح يوم أحد وكسرت رباعيته قال اللهم: إهد قومي فإنهم لا يعلمون. فنزلت «وروي» لنزولها سبب آخر وهو أن قوماً ممن أظهروا الإيمان بمكة لم يهاجروا وأظهروا الكفر فبلغ ذلك النبي ﷺ وأصحابه فاختلفوا في تسميتهم بالكفر أو الإيمان. فبعض قال كافرون، وبعض مؤمنون لإظهارهم الكفر اضطراراً واجتمعوا إليه ﷺ وكان أشرافهم يريدون منه أن يحكم بإيمانهم لقرابتهم منهم، فأحب ﷺ أن ينزل ما يوافق محبة الأشراف لتألفهم فنزلت: إنك لا تهدي من أحببت، أي لا تحكم ولا تسمي ولا تشهد بالإيمان لمن أحببت، ولكن الله يفعل ذلك لمن كان مستحقاً (قال) وإن ثبت أنها نزلت في أبي طالب فتدل على

فضله وعلو مرتبته في الإيمان والهداية لأن هدايته كانت من الله دون غيره وهو كان المتولي لها وكان تقديره أن أبا طالب الذي تحبه لم تهده أنت يا محمد بنفسك بل الله تولى هدايته وهذا أولى مما ذكروه لعدم ارتكاب النبي ﷺ ما نهى عنه من حب الكافرين بقوله: لا تجد قوماً (الآية) «اهـ». «أما جواب ابن حجر» عن الحديث الثاني المروي من طريق إسحاق وفيه شهادته بتصديق النبي ﷺ وعما ورد في أشعاره بأنه نظير ما حكاه تعالى عن كفار قريش: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ وإن منشأ كفره وكفرهم العناد والأنفة والكبر. «ففيه» أنه لا يعقل أن يصدر ذلك من مثل أبي طالب في عقله وفضله فيعاند ويستكبر ويأنف مما جاء به ابن أخيه وأحب الخلق إليه ومن يسعد بنبوته ويتشرف بشرفه في الدنيا والآخرة. ويخالف اعتقاده ولا يسلم ويخالف فعله في المبالغة بنصره ويأمر أولاده باتباعه والإيمان والصلاة معه، ويمدح أخاه حمزة على إيمانه به. إن هذا ما لا يرضاه عاقل بل هو العناد بعينه ولو كانت الأنفة والكبر والعناد تحمله على عدم الإسلام لنهى أولاده وأخاه عنه ولم يحثهم عليه ولم يمدح فاعله، لأن ما يأنف منه الإنسان لنفسه يأنف منه لأولاده وإخوته وأقرب الناس إليه، وما يحبه لنفسه يحبه لهم إذ ما يلحقهم من العار بذلك يلحقه وما يحصل لهم من المنفعة كأنه حصل له ولا يقاس ذلك بأبي لهب وكفار قريش الذين نزل فيهم: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ فإنهم كانوا يجاهرون بعداوته وصد الناس عنه جهدهم وبذلك يبطل استشهاده بقوله لولا أن تعيرني قريش فإن قريشاً إن عيرته بإسلامه تعيره بإسلام أولاده وحثهم عليه وإن صح أنه قال فمحمول على إرادة الخوف من عدم تمكنه من النصرة إن أظهره بسبب تعييرهم له بذلك واستخفافهم به ووجود المجهولين في سند حديث الخطيب الأول إن أسلم لا يضر مع اعتضاده بغيره (وقول الخطيب) عن راوي الحديث الثاني أنه صاحب غرائب وكثير الرواية للمناكير يمكن أن تكون هذه الغرائب والمناكير مثل إسلام أبي طالب الذي لا غرابة ولا نكران فيه (أما قدحه) في الحديث الثالث وهو حديث الهوزني بأنه ليس في قوله وصلتك رحم ما يدل على إسلامه ففيه أنه دعاء له بما لا يدعى به لكافر «وقوله» لو أسلم لمشى معه وصلى عليه فيه أنه

ليس في الحديث عدم مشيه معه والمعارضة لا تدل على ذلك بل الظاهر أنه لم يكن حاضراً أول حمله ثم خرج فعارضه وقال ذلك ومشى معه، ومع ذلك ليس فيه أنه لم يصل عليه ويدل عليه المروي كما في الدرجات الرفيعة أنه لما مات رضوان اللّه عليه جاء أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى رسول الله ﷺ فآذنه بموته فتوجع عظيماً وحزن شديداً ثم قال له: امض فتول غسله فإذا رفعته على سريره فأعلمني، فقال فاعترضه رسول الله ﷺ وهو محمول على رؤوس الرجال فقال له: وصلتك رحم يا عم وجزيت خيراً لقد ربيت وكفلت صغيراً ونصرت وآزرت كبيراً، ثم تبعه إلى حفرته فوقف عليه فقال أما والله لأستغفرن لك ولأشفعن فيك شفاعة يتعجب لها الثقلان، وإنما لم يصل عليه لأن صلاة الجنائز لم تكن شرعت بعد ولا صلى رسول الله ﷺ على خديجة، وإنما كان تشييع ورقة ودعاء «وأما» الحديث الذي زعم أنه أصح منه وهو قول علي لرسول الله ﷺ عمك الضال، فلفظة الضال لا يمكن أن يقولها علي في حق أبيه ويجابه بها رسول الله ﷺ في حق عمه وكافله وناصره في حالة وفاته ولو فرض أنه كافر ولا يقولها إلا شامت مبغض فهي زيادة مكذوبة، والصحيح ما في رواية ناجية من تركها مع أن أمر النبي ﷺ له بتولي أمر دفنه دون عقيل وطالب اللذين كانا غير مسلمين يومئذ ولم يسلم من أولاده غير علي وجعفر وهو بالحبشة أقوى دليل على إسلامه وإلا لكان الكافر أولى به «وأما جعله» أمر أبي طالب ولديه باتباعه مع تركه ذلك من جملة العناد، فهو عين العناد فإن أمره لهما بذلك يدل على اعتقاد صدقه وينفي عنه العناد، ولو كان معانداً كأبي لهب لنهاهما عن اتباعه وأراد لهما ما يريده لنفسه وكيف ينصره جهده ويذب عنه ويعادي قومه بسببه ويأمر أولاده باتباعه مما يدل على عدم عناده ويعانده؟ هل هذا إلا التناقض والتمحل؟ «وأما تأويله» لحديث إسلام أبي قحافة فمخالف للظاهر وما استشهد به محتاج للثبوت وكيف يثبت وهو مصادم للضرورة «وأما حديث» أنه في ضحضاح من نار فقد عرفت مما تقدم كذبه وإن وصفه بالصحة كغيره مما زعمه ولا أعجب من استشهاده بقول المنصور الظالم المتمادي في ظلمه، الذي فعل بذرية الرسول ﷺ ما لا يفعله ظالم بأشقى الأشقياء، وقد أشرنا إلى بعضه في

المقدمات وبغضه لهم وخوفه منهم على ملكه الذي يحمله على مثل هذا الكلام معلوم كاستشهاده بشعر ابن المعتز الذي لا يقصر عن المنصور في بغض العلويين «وقوله» في رواة حديث ابن متيم وهذه سلسلة شيعية من الغلاة فلا يفرح به، ظاهر في تحامله وما الذين يجره إسلام أبي طالب على هذا الشيعي حتى يفرح به وما الذي يضره هو من ذلك حتى يحزن له ويفرح بعدمه والسلسلة الشيعية قد مر كلامنا في مثلها وفي دعواه أصحية المعارض والله المستعان.

أولاد أبي طالـــب

كان له ستة أولاد أربعة ذكور وابنتان. فالذكور: طالب وهو أكبرهم وبه يكنى وعلي أمير المؤمنين وجعفر وعقيل، وكان علي عليه السلام أصغرهم وجعفر أسن منه بعشر سنين وعقيل أسن من جعفر بعشر سنين وطالب أسن من جعفر بعشر سنين ذكره غير واحد، وهو اتفاق غريب، والابنتان أم هاني وجمانة، أمهم فاطمة بنت أسد. وكانت قريش أكرهت طالباً على الخروج معها يوم بدر لقتال رسول الله ﷺ ففقد ولم يعرف له خبر ويقال أنه أقحمه فرسه في البحر حتى غرق ويقال إن قريشا ردته إلى مكة ويدل عليه ما عن الكليني في روضة الكافي بإسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام أنه قال لما خرجت قريش إلى بدر وأخرجوا بني عبد المطلب معهم خرج طالب بن أبي طالب فنزل رجازهم وهم يرتجزون ونزل طالب بن أبي طالب يرتجز ويقول:

يـا رب أمـا تـعـزن بـطـالـب ... فـي مـقـنـب من هـذه الـمـقـانـب
فـي مـقـنـب الـمـحـارب الـمـغـالـب ... تـجـعـلـه الـمـسـلـوب غـيـر الـسـالـب

فقالت قريش إن هذا ليغلبنا فردوه قال وفي رواية أُخرى عن أبي عبد اللّه (ع) أنه كان أسلم «انتهى» وروى أرباب السير لطالب شعراً يدل على إسلامه وقيل إنه لأبي طالب وهو:

إذا قـيـل مـن خـيـر هـذا الـورى ... قـبـيـلا وأكـرمـهـم أسـره

نــأتــي بــعــبــد مــنــاف أب وفــضــلــه هــاشــم الــغــره
لــقــد حــل مــجــد بــنــي هــاشــم مــكــان الــنــعــائــم والــنــســره
وخــيــر بــنــي هــاشــم أحــمــد رســول الإلــه عــلــى فــتــره

جمــع شعــره

جمع شعره وأخباره أبو هفان عبد الله بن أحمد بن حرب بن مهزم البصري النحوي الأديب الشاعر صاحب أشعار عبد القيس من أهل المائة الثانية في كتاب يدعى كتاب شعر أبي طالب أوله:

خــلــيــلــي مــا أذنــي بــأول عــاذل بــصــفــواء فــي حــق ولا عــنــد بــاطــل

وهو يزيد على خمسمائة بيت وجدت منه نسخة في خزانة آل السيد عيسى العطار ببغداد كتبت عن نسخة في آخرها ما لفظها كتبه عفيف بن أسعد لنفسه ببغداد في محرم سنة ٣٨٠ من نسخة بخط الشيخ أبي الفتح عثمان بن جني وعارضه به وقرأه عليه رحمه الله، (انتهى بلفظة)، واستنسخه الشيخ محمد السماوي بخطه لنفسه، ووجد في الخزانة المذكورة ديوان أبي طالب وذكر إسلامه لعلي بن حمزة البصري التميمي يروي فيه عن أبي محمد هارون بن موسى التلعكبري المتوفى سنة ٣٨٥ بأسانيده وعن أبي بشر أحمد بن إبراهيم بن المعلى بن أسد العمي عن محمد بن هارون الهاشمي عن الزبير بن بكار ويروي فيه أيضاً عن محمد بن دريد الأزدي اللغوي عن أبيه عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه وهذه النسخة كتبها لنفسه المولى كلب علي بن جواد الكاظمي في ٢٨ من شهر رمضان سنة ١٠٧١.

حــول إسـلام أبي طالــب

وقد كتب وجيه بيضون كلمة عن إسلام أبي طالب رأينا نشرها هنا إتماماً للبحث:

أبو طالب فرع من الأرومة التي طالما ملكت السيادة على الناس إلى جانب

سيادتها في الأخلاق والمكارم، فكانت سماءً على الأرض لا يغيب فيها نجم إلا أعقبه نجم، فيتصل ضياؤها متعاقباً ممتداً، ويتصل معه تفردُها متميزاً متجدداً، كأنما خُصَّ بها من دون أهل الجزيرة طراً.

وهو الذي جرت في عهد أبيه واقعة الحبشة وعُرفت بعام الفيل، فكان قريباً منها ومن معجزتها حيث انهال الأحباش على الحجاز بجيشهم المتراص المتماسك كالقلعة جارفاً ممتداً كالسيل، يحملهم شوق الغزو والفتح والغُنم، ويزدهيهم هوى النصر والغَلَبة، وقد جعلوا في مقدمتهم أفواج الفيلة الجبارة كالقلاع المتحركة لا عهد بمثلها للعرب، ولها من أصواتها المنكرة وخراطيمها المتطاولة المهتزَّة وأنيابها من تحتها كرؤوس الرماح، وأقدامها كأنها الركائز من الصخر أو الحديد، ما يبعث الرعب، ويتعاظم به الخطب، ويذهب بشجاعة الفرسان مهما أوتوا قوةَ بأس وثباتَ جنان. وكانت المعجزة. ثم ما هو إلا القليل حتى اندحر الأحباش مولين الأدبار يبوؤون بالخزي والعار، وكأن فيَلَتَهم وقد ارتدَّت عليهم تطاردهم وتدوسهم، لم يأتوا بها إلا لتأتي عليهم، ولم يلحقوها إلا لتلحقهم بكل مهلكة وهزيمة.

وكما تميَّز عهد عبد المطلب بهذه الواقعة التي كان من خطرها في أثرها أن راح القوم يؤرخون بها وقائعهم وأحداثهم، فقد تميز عهد ابنه أبي طالب بأن انبثقت فيه تباشير الدعوة الإسلامية بظهور الرسول الكريم محمد ﷺ وبتجديد الكعبة بعد الذي أصابها من هدم وحريق. وكما أن عبد المطلب كان أول من كفل حفيده محمداً بعد يتمه من والده، وهو ما برح حدثاً في مطلع أيامه، كذلك كفله أبو طالب بعد وفاته ولما يمض على كفالته غير العامين، وما زال لابن أخيه راعياً، ولدعوته مناصراً وداعياً، يلفُّ عليه ويحوفه، ويتحمل المكاره في سبيله وخصومة الناس من حوله، واقفاً منه كالمِجَنِّ يحميه من كل أذى يصل إليه، إلى أن فارق دنياه وهو في الخامسة والثمانين أحوج ما تكون الدعوة الإسلامية إلى عونه، وأشجى ما يكون الرسول لفقده وفقد زوجه خديجة من بعده، وقد لحقت

به لأيام معدودة، أي قبل أن يهاجر صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة بثلاثة أعوام وأربعة أشهر.

وكان في خَلْقه أبلج اللون، متين الكاهل، قويَّ الشكيمة، عضب المَهَز. ومن خلائقه السخاء والوفاء والعفة والنخوة والشجاعة. ومن خصائصه أيضاً أنه كان شاعراً حكيماً مدح النبي ﷺ بقصائد عدة، وكانت له السقاية في مكة، كما أن له ولقومه في الكعبة الباب وللناس الجدران والظهور.

بيد أن الروايات في إسلامه متضاربة، ففريق على أنه مات غير مسلم، وفريق على أنه لم يلفظ أنفاسه الأخيرة إلا والشهادة ملءُ فيه إيماناً بالله ورسوله، وهو ما عليه الشيعة قاطبة، لا تأخذهم فيه أي شبهة أو ريبة. وللفريقين قبائلُ من الرأي بين التأييد والإنكار، والتدليل والتعليل، بما لا يرتجع بغير الغموض والإبهام، ثم الشك والحيرة، والبعد عن مطلب الصواب في حقيقته، والحقيقة في صوابها. وما أقبح العصبية إذ تنتهي من تعنُّتها والإصرار على عنادها إلى أن يغلب الهوى على العقل، فإذا المُمْتَحَن بها كالأعمى، إذا أفادته عصاه منعاً من التسكع فما تفيده تبصراً بالطريق اللاحب القويم.

والذي عندنا هو أن البحث في إسلام أبي طالب أو عدم إسلامه، ما كان يستلزم ما استَفْرغ من مداد في سبيله، ولا انهماكَ الأفكار فيه في مثل حرب مستعرة الأوار، ثم قطعَ الوقت في غير مرتجع وتوسيع شقة الخلف في غير طائل، فقد كان من سداد الرأي تعلُّقه من وجهته العامة حيث تكمن حقيقته ويستبين مقطع الحق، لا أخذه بأضعف ما فيه فيؤدي إلى الحكم ضعيفاً لا يُخيل بالصواب إلا مثلَ ما يُخَيِّل إشراق الشمس حجبت عليها السحب، فهي في مثل الغسق الفاحم.

وإن من شروط البحث في صحته أن تُقدر النتائج بمساقها من سابقها، فيحكم عليها بروح مما لابسها وأثَّر فيها، لا أن تُجْعَل هي الحكم الجزم، ثم

تُعْتَنَف الأسباب إليها اعتنافاً لتُورد غيرَ موردها، وتُحَمَّل كلَّ معنى إلا معناها، ويُهَوَّل بأنها محط الصواب وهي الخطأ الذي لا صواب فيه.

فإن أخذنا بهذه الخطة القويمة وإليها التجرد الفكري السليم، لا يميل مع العاطفة المذهبية حيث تميل، فما من شك في أننا نقف من قضية إسلام أبي طالب الموقف الذي يدنينا من الصواب في واجب حكمه وحكم يقينه، وينأى بنا عن مواطن الشبهات لا دليل يقطع فيها بالرأي الجازم، حتى إذا بقي ثمة شيء من الشك مسحنا عليه بما يفرضه العقل ترجيحاً هو الأصوب والأوجب.

إننا نقطع بإسلام أبي طالب إذ كانت الأدلة على ذلك أقوى وأبين منها على خلافه. وهاك بادىء بدء الحجة التي يستمسك بها المنكرون وهي عدم إعلان إسلامه وإيمانه، وهي أكبر حججهم، تجدها أوهن من أن تنهض دليلاً على أنه لم يكن مؤمناً، إذ كان من شأن الإيمان أن يصح فيه الكتمان والإعلان على سواء، وبخاصة فيما يتحرَّج به الدين ويستلزم التقية ضرورة من ضرر. وما أكثر ما نعتقده جزماً ونؤمن به قطعاً ثم نتعمد فيه الخفية والإسرار من غير أن يكون ثمة معنى للإنكار، وما أكثر ما نصدر عن مآتٍ وأحوال لو أُخذت على علاَّتها من ظاهرها لما تُرجمت بمكنونها من مُغَيَّبها، ولا حقيقتها من سببها، فالمظاهر لا تنمُّ أبداً عن الحقائق، والحقائق تتلبَّس غير صورها حتى كأنها صورة هي بعينها. وليست العبرة إلا في الأثر يترجم عن الأصل كالكهرباء إذا لم نكتنهها بدليلها فإن آثارها تدلُّنا عليها. وآثار أبي طالب في جملتها شاهد على إيمانه وصدق إسلامه، تنفي عنه كل النفي أيَّ تهمة بالشرك أو الكفر بدعوة الرسول والإسلام. وأنى له غير ذلك وهو الذي طالما اشتهر بالصدق في حياته، لم يُجرَّب عليه الكذب، وعَرَفَ كذلك في ابن أخيه الصدق آمن ما يكون على قول الحق، لا تأخذه فيه لومة لائم، وليس في كل ما تقع عليه عينه ويصافح سمعه إلا ما يشير أبلغ إشارة إلى تمخض الزمن عن الحديث الجديد، يطهر أرض الحجاز من أرجاس الجاهلية التي بلغت غايتها من الوثنية والعادات

المستوخمة، بعد إذ آن لليلها الطويل أن ينفرج عن الفجر المُرتقَب المبين.

وإذا فُسِّر عدم إعلانه الإسلام بظاهرة من معناه دون معانيه الأخرى من حمى ابن أخيه ونصرتهِ والأخذِ بيده ومحاسنة قريش في ذلك باعتبار أن الدعوة غضّة أول عهدها وأن الأعداء والمناوئين إلب ضدها، فكيف نفسّر سماح أبي طالب لزوجه فاطمة بنت أسد بأن تُسارع إلى الإسلام، ثم لابنه علي بأن يسلم وهو ما يزال حدَثاً غضّ العود، ثم لابنه جعفر بأن يصل جناح ابن عمه في الصلاة على يساره، ثم لبنيه وأخوته وبني عمه بأن يرقدوا وهم في (الشعب) على فراش محمد تعميةً على المشركين أن يصيبوه إذا ما حاولوا أذاه؟!. فهل تراه فيما فعل غير الصادق في طويَّته على الإيمان، والصادق في إيمانه في الدعوة، والصادق في عقيدته يترجمها ماثلةً في عمله؟... وهل لمثله وهو شيخ قريش وسيدها وصاحب الرأي فيها أن ينحرف مخالفاً أو ينفرد متعسفاً وإنه ليرى حمزة يسارع إلى الانضواء تحت لواء النبي، وكذلك عماته، وإليهم آل عبد المطلب جميعاً، ومن ورائهم عبد مناف، أيخرج على مثل هذه الإرادة المجتمعة والخطة الجامعة ليعود من نهاية الشوط الذي قطعه رفداً وعوناً وتضحيةً إلى حيث يكذب نفسه، ويكذب عشيرته، ويكذب من أحبه وآثره حتى على بنيه؟

وإذا نحن تدبرنا موقف أبي طالب حين جاءه سادات قريش وأشرافها ساخطين متوعِّدين يستعدونه على ربيبه وحبيبه بقولهم: «إنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك حتى يهلك أحد الفريقين»، ثم خطابه لابن أخيه بقوله: «أي بني، أبق علي وعلى نفسك، ولا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق»، ثم ما أجاب به النبي ساعتئذ مستعبراً: «يا عم! والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهره الله أو أهلك فيه ما تركته»، ثم قول أبي طالب: «والله لن أسلمك أبداً»... قلنا إذا نحن تدبرنا هذا الموقف بحق معانيه وأبعدنا النظر في مطاويه، إذن لخلصنا منه إلى حديث مبطَّن خفي قد استتر لشدة ما ظهر،

حديث بلفظه لا يستوي صحيحاً بغير معناه من غايته، ولا يُدرك بغايته إلا بأنه مزيج عقل وقلب ألَّف بينهما الحب، فجاء امتحاناً للمحنة في أوجها، واستطلاعاً للقوة بلغت النهاية من طاقتها، لم يبق إلا أن تؤول معجزة. فليس هو الحرص على الحياة، لا، ولا العجز عن تحمل المشاق ما حدا أبا طالب إلى قول ما قال، بدءاً واستدراكه آخراً، ثم ما هو تخذيل لابن أخيه وفتّ في عضده لتحويله عن مقصده، وإنما هو الأبوة الحادبة، مع العصبية الغالبة، في الشيخوخة المتقدمة تُريغ الطمأنينة على المعجزة المرتَقَبة لا طاقة بحمل رسالتها لبشر إلا أن يكون فوق البشر، ولا بدَّ فيها من العون وإن كانت ممتدَّةً بأسباب من السماء.

إن من يتدبر مواقف أبي طالب من الدعوة وما بذل من ذات نفسه وماله في سبيلها، لا يسعه إلا أن يعترف له بجميل الفضل ورجاحة العقل، فقد أبلى خير بلاء في المنافحة عن الرسول ﷺ، ولطالما كان سنادَه وعمادَه يردُّ عنه عوادي قريش، ويأبى أن يسلم به ولو كانت في ذلك حياته، ويُعينه وينصره ويشدُّ من أزره حتى كأنه أمينه في تحقيق دعوته كما كان هو رسولَ ربه في أداء رسالته. وما هو بالبِدْع بعد هذا إذا بكاه النبي ﷺ بالثخين من عبراته عند وفاته، واستشعر من حوله الفراغ لفقده، ثم أجمع العزم على الهجرة إلى المدينة في عامه من حزنه. وما كان به ذلك لولا أن فقد من كان يصل جناحه ويؤثره بعطفه وعونه. وإن امرؤاً هذا شأنه، وتلك مآتيه ومآثره، لحري والله بالمحمَدَة كفاء إحسانه، لا بالغض من كرامته وتغليب الشبهات في حقه، ثم هو حريٌّ بألاَّ يُعْرَف إلا بإسلامه وفاق ما عَرَفَ الإسلام من كريم بلائه في الذَّب عن حوزته، وعظيم ولائه في نصرته.

ومن يدري ما قد عسى يعترض الرسول ﷺ لو عجَّل أبو طالب كغيره في كشف اللثام عن إسلامه والانضمام إلى القلة التي لاذت به مؤمنةً بدعوته؟... أما كان من منطق الحوادث وطبيعة الحال أن يتورَّد النبي من البلاء فوق ما تورَّده، وينزل به ما يباعد بينه وبين غايته؟ فإن قيل إن للدين ربّاً يحميه فعلام لا

تقول أن الله جلّت حكمته هو الذي خصَّ أبا طالب بهذه الحماية؟ وإن قيل أن أبا طالب ما كان له مثل موقفه من الدفاع عن ابن أخيه لولا عصبية القربى وطولُ الزمن في تبنيه حتى كأنه أحد بنيه، فما بالنا لا نعكس الآية لنقول أن عوامل العصبيَّة والتبني خليقة بأن تجعله أول المؤمنين؟

هذا ومما فات الباحثين أن يتنبَّهوا إليه من أدِلة إسلام أبي طالب أن الحرب الكلامية كانت سجالاً بين الإمام علي عليه السّلام ومعاوية، وقد نَثَلَ كلاهما ما في كنانته مما يغتمض الآخر ويغض منه، ولقي ابن أبي سفيان من خصمه مثل المطارق تنديداً وتعريضاً، سواء بأبيه الذي أسلم والسيف في محز عنقه، أو بأمه آكلة الأكباد ومشوهة الأجساد، وعلى ذلك لم نعثر فيما أورده معاوية من الردود ذوداً عن نفسه وخفضاً من شأن خصمه على أي تعريض، بل أي إشارة، بل أي إيماءة ولو خفية مما يتَّصل بأبي طالب والد علي، فلو صحَّ أنه كان على غير الإسلام لما فات مثل معاوية أن يعرِضَ لذكره ويُعَرِّض بكفره، ويُسقط عن نفسه اللائمة تبكيتاً بأبيه بمثلها عدلاً عند أبي عاذلة، فيستوي حسابُهما واحداً، وتستوي به الضربة عند أحدهما مرتدة على الآخر.

وهنا نحب أن نسأل: ترى ما الذي يضير مثل علي (ع)، وهو هو في كرامته وفخره من جلال قدره، تنقُّصُ أبيه بعدم إسلامه؟ ماذا يضيره وكل من اعتنق الإسلام كان إلى آباء وأجداد غارقين في سبات الجاهلية والوثنية؟ أما إن الخطر لأقل مما يُتصور، وفضل علي لأكبر من أن يستصغر، إذ كان المرءُ بهمته لا برمَّته، كالورد هو من الشوك ولكنه بأريجه ونضرته، وكالسيف يُنظر إلى مضائه وصَليله لا إلى أنه من الحديد، وكل امرىء بما كسب رهين.

ونردف بسؤال آخر: فليس منا من لا يؤمن بصدق الرسول الأمين ﷺ، ولا يقطع بأمره حجةً هي برهان نفسها، فلو استوحيناه بروحه سؤالاً عن عمه الذي حضنه ورباه، وكفله ورعاه وذاد عنه وحماه: أترانا نستلهم الجواب إلا مؤيِّداً إسلامه، موثِّقاً إيمانه، شاهداً بفضله ومكرماً مثواه؟... أما وهو كذلك

عند نبي المرسلين وأصدق الصادقين فهل من الرأي وحكمة القول أن نتكذَّبه نحن؟ . . . ثم ماذا نقول أيضاً بمثل علي (ع) وقد اشتهر بالحق يدور معه حيثما دار، لا يصانع ولا يوارب حتى في أحرج المواقف والمطالب حيث تقتضيه السياسة بعض الملاينة والمداهنة، ماذا نقول في شهادته وقد شهد لأبيه بأنه لفظ الشهادة وكان من المؤمنين.

حمزة بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف عم النبي ﷺ

ولد قبل النبي ﷺ بسنتين وقيل: بأربع سنين واستشهد يوم أحد في النصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة وعمره ٥٩ سنة.

وكان أسن من النبي ﷺ بسنتين وقيل بأربع سنين، وفي الاستيعاب، الثاني لا يصح عندي لأن الحديث الثابت أن حمزة وعبد اللّه بن عبد الأسد أرضعتهما ثويبة مع رسول الله ﷺ إلا أن تكون أرضعتهما في زمانين. وفي الدرجات الرفيعة: كان أخا رسول الله ﷺ من الرضاعة، أرضعتهما ثويبة مولاة أبي لهب بلبن ابنها مسروح وكان أسن من النبي بأربع سنين، قال ابن عبد البر في الاستيعاب: هذا يرد ما ذكر من تقييد رضاعة ثويبة بلبن ابنها مسروح إذ لا رضاع إلا في حولين، ولولا التقييد بذلك لأمكن حمل الرضاع على زمانين مختلفين، وأجيب بإمكان إرضاعها حمزة في آخر سنته في أول إرضاعها ابنها، وإرضاعها النبي ﷺ في أول سنته في آخر إرضاعها ابنها، فيكون أكبر بأربع سنين وقيل: أكبر بسنتين.

اسمـــه

في الجاهلية والإسلام حمزة (والحمزة) في اللغة الأسد كما في القاموس،

ويقال: إنه لحموز لما حمزه أي ضابط لما ضمه ومنه اشتقاق حمزة أو من الحمازة وهي الشدة.

كنيتــه

أبو يعلى وأبو عمارة بولديه يعلى وعمارة.

لقبــه

أسد اللّه وأسد رسوله. في الدرجات الرفيعة: كان يدعى بذلك اهـ. وفي كتاب لأمير المؤمنين علي (ع) إلى معاوية: ومنا أسد الله وأسد رسوله ومنكم أسد الأحلاف. وفي الإصابة: لقبه رسول الله ﷺ أسد الله وسماه سيد الشهداء وفي الاستيعاب: كان يقال له أسد اللّه وأسد رسوله.

أبـــوه

اسم أبيه شيبة الحمد واشتهر بعبد المطلب لأن أباه هاشماً لما توفي بغزة كان عند أمه بالمدينة فأبت أمه أن تسلمه إلى أعمامه فاتعد عمه المطلب معه على وقت يأتي فيه إلى المدينة ويأخذه خفية فجاء في الوقت المعين وأردفه خلفه فكان إذا سئل من هذا معك يقول: هذا عبدي حتى أتى به مكة فاشتهر بعبد المطلب.

أمــه

في طبقات ابن سعد: أمه هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة. وفي الإصابة: هي بنت عم آمنة بنت وهب بن عبد مناف أم النبي ﷺ وفي الاستيعاب: أمه وأم صفية وابنين آخرين هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة.

أولاده

كان له من الولد يعلى وعمارة وبهما كان يكنى كما مر. وفي الدرجات

الرفيعة: ولم يعقب واحد منهما وكان يعلى قد ولد خمسة رجال وماتوا كلهم من غير عقب وتوفي رسول الله ﷺ ولكل واحد منهما أعوام ولم يحفظ لواحد منهما رواية وكانت له بنت يقال لها: أم أبيها وقيل: اسمها آمنة وكانت زوجة لعمران بن أبي سلمة المخزومي ربيب رسول الله ﷺ، وهي التي ذكرت لرسول الله ﷺ وقيل له: ألا تتزوج ابنة حمزة فإنها أحسن أو أجمل فتاة في قريش فقال: إنها ابنة أخي من الرضاعة وإن الله عز وجل قد حرم من الرضاع ما حرم من النسب. وزاد بعض المؤرخين في الفواطم اللاتي أتى بهن علي (ع) من مكة يوم الهجرة فاطمة بنت حمزة. وفي طبقات ابن سعد له من الولد يعلى وكان يكنى به وعامر درج وعمارة وقد كان يكنى به أيضاً وأُمامة وأمها سلمى بنت عميس أخت أسماء بنت عميس الخثعمية وأُمامة التي اختصم فيها علي وجعفر وزيد بن حارثة وأراد كل واحد منهم أن تكون عنده فقضى بها رسول الله ﷺ لجعفر من أجل أن خالتها أسماء بنت عميس كانت عنده وزوجها رسول الله ﷺ سلمة ابن أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وقد كان ليعلى بن حمزة أولاد عمارة والفضل والزبير وعقيل ومحمد درجوا فلم يبق لحمزة ولد ولا عقب اهـ. وقد سماها صاحب الدرجات آمنة وابن سعد امامة فيوشك أن يكون الأول صحف اسمها ولعل اسمها فاطمة وامامة لقب كما أن الأول جعل زوجها عمران والثاني سلمة.

إخوته

في الاستيعاب: كان لعبد المطلب اثنا عشر ولداً وعبد اللّه أبو النبي ﷺ ثالث عشر وبعضهم جعلهم عشرة وبعضهم تسعة عدا عبد اللّه ولم يختلفوا إنه لم يسلم منهم إلا حمزة والعباس اهـ. أي لم يظهر إسلامه، وإلا فأبو طالب كان مسلماً يكتم إسلامه ليتمكن من نصر رسول الله ﷺ.

إسلامه

في الاستيعاب: أسلم في السنة الثانية من المبعث وقيل: بل كان إسلامه بعد دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم في السنة السادسة من البعثة ولازم نصر

رسول الله ﷺ وهاجر معه، وقد ذكر ابن إسحاق قصة إسلامه مطولة اهـ. والقصة التي ذكرها ابن إسحاق هي هذه: قال ابن إسحاق: حدثني رجل من أسلم كان واعية أن أبا جهل مر برسول الله ﷺ عند الصفا فأذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لأمره، فلم يكلمه رسول الله ﷺ، ومولاة لعبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة في مسكن لها تسمع ذلك. ثم انصرف عنه فعمد إلى ناد من قريش عند الكعبة فجلس معهم فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أن أقبل متوشحاً قوسه راجعاً من قنص له، وكان صاحب قنص يرميه ويخرج له وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، وكان إذا فعل ذاك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم، وكان أعز فتى في قريش وأشد شكيمة. فلما مر بالمولاة وقد رجع رسول الله ﷺ إلى بيته، قالت له: يا أبا عمارة لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفاً من أبي الحكم ابن هشام، وجده ها هنا جالساً فآذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد. فاحتمل حمزة الغضب لماأراد الله به من كرامته فخرج يسعى لم يقف على أحد معداً لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به. فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم فأقبل نحوه حتى أذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجه شجة منكرة، ثم قال أتشتمه؟ فأنا على دينه أقول ما يقول، فرد ذلك علي إن استعطت. فقامت رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل، فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة فإني والله قد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً. وتم حمزة رضي الله عنه على إسلامه وعلى ما تابع عليه رسول الله ﷺ من قوله، فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع وأن حمزة سيمنعه فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه اهـ.

وفي الدرجات الرفيعة: قال حمزة حين أسلم:

حمدت الله حين هدى فؤادي	إلى الإسلام والدين الحنيف
لدين جاء من رب عزيز	خبير بالعباد بهم لطيف

إذا تُلِيَتْ رسائله علينا ... تحدر دمع ذي اللب الحصيف
رسائل جاء أحمد من هُداها ... بآيات مبينة الحروف
وأحمد مصطفى فينا مطاع ... فلا تغشوه بالقول العنيف
فلا والله نسلمه لقوم ... ولما نقض منه بالسيوف

المؤاخاة

قال ابن سعد في الطبقات: آخى رسول الله ﷺ بين حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة.

صفته

في طبقات ابن سعد: كان رجلاً ليس بالطويل ولا بالقصير.

هجرته

كان حمزة من المهاجرين الأولين وروى ابن سعد في الطبقات الكبير بسنده أنه لما هاجر حمزة إلى المدينة نزل على كلثوم بن الهدم وقيل على سعد بن خيثمة. ولعله نزل على أحدهما أولاً ثم انتقل إلى الآخر.

ما ورد في فضله

عن جابر: قال رسول الله ﷺ: سيد الشهداء يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى رجل جائر فأمره ونهاه. وقال ﷺ ـ وقد وقف عليه يوم أحد ورأى ما صنع به ـ: ما وقفت موقفاً أوجع لقلبي من هذا الموقف، وقال: رحمك الله أي عم فلقد كنت وصولاً للرحم فعولاً للخيرات. وفي السيرة الحلبية عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ وقف على جنازة حمزة يقول: يا عم رسول الله وأسد الله وأسد رسول الله يا حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة يا كاشف الكربات يا حمزة يا ذاب يا مانع عن وجه رسول الله.

وفي شرح النهج ج ٣ ص ٣٧ قد روى كثير من المحدثين أن علياً عليه السلام عقيب يوم السقيفة قال: واجعفراه ولا جعفر لي اليوم واحمزتاه ولا حمزة لي اليوم. وفي الدرجات الرفيعة: روي عن الباقر عليه السلام أنه قال كان أمير

المؤمنين عليه السلام دائماً يقول: والله لو كان حمزة وجعفر حيين ما طمع فيها فلان ولكنني ابتليت بعقيل والعباس. وروى الكليني في الكافي بسنده عن ابن مسكان عن سدير: كنا عند أبي جعفر عليه السلام فذكرنا ما جرى على أمير المؤمنين عليه السلام بعد النبي ﷺ فقال رجل من القوم: أصلحك الله فأين كان عز بني هاشم وما كانوا فيه من العدد؟ فقال أبو جعفر: من كان بقي من بني هاشم إنما كان جعفر وحمزة فمضيا وبقي معه رجلان ضعيفان عباس وعقيل أما والله لو أن حمزة وجعفرا كانا بحضرتهما لما وصلا إلى ما وصلا إليه ولو كانا شاهديه لأتلفا أنفسهما.

أقوال العلماء فيه

ذكره الشيخ في رجاله في أصحاب الرسول ﷺ فقال: حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف أسد الله أبو عمارة وقيل أبو يعلى رحمه الله رضيع رسول الله ﷺ أرضعتهما ثويبة امرأة أبي لهب قتل شهيداً بأحد رحمه الله تعالى. وفي الخلاصة حمزة بن عبد المطلب من أصحاب رسول الله ﷺ قتل بأحد رحمه الله تعالى ثقة اهـ. وكان من المهاجرين الأولين شهد بدراً وأبلى فيها بلاء حسناً وشهد أحداً وأبلى فيها كذلك واستشهد بأحد. وفي الاستيعاب: شهد حمزة بدراً وأبلى فيها بلاء حسناً مشهوراً. قال موسى بن عقبة: قتل عتبة بن ربيعة مبارزة يوم بدر. وقال ابن إسحاق وغيره: بل قتل شيبة بن ربيعة مبارزة وقتل يومئذ طعيمة بن عدي أخاً لمطعم بن عدي، وقتل سباعاً الخزاعي، وقيل بل قتله يوم أحد وشهد أحداً فقتل شهيداً. وروى صاحب الاستيعاب بسنده عن عمير بن إسحاق. قال: كان حمزة يقاتل يوم أحد بين يدي رسول الله ﷺ بسيفين فقال قائل: أي أسد هذا. وفي الاصابة لازم نصر رسول الله ﷺ وهاجر معه وشهد بدراً وأبلى في ذلك اليوم وقتل شيبة بن ربيعة وشارك في قتل عتيبة بن ربيعة أو بالعكس وقتل طعيمة بن عدي وعقد له رسول الله ﷺ لواء وأرسله في سرية فكان ذلك أول لواء عقد في الإسلام في قول المدائني ولقبه النبي ﷺ وسماه سيد الشهداء اهـ.

وفي شرح النهج ج ١ ص ٨١: من صفات الشجاع قولهم فلان مغامر وفلان غشمشم أي لا يبصر ما بين يديه في الحرب وذلك لشدة تقحمه وركوبه المهلكة وقلة نظره في العاقبة، وكان حمزة بن عبد المطلب مغامراً غشمشما لا يبصر أمامه. قال جبير بن مطعم لعبده وحشي يوم أحد: إن قتلت علياً أو محمداً أو حمزة فأنت حر. فقال: أما محمد فإن أصحابه دونه وأما علي فرجل حذر مرس ولكن سأقتل لك حمزة فإنه رجل مغامر لا يبصر أمامه في الحرب.

أول لواء عقد في الإسلام / لواء حمزة

قال ابن الأثير في حوادث السنة الأولى من الهجرة: فيها على رأس سبعة أشهر عقد رسول الله ﷺ لعمه حمزة لواء أبيض في ثلاثين رجلاً من المهاجرين ليتعرضوا لعير قريش فلقي أبا جهل في ثلثمائة رجل فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني وكان يحمل اللواء أبو مرثد وهو أول لواء عقده رسول الله ﷺ. وفي الطبقات الكبيرة لابن سعد بسنده: أول لواء عقده رسول الله ﷺ حين قدم المدينة لحمزة بن عبد المطلب بعثه سرية في ثلاثين راكباً حتى بلغوا قريباً من سيف البحر يعترض لعير قريش وهي منحدرة إلى مكة قد جاءت من الشام وفيها أبو جهل بن هشام في ثلثمائة راكب فانصرف ولم يكن بينهم قتال. قال محمد بن عمر (الواقدي): وهو الخبر المجمع عليه عندنا أن أول لواء عقده رسول الله ﷺ لحمزة بن عبد المطلب.

خبره في غزوة بواط والأبواء أو ودان

قال ابن الأثير في حوادث أول سنة من الهجرة: كان حمزة يحمل لواء رسول الله ﷺ في غزوة بواط وكانت في أول سنة من الهجرة.

قال: وفيها كانت غزوة الأبواء وقيل ودان وكان لواؤه أبيض مع حمزة بن عبد المطلب. وفي طبقات ابن سعد: قال محمد بن عمر (الواقدي): حمل حمزة لواء رسول الله ﷺ في غزوة بني قنيقاع ولم تكن الرايات يومئذ.

خبره في وقعة بدر

بالغ حمزة في نصر رسول الله ﷺ وحماية الدين، شهد بدراً وأبلى فيها بلاء حسناً، وشهد أحداً وأبلى فيها كذلك، وكان قائد الجيش. ولما كانت وقعة بدر برز عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وابنه الوليد من الصف ودعوا إلى البراز فبرز إليهم فتيان ثلاثة من الأنصار وهم بنو عفراء معاذ ومعوذ وعوف بنو الحارث فقالوا لهم: ارجعوا فما لنا بكم من حاجة. ثم نادى مناديهم: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا. فقال النبي ﷺ لعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف وحمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب: قوموا فقاتلوا بحقكم الذي بعث الله به نبيكم إذ جاؤوا بباطلهم ليطفئوا نور الله ـ وقد كان معه من قومهم قريش جماعة فلماذا لم يخرجهم إليهم؟ فهل كانوا غير أكفاء لهم؟ أوليست فيهم شجاعة تبعثهم على المبارزة والثبات فيجري لهم ما جرى لهم يوم الخندق ويوم خيبر؟ ـ فبرزوا فقال عتبة: تكلموا نعرفكم إن كنتم أكفاءنا، وكان عليهم البيض، فلم يعرفوهم، فقال حمزة: أنا حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله. فقال عتبة: كفو كريم وأنا أسد الحلفاء. أي الأحلاف أو الحلفاء أي الأجمة. ومن هذان معك؟ قال: علي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث بن المطلب. قال: كفوان كريمان ـ وهذا يدل على أن تلقيب حمزة بأسد الله وأسد رسوله كان قديماً وأن مقام حمزة كان أعلى من مقام عبيدة ولذلك كان هو المجيب لعتبة مع أن عبيدة أسن منه. أما علي فكان صغير السن لا يناسب أن يتقدم على عمه حمزة ـ فبارز علي الوليد وكانا أصغر القوم فاختلفا ضربتين أخطأت ضربة الوليد علياً وضربه علي على حبل عاتقه الأيسر فأخرج السيف من إبطه، ثم ضربه أخرى فصرعه. وبارز عبيدة شيبة وهما أسن القوم ولعبيدة سبعون سنة فاختلفا ضربتين فضربه عبيدة على رأسه ضربة فلقت هامته وضربه شيبة على ساقه فقطعها وسقطا معاً. وبارز حمزة عتبة وهما أوسط القوم سناً وعمر حمزة نحو من ٥٧ سنة فتضاربا بالسيفين حتى انثلما واعتنقا وصاح المسلمون: يا علي أما ترى الكلب قد بهر عمك حمزة؟ وكان حمزة أطول من عتيبة، فقال علي يا عم

طأطىء رأسك. فأدخل حمزة رأسه في صدر عتبة فضرب علي عتبة فطرح نصفه. وكر علي وحمزة على شيبة فأجهزا عليه وحملا عبيدة فألقياه بين يدي رسول الله ﷺ فمات بالصفراء. وقيل إن حمزة بارز شيبة وعبيدة بارز عتبة وهو مخالف للنقل وللاعتبار فالأصغر للأصغر والأسن للأسن والأوسط للأوسط. وقال ابن سعد كان حمزة معلماً يوم بدر بريشة نعامة. وذكر ابن الأثير في الكامل: أنه كان يوم بدر معلماً بريشة نعامة في صدره. وقال أمية بن خلف يومئذ لعبد الرحمن بن عوف: من الرجل المعلم بريشة نعامة في صدره؟ قال: حمزة بن عبد المطلب: قال أمية: هو الذي فعل بنا الأفاعيل.

وروى ابن سعد في الطبقات بسنده عن قيس بن عباد: سمعت أبا ذر يقسم أنزلت هذه الآية: هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا، إلى قوله: إن الله يفعل ما يريد، في هؤلاء الرهط الستة يوم بدر: حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة.

من قتلهم حمزة يوم بدر

١ ـ أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ألبسه بنو مخزوم لامة أبي جهل، فصمد له حمزة وهو يراه أبا جهل فقتله فضربه وهو يقول خذها وأنا ابن عبد المطلب.

٢ ـ عتبة بن ربيعة.

٣ ـ شيبة بن ربيعة شارك في قتله.

٤ ـ طعيمة بن عدي قتله حمزة في رواية الواقدي وعلي في رواية ابن إسحاق.

٥ ـ عقيل بن الأسود بن المطلب قيل اشترك في قتله علي وحمزة وقيل قتله علي وحده وقيل غيرهما.

٦ ـ الأسود بن عبد الأسد.

٧ ـ عمارة بن مخزوم.

خبره في يوم أحـد

قال ابن الأثير في حوادث السنة الثالثة من الهجرة: أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى أحد خرج حمزة بالجيش بين يديه. قال: وقاتل حمزة حتى مر به سباع بن عبد العزى الغيشاني، فقال له حمزة: هلم إلي يا ابن مقطعة البظور ـ وكانت أمه أم أنمار ختانة بمكة ـ فلما التقيا ضربه حمزة فقتله. قال الواقدي:

حمل لواء المشركين بعد طلحة بن أبي طلحة (الذي قتله علي بن أبي طالب) أخوه عثمان بن أبي طلحة وقال:

إن عـلـى رب الـلـواء حـقـا ... أن تـخـتـضـب الـصـعـدة أو يـنـدقـا

فتقدم باللواء فحمل عليه حمزة بن عبد المطلب فضربه بالسيف على كاهله فقطع يده وكتفه فبدا سحره (أي رئته) ورجع فقال أنا ابن ساقي الحجيج وقال ابن هشام: وقتل حمزة أرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار. قال ابن الأثير: وأمعن في الناس أبو دجانه وحمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب في رجال من المسلمين. ومرت رواية صاحب الاستيعاب أنه كان يقاتل يوم أحد بين يدي رسول الله ﷺ بسيفين فقال قائل: أي أسد هذا؟ وفي طبقات ابن سعد بسنده كان حمزة بن عبد المطلب يقاتل بين يدي رسول الله ﷺ بسيفين ويقول أنا أسد الله وجعل يقبل ويدبر.

مقتلـه

استشهد يوم أحد ولا تصريح في كلام المؤرخين بأن شهادته كانت بعد انتقاض صفوف المسلمين أو قبله. قتله وحشي بن حرب وهو عبد حبشي يرمي بالحربة قلما يخطىء، ولم تكن العرب تعرف ذلك، بل هو مخصوص بالحبشة، وتسمى تلك الحربة المزراق وهي بمنزلة رمح قصير.

كيفية شهادتـه

في شرح النهج ج ٣ ص ٣٨٥ قال الواقدي: كان وحشي عبداً لابنة

الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، ويقال كان لجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، وقالت له ابنة الحارث: أن أبي قتل يوم بدر فإن أنت قتلت أحد الثلاثة فأنت حر. محمداً أو علي بن أبي طالب أو حمزة بن عبد المطلب، فإني لا أرى في القوم كفوا لأبي غيرهم. فقال: أما محمد فقد علمت أني لا أقدر عليه وأن أصحابه لن يسلموه وأما حمزة فوالله لو وجدته نائماً ما أيقظته من هيبته وأما علي فألتمسه. قال وحشي: فكنت يوم أحد ألتمسه فبينا أنا في طلبه طلع علي، فطلع رجل حذر مرس كثير الالتفات فقلت ما هذا بصاحبي الذي ألتمس إذ رأيت حمزة يفري الناس فريا فكمنت له إلى صخرة فاعترض له سباع بن أم أنمار وكانت أمه ختانة بمكة مولاة لشريق بن علاج بن عمرو بن وهب الثقفي، وكان سباع يكنى أبا نيار فقال له حمزة: وأنت أيضاً يا ابن مقطعة البظور ممن يكثر علينا هلم إلي. فاحتمله حتى إذا برقت قدماه رمى به فبرك عليه وشحطه شحط الشاة ثم أقبل عليّ مكباً حين رآني فلما بلغ المسيل وطىء على جرف فزلت قدمه فهززت حربتي حتى رضيت منها فأضرب بها في خاصرته حتى خرجت من مثانته وكر عليه طائفة من أصحابه فأسمعهم يقولون: أبا عمارة فلا يجيب، فقلت: قد والله مات الرجل. وذكرت هندا وما لقيت على أبيها وأخيها. وانكشف عنه أصحابه حين أيقنوا بموته ولا يروني، فأكر عليه فشققت بطنه واستخرجت كبده فجئت بها إلى هند بنت عتبة فقلت: ماذا لي إن قتلت قاتل أبيك؟ قالت: سل بي. فقلت: هذه كبد حمزة فمضغتها ثم لفظتها فنزعت ثيابها وحليها فأعطيتها. ثم قالت: إذا جئت مكة فلك عشرة دنانير. ثم قالت: أرني مصرعه. فأريتها مصرعه، فقطعت مذاكيره وجدعت أنفه وقطعت أذنيه ثم جعلت ذلك مسكتين ومعضدين وخدمتين حتى قدمت بذلك مكة وقدمت بكبده أيضاً معها. ثم ذكر رواية أخرى عن الواقدي بسنده عن عبيد الله بن عدي بن الخيار أنه مر مع جماعة بحمص عصراً فسألوا عن وحشي فقيل لا تقدرون عليه هو الآن يشرب الخمر حتى يصبح، فلما كان الصبح سألوه عن قتل حمزة فقال: كنت عبداً لجبير بن مطعم بن عدي فلما خرج الناس إلى أحد دعاني فقال: قد

رأيت مقتل طعيمة بن عدي قتله حمزة بن عبد المطلب يوم بدر فلم تزل نساؤنا في حزن شديد إلى يومي هذا، فإن قتلت حمزة فأنت حر فخرجت مع الناس ولي مزاريق، وكنت أمر بهند بنت عتبة فتقول: أيه أبا دسمة اشف واشتف. فلما وردنا أُحُداً نظرت إلى حمزة يقدم الناس يهدهم هداً فرآني وقد كمنت له تحت شجرة فأقبل نحوي وتعرض له سباع الخزاعي، فقال: وأنت أيضاً يا ابن مقطعة البظور ممن يكثر علينا هلم إلي. وأقبل نحوه حتى رأيت برقان رجليه ثم ضرب به الأرض وقتله وأقبل نحوي سريعاً ويعترض له جرف فيقع فيه وأزرقه بمزراق فيقع في لبته حتى خرج بين رجليه فقتله، ومررت بهند بنت عتبة فآذنتها فأعطتني ثيابها وحليها وكان في ساقيها خدمتان من جزع ظفار ومسكتان من ورق وخواتيم من ورق كن في أصابع رجليها فأعطتني كل ذلك.

قال ابن الأثير: قال وحشي: إني والله لأنظر إلى حمزة وهو يهد الناس بسيفه ما يلقى شيئاً يمر به إلا قتله فهززت حربتي ودفعتها عليه فوقعت في لبته حتى خرجت من بين رجليه وأقبل نحوي فغلب فوقع فأمهلته حتى مات فأخذت حربتي ثم تنحيت إلى العسكر.

قال: ووقعت هند وصواحباتها على القتلى يمثلن بهم واتخذت هند من آذان الرجال وآنافهم خدماً وقلائد، وأعطت خدمها وقلائدها وحشيا وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها.

ووجد حمزة ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده ومثل به، فحين رآه الرسول ﷺ بكى، ثم قال: لن أصاب بمثلك، ما وقفت موقفاً قط أغيظ علي من هذا الموقف. وكان من رثائه له قوله: يا عم رسول الله وأسد الله وأسد رسول الله، يا حمزة يا فاعل الخيرات، يا حمزة يا كاشف الكربات، يا حمزة يا ذاب يا مانع عن وجه رسول الله. قال: لولا أن تحزن صفية أو تكون سنة بعدي لتركته حتى يكون في أجواف السباع وحواصل الطير ولئن أظهرني الله على قريش لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم فأنزل الله في ذلك: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ

مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ فعفا رسول الله ﷺ وصبر ونهى عن المثلة.

وأقبلت صفية بنت عبد المطلب فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير ليردها لئلا ترى ما فُعِل بأخيها حمزة، فلقيها الزبير فأعلمها بأمر النبي ﷺ فقالت: إنه بلغني أنه مثل بأخي وذلك في الله قليل فما أرضانا بما كان من ذلك، لأحتسبن ولأصبرن. فأعلم الزبير النبي ﷺ بذلك. فقال: خل سبيلها، فأتته وصلت عليه واسترجعت (وكانت أخته لأمه وأبيه) وأمر به رسول الله ﷺ فدفن.

وصلى رسول الله على القتلى، فكان كلما أتيَ بشهيد جعل حمزة معه وصلى عليهما، وجلس على حفرته، ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة مر بدار من دور الأنصار فسمع البكاء والنوائح فذرفت عيناه بالبكاء وقال: حمزة لا بواكي له، فرجع سعد بن معاذ إلى دار بني عبد الأشهل فأمر نساءهم أن يذهبن فيبكين على حمزة اهـ. قال الواقدي فيما حكاه ابن أبي الحديد: فقال رسول الله ﷺ: رضي الله عنكن وعن أولادكن، قالت أم سعد بن معاذ: فما بكت منا امرأة قط إلا بدأت بحمزة إلى يومنا هذا. وفي الاستيعاب ذكر الواقدي قال: لم تبك امرأة من الأنصار على ميت بعد قول رسول الله ﷺ هذا إلا بدأت بالبكاء على حمزة ثم بكت ميتها. وروى ابن سعد في الطبقات: أن فاطمة (ع) كانت تأتي قبر حمزة ترممه وتصلحه.

ما نسب إلى حمزة من الشعر

من ذلك ما نسبه إليه صاحب البحار:

لقد عجبت لأقوام ذوي سفه … من القبيلين من سهم ومخزوم

القائلين لما جاء النبي به … هذا حديث أتانا غير ملزوم

فقد أتاهم بحق غير ذي عوج … ومنزل من كتاب الله معلوم

من العزيز الذي لا شيء يعدله … فيه مصاديق من حق وتعظيم

فإن تكونوا له ضداً يكن لكم … ضداً بغلباء مثل الليل علكوم

فـآمـنـوا بـنـبـي لا أبـا لـكـم ذي خاتم صاغه الرحمن مختوم

ومن الشعر الذي نسبه ابن إسحاق إلى حمزة قوله لما بعثه رسول الله ﷺ إلى سيف البحر يعترض عير قريش، وهو أول لواء عقد في الإسلام كما مر:

ألا يا لقومي للتحلم والجهل وللنقض من رأي الرجال وللعقل
وللراكبينا بالمظالم لم نطأ لهم حرمات من سوام ولا أهل
كانا نبلناهم ولا نبل عندنا لهم غير أمر بالعفاف وبالعدل
وأمر بإسلام فلا يقبلونه وينزل منهم مثل منزلة الهزل
فما برحوا حتى انتدبت لغارة لهم حيث حلوا أبتغي راحة الفضل
بأمر رسول الله أول خافق عليه لواء لم يكن لاح من قبلي
لواء لديه النصر من ذي كرامة إله عزيز فعله أفضل الفعل
عشية ساروا حاشدين وكلنا مراجله من غيظ أصحابه تغلي
فلما تراءينا أناخوا فعقلوا مطايا وعقلنا مدى غرض النبل
فقلنا لهم حبل الإله نصيرنا ومالكم إلا الضلالة من حبل
فثار أبو جهل هنالك باغيا فخاب ورد الله كيد أبي جهل
وما نحن إلا في ثلاثين راكبا وهم مائتان بعد واحدة فضل
فيا للؤي لا تطيعوا غواتكم وفيئوا إلى الإسلام والمنهج السهل

فأجابه أبو جهل بن هشام بقوله:

عجبت لأسباب الحفيظة والجهل وللشاغبين بالخلاف وبالبطل
وللتاركين ما وجدنا جدودنا عليه ذوي الأحساب والسؤدد الجزل
أتونا بإفك كي يضلوا عقولنا وليس مضلاً إفكهم عقل ذي عقل
فقلنا لهم يا قومنا لا تخالفوا على قومكم إن الخلاف مدى الجهل
فإنكم إن تفعلوا تدع نسوة لهن بواك بالرزية والثكل
وإن ترجعوا عما فعلتم فإننا بنو عمكم أهل الحفائظ والفضل
فقالوا لنا إنا وجدنا محمدا رضا لذوي الأحلام منا وذي العقل

فلما أبوا إلا الخلاف وزينوا ... جماع الأمور بالقبيح من الفعل
تيممتهم بالساحلين بغارة ... لأتركهم كالعصف ليس بذي أصل
فوزعني مجدي عنهم وصحبتي ... وقد وازروني بالسيوف وبالنبل
لأل علينا واجب لا نضيعه ... أمين قواه غير منتكث الحبل
فإن تبقني الأيام أرجع عليهم ... ببيض رقاق الحد محدثة الصقل
بأيدي حماة من لؤي بن غالب ... كرام المساعي في الجدوبة والمحل

ما رثي به حمزة رضوان الله عليه:

قال ابن إسحاق: قالت صفية بنت عبد المطلب ترثي أخاها حمزة رضي الله عنهما:

أسائلة أصحاب أحد مخافة ... بنات أبي من أعجم وخبير
فقال الخبيران حمزة قد ثوى ... وزير رسول اللّه خير وزير
فيا ليت شلوي عند ذاك واعظمي ... لدى اضبع تعتادني ونسور
أقول وقد أعلى النعي عشيرتي ... جزى اللّه خيراً من أخ ونصير
دعاه إلٰه الحق ذو العرش دعوة ... إلى جنة يحيا بها وسرور
فذلك ما كنا نرجي ونرتجي ... لحمزة يوم الحشر خير مصير
فواللّه لا أنساك ما هبت الصبا ... بكاء وحزناً محضري ومسيري
على أسد اللّه الذي كان مدرهاً ... يذود عن الإسلام كل كفور

قال ابن إسحاق: وقال عبد اللّه بن رواحة يبكي حمزة بن عبد المطلب، قال ابن هشام أنشدنيها أبو زيد الأنصاري (عمر بن شبة) لكعب بن مالك:

بكت عيني وحق لها بكاها ... وما يغني البكاء ولا العويل
على أسد الإلٰه غداة قالوا ... أحمزة ذاكم الرجل القتيل
أصيب المسلمون به جميعا ... هناك وقد أصيب به الرسول
أبا يعلى لك الأركان هدت ... وأنت الماجد البر الوصول
عليك سلام ربك في جنان ... مخالطها نعيم لا يزول

الا يا هاشم الأخيار صبرا فكل فعالكم حسن جميل
رسول اللّه مصطبر كريم بأمر اللّه ينطق إذ يقول
الا من مبلغ عني لؤيا فبعد اليوم دائلة تدول
وقبل اليوم ما عرفوا وذاقوا وقائعنا بها يشفى الغليل
نسيتم ضربنا بقليب بدر غداة أتاكم الموت العجيل
غداة ترى أبا جهل صريعا عليه الطير حائمة تجول
وعتبة وابنه خرا جميعا وشيبة عضه السيف الصقيل
وهام بني ربيعة سائلوها ففي أسيافنا منها فلول
ألا يا هند لا تبدي شماتا بحمزة إن عزكم ذليل
ألا يا هند فابكي لا تملي فأنت الواله العبرى الثكول

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت يبكي حمزة قلنا: والقصيدة طويلة اقتصرنا منها على هذا:

يا حمزة لا واللّه لا أنساك ما صر اللقائح
لمناخ أيتام وأضـ ـياف وأرملة تلامح
ولما ينوب الدهر في حرب لحرب وهي لاقح
يا فارساً يا مدرهاً يا حمز قد كنت المصامح[1]
عنا شديدات الخطو ب إذا ينوب لهن فادح
ذكرتني أسد الرسو ل وذاك مدرهنا المنافح
عنا وكان يعد إذا عد الشريفون الجحاجح
يعلو القماقم جهرة سبط اليدين أغر واضح
بحراً فليس يغب جا راً منه سيب أو منادح
أودى شباب أولى الحفا ئظ والثقيلون المراجح

---

(١) في القاموس صمحه بالسوط ضربه والأصمح الشجاع يتعمد رؤوس الأبطال بالضرب. وفي نسخة المصامخ. ـ المؤلف ـ

لهفي لشبان رزئـ ... ـناهم كأنهم المصابح

شم بطارقة غطا ... رفة خضارمة مسامح

المشترون الحمد بالـ ... ـأموال إن الحمد رابح

والجامزون بلجمهم ... يوماً إذا ما صاح صائح

القائلون الفاعلو ... ن ذوي السماحة والممادح

من لا يزال ندى يد ... يه له طوال الدهر مائح

وقال كعب بن مالك يرثي حمزة:

طرقت همومك فالرقاد مسهد ... وجزعت إن سلخ الشباب الأغيد

ولقد هددت لفقد حمزة هدة ... ظلت بنات الجوف منها ترعد

ولو أنها فجعت حراء بمثله ... لرأيت رأسي صخرها يتبدد

قرم تمكن في ذؤابة هاشم ... حيث النبوة والندى والسؤدد

والعاقر الكوم الجلاد إذا غدت ... ريح يكاد الماء فيها يجمد

والتارك القرن الكمي مجدلاً ... يوم الكريهة والقنا يتقصد

وتراه يرفل في الحديد كأنه ... ذو لبدة شثن البراثن أربد

عم النبي محمد وصفيه ... ورد الحمام فطاب ذاك المورد

وأتى المنية معلماً في أسرة ... نصروا النبي ومنهم المستشهد

ولقد أخال بذاك هنداً بشرت ... لتميت داخل غصة لا تبرد

مما صبحنا بالعقنقل قومها ... يوماً تغيب فيه عنها الأسعد

وببئر بدر إذ يرد وجوههم ... جبريل تحت لوائنا ومحمد

حتى رأيت لدى النبي سراتهم ... قسمين نقتل من نشاء ونطرد

فأقام بالعطن المعطن منهم ... سبعون عتبة منهم والأسود

وأمية الجمحي قوم ميله ... عضب بأيدي المؤمنين مهند

فأتاك فل المشركين كأنهم ... والخيل تنفثهم نعام شرد

شتان من هو في جهنم ثاوياً ... أبداً ومن هو في الجنان مخلد

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضاً يبكي حمزة بن عبد المطلب:

أتعرفِ الدار عفا رسمها ... بعدك صوب المسبل الهاطل
دع عنك داراً قد عفا رسمها ... وابك على حمزة ذي النائل
المالىء الشبرزي إذا أعصفت ... غبراء في ذي الشيم الماحل
والتارك القرن كذي لبدة ... يعثر في ذي الخرص الذابل
واللابس الخيل إذا أحجمت ... كالليث في غابته الباسل
ابيض في الذروة من هاشم ... لم يمر دون الحق بالباطل
مال شهيداً بين أسيافكم ... شلت يدا وحشي من قاتل
أظلمت الأرض لفقدانه ... واسود نور القمر الناصل
صلى عليه اللّه في جنة ... عالية مكرمة الداخل
كنا نرى حمزة حرزاً لنا ... في كل ما أمر بنا نازل
وكان في الإسلام ذا تدرء ... يكفيك فقد القاعد الخاذل
لا تفرحي يا هند واستجلبي ... دمعاً واذري عبرة الثاكل
وابكي على عتبة إذ قطه ... بالسيف تحت الرهج الحائل
إذ خر في مشيخة منكم ... من كل عات قلبه جاهل
أرداهم حمزة في أسرة ... يمشون تحت الحلق الفاضل
غداة جبريل وزير له ... نعم وزير الفارس الحامل

أشعار هند وجواباتها وهجاؤها

روى محمد بن إسحاق في كتاب المِغازي قال: علت هند يومئذ صخرة مشرفة وصرخت بأعلى صوتها:

نحن جزيناكم بيوم بدر ... والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لي من صبر ... ولا أخي وعمه وبكري
شفيت نفسي وقضيت نذري ... شفيت وحشي غليل صدري
فشكر وحشي علي عمري ... حتى ترم أعظمي في قبري

قال: فأجابتها هند بنت أثالة بن المطلب بن عبد مناف:

خزيت في بدر وغير بدر ... يا بنت غدار عظيم الكفر
أفحمك اللّه غداة الفخر ... بالهاشميين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفري ... حمزة ليثي وعلي صقري
إذ رام شيب وأبوك قهري ... فخضبا منه ضواحي النحر

قال: ومن الشعر الذي ارتجزت به هند بنت عتبة يوم أحد:

شفيت من حمزة نفسي بأحد ... حين بقرت بطنه عن الكبد
اذهب عني ذاك ما كنت أجد ... من لوعة الحزن الشديد المعتمد
والحرب تعلوكم بشؤبوب برد ... نقدم إقداما عليكم كالأسد

وروى الطبري في تاريخه أن حسان بن ثابت قال يهجو هنداً:

أشرت لكاع وكان عادتها ... لؤماً إذا أشرت مع الكفر
لعن الإلٰه وزوجها معها ... هند الهنود عظيمة البظر
أخرجت مرقصة إلى أحد ... في القوم مقتبة على بكر
أخرجت ثائرة محاربة ... بأبيك وابنك يوم ذي بدر
وبعمك المتروك منجدلا ... وأخيك منعفرين في الحفر
ونسيت فاحشة أتيت بها ... يا هند ويحك سبة الدهر
فرجعت صاغرة بلا ترة ... منا ظفرت بها ولا نصر



عقيل بن أبي طالب (*)

هو أسنّ من أخيه جعفر بعشر سنين، وجعفر أسن من علي بعشر سنين. وكان أبوه أبو طالب يحبه أكثر من حبه سائر بنيه، فلذلك قال للنبي ﷺ وللعباس حين أتياه ليقتسما بنيه عام المحل، فيخففا عنه ثَقَلهم: «**دعوا لي عقيلاً وخذوا من شئتم**»، فأخذ العباس جعفراً، وأخذ محمد ﷺ علياً.

وكان عقيل يكنى أبا يزيد، فقال له رسول الله ﷺ: «**يا أبا يزيد، إني أحبك حبين: حباً لقرابتك مني، وحباً لما كنت أعلم من حب عمي إياك**».

أخرج عقيل مكرها إلى بدر، كما أخرج العباس، فأُسر وفدي وعاد إلى مكة، ثم أقبل مسلماً مهاجراً قبل الحديبية، وشهد غزاة مؤتة مع أخيه جعفر، وتوفي سنة خمسين، وعمره ست وتسعون سنة.

وعرض نفسه وولده على أخيه علي (ع)، فأعفاه ولم يكلفه حضور الحرب.

وكان أنسب قريش وأعلمهم بأيامها. وكانت له طنفسة تطرح في مسجد رسول الله ﷺ فيصلي عليها، ويجتمع إليه الناس في علم النسب وأيام العرب وكان حينئذ قد ذهب بصره.

(*) مما أضفناه إلى الدراسات.

وكان أسرع الناس جواباً وأشدهم عارضة.

وقد قيل أنه التحق بمعاوية في حياة أخيه، وهو قول تكذبه الوقائع كما سيأتي، وكل ما في الأمر أنه كان في سن يعجز فيها عن القتال وكان ضعيف النظر ثم فقد بصره، لذلك حينما عرض نفسه على أخيه أعفاه من القتال.

وفي هذا الكتاب الذي أرسله إلى أخيه أمير المؤمنين (ع) من المدينة إلى الكوفة ما يدحض دعوى من يدعي التحاقه بمعاوية في زمن أخيه.

وذلك أن معاوية دعا الضحاك بن قيس الضهري، وقال له: سِرْ حتى تمر بناحية الكوفة وترتفع عنها ما استطعت، فمن وجدته من الأعراب في طاعة علي فأغر عليه وإن وجدت له مَسْلَحة أو خيلاً فأغر عليها... فسرحه فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف.

فأقبل الضحاك، فنهب الأموال وقتل من لقي من الأعراب حتى بالثعلبية[1] فأغار على الحاجّ فأخذ أمتعتهم، ثم أقبل فلقي عمرو بن عيسى بن مسعود الذهلي، وهو ابن أخي عبد اللّه بن مسعود صاحب رسول الله ﷺ فقتله في طريق الحاج عند القطقطانة[2] وقتل معه ناساً من أصحابه.

فدعا علي (ع) حجر بن عدي الكندي فعقد له على أربعة آلاف. فخرج حجر فلم يزل مغذاً في أثر الضحاك حتى لقيه بناحية تدمر، فواقعه فاقتتلوا ساعة، فقتل من أصحاب الضحاك تسعة عشر رجلاً، وقتل من أصحاب حجر رجلان، وحجز الليل بينهم. فمضى الضحاك، فلما أصبحوا لم يجدوا له ولأصحابه أثراً.

فكتب أثر هذه الوقعة عقيل بن أبي طالب إلى أخيه أمير المؤمنين عليه السلام:

---

(١) الثعلبية: موضع في طريق مكة إلى الكوفة.

(٢) القطقطانة: موضع قرب الكوفة من جهة البرية.

لعبد اللّه علي أمير المؤمنين من عقيل بن أبي طالب. سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إلٰه إلا هو. أما بعد فإن الله حارسك من كل سوء وعاصمك من كل مكروه، وعلى كل حال. إني قد خرجت إلى مكة معتمراً فلقيت عبد اللّه بن أبي سرح في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطلقاء، فعرفت المنكر في وجوههم، فقلت: إلى أين يا أبناء الشانئين، أبمعاوية تلحقون، عداوة والله منكم قديماً غير مستنكرة، تريدون بها إطفاء نور الله وتبديل أمره. فأسمعني القوم وأسمعتهم، فلما قدمت مكة سمعت أهلها يتحدثون أن الضحاك بن قيس أغار على الحيرة، فاحتمل من أموالها ما شاء، ثم انكفأ راجعاً سالماً. فأف لحياة في دهر جرّأ عليك الضحاك، فقع بقرقر. وقد توهمت حين بلغني ذلك أن شيعتك وأنصارك خذلوك، فاكتب إليّ يا بن أمي برأيك، فإن كنت الموت تريد، تحملت إليك ببني أخيك، وولد أبيك فعشنا معك ما عشت، ومتنا معك إذا مت، فوالله ما أحب أن أبقى في الدنيا بعدك فُواقا.

وأقسم بالأعز الأجل، إن عيشاً نعيشه بعدك في الحياة لغير هنيء ولا مريء ولا نجيع. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فكتب إليه أمير المؤمنين:

من عبد اللّه علي أمير المؤمنين إلى عقيل بن أبي طالب. سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إلٰه إلا هو، أما بعد، كلأنا الله وإياك كلاءة من يخشاه بالغيب إنه حميد مجيد. وقد وصل إليّ كتابك مع عبد الرحمان بن عبيد الأزدي تذكر فيه أنك لقيت عبد اللّه بن سعد بن سرح مقبلاً من قُديد[1] في نحو من أربعين فارساً من أبناء الطلقاء متوجهين إلى جهة الغرب. وإن ابن أبي سرح طالما كاد الله ورسوله وكتابه وصد عن سبيله وبغاها عوجاً. فدع ابن أبي سرح ودع عنك قريشاً وخلهم وتركاضهم في الضلال وتجوالهم في الشقاق. إلا وإن العرب قد أجمعت على حرب أخيك اليوم إجماعها على حرب

---

(١) اسم موضع قرب مكة.

رسول الله ﷺ قبل اليوم، فأصبحوا قد جهلوا حقه وجحدوا فضله وبادروه العداوة ونصبوا له الحرب وجهدوا عليه كل الجهد وجروا إليه جيش الأحزاب. اللَّهم فاجز قريشاً عني الجوازي فقد قطعت رحمي وتظاهرت عليّ ودفعتني عن حقي وسلبتني سلطان ابن أمي، وسلّمت ذلك إلى من ليس مثلي في قرابتي من الرسول وسابقتي في الإسلام، إلا أن يدعي مدع ما لا أعرفه ولا أظن الله يعرفه، والحمد للّه على كل حال.

فأما ما ذكرته من غارة الضحاك على أهل الحيرة، فهو أقل وأزل من أن يسلم بها أو يدنو منها، ولكنه كان قد أقبل في جريدة خيل فأخذ على السماوة حتى مر بواقصة[1] وشراف[2] والقطقطانة مما والى ذلك الصقع، فوجهت إليه جنداً كثيفاً من المسلمين، فلما بلغه ذلك فر هارباً، فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق وقد أمعن، وكان ذلك حين طفلت الشمس للإياب، فتناوشوا القتال قليلاً كلا ولا، فلم يصبر لوقع المشرفية وولى هارباً، وقتل من أصحابه بضعة عشر رجلاً ونجا جريضاً بعدما أخذ منه بالمخنق، فلا أباً ما نجا. فأما ما سألتني أن أكتب لك رأيي فيما أنا فيه، فإنّ رأيي جهاد المحلين حتى ألقى الله لا يزيدني كثرة الناس معي عزة ولا تفرقهم عني وحشة، لأني محق والله مع المحق. ووالله ما أكره الموت على الحق، وما الخير كله إلا بعد الموت لمن كان محقاً.

وأما ما عرضت به من مسيرك إليّ ببنيك وبني أبيك فلا حاجة لي في ذلك، فأقم راشداً محموداً، فوالله ما أحب أن تهلكوا معي إن هلكت. ولا تحسبن ابن أمك ـ ولو أسلمه الناس ـ متخشعاً ولا متضرعاً. إنه لكما قال أخو بني سُلَيْم:

فإن تسأليني كيف أنت فإنني ... صبور على ريب الزمان صليب
جهيد على أن لا ترى بي كآبة ... فيشمت واش أو يساء حبيب

---

(١) مكان في طريق مكة.

(٢) مكان قريب واقصة.

جعفر بن أبي طالب

ستشهد بمؤته من أرض البلقاء بالشام في جمادى الأولى سنة ٨ من الهجرة، وفي عمدة الطالب وقبل سنة ٧ اهـ. والأكثر على أنه استشهد سنة ٨، وكأن القائل بأنه استشهد سنة ٧ أخذه مما جاء في بعض الروايات من أن النبي ﷺ أرسله إلى مؤتة في السنة التي جاء فيها من الحبشة بعد فتح خيبر. ومعلوم أن مجيئه من الحبشة كان سنة ٧ وأن غزوة خيبر كانت سنة ٧ في جمادى الأولى وقيل في المحرم، ولكن أقوال المؤرخين تكاد أن تكون متفقة على أن شهادته سنة ٨ والله أعلم. وفي أسد الغابة عن ابن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير قال: قدم رسول الله ﷺ من عمرة القضاء المدينة في ذي الحجة فأقام بالمدينة حتى بعث إلى مؤتة في جمادى سنة ثمان اهـ. وكانت عمرة القضاء سنة ٦ من الهجرة، فإن كان بعث إلى مؤتة في جمادى من تلك السنة فهي سنة ٧ وإن كان من قابل فهي سنة ٨ وقبره بمؤتة مزور مشهور. وفي عمدة الطالب: دفن هو وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة في قبر واحد وعمي القبر اهـ. وكان عمره يوم استشهد ٤١ سنة حكاه في الاستيعاب عن الزبير بن بكار، وفي مقاتل الطالبيين بسنده عن بعض أحفاد جعفر أن جعفراً قتل وهو ابن ثلاث أو أربع وثلاثين سنة. قال أبو الفرج: وهذا عندي شبيه بالوهم لأنه قتل سنة ٨

من الهجرة، وبين ذلك الوقت وبين المبعث ٢١ سنة، وهو أسن من أخيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) بعشر سنين، وكان لعلي حين أسلم سنون مختلف فيها فالمكثر يقول كانت ١٥ والمقلل يقول ٧ سنين وكان إسلامه في السنة التي بعث فيها رسول الله ﷺ لا خلاف في ذلك، وعلى أي الروايات قيس أمره على أنه كان عند مقتله قد تجاوز هذا المقدار من السنين اهـ. فعلى فرض أن يكون علي (ع) وعمره سبع سنين يكون عمر جعفر ٣٨سنة.

كنيتــه

يكنى أبا عبد اللّه كما في الاستيعاب، وفي مقاتل الطالبيين: يكنى أبا عبد اللّه فيما يزعم أهله، وروي عن أبي هريرة قال: كان جعفر بن أبي طالب يكنى أبا المساكين اهـ. وفي أسد الغابة: كان رسول الله ﷺ يسميه أبا المساكين اهـ. وفي عمدة الطالب: كان جعفر يكنى أبا عبد اللّه وأبا المساكين لرأفته عليهم وإحسانه إليهم اهـ.

أمــــه

فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي وهي أم أخوته طالب وعقيل وجعفر وعلي وأم هانىء. أكبرهم طالب وأصغرهم علي وكل واحد أسن من الآخر بعشر سنين. كانت لرسول الله ﷺ بمنزلة الأم سبقت إلى الإسلام وهاجرت إلى المدينة، ولما حضرتها الوفاة أوصت إلى رسول الله ﷺ فقبل وصيتها، ولما توفيت كفنها في قميصه ولما بلغوا لحدها حفره بيده واضطجع فيه وهي أول هاشمية تزوجها هاشمي وولدت له.

أولاده

في الطبقات لابن سعد: كان لجعفر من الولد عبد الله وبه كان يكنى وله العقب، ومن ولد جعفر محمد وعون لا عقب لهما ولدوا جميعاً لجعفر بأرض الحبشة في المهاجرة إليها وأمهم أسماء بنت عميس، ثم روى بسنده عن محمد بن عمر بن علي قال: ولد جعفر بن أبي طالب عبد اللّه وعون ومحمد

بنو جعفر وأخواهم لأمهم يحيى بن علي ومحمد بن أبي بكر وأمهم الخثعمية أسماء بنت عميس اهـ. وفي عمدة الطالب: أولاد جعفر بن أبي طالب ثمانية بنين عبد الله وعون ومحمد الأكبر ومحمد الأصغر وحميد وحسين وعبد الله الأصغر وعبد الله الأكبر وأمهم أجمع أسماء بنت عميس الخثعمية، قتل محمد الأكبر مع عمه علي (ع) بصفين، وقتل عون ومحمد الأصغر مع ابن عمهما الحسين (ع) يوم الطف اهـ.

إسلامه

في أسد الغابة: أسلم بعد إسلام أخيه علي بقليل روي أن أبا طالب رأى النبي ﷺ وعلياً يصليان وعلي عن يمينه، فقال لجعفر: صل جناح ابن عمك وصلّ عن يساره ـ أقول ـ كيف يجتمع هذا مع كون أبي طالب كافراً؟!. وفي الطبقات لابن سعد عن الواقدي بسنده: أسلم جعفر بن أبي طالب قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم ويدعو فيها اهـ، وعن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام: أول جماعة كانت أن رسول الله ﷺ كان يصلي وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام معه إذ مر أبو طالب به وجعفر معه فقال: يا بني صل جناح ابن عمك. فلما أحسه رسول الله ﷺ تقدمهما، وانصرف أبو طالب مسروراً وهو يقول:

إن علياً وجعفراً ثقتي	عند ملم الزمان والكرب
والله لا أخذل النبي ولا	يخذله من بني ذو حسب
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما	أخي لأمي من بينهم وأبي

فكانت أول جماعة جمعت ذلك اليوم اهـ. وقال ابن أسحاق: أسلم جعفر بعد خمسة وعشرين رجلاً وقيل بعد واحد وثلاثين اهـ.

(أقول): بل لم يسبقه أحد سوى أخيه علي أمير المؤمنين (ع) بيوم أو نحوه كما مر عن أسد الغابة أنه أسلم بعد إسلام أخيه بقليل مستدلاً برواية صل جناح ابن عمك وصلّ عن يساره، وكما مر عن أمالي الصدوق وما كان ليسبقه

أحد وثلاثون ولا خمسة وعشرون وهو ابن أبي طالب ناصر رسول الله ﷺ والمحتمل الأذى في نصره والذي كان يوصي ولديه علياً وجعفراً بنصره ويقول لجعفر: صل جناح ابن عمك وابن فاطمة بنت أسد مربية رسول الله ﷺ والتي كانت له أماً بعد أمه والسابقة إلى الإسلام والهجرة وأخو علي بن أبي طالب الذي لم يسبقه رجل إلى الإسلام.

وفي كتاب تحية القاري لصحيح البخاري للشيخ محمد علي آل عز الدين العاملي: أن جعفراً على التحقيق ثاني المسلمين أو المصلين من الرجال، مر أبو طالب على رسول الله ﷺ وهو يصلي وعلي إلى جنبه وخديجة خلفه فقال له: يا جعفر صل جناح ابن عمك. فوقف على يسار رسول الله ﷺ وصلى اهـ. وذلك لأن المستحب في صلاة الجماعة إذا كان المأموم رجلاً واحداً أن يقف عن يمين الإمام متأخراً عنه، فإن كان معه امرأة وقفت خلف الرجل، فإن كانوا اثنين وقفا خلفه والمرأة خلفهما، فلما كان علي يصلي مع النبي ﷺ كان عن يمينه وخديجة خلف علي فلما جاء جعفر وأمره أبوه أن يصل جناح ابن عمه وقف عن يسار علي وإلى يسار النبي ﷺ.

تختمـــه

روى ابن سعد في الطبقات الكبير بسنده عن جعفر بن أبي طالب أنه تختم في يمينه.

مؤاخاتـــه

في الطبقات عن الواقدي قال محمد بن إسحاق: آخى رسول الله ﷺ بين جعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل. قال الواقدي: وكيف يكون هذا وإنما كانت المؤاخات بعد قدوم رسول الله ﷺ المدينة وقبل بدر فلما كان يوم بدر نزلت آية الميراث وانقطعت المؤاخاة وجعفر غائب يومئذ بأرض الحبشة اهـ، والمؤاخاة قبل الهجرة إنما كانت بين المهاجرين ومعاذ أنصاري، وفي السيرة الحلبية جمع بينهما بأنه آخى بينه وبين معاذ وهو غائب بأرض الحبشة.

خصامه في ابنة حمـزة

ذكر ابن سعد في الطبقات بسنده ما حاصله أن ابنة حمزة لتطوف بين الرجال إذ أخذ علي بيدها فألقاها إلى فاطمة في هودجها فاختصم فيها علي وجعفر وزيد بن حارثة فقال علي: ابنة عمي وأنا أخرجتها وأنا أحق بها. وقال جعفر: ابنة عمي وخالتها عندي. وقال زيد: ابنة أخي. فقضى بها رسول الله ﷺ لجعفر وقال: الخالة والدة. فقام جعفر فحجل حول النبي ﷺ (دار عليه) فقال النبي ﷺ: ما هذا؟ قال: شيء رأيت الحبشة يصنعونه بملوكهم. خالتها أسماء بنت عميس وأمها سلمى بنت عميس اهـ.

أقـوال العلمـاء فيــه

في الاستيعاب: جعفر بن أبي طالب واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، كان جعفر أشبه الناس خلقاً وخلقاً برسول الله ﷺ وكان من المهاجرين الأولين هاجر إلى أرض الحبشة وقدم منها على رسول الله ﷺ حين فتح خيبر فتلقاه النبي ﷺ واعتنقه ـ وزاد في أسد الغابة: وقبل بين عينيه ـ وقال: ما أدري بأيهما أنا أشد فرحاً بقدوم جعفر أم بفتح خيبر؟ وكان قدوم جعفر وأصحابه من أرض الحبشة في سنة ٧ من الهجرة واختط له رسول الله ﷺ إلى جنب المسجد اهـ. وفي أسد الغابة: ابن عم رسول الله ﷺ وأخو علي بن أبي طالب لأبويه وهو جعفر الطيار وكان أشبه الناس برسول الله ﷺ خلقاً وخلقاً وله هجرتان: هجرة إلى الحبشة وهجرة إلى المدينة. روى عنه ابنه عبد الله وأبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص، وفي الإصابة: ابن عم النبي ﷺ واحد السابقين إلى الإسلام وأخو علي شقيقه اهـ. وفي مقاتل الطالبيين: أول قتيل من ولد أبي طالب في الإسلام جعفر بن أبي طالب واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب وهو شيبة بن هاشم وهو عمرو بن عبد مناف، اهـ. وفي تاريخ ابن كثير: أسلم جعفر قديماً وهاجر إلى الحبشة وكانت له هناك مواقف مشهودة ومقامات محمودة وأجوبة سديدة

وأحوال رشيدة وقد قدمنا ذلك في هجرة الحبشة، إلى أن قال: وكان كريماً جواداً ممدحاً، وكان لكرمه يقال له أبو المساكين لإحسانه إليهم اهـ. وفي الدرجات الرفيعة: كان رضي الله عنه يحب المساكين ويجلس إليهم ويحدثونه، وكان رسول الله ﷺ يسميه أبا المساكين، قال: وروي أنه كان يقول لأبيه أبي طالب: يا أبة إني لأستحي أن أطعم طعاماً وجيراني لا يقدرون على مثله، فكان يقول له أبوه: إني لأرجو أن يكون فيك خلف من عبد المطلب. قال: وله رضي الله عن فضل كثير وقد ورد في شأنه أحاديث كثيرة اهـ.

وفي كتاب تحية القاري لصحيح البخاري في التعليق على الحديث «الرابع والسبعين» في باب مناقب جعفر بن أبي طالب بإسناده عن أبي هريرة: إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة، وإني كنت ألزم رسول الله ﷺ يشبع بطني لا آكل الخمير ولا ألبس الحبير ولا يخدمني فلان ولا فلان وكنت ألصق بطني بالحصباء من الجوع وإن كنت لاستقرىء الرجل الآية هي معي كي ينقلب بي فيطعمني، وكان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب وكان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته حتى إذا كان ليخرج إلينا العكة التي ليس فيها شيء فيشقها فنلعق ما فيها. قال قلت: أما ما ذكره أبو هريرة في حق جعفر رضي الله عنه فهو قليل في حق جعفر، فإنه كان من الإيمان والكرم والشهامة وحسن الأخلاق بمكان عظيم (إلى أن قال): ولما كثر المسلمون في مكة وأخذ المشركون يؤذونهم بأنواع الأذيات إلا من له عشيرة تحميه أمره رسول الله ﷺ على جماعة لم يسعهم البقاء في مكة وأمره بالمهاجرة إلى الحبشة. فتلقاهم النجاشي بالرحب والسعة، وبقي في بلاد الحبشة إلى أن تمكن الإسلام في المدينة فهاجر إليها (إلى أن قال) وبقي مع رسول الله ﷺ يتبعه في حضره وسفره إلى يوم مؤتة فأمره على الجيش غازياً فقتل في ذلك الوجه هو وزيد بن حارثة وعبد اللّه بن رواحة وجملة من المسلمين. وأخبر رسول الله ﷺ بقتلهم وأن الله جعل لجعفر جناحين يطير بهما مع الملائكة. قال: وخطب علي (ع) يوماً فقال متأسفاً على حمزة وجعفر ما معناه: كان لي عضدان أتقوى بهما فذهبا ـ يعني حمزة وجعفراً ـ وبقيت في

ضعيفين يعني عباساً وعقيلاً. قال: وبالجملة فمناقب جعفر ومآثره تكبر عن الإحصاء. قال: وأما ما ذكره أبو هريرة في حق نفسه فقد كرره البخاري مراراً بأسانيد متعددة مرجعها في الكل إليه وألفاظ مختلفة لم يتيقن منها إلا أنه كان فقيراً معدماً يلحس العكك ويلهو عن كل شيء ليشبع بطنه ومن كانت هذه صفته يوشك أن لا يلتفت إلى حكم ولا يحفظ رواية، ومن ثم كان في زمانه متهماً بالكذب كما يفيده مضمون هذا الحديث وغيره اهـ.

أخبـــاره

روى أصحاب السير والتواريخ ما معناه أنه أصابت قريشاً في بعض السنين أزمة فقال بنو هاشم: أمضوا بنا نخفف عن أبي طالب، فأخذ العباس جعفراً وأخذ رسول الله ﷺ علياً وبقي عقيل عند أبي طالب. وفي الدرجات الرفيعة: روي عن الباقر (ع) أنه قال: كان أمير المؤمنين (ع) دائماً يقول والله لو كان حمزة وجعفر حيين ما طمع فيها فلان وفلان ولكني ابتليت بـ. . . . . عقيل والعباس، وروى الكليني في الكافي عن ابن مسكان عن سدير قال: كنا عند أبي جعفر (ع) فذكرنا ما أحدث الناس بعد نبيهم ﷺ واستذلالهم أمير المؤمنين (ع) فقال رجل من القوم: أصلحك الله فأين كان عز بني هاشم وما كانوا فيه من العدد؟ فقال أبو جعفر (ع): من كان بقي من بني هاشم إنما كان جعفر وحمزة فمضيا وبقي معه رجلان ضعيفان ذليلان حديثا عهد بإسلام: عباس وعقيل وكانا من الطلقاء أما والله لو أن حمزة وجعفراً كانا بحضرتهما ما وصلا إلى ما وصلا إليه ولو كانا شاهديه لأتلفا أنفسهما.

هجرته إلى الحبشة ثم إلى المدينة

هاجر جعفر رضوان الله عليه هجرتين أولاهما إلى الحبشة والثانية من الحبشة إلى المدينة ولذلك سمي ذا الهجرتين، وهاجر المسلمون إلى الحبشة دفعتين. هاجر منهم أولاً عشرة ثم سمعوا بأن قريشاً أسلمت فعادوا فوجدوا الأمر على خلاف ما بلغهم، ثم هاجروا ثانياً وأميرهم جعفر وكانوا ٧٥ رجلاً

و١٢ امرأة وذلك في السنة الرابعة وقيل الخامسة من النبوة. قال ابن كثير في تاريخه: وكان جعفر هو المقدم عليهم والمترجم عنهم ـ أي المتكلم ـ عند النجاشي وغيره اهـ. روى ابن هشام في سيرته بسنده عن محمد بن إسحاق المطلبي قال: لما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية لمكانه من الله ومن عمه أبي طالب وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه. فخرج عند ذلك المسلمون إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام. ثم عد الذين هاجروا فيها فكانوا عشرة. قال: فكان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة، وكان عليهم عثمان بن مظعون. ثم خرج جعفر بن أبي طالب وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة منهم من خرج بأهله ومنهم من خرج بنفسه لا أهل معه اهـ. وقال محمد بن سعد في الطبقات الكبير: قال محمد بن عمر (الواقدي): هاجر جعفر إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية ومعه امرأته أسماء بنت عميس وولدت له هناك عبد الله وعوناً ومحمداً فلم يزل بأرض الحبشة حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ثم قدم عليه جعفر من أرض الحبشة وهو بخيبر سنة سبع. قال محمد بن عمر: وقد روي لنا أن أميرهم في الهجرة إلى أرض الحبشة جعفر بن أبي طالب اهـ. وفي تاريخ ابن كثير: ثم إن ابن إسحاق ذكر الخارجين صحبة جعفر ـ وعدهم ابن كثير ـ وحسبناهم نحن في تاريخ ابن كثير فكانوا ٨٧ رجلاً وامرأة والرجال منهم خاصة ٧٥ والنساء ١٢. قال ابن إسحاق: وكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغاراً أو ولدوا بها ثلاثة وثمانين رجلاً إن كان عمار بن ياسر فيهم وهو يشك فيه. قال: وخرج من بني مخزوم بن يقظة بن مرة أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن محزوم، ومعه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وروى الحاكم في

المستدرك بسنده عن ابن إسحاق أن أبا طالب قال أبياتاً للنجاشي يحضه على حسن جوار المسلمين والدفع عنهم:

ليعلم خيار الناس أن محمداً	نظير لموسى والمسيح بن مريم
أتانا بهدي مثل ما أتيا به	فكل بأمر الله يهدي ويعصم
وإنكم تتلونه في كتابكم	بصدق حديث لا حديث المرجم
وإنك ما تأتيك منا عصابة	بفضلك الا ارجعوا بالتكرم

(أقول): وهو صريح في إسلام أبي طالب وفيه أقواء (وروى) ابن إسحاق بسنده عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية أم المؤمنين زوجة رسول الله ﷺ قالت: لما نزلنا بأرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي أمننا على ديننا وعبدنا الله لا نؤذى كما كنا نؤذى بمكة ولا نسمع شيئاً نكرهه اهـ. فلما بلغ ذلك قريشاً أرسلوا عمرو بن العاص ليكيد جعفراً وأصحابه عند النجاشي، وأعلم أن عمرو بن العاص سافر إلى الحبشة مرتين بعد البعثة مرة مع عمارة بن الوليد بن المغيرة أخي خالد بن الوليد وهو الذي جاءت به قريش إلى أبي طالب وقالوا جئناك بفتى قريش جمالاً ونسباً يكون لك نصره وميراثه وتدفع إلينا ابن أخيك نقتله. فقال: والله ما أنصفتموني تعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابن أخي تقتلونه، ومرة مع عبد اللّه بن أبي ربيعة[1] وفي المرة الثانية كان المرسل لهما قريش ليكيدا جعفراً وأصحابه أما المرة الأولى فليس في كلام ابن إسحاق ما يدل على أن المرسل لهما قريش أو أنهما ذهبا من قبل أنفسهما ولا أن ذهابهما في أي شيء كان. وبعض المؤرخين ـ غاب عني اسمه ـ صرح بأن سفرهما أولاً كان للتجارة، والحاكم في المستدرك وابن عساكر في تاريخه والإمام أحمد وأبو نعيم في الدلائل صرحوا بأنه كان ليكيد جعفراً وأصحابه عند النجاشي، وأنا أظن أنه قد وقع اشتباه من بعض المحدثين والمؤرخين فذكروا

---

(١) في سيرة ابن هشام وغيرها ابن أبي ربيعة. وفي شرح النهج لابن أبي الحديد ابن ربيعة وفي كامل ابن الأثير ابن أبي أمية ـ المؤلف ـ.

بدل عبد اللّه بن أبي ربيعة عمارة بن الوليد، ويمكن أن يكونا ذهبا في المرة الأولى للتجارة ثم بدا لهما بعدما وصلا إلى الحبشة أن يكيدا المسلمين، لكن الظاهر خلافه لما سمعت من تصريح بعض المؤرخين ولما ظهر من ابن إسحاق، فلم يشر في قصة عمرو وعمارة إلى أن إرسالهما كان من قبل قريش أو أنهما تعرضا لكيد المسلمين، ولو كان ذلك واقعاً لما أهمله، ونحن نذكر أولاً خبر ذهاب عمرو مع عمارة إلى الحبشة ما ذكر فيه أنه لكيد المسلمين وما لم يذكر، ثم نذكر خبر ذهابه مع عبد اللّه بن أبي ربيعة لكيد المسلمين.

أما خبر ذهاب عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد إلى الحبشة فروى الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي موسى قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق إلى أرض النجاشي فبلغ ذلك قريشاً فبعثوا إلى عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد وجمعوا للنجاشي هدايا فقدمنا وقدموا على النجاشي فأتوه بهدية فقبلها وسجدوا له ثم قال عمرو بن العاص: إن قوماً منا رغبوا عن ديننا وهم في أرضك، فقال لهم النجاشي: في أرضي؟ قال: نعم. فبعث إلينا، فقال لنا جعفر: لا يتكلم منكم أحد أنا خطيبكم اليوم. فانتهينا إلى النجاشي وهو جالس في مجلسه وعمرو بن العاص عن يمينه وعمارة عن يساره والقسيسون من الرهبان جلوس سماطين، فقال له عمرو وعمارة: إنهم لا يسجدون لك. فلما انتهينا إليه زبرنا (بدرنا) من عنده من القسيسين والرهبان: اسجدوا للملك. فقال جعفر: لا نسجد إلا لله، فقال له النجاشي: وما ذاك؟ قال: إن الله بعث فينا رسوله وهو الرسول الذي بشر به عيسى، بشر برسول يأتي من بعده اسمه أحمد ـ فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر.

فأعجب النجاشي قوله، فلما رأى ذلك عمرو قال: له أصلح الله الملك أنهم يخالفونك في عيسى بن مريم، فقال النجاشي لجعفر: ما يقول صاحبك في ابن مريم؟ قال: يقول فيه قول الله هو روح الله وكلمته أخرجه من البتول العذراء لم يقربها بشر (ولم يفرضها ولد) فتناول النجاشي عوداً من الأرض فرفعه فقال يا معشر القسيسين والرهبان ما يزيد هؤلاء على ما تقولون (ما نقول) في ابن مريم ما

يزن هذه (ولا وزن هذه) مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده «إلى آخر الخبر» اهـ.
وفي تاريخ ابن كثير عن الحافظ أبي نعيم في الدلائل بسنده عن أبي موسى مثله، وزاد: وكان عمرو بن العاص رجلاً قصيراً وكان عمارة رجلاً جميلاً وكانا أقبلا في البحر فشربا ومع عمرو امرأته، فقال عمارة لعمرو: مر امرأتك فلتقبلني. فقال له عمرو: ألا تستحي؟ فأخذ عمارة عمراً فرمى به في البحر فجعل عمرو يناشد عمارة حتى أدخله السفينة، فحقد عليه عمرو في ذلك، فقال عمرو للنجاشي إنك إذا خرجت خلفك عمارة في أهلك فدعا النجاشي بعمارة إلخ. .
وهكذا رواه الحافظ البيهقي في الدلائل من طريق أبي علي الحسن بن سلام السواق عن عبيد الله بن موسى فذكر بإسناده مثله قال: وهذا إسناد صحيح اهـ.
وفي تاريخ ابن كثير عن الإمام أحمد بسنده عن ابن مسعود قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ونحن نحواً من ثمانين رجلاً وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية فلما دخلا على النجاشي سجدا له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ثم قالا له: أن نفراً من بني عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا، فبعث إليهم فقال جعفر: أنا خطيبكم اليوم، فاتبعوه فسلم ولم يسجد، فقالوا له: مالك لا تسجد للملك؟ قال: أنا لا أسجد إلا لله عز وجل. قال: وما ذاك؟ قال: إن الله بعث إلينا رسولاً ثم أمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله عز وجل وأمرنا بالصلاة والزكاة. قال عمرو: فإنهم يخالفونك في عيسى بن مريم. قال: فما تقولون في عيسى بن مريم وأمه؟ قال: نقول كما قال الله هو كلمته وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسسها بشر ولم يفرضها ولد، قال: فرفع عوداً من الأرض ثم قال: يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان، والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما ساوى هذا، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، إنزلوا حيث شئتم وأمر بهدية الآخرين فردت إليهما اهـ. وفي تاريخ ابن كثير أيضاً: وأما قصة جعفر مع النجاشي فإن الحافظ ابن عساكر رواها في ترجمة جعفر بن أبي طالب من تاريخه من رواية جعفر نفسه ومن رواية عمرو بن العاص وعلى يدهما جرى الحديث، ومن رواية ابن مسعود كما تقدم وأم سلمة كما سيأتي، فأما رواية جعفر فإنها عزيزة جداً رواها ابن عساكر بسنده

عن عبد اللّه بن جعفر عن أبيه قال: بعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية من أبي سفيان إلى النجاشي فقالوا له ـ ونحن عنده ـ: قد صار إليك ناس من سفلتنا وسفهائنا فادفعهم إلينا، قال: لا حتى أسمع كلامهم. فبعث إلينا رسولاً فآمنا به وصدقناه، فقال لهم النجاشي: أعبيد هم لكم؟ قالوا: لا. فقال: فلكم عليهم دين؟ قالوا: لا. قال: فخلوا سبيلهم، فخرجنا من عنده. فقال عمرو بن العاص: إن هؤلاء يقولون في عيسى غير ما تقول. قال: إن لم يقولوا في عيسى مثل قولي لم أدعهم في أرضي ساعة من نهار. فأرسل إلينا فكانت الدعوة الثانية أشد علينا من الأولى. قال: ما يقول صاحبكم في عيسى ابن مريم؟ قلنا: يقول هو روح الله وكلمته ألقاها إلى عذراء بتول. فقال: ادعوا لي فلان القس وفلان الراهب، فأتاه ناس منهم فقال: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ قالوا: أنت أعلمنا فما تقول؟ قال النجاشي ـ وأخذ شيئاً من الأرض ـ: ما عدا عيسى ما قال هؤلاء مثل هذا. ثم قال: أيؤذيكم أحد؟ قالوا: نعم. فنادى مناد: من آذى أحداً منهم فأغرموه أربعة دراهم. ثم قال: أيكفيكم؟ قلنا: لا. فأضعفها «الحديث». وليس لجعفر ذكر في تاريخ ابن عساكر المطبوع وهو يدل على أنه نقص منه كما ذكرناه في ترجمة جارية بن قدامة السعدي. ثم أن مضامين هذه الروايات التي ذكر فيها عمرو وعمارة موافق للتي ذكر فيها عمرو وعبد اللّه بن أبي ربيعة وهذا يدل على أن ذكر عمارة سهواً أبدل به عبد اللّه بن أبي ربيعة.

وأما إرسال قريش عمرو بن العاص إلى النجاشي ومعه عبد اللّه بن أبي ربيعة ليكيدا جعفراً وأصحابه فقد رواه ابن إسحاق وغيره قال ابن أبي الحديد: وأما خبر عمرو بن العاص في شخوصه إلى الحبشة ليكيد جعفر بن أبي طالب والمهاجرين فقد رواه كل من صنف في السيرة اهـ. ونحن ننقله من رواية ابن إسحاق وربما نقلنا من رواية غيره قال ابن إسحاق فيما حكاه ابن هشام في سيرته: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم رجلين من قريش جلدين إلى النجاشي فيردهم عليهم ليفتنوهم عن دينهم ويخرجوهم من دارهم التي اطمأنوا بها وآمنوا فيها، فبعثوا عبد اللّه بن أبي ربيعة وعمرو بن

العاص بن وائل وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقته ثم بعثوهما إليه فيهم فقال أبو طالب حين رأى ذلك من رأيهم وما بعثوا به فيهم أبياتاً للنجاشي يحضه على حسن جوارهم والدفع عنهم:

ألا ليت شعري كيف في النأي جعفر ... وعمرو وأعداء العدو الأقارب
فهل نال أفعال النجاشي جعفراً ... وأصحابه أو عاق ذلك شاغب
تعلم أبيت اللعن أنك ماجد ... كريم فلا يشقى لديك المجانب
تعلم بأن الله زادك بسطة ... وأسباب خير كلها بك لازب
وأنك فيض ذو سجال غزيرة ... ينال الأعادي نفعها والأقارب

وروى ابن إسحاق بسنده عن أم سلمة أن قريشاً ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منه جلدين وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم فجمعوا له أدماً كثيراً ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وعمرو بن العاص فأمروهما بأمرهم وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشي فيهم ثم قدما إلى النجاشي هداياه، ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم. قالت: فخرجا حتى قدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار عند خير جار فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي، وقالا لكل بطريق منهم أنه قد ضوى - أي أوى - إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم فقالوا لهما: نعم. ثم أنهما قدما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما، ثم كلماه فقالا: أيها الملك إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاؤوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم عليهم فهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما

عابوا عليهم وعاتبوهم فيه. قالت: ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشي، فقالت بطارقته حوله: صدقا أيها الملك قومهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم إليهما فليردانهم إلى بلادهم وقومهم فغضب النجاشي ثم قال لاها الله إذا لا أسلمهم إليهما ولا يكاد قوم جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم، فإن كان كما يقولون أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهم وأحسنت جوارهم ما جاوروني. ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قال جعفر: نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن. قال ابن كثير عن موسى بن عقبة: فلما دخلوا عليه سلموا ولم يسجدوا له. فقال: أيها الرهط ألا تحدثوني مالكم لا تحيونني كما يحييني من أتانا من قومكم فأخبروني ماذا تقولون في عيسى؟ وما دينكم؟ أنصارى أنتم؟ قالوا لا. قال: أفيهود أنتم؟ قالوا: لا. قال: فعلى دين قومكم؟ قالوا: لا قال: فما دينكم؟ قالوا: الإسلام، قال: فما الإسلام؟ فوصفوه له. قال جعفر: وأما التحية فإن رسول الله ﷺ أخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام وأمرنا بذلك فحييناك بالذي يحيي به بعضنا بعضاً. وأما عيسى ابن مريم فعبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وابن العذراء البتول، فأخذ عوداً وقال: والله ما زاد ابن مريم على هذا وزن هذا العود. فقال عظماء الحبشة: والله لئن سمعت الحبشة لتخلعنك. فقال: والله لا أقول في عيسى غير هذا أبداً وما أطاع الله الناس في حين رد علي ملكي فأطيع الناس في دين الله معاذ الله من ذلك. وقال ابن إسحاق في روايته: فلما جاؤوا ـ وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله ـ سألهم فقال لهم: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا دين أحد من هذه الملل؟ فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب فقال له: أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع

الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة وكل ما يعرف من السيئات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام والصدقة وكل ما يعرف من الأخلاق الحسنة ـ فعدد عليه أمور الإسلام ـ وتلا شيئاً لا يشبهه شيء فصدقناه وآمنا به واتبعناه، وعرفنا أن ما جاء به هو الحق من عند الله فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا فعدا، علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك. فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي: فاقرأ علي، فقرأ عليه صدراً من «كهيعص» قالت أم سلمة: فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكى أساقفته حتى اخضلت لحاهم ومصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما ولا يكادون. قالت: فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص: والله لآتينه غداً بما أستأصل به خضراءهم. فقال له عبد اللّه بن أبي ربيعة ـ وكان أتقى الرجلين فينا ـ لا تفعل فإن لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالفونا، قال والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد. ثم غدا عليه الغد فقال: أيها الملك إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه، فأرسل إليهم ليسألهم عنه قالت أم سلمة: ولم ينزل بنا مثلها قط، فاجتمع القوم ثم قال بعضهم لبعض ماذا تقولون في عيسى ابن مريم إذا سألكم

عنه، فقال جعفر: نقول والله فيه ما قال الله عز وجل وما جاءنا به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن، فلما دخلوا عليه قال لهم: ماذا تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا هو عبد اللّه ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فضرب النجاشي بيده إلى الأرض فأخذ منها عوداً بين إصبعيه ثم قال والله ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العويد، فتناخرت بطارقته حوله حين قال جعفر ما قال، فقال: وإن نخرتم والله. وقال للمسلمين: اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي ـ والسيوم الآمنون ـ من سبكم غرم. من سبكم غرم. من سبكم غرم. ما أحب أن لي دبراً أو دبراً من ذهب قال ابن هشام ويقال زبرا ـ وإني آذيت رجلاً منكم ـ والزبر بلسانهم الذهب والدبر بلسان الحبشة الجبل ـ ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي فآخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه وليخرجا من بلادي. قالت: فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار. فوالله إنا لعلى ذلك إذ نزل به رجل الحبشة ينازعه في ملكه، فوالله ما علمتنا حزنا حزناً قط كان أشد من حزن حزناه عند ذلك تخوفاً أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه. قالت: فدعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوه والتمكين له في بلاده. وأرسل المسلمون الزبير ليأتيهم بخبره، فظفر النجاشي بعدوه فوالله ما علمتنا فرحنا فرحة قط مثلها.

وقال ابن أبي الجديد: روي عن أبي عبد اللّه جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: لقد كاد عمرو بن العاص عمنا جعفراً بأرض الحبشة عند النجاشي وعند كثير من رعيته بأنواع الكيد فردها الله تعالى عنه بلطفه «إلى أن قال»: وما زال ابن الجزار عدواً لنا أهل البيت اهـ.

وفي الدرجات الرفيعة عن جابر: لما قدم جعفر من أرض الخبشة أعطاه رسول الله ﷺ وامرأته أسماء بنت عميس من غنائم خيبر وقال أشبهت خلقي وخلقي اهـ.

مقتلـــه

قتل جعفر (ع) شهيداً في غزوة مؤتة وكانت في جمادى الأولى سنة ٨ من الهجرة (ومؤتة) بضم الميم وهمزة ساكنة ومثناة فوقية ويقال موتة بسكون الواو وحذف الهمزة موضع معروف عند الكرك بأدنى البلقاء. وكان سببها فيما رواه الواقدي أن رسول الله ﷺ بعث الحارث بن عمير الأزدي سنة ٨ إلى ملك بصرى بكتاب فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقال: أين تريد؟ قال: الشام. قال: لعلك من رسل محمد؟ قال: نعم. فأمر به فأوثق رباطاً ثم قدمه فضرب عنقه. ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره، فبلغ ذلك رسول الله فاشتد عليه وندب الناس وأخبرهم بمقتل الحارث فأسرعوا وخرجوا وعسكروا بالجرف فأمر عليهم جعفر بن أبي طالب فإن قتل فزيد بن حارثة فإن قتل فعبد اللّه بن رواحة، هذا في رواية أبان بن عثمان عن الصادق (ع) ويدل عليه شعر حسان بن ثابت وشعر كعب بن مالك الآتيين من رثاء جعفر وأصحابه حيث يقول حسان:

غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم ... إلى الموت ميمون النقيبة أزهر

أغر كضوء البدر من آل هاشم ... أبي إذا سيم الظلامة أصعر

ويقول كعب:

إذ يهتدون بجعفر ولوائه ... قدام أولهم ونعم الأول

والاعتبار يقتضي ذلك، فلم يكن رسول الله ﷺ ليؤمر عليهم غير جعفر مع كفاءته وكونه أهلاً للإمارة وتفوقه على الآخرين في الشجاعة والإخلاص كما يدل عليه ما في الاستيعاب قال: ذكر عبد الرزاق عن ابن عيينة عن ابن جدعان عن سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ قال: مثل لي جعفر وزيد وابن رواحة في خيمة من در كل واحد منهم على سرير فرأيت زيداً وابن رواحة في أعناقهما صدوداً ورأيت جعفراً مستقيماً ليس فيه صدود قال فسألت أو قيل لي أنهما حين غشيهما الموت أعرضا أو كأنهما صدا بوجوههما، وأما جعفر فإنه لم يفعل اهـ.

ومع ذلك فيقول ابن أبي الحديد: اتفق المحدثون على أن زيد بن حارثة كان هو الأمير الأول فإن قتل فجعفر فإن قتل فعبد اللّه، قال: وأنكرت الشيعة ذلك وقالوا كان جعفر بن أبي طالب هو الأمير الأول فإن قتل فزيد فإن قتل فعبد اللّه ورووا في ذلك روايات وقد وجدت في الأشعار التي ذكرها محمد بن إسحاق في كتاب المغازي ما يشهد لقولهم ثم ذكر قصيدة حسان وأبيات كعب الآتية.

أقول: يوشك أن يكون رواية أن الأمير الأول كان زيد بن حارثة سببها كان العداوة لأمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام فلم يشأ أعداؤه أن يتركوا له شيئاً مما يمكنهم دفعه إلا دفعوه وأنكروه وبذلوا الأموال لمن يروي لهم ذلك كما أنكروا إسلام أبي طالب ورووا فيه الأحاديث وجاء من بعدهم فرأى هذه الأحاديث فأودعها في الصحاح وقبلها الناس لظنهم صدقها مع أنها مصادمة للضرورة، قال الواقدي: ودفع اللواء إلى أميرهم وهو لواء أبيض ومشى الناس إلى جعفر وأصحابه يودعونهم وكانوا ثلاثة آلاف. وروى الواقدي بسنده أن رسول الله ﷺ خرج مشيعاً لأهل مؤتة حتى بلغ ثنية الوداع وأنه خطبهم وأوصاهم فقال: أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيراً اغزوا بسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله لا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليداً وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث فأيتهن أجابوك إليها فاقبل منهم واكفف عنهم. أدعهم إلى الدخول في الإسلام فإن فعلوا فاقبل واكفف ثم ادعهم إلى التحول عن دارهم إلى دار المهاجرين فإن فعلوا فاخبرهم أن لهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين وإن دخلوا في الإسلام واختاروا دارهم فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله ولا يكون لهم في الفيء ولا في الغنيمة شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين فإن أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية فإن فعلوا فاقبل منهم واكفف عنهم فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم. وأوصاه إذا طلبوا أن تستنزلوا لهم على حكم الله فلا تفعل بل تستنزلهم على حكمك فلعلك لا تصيب حكم الله. وإن أرادوا أن تجعل لهم ذمة الله وذمة رسوله فلا تفعل ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أبيك وأصحابك فإنكم إن تخفروا

ذممكم خير لكم من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله. وقال: إنكم ستجدون رجالاً في الصوامع معتزلين الناس فلا تعرضوا لهم ولا تقتلن امرأة ولا صغيراً ولا كبيراً فانياً ولا تقطعن نخلاً ولا شجراً ولا تهدمن بناء. قال الواقدي: ومضى المسلمون فنزلوا وادي القرى وأقاموا به أياماً وساروا حتى نزلوا بمؤتة، وبلغهم أن هرقل ملك الروم قد نزل ماء من مياه البلقاء[1] في بكر وبهراء ولخم وجذام وغيرهم مائة ألف مقاتل وعليهم رجل من بلى. قال ابن إسحاق: في مائة ألف من الروم وانضم إليهم مائة ألف من العرب عليهم رجل من بلى يقال له مالك فأقام المسلمون ليلتين ينظرون في أمرهم وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره الخبر فإما أن يردنا أو يزيدنا. فشجعهم عبد اللّه بن رواحة وقال: والله ما كنا نقاتل الناس بكثرة عدة ولا كثرة سلاح ولا كثرة خيل إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، انطلقوا فقاتلوا فقد والله رأيتنا يوم بدر وما معنا إلا فرسان إنما هي إحدى الحسنيين أما الظهور عليهم فذاك ما وعدنا الله ورسوله وليس لوعده خلف وإما الشهادة. فشجع الناس على قوله. قال ابن إسحاق: ثم مضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف، ثم دنا العدو وإنحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة فالتقى الناس عندها، قال ابن إسحاق وأبو الفرج في مقاتل الطالبيين: وتعبأ المسلمون فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من عذرة يقال له قطبة بن قتادة وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له عبادة أو عباية بن مالك. قال ابن إسحاق: ثم التقى الناس فاقتتلوا وأخذ اللواء جعفر بن أبي طالب وقاتل قتالاً شديداً حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها أو عرقبها فكان أول رجل عقر فرسه في الإسلام ثم قاتل وهو يقول:

يا حبذا الجنة واقترابها ... طيبة وبارد شرابها

والروم روم قد دنا عذابها ... كافرة بعيدة أنسابها

علي إذ لاقيتها ضرابها

---

(١) في تاريخ ابن كثير نزل مآب من أرض البلقاء.

وفي عمدة الطالب: لما رأى جعفر الحرب قد اشتدت والروم قد غلبت اقتحم عن فرس له أشقر ثم عقره، وهو أول من عقر في الإسلام، وقاتل حتى قطعت يده اليمنى فأخذ الراية بيده اليسرى وقاتل إلى أن قطعت اليسرى أيضاً فاعتنق الراية وضمها إلى صدره حتى قتل.

قال ابن إسحاق: وقاتل زيد حتى قتل طعناً بالرماح وقاتل عبد اللّه بن رواحة حتى قتل وانهزم المسلمون أسوأ هزيمة وتراجعوا فأخذ اللواء ثابت بن أرقم ثم أعطاه خالد بن الوليد فحمل به ساعة وجعل المشركون يحملون عليه حتى دهمه منهم بشر كثير فانحاز بالمسلمين وانكشفوا راجعين، قال الواقدي: وقد روي أن خالداً ثبت والصحيح أنه انهزم بالناس حتى عيروا بالفرار وتشاءم الناس به فلما سمع أهل المدينة بهم تلقوهم بالجرف فجعلوا يحثون في وجوههم التراب ويقولون: يا فرار أفررتم في سبيل الله، حتى أن الرجل ينصرف إلى بيته وأهله فيدق عليهم فيأبون أن يفتحوا له. وجلس الكبراء في بيوتهم استحياء من الناس. فقال رسول الله ﷺ: ليسوا بالفرار ولكنهم كرار إن شاء الله اهـ. وروى الواقدي بسنده عن أسماء بنت عميس قالت: أصبحت في اليوم الذي أصيب فيه جعفر وأصحابه فأتاني رسول الله ﷺ وقد منأت (أي دبغت) أربعين مناً من ادم وعجنت عجيني وأخذت بني فغسلت وجوههم ودهنتهم فدخلت على رسول الله ﷺ فقال: يا أسماء أين بنو جعفر؟ فجئت بهم إليه فضمهم وشمهم ثم ذرفت عيناه فبكى، فقلت: يا رسول الله لعله بلغك عن جعفر شيء، قال: نعم، إنه قتل اليوم فقمت أصيح. واجتمع إلى النساء، فجعل رسول الله ﷺ يقول: يا أسماء لا تقولي هجراً ولا تضربي صدراً. ثم خرج حتى دخل على ابنته فاطمة وهي تقول: واعماه، فقال: على مثل جعفر فلتبك الباكية. ثم قال: اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد شغلوا بأنفسهم اليوم. وروى الواقدي بسنده عن عبد اللّه بن جعفر أنه قال: أنا أحفظ حين دخل النبي ﷺ على أمي فنعى إليها أبي، فأنظر إليه وهو يمسح على رأسي ورأس أخي وعيناه

تهرقان بالدمع حتى قطرت لحيته ثم قال: اللهم إن جعفراً قدم إلى أحسن الثواب فاخلفه في ذريته بأحسن ما خلفت أحداً من عبادك في ذريته، ثم قال: يا أسماء ألا أبشرك، قالت: بلى بأبي وأمي. قال: فإن الله جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة قالت: بأبي وأمي فاعلم الناس ذلك، فقام رسول الله ﷺ وأخذ بيدي يمسح بيده رأسي حتى رقى على المنبر وأجلسني أمامه على الدرجة السفلى وإن الحزن ليعرف عليه فتكلم فقال: إن المرء كبير بأخيه وابن عمه ألا إن جعفراً قد استشهد وقد جعل الله له جناحين يطير بهما في الجنة. ثم نزل فدخل بيته وأدخلني وأمر بطعام فصنع لنا وأرسل إلى أخي فتغدينا عنده غداء طيباً، عمدت سلمى خادمته إلى شعير فطحنته ثم نشفته ثم أنضجته وآدمته بزيت وجعلت عليه فلفلاً فتغديت أنا وأخي معه وأقمنا عنده ثلاثة أيام ندور معه في بيوت نسائه ثم أرجعنا إلى بيتنا. وأتاني رسول الله ﷺ بعد ذلك وأنا أساوم في شاة فقال: اللهم بارك له في صفقته فوالله ما بعت شيئاً ولا اشتريت إلا بورك فيه اهـ. وفي عمدة الطالب: حزن رسول الله ﷺ لقتل جعفر حزناً شديداً، اهـ. وفي الطبقات الكبير لابن سعد بسنده عن عبد اللّه بن جعفر في حديث رسول الله ﷺ لما استشهد جعفر أمهل آل جعفر ثلاثاً أن يأتيهم ثم أتاهم فقال لا تبكوا على أخي بعد اليوم ثم قال: ائتوني ببني أخي فجيء بنا كأنا أفراخ فقال: ادعوا لي الحلاق فدعي فحلق رؤوسنا وقال: أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب وأما عبد اللّه ـ وفي كتاب ابن معروف موضع عبد اللّه عون ـ فشبيه خلقي وخلقي ثم أخذ بيده فأشالها وقال: اللهم اخلف جعفراً في أهله وبارك لعبد اللّه في صفقة يمينه ثلاث مرات، ثم جاءت أمنا فذكرت يتمنا، فقال: العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة؟ (اهـ) وفيه بسنده عن عامر قال النبي ﷺ لما قتل جعفر: اللهم اخلف جعفراً في أهله خير ما خلفت أو كأفضل ما خلفت عبداً من عبادك الصالحين. وفي رواية: اللهم إن جعفراً قد قدم إليك إلى أحسن الثواب فاخلفه في ذريته بخير ما خلفت عبداً من عبادك الصالحين.

وقد ذكرنا في ترجمة أسماء أنها تزوجت بعد جعفر بأبي بكر وبعد أبي بكر

بعلي بن أبي طالب وفاتنا أن ننبه هناك على دقيقة وهي أنه لم يتزوجها علي بعد شهادة أخيه جعفر وأولاد أخيه أولاده وذلك أن فاطمة الزهراء كانت يومئذٍ حية فلم يكن ليتزوج في حياتها فلما توفي أبو بكر كانت فاطمة قد توفيت فتزوج أسماء.

ما روي في فضل جعفر

في شرح النهج لابن أبي الحديد وقد روي في الحديث عن النبي ﷺ: سادة أهل المحشر سادة أهل الدنيا أنا وعلي وحسن وحسين وحمزة وجعفر. وفي مقاتل الطالبيين بسنده عن أبي سعيد الخدري: قال رسول الله ﷺ خير الناس حمزة وجعفر وعلي صلوات الله عليهم أجمعين، اهـ. وفي مقاتل الطالبيين بسنده عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام قال رسول الله ﷺ: خلق الناس من أشجار شتى وخلقت أنا وجعفر من طينة واحدة. وبسنده عن عبد اللّه بن معاوية بن عبد اللّه بن جعفر عن أبيه عن جده قال: خرج رسول الله ﷺ وهو يقول: الناس من شجر شتى وأنا وجعفر من شجرة واحدة. (وبسنده) عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام قال رسول الله ﷺ لجعفر: أشبهت خلقي وخلقي اهـ. (وبسنده) عن علي (ع) أن رسول الله ﷺ قال لجعفر بن أبي طالب: أشبهت خلقي وخلقي (وفي رواية) إنك شبيه خلقي وخلقي (وعن الزمخشري) في ربيع الأبرار: كان جعفر أشبه الناس برسول الله ﷺ خلقاً وخلقاً وكان الرجل يرى جعفر فيقول: السلام عليك يا رسول الله يظنه إياه فيقول: لست برسول الله أنا جعفر اهـ.

وفي الدرجات الرفيعة: روي عن علي بن يونس المدني قال: كنت عند مالك فإذا سفيان بن عيينة بالباب يستأذن فقال مالك رجل صاحب سنة ادخلوه فدخل فقال: السلام عليكم ورحمة الله فردوا عليه السلام. ثم قال: سلامنا خاص وعام ثم قال: السلام عليك يا أبا عبد اللّه ورحمة الله وبركاته قال مالك: وعليك السلام يا أبا محمد ورحمة الله وبركاته فصافحه مالك ثم قال: يا أبا

محمد لولا أنها بدعة لعانقناك، فقال سفيان بن عيينة: عانق خير منك ومنا النبي ﷺ فقال مالك: جعفراً؟ قال: نعم ذاك حديث وما يخصه يخصنا فتأذن لي أن أحدث في مجلسك قال: نعم يا أبا محمد قال: حدثني عبد الله بن طاوس عن أبيه عن عبد الله بن عباس قال لما قدم جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة اعتنقه النبي ﷺ وقبل بين عينيه وقال: جعفر أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً يا جعفر ما أعجب ما رأيت بأرض الحبشة؟ قال يا رسول الله بينا أنا أمشي بين أزقتها إذا سوداء على رأسها مكتل فيه بر فصدمها رجل على دابته فوقع مكتلها وتنثر برها وأقبلت تجمعه من التراب وهي تقول: ويل للظالم من ديان يوم الدين، ويل للظالم من المظلوم يوم القيامة، ويل للظالم إذا وضع الكرسي للفصل يوم القيامة. فقال النبي ﷺ: لا يقدس الله أمة لا يأخذ ضعيفها من قويها حقه غير متعتع اهـ. ومما ورد في فضل جعفر الحديث المروي عن أبي هريرة وألفاظه مختلفة. وقد رواه كل من ذكر أحوال جعفر. ففي مقاتل الطالبيين بسنده عن عكرمة عن أبي هريرة قال: ما ركب المطايا ولا الكور ولا انتعل ولا احتذى النعال أحد بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبي طالب (ع) وروى ابن سعد في الطبقات والحاكم في المستدرك بإسنادهما عن عكرمة عن أبي هريرة: ما احتذى النعال ولا انتعل ولا ركب المطايا ولا لبس الكور بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبي طالب. قال الحاكم في المستدرك صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه اهـ. في الطبقات: ولا لبس الكور، وفي المستدرك ولا ركب الكور وروى أحمد بن جنبل بسنده عن عكرمة عن أبي هريرة: ما احتذى النعال ولا انتعل ولا ركب المطايا ولا لبس الثياب من رجل بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبي طالب. قال ابن كثير بعد نقله: وهذا إسناد جيد إلى أبي هريرة اهـ. وفي الاستيعاب بسنده عن أبي هريرة: ما احتذى النعال ولا ركب المطايا ولا وطىء التراب بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبي طالب اهـ. وهذا المتن الذي حكاه صاحب الاستيعاب أصحها لفظاً والباقي لا يخلو من تكرير. قال ابن كثير في تاريخه بعد نقل رواية أحمد بن حنبل: وكأنه إنما

يفضله في الكرم فأما في الفضيلة الدينية فمعلوم أن فلاناً وفلاناً بل وعثمان أفضل منه وأما أخوه علي فالظاهر أنهما متكافئان أو علي أفضل منه وإنما أراد أبو هريرة تفضيله في الكرم بدليل ما رواه البخاري ثم ذكر الحديث المتقدم عن البخاري الذي في آخره وكان خير الناس للمساكين جعفر الخ.

(أقول): فضل جعفر أظهر من الشمس لا يحتاج فيه إلى شهادة أبي هريرة وأمثاله وكفاه قول رسول الله ﷺ: أشبهت خلقي وخلقي. وقد هاجر الهجرتين وكانت له في هجرة الحبشة المقامات المشهودة وثباته يوم مؤتة مقابل مائتي ألف من الروم والعرب حتى قطعت يداه ولم يترك الراية وحتى جرح ما يزيد على تسعين جراحة في مقدم بدنه فأي شهادة تعدل شهادته وأي جهاد يماثل جهاده؟ وأفضل الأعمال بعد الإيمان الجهاد في سبيل الله. وكيف يفضل عليه من لم يسمع له أثر في جهاد أو من فر يوم أحد ورجع بعد ثلاث. أما عدم مساواته لعلي (ع) في الفضل فلا يحتاج إلى بيان حتى يستظهر ابن كثير المساواة ثم يتردد وما حمله على ذلك إلا جهله أو تجاهله بمقام علي (ع) ومنزلته، وأما فلسفته الباردة ومنطقه المعكوس بأن أبا هريرة إنما فضله في الكرم فلا يساعده لفظ ولو أراد ذلك أبو هريرة لقال أكرم بدل أفضل، أما جعله حديث لعق العكة شاهداً فلا شاهد فيه لأن كونه خير الناس للمساكين لا ينافي كونه أفضل الناس فيما سوى الكرم. إنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور، وروى الحاكم في المستدرك في حديث قصة بنت حمزة بسنده قال رسول الله ﷺ: أما أنت يا جعفر فأشبهت خلقي وخلقي وأنت من شجرتي التي أنا منها. قال: قد رضيت يا رسول الله بذلك. فكان أبو هريرة يقول: ما أظلت الخضراء على وجه أحب إلي بعد رسول الله ﷺ من جعفر بن أبي طالب لقول رسول الله ﷺ أشبهت خلقي وخلقي، هذا الحديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه اهـ.

وفي شرح النهج لابن أبي الحديد: قد روى كثير من المحدثين أن أمير المؤمنين (ع) عقيب يوم السقيفة تألم وتظلم واستنجد واستصرخ حيث ساموه

الحضور والبيعة وأنه قال وهو يشير إلى القبر: يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني، وأنه قال: واجعفراه ولا جفعر لي اليوم واحمزتاه ولا حمزة لي اليوم. وفي شرح النهج أيضاً حكاية عن النقيب أبي جعفر يحيى بن محمد بن أبي زيد العلوي نقيب البصرة في أثناء كلام له قال: وقد كانت لجعفر خصائص ومناقب كثيرة، وقد قال فيه النبي ﷺ: أشبهت خلقي وخلقي فحجل فرحاً، ثم قال لزيد: أنت مولانا وصاحبنا فحجل أيضاً، ثم قال لعلي: أنت أخي وخالصتي قالوا فلم يحجل، قالوا: كأن ترادف التعظيم له وتكرره عليه لم يجعل عنده للقول ذلك الموضع وكان غيره إذا عظم عظم نادراً فيحسن موقعه عنده، واختلف الناس في أي المدحتين أعظم اهـ.

وفي الاستيعاب روى عن الشعبي قال: سمعت عبد اللّه بن جعفر يقول: كنت إذا سألت عمي علياً (ع) شيئاً ويمنعني أقول له بحق جعفر فيعطيني اهـ.

مراثيــــه

في مقاتل الطالبين بسنده عن محمد بن إسحاق أن كعب بن مالك الأنصاري قال يرثي جعفر بن أبي طالب ومن استشهد معه، وزيد فيها في شرح النهج ثلاثة أبيات نقلاً عن محمد بن إسحاق في كتاب المغازي:

هدت العيون ودمع عينك يهمل	متحاكما وكف الرباب المخضل
وكأنما بين الجوانح والحشا	مما تأوبني شهاب مدخل
وجدا على النفر الذين تتابعوا	قتلاً بمؤتة أسندوا لم ينبقلوا
صلى الإلٰه عليهم من فتية	وسقى عظامهم الغمام المسبل
صبروا بمؤتة للإلٰه نفوسهم	عند الحمام حفيظة أن ينكلوا
ساروا أمام المسلمين كأنهم	طود يقودهم الهزبر المشبل
إذ يهتدون بجعفر ولوائه	قدام أولهم ونعم الأول
حتى تقوضت الصفوف وجعفر	حيث التقى جمع الغواة مجدل
فتغير القمر المنير لفقده	والشمس قد كسفت وكادت تأفل

قوم علا بنيانهم من هاشم | فرع أشم وسودد متأثل
قوم بهم نظر الإله لخلقه | وبجدهم نصر النبي المرسل
قوم بهم عصم الإله عباده | وعليهم نزل الكتاب المنزل
بيض الوجوه ترى بطون أكفهم | تندى إذا اعتذر الزمان الممحل
فضلوا المعاشر عفة وتكرما | وتغمدت أخلاقهم من يجهل

وقال حسان بن ثابت فيما حكاه في شرح النهج عن محمد بن إسحاق في المغازي يرثي جعفراً وصاحبيه:

تأوبني ليل بيثرب أعسر | وهم إذا ما نوم الناس مسهر
لذكرى حبيب هيجت لي عبرة | سفوحاً وأسباب البكاء التذكر
فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا | بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر
وزيد وعبد اللّه حين تتابعوا | جميعاً وأسياف المنية تقطر
غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم | إلى الموت ميمون النقيبة أزهر
أغر كضوء البدر من آل هاشم | أبي إذا سيم الظلامة أصعر
فطاعن حتى مال غير موسد | بمعترك فيه القنا متكسر
فصار مع المستشهدين ثوابه | جنان وملتف الحدايق أخضر
وكنا نرى في جعفر من محمد | وقاراً وأمراً حازماً حين يأمر
وما زال في الإسلام من آل هاشم | دعائم صدق لا ترام ومفخر
هم جبل الإسلام والناس حولهم | رضام إلى طود يطول ويقهر
بهاليل منهم جعفر وابن أمه | علي ومنهم أحمد المتخير
وحمزة والعباس منهم ومنهم | عقيل وماء العود من حيث يعصر
بهم تفرج الغماء من كل مأزق | غماس إذا ما ضاق بالناس مصدر
هم أولياء الله أنزل حكمه | عليهم وفيهم والكتاب المطهر

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)

هو علي بن أبي طالب (واسمه عبد مناف) بن عبد المطلب (واسمه شيبة الحمد) بن هاشم (واسمه عمرو) بن عبد مناف (واسمه المغيرة) بن قصي بن كلاب بن مرة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

مولـــده

ولد يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب على قول الأكثر، وفي الفصول المهمة: ليلة الأحد الثالث والعشرين منه، وفي رواية: يوم الأحد سابع شعبان بعد عام الفيل بثلاثين سنة وقيل بتسع وعشرين بعد مولد النبي ﷺ بثلاثين سنة وقيل: بثمان وعشرين، قبل النبوة باثنتي عشرة سنة وقيل: بعشر سنين وهو الذي صححه في الإصابة، قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة وقيل بخمس وعشرين. وكانت ولادته بمكة المكرمة في الكعبة المشرفة كما في الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ومروج الذهب للمسعودي وإرشاد المفيد والسيرة الحلبية لعلي بن برهان الدين الحلبي الشافعي. قال الأخير: وفي سنة ثلاثين من مولده ﷺ ولد علي بن أبي طالب في الكعبة. قال المفيد في الإرشاد: ولم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله سواه إكراماً من الله جل اسمه له بذلك وإجلالاً

لمحله في التعظيم (اهـ). وقال الألوسي في شرح عينية عبد الباقي: وكون الأمير كرم الله وجهه ولد في البيت أمر مشهور في الدنيا وذكر في كتب الفريقين السنة والشيعة (اهـ) وفي ذلك يقول السيد الحميري:

ولدته في حرم الإله وأمنه ... والبيت حيث فناؤه والمسجد

بيضاء طاهرة الثياب كريمة ... طابت وطاب وليدها والمولد

ما لف في خرق القوابل مثله ... إلا ابن آمنة النبي محمد

ويقول عبد الباقي العمري في عينيته المشهورة:

أنت العلي الذي فوق العلى رفعا ... ببطن مكة وسط البيت إذ وضعا

ويقول المؤلف من قصيدة:

ولدت ببيت اللّه وهي فضيلة ... خصصت بها إذ فيك أمثالها كثر

ويقال إنه لما ولد سمته أمه حيدرة باسم أبيها أسد بن هاشم لأن حيدرة من أسماء الأسد فلما جاء أبوه سماه علياً

وقال علي عليه السلام يوم خيبر:

أنا الذي سمتني أمي حيدره ... كليث غابات شديد قسوره

وفي ذلك يقول المؤلف من قصيدة:

فسمتك بنت الليث أمك حيدرا ... فما أخطأت فيك الفراسة والحزر

علي به سماك أكرم والد ... رجاء لأن يعلو لك الصيت والذكر

أبوه

اسمه عبد مناف كما مر وأبو طالب كنيته كني بأكبر أولاده، ويدل على أن اسم أبي طالب عبد مناف أن أباه عبد المطلب لما أوصاه بالنبي ﷺ قال:

أوصيك يا عبد مناف بعدي ... بموحد بعد أبيه فرد

وقال:

وصيت من كنيته بطالب ... عبد مناف وهو ذو تجارب
بابن الحبيب أكرم الأقارب ... بابن الذي قد غاب غير آئب

وهو أخو عبد اللّه أبي النبي ﷺ لأمه وأبيه وإلى ذلك يشير أبو طالب بقوله في الأبيات الآتية (أخي لأمي من بينهم وأبي). وأبو طالب هو الذي كفل رسول الله ﷺ صغيراً وقام بنصره وحامى عنه وذب عنه وحاطه كبيراً وتحمل الأذى في سبيله من مشركي قريش ومنعه منهم ولقي لأجله عناء عظيماً وقاسى بلاء شديداً وصبر على نصره والقيام بأمره حتى إن قريشاً لم تطمع في رسول الله ﷺ وكانت كاعة عنه حتى توفي أبو طالب، ولم يؤمر بالهجرة إلا بعد وفاته. وكان أبو طالب مسلماً لا يجاهر بإسلامه ولو جاهر لم يمكنه ما أمكنه من نصر رسول الله ﷺ على أنه قد جاهر بالإقرار بصحة نبوته في شعره مراراً مثل قوله:

ودعوتني وعلمت أنك صادق ... ولقد صدقت وكنت قبل أمينا
ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا

وقوله الذي مدحه فيه بما لا ينطق به غير مسلم فقال:

كذبتم وبيت اللّه نخلي محمدا ... ولما نطاعن دونه ونناضل
وننصره حتى نصرع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل
تلوذ به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنده في نعمة وفواضل
وميزان حق لا يخيس شعيرة ... ووزان صدق وزنه غير عائل
ألم تعلموا أن ابننا لا مكذب ... لدينا ولا يعيا بقول الأباطل

وقوله:

لقد أكرم اللّه النبي محمدا ... فأكرم خلق اللّه في الناس أحمد
وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

وقوله:

وظلم نبي جاء يدعو إلى الهدى ... وأمر أتى من عند ذي العرش قيم

وقوله:

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبياً كموسى خط في محكم الكتب

وقوله:

نبي أتاه الوحي من عند ربه فمن قال لا يقرع بها سن نادم

وقوله:

أو تؤمنوا بكتاب منزل عجب على نبي كموسى أو كذي النون

وقوله:

نصرت الرسول رسول المليك بيض تلالا كلمع البروق
أذب وأحمي رسول الإله حماية حام عليه شفيق

وقوله لما ذهب عمرو بن العاص إلى النجاشي ليكيد جعفراً وأصحابه:

ألا ليت شعري كيف في الناس جعفر وعمرو وأعداء النبي الأقارب

وروى الصدوق في الأمالي بسنده عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: أول جماعة كانت أن رسول الله ﷺ كان يصلي وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب معه إذ مر به أبو طالب وجعفر معه قال: يا بني صل جناح ابن عمك. فلما أحسه رسول الله ﷺ تقدمهما وانصرف أبو طالب مسروراً وهو يقول:

إن علياً وجعفراً ثقتي عند ملم الزمان والكرب
والله لا أخذل النبي ولا يخذله من بني ذو حسب
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما أخي لأمي من بينهم وأبي

فكانت أول جماعة جمعت وذكره أبو هلال العسكري أيضاً في كتاب الأوائل. وروي عن علي عليه السلام أنه قال: قال لي أبي يا بني الزم ابن عمك فإنك تسلم به من كل بأس عاجل وآجل ثم قال لي:

إن الوثيقة في لزوم محمد فاشدد بصحبته علي يديكا

وقال أبو طالب يخاطب أخاه حمزة حين أسلم من أبيات:

صبراً أبا يعلى على دين أحمد وكن مظهراً للدين وفقت صابرا

ومن شعر أبي طالب المشهور قوله من أبيات:

أنت النبي محمد قرم أغر مسود

إلى غير ذلك مما يطول الكلام باستقصائه. ومع ذلك فلا يزال بعض من لا يروق لهم أن يضف إلى علي عليه السلام شيء من المحاسن حتى بإسلام أبيه يصرون على أنه مات كافراً لروايات رويت في عصر الملك العضوض. وفي أبي طالب يقول المؤلف من قصيدة:

أبوه حمى دين النبي وحاطه ولولاه لم يصبح لراياته نشر
وإسلامه أخفى وأجهر تارة بإسلامه من حيث أمكنه الجهر
لمن خير أديان الورى دين أحمد علمت الذي جاءت به الرسل والنذر
ليمكنه نصر النبي ولو غدا به جاهراً ما كان يمكنه النصر
دعا جعفراً كن لابن عمك واصلاً جناحاً إذا ما صلى الظهر والعصر

أمه

فاطمة بنت أسد بن هاشم. في الأغاني: هي أول هاشمية تزوجها هاشمي وهي أم سائر ولد أبي طالب «اهـ». وكانت لرسول الله ﷺ بمنزلة الأم ربي في حجرها وكان شاكراً لبرها وكان يسميها أمي وكانت تفضله على أولادها في البر، كان أولادها يصبحون شعثاً رمصاً ويصبح رسول الله ﷺ كحيلاً دهيناً. روى الحاكم في المستدرك بسنده أنها كانت بمحل عظيم من الإيمان في عهد رسول الله ﷺ «اهـ» سبقت إلى الإسلام وهاجرت إلى المدينة ولما توفيت كفنها رسول الله ﷺ في قميصه وأمر من يحفر قبرها فلما بلغوا لحدها حفره بيده واضطجع فيه وقال: اللهم أغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها، فقيل: يا رسول الله رأيناك صنعت شيئاً لم تكن تصنعه بأحد قبلها، فقال: ألبستها قميصي لتلبس من ثياب الجنة، أو قال: هو أمان لها يوم القيامة، أو قال: ليدرأ عنها هوام الأرض واضطجعت في قبرها ليوسعه الله عليها

وتأمن ضغطة القبر. إنها كانت من أحسن خلق الله صنعاً إلي بعد أبي طالب. وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن سعيد بن المسيب عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد كفنها رسول الله ﷺ في قميصه وصلى عليها وكبر عليها سبعين تكبيرة[1] ونزل في قبرها فجعل يومي في نواحي القبر كأنه يوسعه ويسوي عليها وخرج من قبرها وعيناه تذرفان وجثا في قبرها. فقال له عمر بن الخطاب: يا رسول الله رأيتك فعلت على هذه المرأة شيئاً لم تفعله على أحد فقال له: إن هذه المرأة كانت أمي بعد أمي التي ولدتني، إن أبا طالب كان يصنع الصنيع وتكون له المأدبة وكان يجمعنا على طعامه فكانت هذه المرأة تفضل منه كله نصيبنا فأعود فيه «اهـ». ولدت طالباً، خرج يوم بدر مع المشركين كارهاً ولم يعرف له خبر ولا عقب له وعقيلاً وجعفراً وعلياً وكل واحد أسن من الآخر بعشر سنين وأم هانىء واسمها فاختة، وهو وإخوته أول هاشمي ولد من هاشميين. وفي ذلك يقول المؤلف من قصيدة:

لـه فـاطـم أم وكـانـت لأحـمـد	ببـر وإشـفـاق هـي الأم والـظـئـر
فـيـغـدو دهـيـنـاً عـنـدهـا مـتـكـحـلاً	وأولادهـا شـعـث شـعـورهـم غـبـر
بـه آمـنـت فـي مـكـة ثـم هـاجـرت	إلـى يـثـرب مـا شـاب إيـمـانـهـا نـكـر
وكـفـنـهـا خـيـر الـورى فـي قـمـيـصـه	وفـي قـبـرهـا قـد نـام مـذ حـفـر الـقـبـر
ولـقـنـهـا الـقـول الـسـديـد الـذي بـه	لدى الحشر تنجو حين يجمعها الحشر
لـخـيـر أب يـنـمـى وأكـرم حـرة	بذاك سمت عدنان وافتخرت فهر
هـمـا الـهـاشـمـيـان الـلـذان تـفـرعـا	على خير فرع أصله هاشم عمرو
لـه نـسـب مـن شـيـبـة الـحـمـد بـاهـر	جـلـي فـمـن سـامـاه أقـعـده الـبـهـر
نـمـاه إلـى الـعـلـيـا لـؤي بـن غـالـب	وعبد مناف قد مضى قبله النضر

(١) يستفاد من هذا استحباب زيادة التكبير عن العدد الواجب في الصلاة على الشخص العظيم كما ورد مثل ذلك في صلاته على عمه حمزة.

كنيتــه

يكنى أبا الحسن وأبا الحسين وكان الحسن في حياة رسول الله ﷺ يدعوه أبا الحسين والحسين يدعوه أبا الحسن ويدعوان رسول الله ﷺ أباهما. فلما توفي النبي ﷺ دعوا علياً أباهما. وكان يكنى أيضاً بأبي تراب كناه به رسول الله ﷺ ففي الاستيعاب بسنده: قيل لسهل بن سعد إن أمير المدينة يريد أن يبعث إليك لتسب علياً عند المنبر قال: كيف أقول؟ قال: تقول أبا تراب فقال: والله ما سماه بذلك إلا رسول الله ﷺ قال: وكيف ذلك يا أبا العباس؟ قال: دخل على فاطمة ثم خرج من عندها فاضطجع في صحن المسجد فدخل رسول الله ﷺ على فاطمة فقال: **«أين ابن عمك»** قالت: هو ذاك مضطجع في المسجد، فوجده قد سقط رداؤه عن ظهره وخلص التراب إلى ظهره، فجعل يمسح التراب عن ظهره ويقول: **«اجلس أبا تراب»**. فوالله ما سماه به إلا رسول الله ﷺ. والله ما كان اسم أحب إليه منه (وروى) النسائي في الخصائص بسنده عن عمار بن ياسر: كنت أنا وعلي بن أبي طالب رفيقين في غزوة العشيرة من بطن ينبع إلى أن قال: ثم غشينا النوم فانطلقت أنا وعلي حتى اضطجعنا في ظل صور من النخل وفي دقعاء من التراب فنمنا، فوالله ما أهبنا إلا رسول الله ﷺ يحركنا برجله وقد تربنا من تلك الدقعاء التي نمنا عليها، فيومئذ قال رسول الله ﷺ لعلي: **«ما لك يا أبا تراب»** لما يرى عليه من التراب (أقول): تعدد الواقعة ممكن (وقيل): لما رآه ساجداً معفراً وجهه في التراب أو كان يعفر خديه وهو ساجد فكان إذا رآه والتراب بوجهه يقول: **«يا أبا تراب افعل كذا»** (وقيل): كني به لأن النبي ﷺ قال: **«يا علي أول من ينفض التراب عن رأسه أنت»**. وكانت هذه الكنية أحب كناه إليه لكون النبي ﷺ كناه بها. وكان أعداؤه من بني أمية وأتباعهم لا يطلقون عليه غيرها. كأنهم يعيرونه بها مع أنها موضع الفخر ودعوا خطباءهم أن يسبوه بها على المنابر وجعلوها نقيصة له فكأنما كسوه بها الحلي والحلل كما قال الحسن البصري. كما أنهم كانوا لا يطلقون على شيعته وأتباعه إلا الترابي والترابية حتى صار علماً لهم قال الكميت:

وقــالــوا تــرابــي هــواه وديــنــه　　بــذلــك أدعــى بــيــنــهــم وألــقــب

ولما قال كثير عزة: ضحى آل أبي سفيان بالدين يوم الطف وضحى بنو مروان بالكرم يوم العقر قال له يزيد بن عبد الملك: عليك بهلة الله أترابية وعصبية؟ وفي ذلك يقول المؤلف من قصيدة:

وكنيت بالسبطين شبليك واغتدى　　لنسل النبي المصطفى فيهما حصر
وكـنـاك خـيـر الـرسـل في دعـوة أبـا　　تـراب وقـد عـابـوا بـه وهـو الـفـخـر

لقبــــه

في الفصول المهمة لابن الصباغ: لقبه المرتضى وحيدر وأمير المؤمنين والأنزع البطين والأصلع[1] والوصي وكان يعرف بذلك عند أوليائه وأعدائه خرج شاب من بني ضبة معلم يوم الجمل من عسكر عائشة وهو يقول:

نـحـن بـنـي ضـبـة أعـداء عـلـى　　ذاك الـذي يـعـرف قـدمـا بـالـوصـي
وفـارس الـخـيـل عـلـى عـهـد الـنـبـي　　مـا أنـا عـن فـضـل عـلـي بـالـعـمـي
لـكـنـنـي أنـعـي ابـن عـفـان الـتـقـي　　إن الـولـي يـطـالـب ثـأر الـولـي

وقال رجل من الأزد يوم الجمل:

هــذا عــلــي وهــو الــوصــي　　آخــاه يــوم الــنــجــوة الــنــبــي
وقــال هــذا بــعــدي الــولــي　　وعــاه واع ونــســي الــشــقــي

وقال زحر بن قيس الجعفي يوم الجمل:

أضـربـكـم حـتـى تـقـروا لـعـلـي　　خـيـر قـريـش كـلـهـا بـعـد الـنـبـي
مـن زانـه الـلّـه وسـمـاه الـوصـي　　إن الـولـي حـافـظ ظـهـر الـولـي
كـمـا الـغـوي تـابـع أمـر الـغـوي

وقال زحر بن قيس أيضاً:

---

(١) الأنزع المنحسر الشعر عن مقدم الرأس وفي معناه الأصلع والبطين العظيم البطن.

فـصـلـى الإلـه عـلـى أحـمـد رسـول الـمـلـيـك تـمـام الـنـعـم
رســول نــبــي ومــن بــعــده خـلـيـفـتـنـا الـقـائـم الـمـدعـم
عـنـيـت عـلـيـاً وصـي الـنـبـي يـجـالـد عـنـه غـواة الأمـم

وزحر هذا شهد مع علي (ع) الجمل وصفين كما شهد صفين معه شبعث بن ربعي وشمر بن ذي الجوشن الضبابي ثم حاربوا الحسين عليه السلام يوم كربلاء فكانت لهم خاتمة سوء نعوذ بالله من سوء الخاتمة.

وقال الكميت:

والـوصـي الـذي أمـال الـتـجـوبـي بـــه عـــرش أمـــة لانـــهـــدام

وقال كثير:

وصي النبي المصطفى وابن عمه وفـكـاك أعـنـاق وقـاضـي مـغـارم

وكان يلقب يعسوب المؤمنين ويعسوب الدين. يروى أن النبي ﷺ قال له: **«أنت يعسوب الدين والمال يعسوب الظلمة»** وفي رواية: **«هذا يعسوب المؤمنين وقائد الغر المحجلين»** روى هاتين الروايتين ابن حنبل في مسنده وأبو نعيم في حلية الأولياء. وفي تاج العروس: اليعسوب ذكر النحل وأميرها. وفي حديث علي: أنا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الكفار أي يلوذ بي المؤمنون ويلوذ الكفار بالمال كما يلوذ النحل بيعسوبها وهو مقدمها وسيدها «اهـ».

بوابـــه

في الفصول المهمة: بوابه سلمان الفارسي (رض).

شـاعـــره

في الفصول المهمة: شاعره حسان بن ثابت (أقول) وشاعره بصفين النجاشي والأعور الشني وغيرهما.

نقـش خاتمـــه

قال سبط بن الجوزي في تذكرة الخواص: كان نقش خاتمه: الله الملك

وعلي عبده. قال: وكان يتختم في اليمين وكذا الحسن والحسين عليهما السلام «اهـ». وقال أبو الحسن علي بن زيد البيهقي المشهور بفريد خراسان في كتابه صوان الحكمة المعروف بتاريخ حكماء الإسلام في ترجمة يحيى النحوي الديلمي الملقب بالبطريق: كان يحيى نصرانياً فيلسوفاً فأراد عامل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إزعاجه عن فارس فكتب يحيى قصته إلى أمير المؤمنين، وطلب منه الأمان فكتب محمد بن الحنفية له الأمان بأمر أمير المؤمنين وقد رأيت نسخة هذا الكتاب في يدي الحكيم أبي الفتوح المستوفي النصراني الطوسي وكان توقيع أمير المؤمنين عليه بخطه (الله الملك وعلي عبده) فالسبط جعله نقش خاتمه والبيهقي قال: إنه توقيعه بيده. ولعل كلام البيهقي أثبت ويمكن أنه كان يوقع به ونقشه على الخاتم والله أعلم. وقال علي بن محمد بن أحمد المالكي المكي الشهير بابن الصباغ في كتاب الفصول المهمة في معرفة الأئمة: نقش خاتمه أسندت ظهري إلى الله وقيل: حسبي الله وقال الكفعمي في كتابه المعروف بالمصباح: نقش خاتمه الملك لله الواحد القهار. ولعله كان له عدة خواتيم بعدة نقوش.

زوجاتـــه

أول زوجاته فاطمة الزهراء سيدة النساء (ع) بنت رسول الله سيد المرسلين ﷺ لم يتزوج عليها حتى توفيت عنده ثم تزوج بعدها أمامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس وأمها زينب اخت فاطمة ثم تزوج أم البنين بنت حرام بن دارم الكلابية وتزوج ليلى بنت مسعود بن خالد النهشلية التميمية الدارمية وتزوج أسماء بنت عميس الخثعمية كانت زوجة جعفر بن أبي طالب فقتل عنها ثم تزوجها أبو بكر فتوفي عنها ثم تزوجها أمير المؤمنين. وتزوج أم حبيب بنت ربيعة التغلبية واسمها الصهباء من السبي الذين أغار عليهم خالد بن الوليد بعين التمر وتزوج خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة الحنفية وقيل: خولة بنت إياس. وتزوج أم سعد أو سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفية. وتزوج مخبأة بنت امرىء القيس بن عدي الكلبية.

وأولاده

عدهم المسعودي في مروج الذهب خمسة وعشرين. وقال المفيد في الإرشاد: أنهم سبعة وعشرون ما بين ذكر وأنثى ثم قال: وفي الشيعة من يذكر أن فاطمة صلوات الله عليها أسقطت بعد النبي ﷺ ذكراً كان سماه رسول الله ﷺ وهو حمل محسناً فعلى قول هذه الطائفة هم ثمانية وعشرون «اهـ» وقال ابن الأثير: المحسن توفي صغيراً. والمسعودي والمفيد عدهم مع المحسن فزاد محمداً الأوسط وأم كلثوم الصغرى والبنت الصغيرة ورملة الصغرى والذي وصل إلينا من كلام المؤرخين والنسابين وغيرهم يقتضي أنهم ثلاثة وثلاثون ويمكن كون هذه الزيادة من عد الاسم واللقب اثنين مع أنهما واحد وهم:

١ ـ الحسن.

٢ ـ الحسين.

٣ ـ زينب الكبرى.

٤ ـ زينب الصغرى المكناة أم كلثوم. قال المفيد: أمهم فاطمة البتول سيدة نساء العالمين بنت سيد المرسلين وخاتم النبيين.

٥ ـ أم كلثوم الكبرى ذكرها ابن الأثير مع زينب الكبرى وقال المسعودي: الحسن والحسين ومحسن وأم كلثوم الكبرى وزينب الكبرى أمهم فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ. ويمكن الجمع بين قول المفيد زينب الصغرى المكناة أم كلثوم وقول ابن الأثير والمسعودي إنها أم كلثوم الكبرى بأنها زينب الصغرى بالنسبة إلى زينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى بالنسبة إلى أم كلثوم الصغرى الآتية التي هي من غير فاطمة.

٦ ـ محمد الأوسط أمه أمامة بنت أبي العاص لم يذكره المفيد ولا المسعودي.

٧ و٨ و٩ و١٠ ـ العباس وجعفر وعبد اللّه وعثمان الشهداء بكربلا أمهم

أم البنين الكلابية وقال المسعودي: أمهم أم البنين بنت حزام الوحيدية ولم يذكر معهم عثمان.

١١ ـ محمد الأكبر المكنى بأبي القاسم المعروف بابن الحنفية أمه خولة الحنفية.

١٢ ـ محمد الأصغر المكنى بأبي بكر وبعضهم عد أبا بكر ومحمداً الأصغر اثنين والظاهر أنهما واحد.

١٣ ـ عبد الله أو عبيد الله الشهيدين بكربلاء أمهما ليلى بنت مسعود النهشيلة.

١٤ ـ يحيى أمه أسماء بنت عميس.

١٥ و١٦ ـ عمر ورقية توأمان أمهما أم حبيب الصهباء بنت ربيعة التغلبية وعمّر عمر خمساً وثمانين سنة.

١٧ و١٨ و١٩ ـ أم الحسن ورملة الكبرى وأم كلثوم الصغرى أمهم أم سعد بنت عروة بن مسعود الثقفية. واقتصر المفيد والمسعودي على أم الحسن ورملة ولم يصفاها بالكبرى.

٢٠ ـ بنت ماتت صغيرة أمها مخبأة الكلبية ولم يذكرها المفيد والمسعودي.

٢١ ـ أم هاني.

٢٢ ـ ميمونة.

٢٣ ـ زينب الصغرى. في عمدة الطالب: أمها أم ولد وكانت زوجة محمد بن عقيل بن أبي طالب.

٢٤ ـ رملة الصغرى ولم يذكرها المفيد ولا المسعودي.

٢٥ ـ رقية الصغرى ولم يذكرها المسعودي.

٢٦ ـ فاطمة.

٢٧ ـ أمامة.

٢٨ ـ خديجة.

٢٩ ـ أم الكرام. وقال المسعودي: إن أم الكرام هي فاطمة.

٣٠ ـ أم سلمة.

٣١ ـ أم أبيها. ذكرها المسعودي.

٣٢ ـ جمانة المكناة أم جعفر.

٣٣ ـ نفيسة لأمهات شتى.

الكلام على زينب وأم كلثوم

مقتضى قول غير المفيد أن زينب وأم كلثوم أربعة: صغريان وكبريان. وبه صرح المسعودي فجعل أم كلثوم الكبرى وزينب الكبرى من فاطمة الزهراء وجعل أم كلثوم الصغرى من غيرها. أما المفيد فلم يذكر أم كلثوم الصغرى كما عرفت وذكر زينب الكبرى وزينب الصغرى المكناة بأم كلثوم بنتي الزهراء وزينب الصغرى من غير الزهراء ولم يكنها أم كلثوم وقد سمعت أن أمها أم ولد. ولا شك أنه كان لأمير المؤمنين عليه السلام بنتان كلتاهما تكنى أم كلثوم إحداهما زوجة عمر توفيت بالمدينة والأخرى التي كانت بالطف ذكرهما المؤرخون والأولى توفيت قبل وقعة الطف وحينئذ فلا يبعد أن تكون أم كلثوم التي كانت بالطف والتي خطبت بالكوفة هي زينب الصغرى التي ذكرها المفيد وهو الموافق للاعتبار فإنها وزينب الكبرى شقيقتا الحسين عليه السلام فلم تكونا لتفارقاه ولا ليفارقهما. وإذا كانت الكبرى وهي زوجة عبد الله بن جعفر لم تفارقه وزوجها حي فأحرى أن لا تفارقه الصغرى وهي في النبل بمرتبة تلي مرتبة زينب الكبرى. أما القبر الذي بقرية راوية قرب دمشق فهو منسوب لزينب الصغرى المكناة أم كلثوم كما وجد في صخرة على قبرها رأيتها وكما ذكره ابن جبير في رحلته فإن

صح ذلك فهي شقيقة الحسين عليه السلام. أما كيف جاءت إلى الشام وتوفيت ودفنت هناك فالله أعلم بصحة ذلك وليس في شيء من التواريخ والآثار ما يشير إليه. وقال ابن عساكر في تاريخ دمشق أن القبر الذي بقرية راوية هو لام كلثوم وليست بنت النبي ﷺ لأنها توفيت بالمدينة ولا أم كلثوم بنت علي من فاطمة زوجة عمر لأنها ماتت بالمدينة ودفنت بالبقيع وإنما هي امرأة من أهل البيت سميت بهذا الاسم ولا يحفظ نسبها «اهـ» وظاهره انحصار أم كلثوم بنت علي عليه السلام في واحدة وهو مخالف لما عليه المؤرخون والنسابون ومخالف لما تحقق من أن أم كلثوم التي كانت بالطف ليست زوجة عمر لأنها توفيت قبل ذلك كما عرفت. وياقوت في معجم البلدان اقتصر على أن براوية قبر أم كلثوم لم يزد على ذلك وكون القبر الذي براوية لزينب الكبرى مقطوع بعدمه كما بيناه في ترجمتها من هذا الكتاب والنسل منهم للحسن والحسين عليهما السلام ومحمد بن الحنفية والعباس ولعمر.

وقد كثر الله تعالى نسل علي وفاطمة عليهما السلام بدعوة النبي ﷺ لهما ليلة زفافهما بقوله: **«اللهم اخرج منهما الكثير الطيب»** وقال الجاحظ: قال علي بن أبي طالب (رض): بقية السيف أنمى عدداً وأكثر ولداً. ووجد الناس ذلك بالعيان الذي صار إليه ولده من نهك السيف وكثرة الذرء وكرم النجل «اهـ».

صفته عليه السلام في خلقه وحليته

في كشف الغمة: طلب بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل من بعض العلماء أن يخرج أحاديث صحاحاً وشيئاً مما ورد في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وصفاته، وكتبت على الأنوار الشمع الاثني عشر التي حملت إلى مشهده قال: وأنا رأيتها. ومما جاء في صفته أيضاً ما نقل عن كتاب صفين وعن جابر وابن الحنفية وغيرهم وما نقل في الاستيعاب وقال: إنه أحسن ما رآه في صفته ونحن نذكر صفته المنيفة مقتبسة من مجموع تلك الروايات فنقول:

كان عليه السلام ربعة من الرجال إلى القصر أقرب وإلى السمن ما هو.

أدعج العينين[١] أنجل[٢] في عينيه لين[٣] أزج الحاجبين حسن الوجه من أحسن الناس وجهاً يميل إلى السمرة كثير التبسم أصلع ليس في رأسه شعر إلا من خلفه ناتىء الجبهة له حفاف[٤] من خلفه كأنه إكليل وكأن عنقه إبريق فضة[٥] كث اللحية له لحية قد زانت صدره لا يغير شيبه أرقب[٦] عريض ما بين المنكبين لمنكبيه مشاش كمشاش السبع الضاري (وفي رواية) عظيم المشاشين كمشاش السبع الضاري[٧] لا يبين عضده من ساعده أدمجت إدماجاً عبل الذراعين شثن الكفين[٨] (وفي رواية): دقيق الأصابع، شديد الساعد واليد لا يمسك بذراع رجل قط إلا أمسك بنفسه فلم يستطع أن يتنفس ضخم البطن أقرى الظهر[٩] عريض الصدر كثير شعره ضخم الكسور[١٠] عظيم الكراديس[١١] غليظ العضلات حمش الساقين[١٢] ضخم عضلة الذراع دقيق مستدقها إذا مشى تكفأ[١٣] وإذا مشى إلى الحرب هرول قوي شجاع منصور على من لاقاه قد أيده الله بالعز والنصر. (قال المغيرة): كان علي عليه السلام على هيئة الأسد غليظاً منه ما استغلظ دقيقاً منه ما استدق. وكثر وصفه بالأصلع والأجلح والأنزع

---

(١) الدعج شدة سواد العين مع سعتها.
(٢) النجل سعة العين مع حسنها رجل أنجل وامرأة نجلاء.
(٣) ذبول.
(٤) الحفاف ككتاب الطرة حول رأس الأصلع.
(٥) أي سيف فضة في البريق واللمعان.
(٦) غليظ الرقبة.
(٧) المشاش بالضم رؤوس العظام الواحدة: مشاشة بالضم والمراد أن رؤوس عظام المنكبين منه كرؤوس عظام منكبي الأسد في الغلظ.
(٨) ششنت كفه خشنت وغلظت وفي النهاية أي يميلان إلى الغلظ والقصر وقيل: أن يكون في أنامله غلظ بلا قصر ويحمد ذلك في الرجال لأنه أشد لقبضهم ويذم في النساء «اهـ».
(٩) شديده.
(١٠) الأعضاء.
(١١) الكراديس جمع كردوس وهو كل عظمين التقيا في مفصل.
(١٢) دقيقهما.
(١٣) في النهاية أي تمايل إلى قدام.

البطين ومر ذلك في ألقابه. وفي الفائق: علي عليه السلام قال ابن عباس: ما رأيت أحسن من شرصة علي (الشرصتان) بكسر الشين وسكون الراء النزعتان وهي من الشرص بمعنى الجذب كأن الشعر شرص شرصاً فجلح الموضع ألا ترى إلى تسميتها نزعة والجذب والنزع من واد واحد «اهـ».

صفته عليه السلام في أخلاقه وأطواره وسيرته

روى جماعة، منهم أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء وابن عبد البر المالكي في الاستيعاب وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة ومحمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول وغيرهم بأسانيدهم أنه دخل ضرار بن ضمرة الكناني وفي الاستيعاب الصدائي بدل الكناني على معاوية فقال له: صف لي علياً قال: اعفني قال: لتصفنه قال: أما إذا كان لا بد من وصفه فإنه: كان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلاً ويحكم عدلاً يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل ووحشته وكان غزير الدمعة طويل الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما خشن (ما قصر خ ل) ومن الطعام ما جشب وكان فينا كأحدنا يدنينا إذا أتيناه ويجيبنا إذا سألناه ويأتينا إذا دعوناه وينبئنا إذا استنبأناه ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم يعظم أهل الدين ويقرب المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين فكأني أسمعه الآن وهو يقول: يا ربنا يا ربنا. يتضرع إليه ثم يقول: يا دنيا غري غيري إلي تعرضت أم إلي تشوفت هيهات هيهات قد بتتك ثلاثاً لا رجعة فيها فعمرك قصير وخطرك كبير وعيشك حقير آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق. فبكى معاوية ووكفت دموعه على لحيته ما يملكها وجعل ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء. وقال: رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها بحجرها فهي لا ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها ثم خرج. وفي الاستيعاب

سئل الحسن البصري عن علي بن أبي طالب فقال: كان والله سهماً صائباً من مرامي الله على عدوه رباني لهذه الأمة وذا فضلها وذا سابقتها وذا قرابتها من رسول الله ﷺ لم يكن بالنؤومة عن أمر الله ولا بالملومة في دين الله ولا بالسروقة لمال الله أعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مونقة، ثم قال للسائل ذاك علي بن أبي طالب يا لكع. وفي البيان والتبيين: عن عبد الملك بن عمير قال: سئل الحارث بن أبي ربيعة - الملقب بالقباع - عن علي بن أبي طالب فقال: كم كان له ما شئت من ضرس قاطع في العلم بكتاب الله والفقه بالسنة والهجرة إلى الله ورسوله والبسطة في العشيرة والنجدة في الحرب والبذل للماعون «اهـ» وفي البيان والتبيين: قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لصعصعة بن صوحان: والله ما علمتك إلا كثير المعونة قليل المؤنة فجزاك الله خيراً فقال صعصعة: وأنت فجزاك الله أحسن من ذلك فإنك ما علمتك إلا بالله عليم والله في عينك عظيم. وفي حلية الأولياء بسنده عن عنبسة النحوي: شهدت الحسن بن أبي الحسن وأتاه رجل من بني ناجية فقال: يا أبا سعيد بلغنا أنك تقول: لو كان علي يأكل من خشف المدينة لكان خيراً له مما صنع فقال الحسن: يا ابن أخي كلمة باطل حقنت بها دماً، والله لقد فقدوه سهماً من مرامي الله والله ليس بسروقة لمال الله ولا بنؤومة عن أمر الله أعطى القرآن عزائمه فيما عليه وله أحل حلاله وحرم حرامه حتى أورده ذلك على حياض غدقة ورياض مونقة ذاك علي بن أبي طالب يا لكع. ومما جاء في صفته (ع) كما في الاستيعاب: إنه كان شديد الساعد واليد وإذا مشى للحرب هرول، ثبت الجنان قوي شجاع منصور على من لاقاه: وفي الاستيعاب بسنده عن أبجر بن جرموز عن أبيه: رأيت علي بن أبي طالب يخرج من مسجد الكوفة وعليه قطريتان متزر بالواحدة مرتد بالأخرى وإزاره إلى نصف الساق وهو يطوف في الأسواق ومعهم درة يأمرهم بتقوى الله وصدق الحديث وحسن البيع والوفاء بالكيل والميزان «اهـ».

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: كان علي إذا ورد عليه مال لم يبق منه

شيئاً إلا قسمه ولا يترك في بيت المال منه إلا ما يعجز عن قسمته في يومه ذلك ويقول: يا دنيا غري غيري. ولم يكن يستأثر من الفيء بشيء ولا يخص به حميماً ولا قريباً ولا يخص بالولايات إلا أهل الديانات والأمانات وإذا بلغه عن أحدهم خيانة كتب إليه: قد جاءتكم موعظة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ. إذا أتاك كتابي هذا فاحفظ بما في يديك من عملنا حتى نبعث إليك من يتسلمه منك. ثم يرفع طرفه إلى السماء فيقول: اللهم إنك تعلم أني لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك «اهـ». قال وخطبه ومواعظه ووصاياه لعماله إذا كان يخرجهم إلى أعماله كثيرة مشهورة. وقال ابن أبي الحديد قال صعصعة بن صوحان وغيره من شيعته وأصحابه: وكان فينا كأحدنا لين جانب وشدة تواضع وسهولة قياد وكنا نهابه مهابة الأسير المربوط للسياف الواقف على رأسه. وقال ابن عبد البر في موضع آخر: اجمعوا على أنه صلى القبلتين وهاجر وشهد بدراً والحديبية وسائر المشاهد وأنه أبلى ببدر وبأحد وبالخندق وبخيبر بلاء عظيماً وأنه أغنى في تلك المشاهد وقام فيها المقام الكريم وكان لواء رسول الله ﷺ بيده في مواطن كثيرة وكان يوم بدر بيده على اختلاف ولما قتل مصعب بن عمير يوم أحد وكان اللواء بيده دفعه رسول الله ﷺ إلى علي ولم يتخلف عن مشهد شهده رسول الله ﷺ منذ قدم المدينة إلا تبوك فإنه خلفه على المدينة وعلى عياله بعده وقال له: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي «اهـ». وفي الإصابة ربي في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك فقال له: بسبب تأخيره له بالمدينة: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ وزوجه بنته فاطمة وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد ولما آخى النبي ﷺ بين أصحابه قال له: أنت أخي. ومناقبه كثيرة «اهـ». وقد تجمعت في صفاته الأضداد. قال الشريف الرضي في مقدمة نهج البلاغة: ومن عجائبه (ع) التي انفرد بها وأمن المشاركة فيها أن كلامه في الزهد والمواعظ إذا تأمله المتأمل وخلع من قلبه أنه

كلام مثله ممن عظم قدره ونفذ أمره وأحاط بالرقاب ملكه لم يعترضه الشك في أنه كلام من لا حظ له في غير الزهادة ولا شغل له بغير العبادة قد قبع في كسر بيت أو انقطع إلى سفح جبل لا يسمع إلا حسه ولا يرى إلا نفسه ولا يكاد يوقن بأنه كلام من انغمس في الحرب مصلتاً سيفه فيقطع الركاب ويجندل الأبطال ويعود به ينطف دماً ويقطر مهجاً وهو مع تلك الحال زاهد الزهاد وبدل الأبدال وهذه من فضائله العجيبة وخصائصه اللطيفة التي جمع فيها بين الأضداد وكثيراً ما أذاكر الإخوان بها واستخرج عجبهم منها وهي موضع للعبرة بها والفكرة فيها «اهـ».. وقال ابن أبي الحديد في الشرح ما حاصله: كان أمير المؤمنين عليه السلام ذا أخلاق متضادة «منها» ما ذكره الرضي وهو موضع التعجب لأن الغالب على أهل الشجاعة والجرأة أن يكونوا ذوي قلوب قاسية وفتك وتمرد والغالب على أهل الزهد والاشتغال بالمواعظ أن يكونوا ذوي رقة ولين وهاتان حالتان متضادتان وقد اجتمعتا له (ع) (ومنها) أن الغالب على ذوي الشجاعة وإراقة الدماء أن يكونوا ذوي أخلاق سبعية وطباع وحشية وكذلك الغالب على أهل الزهادة أن يكونوا ذوي انقباض في الأخلاق وعبوس في الوجوه ونفار من الناس وأمير المؤمنين (ع) كان أشجع الناس وأكثرهم إراقة للدماء وأزهدهم وأبعدهم عن ملاذ الدنيا وأكثرهم وعظاً وتذكيراً بأيام الله وأشدهم اجتهاداً في العبادة وكان مع ذلك ألطف العالم أخلاقاً وأكثرهم بشراً حتى عيب بالدعابة وهذا من عجائبه وغرائبه اللطيفة (ومنها) أن الغالب على شرفاء الناس ومن هو من أهل بيت السيادة والرياسة الكبر والتيه وكان أمير المؤمنين (ع) لا يشك عدو ولا صديق أنه أشرف خلق الله نسباً بعد النبي ﷺ وقد حصل له من غير شرف النسب جهات كثيرة متعددة ومع ذلك كان أشد الناس تواضعاً لصغير وكبير وألينهم عريكة وأبعدهم عن كبر في زمان خلافته وقبلها لم تغيره الأمرة ولا أحالت خلقه الرياسة وكيف ولم يزل رئيساً أميراً. قال أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي في تاريخه المعروف بالمنتظم: تذاكروا عند أبي عبد الله أحمد بن حنبل خلافة أبي بكر وعلي فأكثروا فرفع رأسه إليهم وقال: قد أكثرتم. إن علياً

لم تزنه الخلافة ولكنه زانها (ومنها) أن الغالب على ذوي الشجاعة وقتل الأنفس أن يكونوا قليلي الصفح لأن القوة الغضبية عندهم شديدة وكان أمير المؤمنين (ع) مع شجاعته وكثرة إراقته الدماء كثير الصفح والعفو وقد رأيت فعله يوم الجمل ولقد أحسن مهيار في قوله:

حتى إذا دارت رحى بغيهم ... عليهم وسبق السيف العذل

عاذوا بعفو ماجد معود ... للعفو حمال لهم على العلل

فنجت البقيا عليهم من نجا ... وأكل الحديد منهم من أكل

أطلت بهم أرحامهم فلم يطع ... ثائرة الغيظ ولم يشف الغلل

(اهـ) ملخص ما ذكره ابن أبي الحديد وفي اجتماع الأضداد في صفات أمير المؤمنين عليه السلام يقول الصفي الحلي:

جمعت في صفاتك الأضداد ... فلهذا عزت لك الأنداد

زاهد حاكم حليم شجاع ... ناسك فاتك فقير جواد

شيم ما جمعن في بشر قط ... ولا حاز مثلهن العباد

خلق يخجل النسيم من اللطـ ... ـف وبأس يذوب منه الجماد

جل معناك أن يحيط به الشعـ ... ـر وتحصي صفاته النقاد

وقال ابن أبي الحديد في بعض علوياته مشيراً إلى ذلك:

والحبر يصدع بالمواعظ خاشعاً ... حتى تكاد لها القلوب تصدع

حتى إذا استعر الوغى متلظياً ... شرب الدماء بغلة لا تنقع

متلجبباً ثوباً من الدم قانياً ... يعلوه من نقع الملاحم برقع

زهد المسيح وفتكة الدهر التي ... أودى بها كسرى وفوز تبع

وقال الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني في كتابه حلية الأولياء في ترجمته: علي بن أبي طالب وسيد القوم محب المشهود ومحبوب المعبود باب مدينة العلم والعلوم ورأس المخاطبات ومستنبط الإشارات راية المهتدين ونور المطيعين وولي المتقين وإمام العادلين أقدمهم إجابة وإيماناً وأقومهم قضية

وإيقاناً وأعظمهم حلماً وأوفرهم علماً علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قدوة المتقين وزينة العارفين المنبىء عن حقائق التوحيد صاحب القلب العقول واللسان السؤول والأذن الواعي فقاء عيون الفتن فدفع الناكثين ووضع القاسطين ودفع المارقين الأخيشن في ذات الله (اهـ). وفي الإصابة: كان قد اشتهر بالفروسية والشجاعة والإقدام ولم يزل بعد النبي ﷺ متصدياً لنصر العلم والفتيا ثم قال ما حاصله: فلما قتل عثمان بايعه الناس ثم كان قيام طلحة والزبير وعائشة في طلب دم عثمان فكانت وقعة الجمل ثم قام معاوية في أهل الشام فدعا إلى الطلب بدم عثمان فكانت وقعة صفين وكل من الفريقين مجتهد وكان من الصحابة فريق لم يدخلوا في شيء من القتال وظهر بقتل عمار أن الصواب كان مع علي واتفق على ذلك أهل السنة بعد اختلاف كان في القديم ولله الحمد (اهـ).

(أقول): ألا ترى إلى هذا الحافظ الكبير كيف يتبلبل عن إدراك الحقيقة وهي أجلى من الشمس الضاحية يقول: اشتهر بالفروسية والشجاعة والإقدام وكان الأولى به أن يقول اشتهر بكل فضيلة فأي فضيلة لم يشتهر بها اشتهاره بالشجاعة؟ اشتهر بالعلم والحلم والفصاحة وحل المشكلات عند القضاء والزهد والورع والعبادة والعدل وغيرها من محاسن الصفات ولم يكن شيء من الفضائل لم يشتهر به «وقوله» وكل من الفريقين مجتهد قول يصعب التصديق به ممن قتل الأمور بحثاً وتأملاً ولم يشأ أن يقلد من يجوز عليه الخطأ وممن سمع وعرف أن الاجتهاد لا يجوز في مقابل النص ولا في القطعيات والأمور الظاهرة «قوله» وظهر بقتل عمار أن الحق كان مع علي فيه من التجاهل بالحقائق ما لا ينقضي منه العجب. أفكان قول النبي ﷺ: عمار تقتله الفئة الباغية أشهر وأعرف عند الناس من قوله ﷺ: **«علي مع الحق والحق مع علي يدور معه كيفما دار، يا علي حربك حربي وسلمك سلمي، يا علي من أبغضك فقد أبغضني ومن سبك فقد سبني»** وأمثالها مما شاع وذاع ورواه الجمهور من الصحابة ألم يكن واحد من هذه الآثار كافياً في ظهور أن الحق مع علي فضلاً عن جميعها؟ أفلم يكن في مبايعة المهاجرين والأنصار وأجلاَّء الصحابة له بالمدينة الذين لم يبايع من تقدمه

أكثر منهم دليلاً على أن الحق معه وما أحسن ما قاله بعض العلماء: العجب من قوم يأخذهم الريب لمكان عمار ولا يأخذهم لمكان علي بن أبي طالب.

مناقبه وفضائله نظرة إجمالية فيها وفي أحواله

نبغ في الأزمان على تعاقبها نوابغ يمتازون عن سائر أهل زمانهم وهؤلاء، النوابغ يتفاوتون في نبوغهم وصفاتهم التي ميزتهم عمن سواهم سنة الله في خلقه، ومهما تكثر النابغون في الأزمنة المتطاولة فنابغة الإسلام بل نابغة الكون المتفرد في صفاته الفاضلة ومزاياه الكاملة واجتماع محاسن الأضداد فيه هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ربيب رسول الله ﷺ أكمل الخلائق وخريجه.

ذات علي ذات فذة يعسر أو يمتنع على الإنسان مهما أطال ومهما دقق أن يحيط بجميع ما فيها من سمو وتميز على سائر الخلق ومهما حاول الإنسان أن يحيط بجميع صفاته قعد به العجز واستولى عليه البهر كما قال المؤلف من قصيدة علوية تزيد على ثلثمائة بيت وزعناها في هذا الجزء مطلعها:

صفات علي لا يحيط بها الحصر ... وفي عدها تفنى الدفاتر والحبر

ولكن «لا يترك الميسور بالمعسور» وعن المناقب قال النظام: علي بن أبي طالب محنة على المتكلم إن وفاه حقه غلا وإن بخسه حقه أساء والمنزلة الوسطى دقيقة الوزن صعبة المرتقى إلا على الحاذق الديّن «اهـ».

علمـــه

فإن نظرنا إلى علمه وجدناه العالم الرباني الذي يقول على ملأ من الناس: «سلوني قبل أن تفقدوني» ومن ذا الذي يجرؤ من الناس أن يقول هذا الكلام فوق المنبر على حشد من ألوف الخلق وما يؤمنه أن يسأله سائل عن مسألة لا يكون عنده جوابها فيخجله فيها. لا يجرؤ على هذا القول إلا من يكون واثقاً من نفسه بأن عنده جواب كل ما يسأل عنه. وهل تنحصر المسألة في علم من العلوم أو

ناحية من النواحي حتى يجرؤ أحد على هذا القول لا يكون مؤيداً بتأييد إلٰهي وواثقاً من نفسه كل الوثوق بأنه لا يغيب عنه جواب مسألة مهما دقت وأشكلت. أن هذا لمقام يقصر العقل عن الإحاطة به ويسأل وهو على المنبر عن مسافة ما بين المشرق والمغرب فيجيب بأنه مسيرة يوم للشمس. وهو جواب إقناعي أحسن ما يجاب به في مثل المقام. ويسأل عما بين الحق والباطل فيقول: مسافة أربع أصابع. الحق أن تقول رأيت بعيني والباطل أن تقول سمعت بأذني. ويسأل عن رجلين مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة فجلس معهما ثالث وأكلوا الأرغفة الثمانية وطرح إليهما الثالث ثمانية دراهم فيحكم بأن لصاحب الثلاثة درهم واحد ولصاحب الخمسة سبعة دراهم لأن الأرغفة الثمانية أربعة وعشرون ثلثاً لصاحب الثلاثة منها تسعة أثلاث أكل منها ثمانية وأكل الضيف واحداً ولصاحب الخمسة منها خمسة عشر ثلثاً أكل منها ثمانية وأكل الضيف سبعة. فهذه المسألة لو أجاب عنها أمهر رجل في الحساب بعد طول الفكرة والروية وأصاب فيها لكان له الفخر. ويؤتى عمر بامرأة ولدت لستة أشهر فيهم برجمها فيقول له علي: إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك إن الله تعالى يقول: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ ويقول: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ فإذا كانت مدة الرضاع حولين كاملين والحمل والفصال ثلاثون شهراً كانت مدة الحمل فيها ستة أشهر فثبت الحكم بذلك وعمل به الصحابة والتابعون ومن أخذ عنهم إلى يومنا هذا. ويؤتى عمر بمجنونة زنت فيأمر بجلدها فيقول له إن النبي قد رفع القلم عن المجنون حتى يفيق فيقول: فرج الله عنك لقد كدت أهلك في جلدها. ويؤتى عمر بحامل قد زنت فيأمر برجمها فيقول له: هب أن لك سبيلاً عليها أي سبيل لك على ما في بطنها. احتط عليها حتى تلد فإذا ولدت ووجدت لولدها من يكفله فأقم عليها الحد فيقول عمر: لا عشت لمعضلة لا يكون لها أبو الحسن. ويجيء أبو الأسود الدؤلي فيخبره بأنه سمع من يلحن في القرآن فيضع له أصول علم النحو في كلمات معروفة ويقول له: انح هذا النحو فيزيد عليها أبو الأسود وتضبط لغة العرب بعلم النحو إلى اليوم.

شجاعتـــه

وإذا نظرنا إلى شجاعته وقد ضربت بها الأمثال وجدناه قد باشر الحرب وعمره عشرون سنة أو فوقها بقليل وقد أنسى ذكر من كان قبله ومحا اسم من يأتي بعده ووجدنا تفوقه فيها على جميع الخلق ملحقاً بالضروريات يقبح بالإنسان إطالة الكلام فيه وإكثار الشواهد عليه ومقاماته في الحرب تضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة. وكفى في ذلك أنه ما فر في موطن قط ولا ارتاع من كتيبة ولا بارز أحداً إلا قتله ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت إلى ثانية وكانت ضرباته وتراً إذا علا قد وإذا اعترض قط ولا دعي إلى مبارزة فنكل وهذا كله من الأمور العجيبة التي لم تتفق لغير علي بن أبي طالب ولا يمكن أن توصف الشجاعة بأكثر من ذلك. وكان يقول: ما بارزت أحداً إلا كنت أنا ونفسه عليه وكانت العرب تفتخر بوقوفها في مقابلته في الحرب. ويفتخر المفتخرون ورهطهم بأنه قاتلهم. افتخر بذلك حيي بن أخطب سيد بني النضير فقال قتلة شريفة بيد شريف. وافتخرت به أخت عمرو بن عبد ود في شعرها الذي رثت به أخاها. ولما افتخر حسان بقتل عمرو بن عبد ود في شعر له رد عليه فتى من بني عامر فقال من أبيات:

كذبتم وبيت اللّه لا تقتلوننا ... ولكن بسيف الهاشميين فافخروا
بسيف ابن عبد اللّه أحمد في الوغى ... بكف علي نلتم ذاك فاقصروا
علي الذي في الفخر طال بناؤه ... فلا تكثروا الدعوى علينا فتحقروا

وكان يمدحه المشركون على قتله عظيماً منهم ويجعلون ذلك فخراً لعلي ومع ذلك فمآل هذا إلى الافتخار بأنه قاتله قال مسافع الجمحي في رثاء عمرو وقتل علي إياه من أبيات:

فاذهب علي فما ظفرت بمثله ... فخراً فلا لاقيت مثل المعضل

وقال هبيرة بن أبي وهب يرثي عمراً ويذكر قتل علي إياه من أبيات:

فعنك علي لا أرى مثل موقف ... وقفت على نجد المقدم كالفحل

فما ظفرت كفاك فخراً بمثله أمنت به ما عشت من زلة النعل

وافتخر به سعيد بن العاص فقال: أما أنه ما كان يسرني أن يكون قاتل أبي غير ابن عمه علي بن أبي طالب إلى غير ذلك. وكان ينيِّمه أبوه وهو صبي أيام حصار الشعب في مرقد رسول الله ﷺ فينام فيه مواجهاً للخطر طيبة بذلك نفسه. وظهرت شجاعته الفائقة في مبيته على الفراش ليلة الغار موطناً نفسه على الأخطار غير هياب ولا حزين والنفر من قريش محيطون بالدار ليفتكوا بمن في الفراش وظهرت شجاعته البالغة لما سار بالفواطم بعد الهجرة جهاراً من مكة وليس معه إلا ابن أم أيمن وأبو واقد الليثي وهما لا يغنيان شيئاً فلحقه ثمانية فرسان من قريش أمامهم جناح مولى حرب بن أمية فأهوى إليه جناح بالسيف وهو فارس وعلي راجل فحاد علي عن ضربته وضربه لما انحنى على كتفه فقطعه نصفين حتى وصلت الضربة إلى قربوس فرسه وانهزم الباقون.

وفي يوم بدر قتل الوليد بن عتبة وشرك في قتل عتبة وقتل جماعة من صناديد المشركين.

وفي يوم أحد قتل أصحاب اللواء جميعهم على أصح الروايات وهم سبعة أو تسعة وانهزم بقتلهم المشركون ولولا مخالفة الرماة أمر رسول الله ﷺ لتم النصر للمسلمين وجميع من قتل يوم أحد من المشركين ثمانية وعشرون قتل علي منهم ثمانية عشر. ثم لما انهزم المسلمون إلا قليلاً منهم ثبت مع النبي ﷺ فحامى عنه وكلما أقبل إليه قوم ندبه النبي إليهم فيفرقهم ويقتل فيهم حتى عجب منه جبرائيل وقال: يا رسول الله إن هذه للمواساة ونادى: **«لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي»**.

وفي وقعة الخندق لما أقحم عمرو بن عبد ود وجماعة معه خيلهم وعبروا الخندق جاء علي ومعه نفر حتى أخذ عليهم الثغرة التي أقحموا خيلهم منها ولم يجسر على ذلك أحد غيره ولما طلب عمرو المبارزة جبن المسلمون كلهم وسكتوا كأنما على رؤوسهم الطير فجعل عمرو يؤنبهم ويوبخهم والنبي يقول:

من لعمرو وقد ضمنت له على الله الجنة؟ فلم يقم إليه أحد إلا علي فقال: أنا له يا رسول الله ﷺ يقول له: اقعد فإنه عمرو. حتى فعل ذلك ثلاثاً فقال له في الثالثة: وإن كان عمراً! فقتله وانهزم من معه فلحقهم علي وقتل بعضهم وانكسرت بذلك شوكة المشركين ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال بعلي.

وفي يوم خيبر كان علي أرمد لا يبصر سهلاً ولا جبلاً فلذلك بعث النبي ﷺ اثنين غيره من المهاجرين فرجعا منهزمين أحدهما يجبن أصحابه ويجبنونه والآخر يؤنب أصحابه ويؤنبونه فقال النبي ﷺ: **«لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كراراً غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله عليه»** فدعا بعلي فتفل في عينيه فبرئا وأعطاه الراية فلقيه مرحب وعلى رأسه مغفر وحجر قد ثقبه مثل البيضة فضربه علي فقدّ الحجر والمغفر ورأسه حتى وقع السيف في أضراسه وسمع أهل العسكر صوت تلك الضربة واقتلع باب الحصن وجعله جسراً على الخندق وكان يغلقه عشرون رجلاً فلما انصرفوا من الحصن دحا به أذرعاً واجتمع عليه سبعون رجلاً حتى أعادوه وتترس بباب لم يستطع قلبه ثمانية نفر فأي شجاع في الكون يصل إلى هذه الشجاعة.

وفي غزوة حنين ثبت مع النبي ﷺ وقد هرب عنه الناس غير عشرة تسعة منهم من بني هاشم هو أحدهم وفيهم العباس وابنه وقتل علي أبا جرول وأربعين من المشركين غيره وانهزم المشركون بقتله وقتلهم ورجع المسلمون من هزيمتهم بثباته وثبات من معه الذين إنما ثبتوا بثباته لأنه لم يؤثر عنهم شجاعة كما أثر عنه. وفي جميع الوقائع والغزوات كان له المقام الأسمى في الشجاعة والثبات.

وفي يوم الجمل وصفين والنهروان باشر الحرب بنفسه وقتل صناديد الأبطال وجدل أبطال الرجال.

وفي يوم الجمل ثبت الفريقان وأشرعوا الرماح بعضهم في صدور بعض كأنها أجلم القصب ولو شاءت الرجال أن تمشي عليها لمشت، وكان يسمع لوقع

السيوف أصوات كأصوات القصارين، ولما اشتد القتال زحف نحو الجمل بنفسه في كتيبته الخضراء من المهاجرين والأنصار وحوله بنوه ثم حمل فغاص في عسكر الجمل حتى طعن العسكر ثم رجع وقد انحنى سيفه فأقامه بركبته فقال له أصحابه وبنوه: نحن نكفيك فلم يجبهم ولا رد إليهم بصره وظل ينحط ويزأر زئير الأسد ثم حمل ثانية وحده فدخل وسطهم والرجال تفر من بين يديه وتنحاز عنه يمنة ويسرة حتى خضب الأرض بدماء القتلى ثم رجع وقد انحنى سيفه فأقامه بركبته ثم قال لابنه محمد بن الحنفية: هكذا تصنع يا ابن الحنفية. فقال الناس: من الذي يستطيع ما تستطيعه يا أمير المؤمنين.

ومن مواقفه بصفين ما كان يوم الهرير قال بعض الرواة: فوالله الذي بعث محمداً بالحق نبياً ما سمعنا برئيس قوم منذ خلق الله السماوات والأرض أصاب بيده في يوم واحد ما أصاب علي، أنه قتل في ما ذكر العادّون زيادة على خمسمائة من أعلام العرب يخرج بسيفه منحنياً فيقول: معذرة إلى الله وإليكم من هذا فكنا نأخذه ونقومه ثم يتناوله من أيدينا فيقتحم به في عرض الصف. فلا والله ما ليث أشد نكاية منه بعدوه.

حلمـــه

وإذا نظرنا إلى حلمه وصفحه وجدناه أحلم الناس وكفانا لإثبات بلوغه أعلى درجة الحلم حلمه عن أهل الجمل عموماً وعن مروان بن الحكم وعبد اللّه بن الزبير خصوصاً فقد ظفر بمروان يوم الجمل وكان أعدى الناس له فصفح عنه وكان عبد اللّه بن الزبير من أعدى الناس له وكان يشتمه على رؤوس الأشهاد فأخذه يوم الجمل أسيراً فصفح عنه وقال: اذهب فلا أرينك. لم يزده على ذلك، وظفر بسعيد بن العاص بعد وقعة الجمل بمكة وكان له عدواً فأعرض عنه ولم يقل له شيئاً ولم يعاقب أحداً من أهل الجمل وأهل البصرة ونادى مناديه ألا لا يتبع مول ولا يجهز على جريح ولا يقتل مستأسر ومن ألقى سلاحه فهو آمن وتقيل سنة رسول الله ﷺ يوم فتح مكة ولما ملك عليه أهل

الشام الشريعة ومنعوه وأصحابه من الماء ثم ملكها عليهم قال له أصحابه: أمنعهم كما منعونا فقال: لا والله لا أكافيهم بمثل فعلهم. وكان يوصي جيوشه أن لا يتبعوا مدبراً ولا يجهزوا على جريح.

عدلــــه

وإذا نظرنا إلى عدله لم يجد له في العدل مشابهاً قال ابن الأثير في أسد الغابة: إن زهده وعدله لا يمكن استقصاؤهما ومر كلام الاستيعاب في ذلك عند ذكر صفته في أخلاقه وأطواره وماذا يقول القائل في عدل خليفة يجد في مال جاءه من أصبهان رغيفاً فيقسمه سبعة أجزاء كما قسم المال ويجعل على كل جزء جزءاً. ويساوي بين الناس في العطاء ويأخذ كأحدهم.

فصاحتـــــه

وإذا نظرنا إلى فصاحته وبلاغته وجدناه إمام الفصحاء وسيد البلغاء، وحسبك أن يقال في كلامه أنه بعد كلام رسول الله ﷺ فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق. وقول عدوه معاوية: والله ما سن الفصاحة لقريش غيره. وأنه لم يدون لأحد من الصحابة العشر ولا نصف العشر مما دون له ويقبح بنا أن نقيم شيئاً من الأدلة والشواهد على ذلك فإنه كإقامة الدليل على الشمس الضاحية.

وليس يصح في الأذهان شيء متى احتاج النهار إلى دليل

ولا أدل على ذلك مما أثر عنه وجمع من كلامه كنهج البلاغة وغيره وستتكلم على نهج البلاغة مستقلاً «إنش».

زهـــده

وإذا نظرنا إلى زهده في الدنيا أخذنا العجب والبهر من رجل في يده الدنيا كلها عدا الشام ـ العراق وفارس والحجاز واليمن ومصر وهو يلبس الخشن ويأكل الجشب مواساة للفقراء ويقول: يا دنيا غري غيري الخ ولم يخلف إلا

سبعمائة درهم فضلت من عطائه كان يعدها لخادم يشتريها لأهله ويفرق جميع ما في بيت المال ثم يأمر به فيكنس ثم يصلي فيه رجاء أن يشهد له. وما شبع من طعام قط. وقد بلغ من زهده في الدنيا أن تكون الدنيا عنده أهون من ورقة في فم جرادة تقضمها. كما في بعض كلامه وأن تكون الإمرة عنده لا تساوي نعلاً قيمتها ثلاثة دراهم إلا أن يقيم حقاً أو يدفع باطلاً كما قاله لابن عباس وهو سائر إلى البصرة.

الجـود والسخـاء

وإذا نظرنا إلى جوده وسخائه وجدناه أسخى من السحاب الهاطل ووجدناه لا يبارى في ذلك ولا يماثل. قال الشعبي: كان أسخى الناس. وقال عدوه معاوية: لو ملك بيتاً من تبر وبيتاً من تبن لأنفق تبره قبل تبنه. وكان يكنس بيوت الأموال ويصلي فيها ويقول: يا صفراء ويا بيضاء غري غيري ولم يخلف ميراثاً وكانت الدنيا كلها بيده عدا الشام ولم يعمل بآية النجوى غيره. وأعتق ألف عبد من كسب يده ولم يقل لسائل لا قط.

حسـن الخلـق

وإن نظرنا إلى حسن أخلاقه وجدناه يضرب به المثل في ذلك حتى عابه به أعداؤه لما لم يجدوا فيه عيباً. وقال أصحابه: كان فينا كأحدنا لين جانب وشدة تواضع وسهولة قياد وكنا نهابه مهابة الأسير المربوط للسياف الواقف على رأسه.

الـرأي والتدبيـر

وإن نظرنا إلى رأيه وتدبيره وجدناه أصوب الناس رأياً وأحسنهم تدبيراً فهو الذي أشار على عمر بوضع التاريخ للهجرة. وبترك حلي الكعبة لما أراد أخذه وأشار عليه لما اجتمعت الفرس على غزو بلاد الإسلام أن لا يذهب بنفسه لأن الأعاجم إذا رأوه قالوا: هذا رجل العرب فإن قطعتموه فقد قطعتم العرب وكان أشد لكلبهم وأن لا يشخص أهل الشام ولا أهل اليمن خوفاً على ذراريهم من

الروم والحبشة ولا أهل الحرمين لئلا تنتقض عليه وقال: إن القتال ليس بالكثرة بل بالبصيرة وأن يبعث إلى أهل البصرة فلتقم فرقة منهم على ذراريهم وأخرى على أهل عهدهم لئلا ينتقضوا ولتسر فرقة منهم إلى إخوانهم مدداً لهم فقبل ذلك عمر وكان هو الرأي. وهو الذي أشار على عثمان بأمور كان صلاحه فيها لو قبلها.

العبـــادة

وإذا نظرنا إلى عبادته وجدناه أعبد الناس. وفي الأدعية المأثورة عنه كفاية. وكان زين العابدين على ما هو عليه من العبادة يستصغر عبادته في جنب عبادة جده أمير المؤمنين.

ومن عجيب أحواله أنه اجتمعت في صفاته الأضداد فبينما هو يمارس الحروب ويبارز الأقران ويقتل الشجعان ومن تكون هذه صفته لا بد أن يكون قاسي القلب شرس الخلق بينما نراه كذلك إذا هو أعبد العباد. يقضي ليله بالصلاة والعبادة والتضرع والابتهال والخضوع لله تعالى وإذا به أحسن الناس خلقاً وأرقهم طبعاً وألينهم عريكة.

تعداد مناقبه وفضائله على التفصيل

وهي كثيرة ينبو عنها الحصر وعظيمة يضيق بها الوصف ويقصر دونها الفكر. كما قال السيد الحميري:

ولـه مــنــاقــب لا تــرام وأن يــرد ‌ ‌ ‌ ‌ ساع تـنـاول بـعـضـهـا يـتـذبـذب

وقد ألفت في فضائله ومناقبه التي اختص بها وامتاز بها عن سائر الصحابة مؤلفات كثيرة عدا ما أودع في مضامين الكتب التي لا تحصى (منها) كتاب خصائصه للنسائي طبع مراراً. وكتاب خصائصه للحافظ أبي نعيم الأصفهاني. وكتاب خصائصه لأبي عبد الرحمٰن السكري. وكتاب ما نزل فيه من القرآن للحافظ أبي نعيم الأصفهاني. ولسنا نحتاج في إثبات عظمته وعلو مقامه وامتيازه

عن الخلق عدا رسول الله ﷺ ومشاركته له في كثير من صفاته وأحواله إلى روايات الراوين ومؤلفات المؤلفين. بل يكفينا لذلك إلقاء نظرة واحدة على أحواله المسلمة المتواترة من أنه كيف وتر العرب في حروبه مع النبي ﷺ و قتل صناديدها ورؤساءها فأورث ذلك الأضغان والأحقاد عليه في قلوبها وكان آباء من قتلهم وأبناؤهم وإخوانهم وعشائرهم لا يزالون موجودين وأحقادهم لا تزال كامنة ونيرانها في صدورهم مشتعلة وإن دخلوا في الإسلام فجملة منهم دخلوا فيه كرهاً وخوفاً من السيف ومن دخل عن عقيدة لم تكن عقيدته لتغير ما في نفسه وطبعه من الغيظ على قاتل أبيه وأخيه وابنه وقريبه. ألا ترى إلى سيد ولد آدم كيف لم يستطع أن ينظر إلى قاتل عمه حمزة فقال له: غيب وجهك عني. وهو أكمل الخلق. ولما رأى أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وهو مسلم أباه عتبة يجر إلى القليب تغير وجهه ولما نهى رسول الله ﷺ عن قتل أحد من بني هاشم وعن قتل العباس عمه قال أبو حذيفة: أنقتل أبناءنا وإخواننا وعشائرنا ونترك العباس والله لئن لقيته لألجمنه السيف. ثم ما كان من تنويه النبي ﷺ بشأنه في مواضع عديدة واختصاصه به ما زرع بذر الحسد له وغرس العداوة له في قلوب الناس الرجال منهم والنساء «سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً» حتى قالت أخت علي بن عدي من بني عبد شمس لما سار علي (ع) إلى البصرة:

لا هم فاعقر بعلي جمله ... ولا تبارك في بعير حمله

إلا علي بن عدي ليس له

ويدل عليه أيضاً ما رواه الكليني في الكافي بسنده عن الباقر (ع) قال: لما قبض رسول الله ﷺ بات آل محمد بأطول ليلة حتى ظنوا أن لا سماء تظلهم ولا أرض تقلهم لأن رسول الله ﷺ وتر الأقربين والأبعدين في الله، وتلا ذلك ما كان في دولة بني أمية نحواً من ثمانين سنة أو أكثر من إظهار بغضهم وعداوتهم لعلي (ع) ولعنه على المنابر والاجتهاد في كتمان فضائله ومنع أحد أن يسمى باسمه ويكنى بكنيته. روى أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء بسنده قال: كان علي بن عبد الله بن العباس يكنى أبا الحسن فلما قدم على عبد الملك قال له:

غير اسمك وكنيتك فلا صبر لي على اسمك وكنيتك فقال: أما الاسم فلا وأما الكنية فاكتني بأبي محمد. فغير كنيته ومنعوا أحداً أن يحدث عنه حتى كان من يحدث عنه لا يذكره باسمه. قال المفيد في الإرشاد وفيما انتهى إليه الأمر من دفن فضائل أمير المؤمنين عليه السلام والحيلولة بين العلماء ونشرها ما لا شبهة فيه على عاقل حتى كان الرجل إذا أراد أن يروي عن أمير المؤمنين (ع) رواية لم يستطع أن يصفها بذكر اسمه ونسبه وتدعوه الضرورة إلى أن يقول: حدثني رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أو يقول: حدثني رجل من قريش ومنهم من يقول: حدثني أبو زينب «اه».

فتقرب إليهم الناس ببغضه ورووا لهم الأحاديث في ذمه وغمط فضله. وما كان في دولة بني العباس من قصد إخمال ذكره وإخفاء فضله وإخماد نوره خوفاً من ذريته على الملك. وإخافة كل من ينتسب إليه كما وقع في عهد المنصور والرشيد والمتوكل وغيرهم إلا شاذاً كالمأمون وغيره، والناس إلا ما ندر أتباع السلطة والسلطان وعبيد الدنيا والدينار، واستمر ذلك في الدول الإسلامية وفي المسلمين إلى يومنا هذا بما أسسه المؤسسون في غابر الأزمان وسطره علماء السوء في كتبهم وتوالت عليه القرون والأحقاب فنرى كثيراً من الناس لا يستطيع أن يسمع له فضيلة أو منقبة، ونرى جملة من المسلمين عمدوا إلى خير كتاب جمع كلامه (نهج البلاغة) وأعظم مفخرة للإسلام فأنكروه وادعوا أنه من وضع الرضي حتى نسب الحافظ الذهبي كلامه إلى الركة، ومع كل هذا وذاك وجميع ما هناك فقد انتشر من مناقبه وفضائله ومآثره وجليل صفاته وأفعاله ما تواتر نقله واستفاض وملأ الدفاتر والأسفار وانتشر في جميع الأقطار والأعصار ولم يجد محاول إنكاره سبيلاً إلى الإنكار حتى قال الإمام أحمد بن حنبل كما سيأتي: ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ما جاء لعلي بن أبي طالب وهذا يكاد يلحق بالمعجزات والآيات الباهرات والعادة جارية بأن من كانت هذه حاله يخمل ذكره ويخفى أمره ولا يذكره ذاكر بخير. قال المفيد في الإرشاد: ومن آياته وبيناته التي انفرد بها ظهور مناقبه في الخاصة

والعامة وتسخير الجمهور لنقل فضائله وما خصه الله به وتسليم العدو من ذلك بما فيه الحجة هذا مع كثرة المنحرفين عنه والأعداء له وتوفير أسباب دواعيهم إلى كتمان فضله وجحد حقه وكون الدنيا في يد خصومه وانحرافها عن أوليائه وما اتفق لأضداده من سلطان الدنيا وحمل الجمهور على إطفاء نوره ودحض أمره فخرق الله العادة بنشر فضائله وظهور مناقبه وتسخير الكل للاعتراف بذلك والإقرار بصحته واندحاض ما احتال به أعداؤه في كتمان مناقبه وجحد حقوقه حتى تمت الحجة له وظهر البرهان بحقه لما كانت العادة جارية بخلاف ما ذكرناه فيمن اتفق له من أسباب خمول أمره ما اتفق لأمير المؤمنين (ع) فانخرقت العادة فيه دل ذلك على بينونته من الكافة بباهر الآية على ما وصفناه قال: وقد شاع الخبر واستفاض عن الشعبي أنه كان يقول: لقد كنت أسمع خطباء بني أمية يسبون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على منابرهم وكأنما يشال بضبعه إلى السماء وكنت أسمعهم يمدحون أسلافهم على منابرهم وكأنهم يكشفون عن جيفة. وقال الوليد بن عبد الملك لبنيه يوماً: يا بني عليكم بالدين فإني لم أر الدين بنى شيئاً فهدمته الدنيا ورأيت الدنيا قد بنت بنياناً فهدمه الدين ما زلت أسمع أصحابنا وأهلنا يسبون علي بن أبي طالب ويدفنون فضائله ويحملون الناس على شنآنه فلا يزيده ذلك من القلوب إلا قرباً ويجهدون في تقريبهم من نفوس الخلق فلا يزيدهم ذلك إلا بعداً قال: وكانت الولاة الجورة تضرب بالسياط من ذكره بخير بل تضرب الرقاب على ذلك وتعرض للناس بالبراءة منه والعادة جارية فيمن اتفق له ذلك أن لا يذكر على وجه الأرض بخير فضلاً عن أن تذكر له فضائل أو تروى له مناقب أو تثبت له حجة بحق «اهـ». وقال المفيد في الإرشاد: فأما مناقبه الغنية لشهرتها وتواتر النقل بها وإجماع العلماء عليها عن إيراد أسانيد الأخبار بها فهي كثيرة يطول بشرحها الكتاب وفي رسمنا منها طرفا فيه كفاية عن إيراد جميعها في الغرض الذي وضعنا له هذا الكتاب «انش».

وفي أسد الغابة: روى يزيد بن هارون عن فطر عن أبي الطفيل قال بعض أصحاب النبي ﷺ لقد كان لعلي من السوابق ما لو أن سابقة منها وزعت بين

الخلائق لوسعتهم خيراً. وفيه بسنده عن المدائني: لما دخل علي بن أبي طالب الكوفة دخل عليه رجل من حكماء العرب فقال: والله يا أمير المؤمنين لقد زنت الخلافة وما زانتك ورفعتها وما رفعتك وهي كانت أحوج إليك منك إليها. قال ابن أبي الحديد في شرح النهج أما فضائله عليه السلام فإنها قد بلغت من العظم والجلال والانتشار والاشتهار مبلغاً يسمج معه التعرض لذكرها والتصدي لتفصيلها فصارت كما قال أبو العيناء لعبيد اللّه بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل والمعتمد رأيتني فيما أتعاطى من وصف فضلك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر الذي لا يخفى على الناظر فأيقنت أني حيث انتهى بي القول منسوب إلى العجز مقصر عن الغاية فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك ووكلت الإخبار عنك إلى علم الناس بك. وما أقول في رجل أقر له أعداؤه وخصومه بالفضل ولم يمكنهم جحد مناقبه ولا كتمان فضائله، فقد علمت أنه استولى بنو أمية على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها واجتهدوا بكل حيلة في إطفاء ذكره والتجديف عليه ووضع المعائب والمثالب له ولعنوه على جميع المنابر وتوعدوا مادحيه بل حبسوهم وقتلوهم ومنعوا من رواية حديث يتضمن له فضيلة أو يرفع له ذكراً حتى حظروا أن يسمى أحد باسمه فما زاده ذلك إلا رفعة وسمواً، وكان كالمسك كلما ستر انتشر عرفه وكلما كتم تضوع نشره، وكالشمس لا تستر بالراح وكضوء النهار إن حجبت عنه عين واحدة أدركته عيون كثيرة أخرى. وما أقول في رجل تعزى إليه كل فضيلة وتنتهي إليه كل فرقة وتتجاذبه كل طائفة، فهو رئيس الفضائل وينبوعها وأبو عذرها وسابق مضمارها ومجلي حلبتها كل من برع فيها بعده فمنه أخذ وله اقتفى وعلى مثاله احتذى «اهـ» ثم قال وما أقول في رجل تحبه أهل الذمة على تكذيبهم بالنبوة وتعظمه الفلاسفة على معاندتهم لأهل الملة وما أقول في رجل أحب كل أحد أن يتكثر به وود كل أحد أن يتجمل به ويتحسن بالانتساب إليه حتى الفتوة التي أحسن ما قيل في حدها أن لا تستجسن من نفسك ما تستقبحه من غيرك فإن أربابها نسبوا أنفسهم إليه وصنفوا في ذلك كتباً وجعلوا لذلك إسناداً أنهوه إليه وقصروه عليه وسموه

سيد الفتيان وعضدوا مذهبهم بالبيت المروي أنه سمع من السماء يوم أحد:

لا سـيـف إلا ذو الـفـقـار ولا فـتـى إلا عـلـي

«اهـ» وتتبع الحافظ أبو عبد الرحمٰن أحمد بن شعيب النسائي المتوفى سنة ٣٠٣ خصائصه وجمعها في كتاب: وقال أبو الفرج الأصبهاني في مقاتل الطالبيين: فضائله عليه السلام أكثر من أن تحصى فأمير المؤمنين عليه السلام بإجماع المخالف والممالي والمضاد والموالي على ما لا يمكن غمطه ولا ينساغ ستره من فضائله المشهورة في العامة المكتوبة عند الخاصة تغني عن تفصيله بقول والاستشهاد عليه برواية. وقال ابن عبد البر المالكي عالم الأندلس ومحدثها في الاستيعاب: فضائله لا يحيط بها كتاب وقد أكثر الناس من جمعها فرأيت الاقتصار منها على النكت التي تحسن المذاكرة بها وتدل على ما سواها من أخلاقه وأحواله وسيرته. وقال أيضاً: قد كان بنو أمية ينالون منه وينتقصونه فما زاده الله بذلك إلا سمواً وعلواً ومحبة عند العلماء إلى أن قال: قال أحمد بن حنبل وإسماعيل بن إسحاق القاضي: لم يرو في فضائل أحد من الصحابة بالأحاديث الحسان ما روي في فضائل علي بن أبي طالب، وكذلك أحمد بن شعيب بن علي النسائي «اهـ» وروى الحاكم في المستدرك قال: سمعت القاضي أبا الحسن علي بن الحسن الجراحي وأبا الحسين محمد بن المظفر الحافظ يقولان: سمعنا أبا حامد محمد بن هارون الحضرمي يقول: سمعت محمد بن منصور الطوسي يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ما جاء لعلي بن أبي طالب. ولم يتعقبه الذهبي في تلخيص المستدرك بشيء. وفي الكامل لابن الأثير: قال أحمد بن حنبل: ما جاء لأحد من أصحاب النبي ﷺ ما جاء لعلي. وفي الإصابة مناقبه كثيرة حتى قال الإمام أحمد: لم ينقل لأحد من الصحابة ما نقل لعلي. قال وقال غيره: كان سبب ذلك بغض بني أمية له فكان كل من كان عنده علم من شيء من مناقبه من الصحابة يثبته وكلما أرادوا إخماده وهددوا من حدث بمناقبه لا تزداد إلا انتشاراً ثم قال وتتبع النسائي ما خص به من دون الصحابة فجمع من ذلك

شيئاً كثيراً بأسانيد أكثرها جياد «اهـ» (أقول) بل السبب في ذلك كثرة مناقبه التي لم يستطع أعداؤه إخفاءها وكرامة من الله تعالى خصه بها الله تعالى فيه من خوارق العادات شيء كثير هذا أحدها، وإلى ذلك أشار من قال: ما أقول في رجل أخفى أولياؤه فضائله خوفاً وأعداؤه حسداً وظهر من بين ذين ما ملأ الخافقين. وروى ابن عبد البر في الاستيعاب بسنده عن عامر بن عبد الله بن الزبير أنه سمع ابناً له ينتقص علياً فقال: يا بني إياك والعودة إلى ذلك فإن بني مروان شتموه ستين سنة فلم يزده الله بذلك إلا رفعة وإن الدين لم يبن شيئاً فهدمته الدنيا وإن الدنيا لم تبن شيئاً إلا عادت على ما بنته فهدمته «اهـ» وحكى ابن أبي الحديد عن شيخه أبي جعفر الإسكافي. ما يدل على أن اشتهار فضائله وانتشارها كان قبل ظهور دولة بني أمية وأن في زمان بني أمية لم يجسر أحد على رواية خبر عنه فضلاً عن أن يروي له فضيلة وهذا مما يبطل ما زعمه هذا البعض في سبب انتشار فضائله قال أبو جعفر: قد صح أن بني أمية منعوا من إظهار فضائل علي وعاقبوا ذاكر ذلك والراوي له حتى أن الرجل إذا روى عنه حديثاً لا يتعلق بفضله بل بشرائع الدين لا يتجاسر على ذكر اسمه فيقول عن أبي زينب قال: فالأحاديث الواردة في فضله لو لم تكن في الشهرة والاستفاضة وكثرة النقلة إلى غاية بعيدة لانقطع نقلها للخوف والتقية من بني مروان مع طول المدة وشدة العداوة ولولا أن الله تعالى في هذا الرجل سراً يعلمه من يعلمه لم يرو في فضله حديث ولا عرفت له منقبة «اهـ» فهذا هو السبب في انتشار فضائله لا ما ذكره هذا البعض. كيف وكثير من الصحابة كانوا منحرفين عنه فسعد وابن عمر لم يبايعاه بعد قتل عثمان وبايع الثاني يزيد بن معاوية بعد ذلك وغيرهما من الصحابة لم يبايعه كمحمد بن مسلمة وأسامة بن زيد وغيرهما فلم يجبرهم واعتزلوا فقال: هؤلاء قوم خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل، وأهل الجمل نكثوا بيعته وهم من الصحابة، وعداوة ابن الزبير له معلومة، ولما روت أم المؤمنين حديث خروج النبي ﷺ في مرضه قالت: متوكأ على الفضل ورجل آخر، وكان الآخر علياً، فلم يسعها التصريح باسمه، وقولها وسجودها لما جاءها نعيه

مشهور! وفي كشف الغمة عن يونس بن حبيب النحوي قال: قلت للخليل بن أحمد أريد أن أسألك عن مسألة فتكتمها علي فقال: قولك يدل على أن الجواب أغلظ من السؤال فتكتمه أنت أيضاً قلت: نعم أيام حياتك قال: سل قلت: ما بال أصحاب رسول الله ﷺ ورحمهم كأنهم كلهم بنو أم واحدة وعلي بن أبي طالب من بينهم كأنه ابن علة[1] فقال: إن علياً تقدمهم إسلاماً وفاقهم علماً وبذهم شرفاً ورجحهم زهداً وطالهم جهاداً والناس إلى أشكالهم وأشباههم أميل منهم إلى من بان منهم «اهـ» وروى الصدوق في الأمالي وعلل الشرائع بسنده عن ابن دريد عن الرياشي عن أبي زيد النحوي سعيد بن أوس الأنصاري قال: سألت الخليل بن أحمد العروضي لم هجر الناس علياً وقرباه من رسول الله ﷺ قرباه وموضعه من المسلمين موضعه وغناؤه؟ في الإسلام غناؤه فقال: بهر والله نوره أنوارهم وغلبهم على صفو كل منهم والناس إلى أشكالهم أميل. أما سمعت الأول حيث يقول:

كل شكل لشكله ألف | أما ترى الفيل يألف الفيلا

قال وأنشدنا الرياشي في معناه للعباس بن الأحنف:

وقائل كيف تهاجرتما | فقلت قولاً فيه إنصاف
لم يك من شكلي فهاجرته | والناس أشكال وآلاف

وقال ابن شهراشوب في المناقب: قيل لمسلمة بن نميل ما لعلي رفضه العامة وله في كل خير ضرس قاطع؟ فقال: لأن ضوء عيونهم قصير عن نوره والناس إلى أشكالهم أميل. وقال الشعبي: ما ندري ما نصنع بعلي بن أبي طالب إن أحببناه افتقرنا (أي لمعاداة الناس لنا) وإن أبغضناه كفرنا. وروي أن علياً (ع)

---

(١) ابن العلة بفتح العين وتشديد اللام هو الأخ لأم وحدها أي الأخ من الأب دون الأم وأبناء العلات الأخوة لأمهات شتى وأبوهم واحد والعلة مأخوذة من العل وهو الشرب الثاني والشرب الأول يسمى النهل فكأن أباه عل منها بعد أن نهل من غيرها قال الشاعر:

أفي الولائم أولاد لواحدة | وفي الوقائع أولاد لعلات

ناشد الناس في الرحبة أيكم سمع رسول الله ﷺ يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه؟ فقام اثنا عشر رجلاً فشهدوا وأنس بن مالك حاضر لم يقم. فقال له: ما يمنعك أن تقوم فقال: كبرت ونسيت فقال: اللهم إن كان كاذباً فارمه بها بيضاء لا تواريها العمامة فبرص. قال طلحة بن عمير فوالله لقد رأيت الوضح به بعد ذلك أبيض بين عينيه وكان يقول: هذا من دعوة العبد الصالح قال ابن أبي الحديد وروى أبو إسرائيل عن الحكم عن أبي سليمان المؤذن أن علياً نشد الناس من سمع رسول الله ﷺ يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه فشهد له قوم وأمسك زيد بن أرقم فلم يشهد وكان يعلمها فدعا عليه بذهاب البصر فعمي فكان يحدث الناس بهذا الحديث بعد ما كف بصره. وحال حسان بن ثابت معه واضحة حتى رماه بقتل عثمان في أبياته المشهورة. وحال أبي موسى الأشعري وتخذيله عنه الناس بالكوفة يوم الجمل وهو عامله وخلعه له من الخلافة يوم الحكمين غير خفية. وأمر معاوية وعمرو بن العاص معه وهما من الصحابة معلوم وجملة من الصحابة كانوا منحازين إلى بني أمية يمالؤونهم ويداهنونهم وينالون من دنياهم ويلون لهم الأعمال كالنعمان بن بشير وأبي هريرة والمغيرة بن شعبة وأمثالهم وجملة منهم أخذوا الأموال الطائلة وولوا الولايات الجليلة ليرووا لبني أمية في ذمة ما شاؤوا مثل أن آية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾ نزلت في علي بن أبي طالب. حكى ابن أبي الحديد عن شيخه أبي جعفر الإسكافي أنه قال إن معاوية بذل لسمرة بن جندب (وهو صحابي) مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية نزلت في علي وأن الآية الثانية نزلت في ابن ملجم ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ﴾ فلم يقبل فبذل له أربعمائة ألف درهم فقبل وروى ذلك وليرووا لهم أنه غاظ رسول الله ﷺ بخطبته بنت أبي جهل حتى قام في ذلك خطيباً وحتى نظم ذلك مروان بن أبي حفصة في قصيدته اللامية متقرباً به إلى العباسيين فقال:

وغـاظ رسـول الـلّـه إذ غـاظ بـنـتـه بـخـطـبـتـه بـنـت الـلـعـيـن أبـي جـهـل

وحكى ابن أبي الحديد في شرح النهج عن شيخه أبي جعفر الإسكافي أن أبا هريرة روى ذلك وأن الحديث مشهور من رواية الكرابيسي ثم قال ابن أبي الحديد إن الحديث مخرج أيضاً من صحيحي مسلم والبخاري عن المسور بن مخرمة الزهري «اهـ» ولم يتفطن من افتعل هذا الحديث إلى أنه يؤول إلى القدح في الرسول ﷺ والعياذ بالله فإنه ليس له أن يغضب مما أحله الله وأباحه. قال أبو جعفر الإسكافي: وكان أبو مسعود الأنصاري منحرفاً عن علي واستشهد لذلك بعدة روايات واستقصاء ذلك يطول به الكلام ولم يكن لكثير منهم الحرص على إثبات مناقبه وإظهارها إلا نفر يسير استولى عليهم الخوف والاضطهاد. وفي أي زمان كان يجسر أحد على ذكر فضائله؟ أفي زمن بني أمية الذين منعوا أن يسمى أحد باسمه أو يكنى بكنيته ومنعوا من ذكره والرواية عنه وجعلوا سبه على المنابر في الأعياد والجمعات كفرض الصلاة ثمانين سنة أو أكثر وكان الناس يتقربون إليهم بذمه وأخفي قبره بعد موته خوفاً منهم؟ أم في زمان بني العباس وحالهم مع ذريته وشيعته معلومة حتى بنوا عليهم الحيطان وقتلوهم وشردوهم عن الأوطان وألقوهم في المطامير وكانت الناس تتقرب إليهم بتقديم غيره بل بذمه وحال المتوكل في ذلك وقصته مع ابنه المستنصر مشهورة وقصيدة مروان بن أبي حفصة اللامية التي يذمه وينتقصه فيها تقرباً إلى بني العباس أشهر من قفا نبك وقصة النسائي المحدث المشهور مع أهل الشام حين سألوه: أيهما أفضل معاوية أم علي؟ فقال: أما يرضى معاوية رأساً برأس؟ وحين سألوه: ما تروي في فضل معاوية؟ فأجابهم بما أجابهم فرضوا خصيتيه حتى مات، مشهورة. ولم يزل هذا الداء المزمن سارياً إلى يومنا هذا حتى أن الباعث لهذا البعض الذي ذكره ابن حجر على ذكر هذا السبب هو من هذا البحر وعلى هذه القافية فإنه عظم عليه أن يكون علي بن أبي طالب ورد في فضله ما لم يرد لأحد من الصحابة فأراد مسخ هذه المنقبة وتوهينها بأن ذلك ليس لزيادة فضله عليهم كيف وهو متأخر بزعمه في الفضل عن جملة منهم بل لما ذكره من العلة وهذه عادتهم وشنشنتهم

الأخزمية في كل منقبة تنسب إلى علي وأهل بيته إلا من عصمه الله ونحن نذكر طرفاً مقنعاً من فضائله ومناقبه من دون استقصاء فإن ذلك يحتاج إلى عدة مجلدات وهي على أنواع.

الأول: أنه ربي في حجر رسول الله ﷺ وتأدب بآدابه وتخلق بأخلاقه واهتدى بهداه واقتدى به في أقواله وأفعاله ولازمه طول حياته، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك عند ذكر نشأته وتربيته. وقال عليه السلام في أواخر خطبته المسماة بالقاصعة: وقد علمتم موضعي من رسول الله ﷺ بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة وضعني في حجره وأنا وليد يضمني إلى صدره ويكنفني في فراشه ويمسني جسده ويشمني عرفه وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل ولقد قرن الله به من لدن إن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله ﷺ وخديجة وأنا ثالثهما أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة. قال النقيب أبو جعفر يحيى بن زيد العلوي نقيب البصرة فيما حكاه تلميذه ابن أبي الحديد في شرح النهج: وإذا كان القرين مقتدياً بالقرين فما ظنك بالتربية والتثقيف الدهر الطويل فوجب أن تكون أخلاق علي كأخلاق محمد ﷺ مربيه لولا أن الله اختص محمداً برسالته فامتاز رسول الله ﷺ بذلك عن سواه وبقي ما عدا الرسالة على أمر الاتحاد وإلى هذا المعنى أشار ﷺ بقوله: أخصمك بالنبوة فلا نبوة بعدي وتخصم الناس بسبع وقال له: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، فأبان نفسه منه بالنبوة وأثبت له ما عداها من جميع الفضائل مشتركاً بينهما «اهـ». وفي ذلك يقول المؤلف من قصيدة:

وربيت في حجر النبي محمد	فطوبى لمن من أحمد ضمه حجر
وغذاك بالعلم الإلهي ناشئاً	فلا علم إلا منك قد خاطه خبر

بـآدابـه أدبـت طـفـلاً ويـافـعـاً وأكسبنك الأخلاق أخلاقه الغر

الثاني: السبق إلى الإسلام وعدم السجود لصنم قط. قال ابن أبي الحديد: ما أقول في رجل سبق الناس إلى الهدى وآمن بالله وعبده وكل من في الأرض يعبد الحجر ويجحد الخالق لم يسبقه أحد إلى التوحيد إلا السابق إلى كل خير محمد رسول الله ﷺ. ذهب أكثر أهل الحديث إلى أنه عليه السلام أول الناس اتباعاً لرسول الله ﷺ وإيماناً به ولم يخالف في ذلك إلا الأقلون وقد قال هو (ع): أنا الصديق الأكبر وأنا الفاروق الأول أسلمت قبل إسلام الناس وصليت قبل صلاتهم. ومن وقف على كتب أصحاب الحديث تحقق ذلك وعلمه واضحاً وإليه ذهب الواقدي وابن جرير الطبري وهو القول الذي رجحه ونصره صاحب كتاب الاستيعاب (اه) وفي أسد الغابة: هو أول الناس إسلاماً في قول كثير من العلماء وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: روي عن سلمان وأبي ذر والمقداد وخباب وجابر وأبي سعيد الخدري وزيد بن الأرقم أن علي بن أبي طالب أول من أسلم وفضله هؤلاء على غيره وقال ابن إسحاق: أول من آمن بالله وبرسوله محمد ﷺ من الرجال علي بن أبي طالب وهو قول ابن شهاب إلا أنه قال من الرجال بعد خديجة وهو قول الجميع في خديجة ثم روى بسنده عن ابن عباس قال: لعلي أربع خصال ليست لأحد غيره: هو أول عربي وعجمي صلى مع رسول الله ﷺ، وهو الذي كان لواؤه معه في كل زحف، وهو الذي صبر معه يوم فر عنه غيره، وهو الذي غسله وأدخله قبره قال: وروي عن سلمان عن النبي ﷺ: أول هذه الأمة وروداً على الحوض أولها إسلاماً علي بن أبي طالب (وبسنده) عن سلمان الفارسي عن النبي ﷺ: أولكم وروداً على الحوض أولكم إسلاماً علي بن أبي طالب. ورواه الحاكم في المستدرك بسنده عن سلمان مثله (وفي الاستيعاب) بسنده عن ابن عباس: أول من صلى مع النبي ﷺ بعد خديجة علي بن أبي طالب (وبسنده) عن ابن عباس أيضاً: كان علي بن أبي طالب أول من آمن من الناس بعد خديجة. قال أبو عمرو بن عبد البر: هذا إسناد لا مطعن فيه لأحد لصحته وثقة نقلته وهو

يعارض ما ذكرناه عن ابن عباس في باب أبي بكر قال: والصحيح في أمر أبي بكر أنه أول من أظهر إسلامه كذلك قال مجاهد وغيره قالوا: أو منعه قومه. وقال ابن شهاب وعبد اللّه بن محمد بن عقيل وقتادة وابن إسحاق: أول من أسلم من الرجال علي واتفقوا على أن خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدقه فيما جاء به ثم علي بعدها قال: وروي في ذلك عن أبي رافع مثل ذلك (وبسنده) سئل محمد بن كعب القرظي عن أول من أسلم علي أم أبو بكر قال: سبحان الله علي أولهما إسلاماً وإنما شبه على الناس لأن علياً أخفى إسلامه ولا شك أن علياً عندنا أولهما إسلاماً وبسنده عن قتادة عن الحسن: أسلم علي وهو أول من أسلم «الحديث» وقال ابن إسحاق: أول ذكر آمن بالله ورسوله علي بن أبي طالب (وبسنده) عن قتادة عن الحسن وغيره قالوا: أول من أسلم بعد خديجة علي بن أبي طالب (وبسنده) عن ابن عباس: أول من أسلم علي (وبسنده) عن حبة العرني سمعت علياً يقول: لقد عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة خمس سنين (وبسنده) عن حبة العرني سمعت علياً يقول: أنا أول من صلى مع رسول الله ﷺ ورواه الحافظ النسائي في الخصائص بسنده عن حبة العرني مثله قال ابن عبد البر. وروى مسلم الملائي عن أنس بن مالك قال: استنبىء النبي ﷺ يوم الاثنين وصلى علي يوم الثلاثاء وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن عبد اللّه بن بريدة عن أبيه قال: أوحي إلى رسول الله ﷺ يوم الاثنين وصلى علي يوم الثلاثاء (وبسنده) عن أنس قال: نبىء النبي ﷺ يوم الاثنين وأسلم علي يوم الثلاثاء. (وروى) النسائي في الخصائص بعدة أسانيد عن زيد بن أرقم: أول من صلى مع رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب (وبسنده) عنه: أول من أسلم مع رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب (وروى) الحاكم في المستدرك وصححه عن زيد بن أرقم: أول من أسلم مع رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وصححه الذهبي في تلخيص المستدرك وفي الاستيعاب وقال زيد بن أرقم: أول من آمن بالله بعد رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب: روي حديث زيد بن أرقم من وجوه ذكرها النسائي وأسد بن موسى وغيرهما وفي الاستيعاب قال علي: صليت مع رسول الله ﷺ كذا وكذا لا يصلي معه غيري إلا خديجة

«اهـ». (وروي) في أسد الغابة بعدة أسانيد إلى ابن عباس وزيد بن أرقم: أول من أسلم علي (وبإسناده) عن حبة بن جوين عن علي: لم أعلم أحداً من هذه الأمة عبد اللّه قبلي، لقد عبدته قبل أن يعبده أحد منهم خمس سنين أو سبع سنين (وبإسناده) عن أبي أيوب الأنصاري عن النبي ﷺ: لقد صلت الملائكة علي وعلى علي سبع سنين وذلك أنه لم يصل معي رجل غيره (وروى) النسائي في الخصائص بسنده عن علي: آمنت قبل الناس بسبع سنين (وبسنده) عنه (ع): ما أعرف أحداً من هذه الأمة عبد اللّه بعد نبينا غيري عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة تسع سنين. كذا في النسخة، ولعله تصحيف سبع سنين (وروى) الحاكم في المستدرك بسنده عن عباد بن عبد اللّه الأسدي عن علي قال: إني عبد اللّه وأخو رسوله وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كاذب صليت قبل الناس بسبع سنين قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة. والذهبي في تلخيص المستدرك لم تتحمل نفسه مضمون هذا الحديث فقال: كذا قال صحيح على شرط الشيخين وهو على شرط أحدهما بل ولا هو بصحيح بل حديث باطل فتدبره وعباد قال ابن المديني ضعيف (أقول) ليست مبالغته في تضعيفه إلا لمضمونه ولذلك أمر بتدبره وصحته على شرط أحدهما كافية وعباد ذكره ابن حبان في الثقات نقله في تهذيب التهذيب وقال: إن ابن المديني قال ضعيف الحديث (اهـ). فيظهر منه ضعف حديثه عنده لا ضعفه في نفسه ولعله لأن في حديثه مثل هذا الذي لا يراه صواباً ويرشد إليه ما حكاه في التهذيب عن ابن حنبل أنه ضرب على حديثه عن علي: أنا الصديق الأكبر وقال هو منكر فإنه ظاهر في أن ضربه عليه لمضمونه لا لضعف سنده. وروى الحاكم في المستدرك عن شعيب بن صفوان عن الأجلح عن سلمة بن كهيل عن حبة بن جوين عن علي قال: عبدت الله مع رسول الله ﷺ سبع سنين قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة. قال الذهبي في المستدرك: وهذا باطل لأن النبي ﷺ من أول ما أوحي له آمن به خديجة وأبو بكر وبلال وزيد مع علي قبله بساعات أو بعده بساعات وعبدوا الله مع نبيه فأين السبع السنين ولعل السمع أخطأ فيكون أمير المؤمنين قال: عبدت الله ولي سبع سنين ولم يضبط الراوي ما سمع ثم حبة شيعي جبل

ضعفه الجوزجاني والدارقطني وشعيب وأجلح متكلم فيهما (اهـ) ملخصاً وجزمه ببطلانه في غير محله فإنه لو صح أن قليلين أسلموا قبل سبع سنين لجاز أن يراد قبل أن يعبده أحد من جمهور الأمة مجازاً جمعاً بين الأحاديث إذا كان قد عبده قبلها الواحد أو الاثنان أو الثلاثة وأما قوله قبله بساعات أو بعده بساعات فبعيد عن الإثبات كما يعلم مما سبق. وأما القدح في حبة وتضعيفه فليس إلا لأنه شيعي وذلك لو لم يكن من أسباب المدح لا يكون من أسباب القدح عند المتصف.

وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن ابن عباس قال لعلي أربع خصال ليست لأحد: هو أول عربي وأعجمي صلى مع رسول الله ﷺ، وهو الذي كان لواؤه معه في كل زحف، وهو الذي صبر معه يوم المهراس[1]، وهو الذي غسله وأدخله قبره «اهـ» وفي ذلك يقول المؤلف من قصيدة:

سبقت إلى الإسلام كل موحد وقد عم أصناف الورى الشرك والكفر
فكنت وما في الأرض غير ثلاثة يصلون للرحمٰن إذا زف الظهر
علي وأم المؤمنين خديجة وأحمد لا عمرو هناك ولا بكر

الثالث: ما جرى له حين جمع النبي ﷺ عشيرته الأقربين ودعاهم إلى الإسلام في أول البعثة وقد مر ذكر ذلك مفصلاً في السيرة النبوية في الجزء الثاني ويأتي ذكره في أدلة إمامته في هذا الجزء وعند ذكر أخباره متتالية متتابعة فأغنى ذلك عن ذكره هنا ونكتفي هنا بإيراد بعض ما ذكره المفيد في الإرشاد في هذه المنقبة قال: ومن مناقبه الغنية لشهرتها وتواتر النقل بها وإجماع العلماء عليها عن إيراد الأخبار بها أن النبي ﷺ جمع خاصة أهله وعشيرته في ابتداء الدعوة إلى الإسلام فعرض عليهم الإيمان واستنصرهم على أهل الكفر والعدوان وضمن لهم على ذلك الحظوة في الدنيا والشرف وثواب الجنان فلم يجبه أحد منهم إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فنحله بذلك تحقيق الأخوة

---

(١) أي يوم أُحُد لأن المهراس اسم ماء بأحد ـ المؤلف ـ.

والوزارة والوصية والوراثة والخلافة وأوجب له به الجنة وذلك في حديث الدار الذي أجمع على صحته نقلة الآثار حين جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب في دار أبي طالب وذكر الحديث ومر عند ذكر أخباره لما نزل ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾. وفيه أنه قال لهم: «**فمن يجيبني إلى هذا الأمر ويؤازرني عليه يكن أخي ووصيي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي**» فلم يجبه أحد فقال أمير المؤمنين: أنا يا رسول الله أوازرك على هذا الأمر فقال: «**أنت أخي ووصيي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي**» فنهض القوم وهم يقولون لأبي طالب ليهنئك اليوم إن دخلت في دين ابن أخيك فقد جعل ابنك أميراً عليك. ثم قال المفيد وهذه منقبة جليلة اختص بها أمير المؤمنين (ع) ولم يشركه فيها أحد من المهاجرين والأنصار ولا أحد من أهل الإسلام وليس لغيره عدل لها في الفضل ولا مقارب على حال وفي الخبر بها ما يفيد أنه به عليه السلام تمكن النبي ﷺ من تبليغ الرسالة وإظهار الدعوة والصدع بالإسلام ولولاه لم تثبت الملة ولا استقرت الشريعة ولا ظهرت الدعوة، فهو عليه السلام ناصر الإسلام ووزير الداعي إليه من قبل الله عز وجل وبضمانه لنبي الهدى عليه السلام النصرة تم له في النبوة ما أراد وفي ذلك من الفضل ما لا توازيه الجبال فضلاً ولا تعادله الفضائل كلها محلاً وقدراً «اهـ» وتدل هذه الرواية على أن هذه الدعوة كانت في دار أبي طالب ولا ريب أن علياً صنع ذلك بإذن أبيه فإنه لم يكن ليصنع شيئاً في دار أبيه ويصنع طعاماً من ماله بغير إذنه ولا شك أنه كان مسروراً جداً بما قاله النبي ﷺ في حق ابنه وبما قاله ابنه للنبي ﷺ وبما ظهر من فضله على كافة من حضر وأنه كان مسلماً في الباطن لكنه لم يتمكن من إظهار سروره لأن المصلحة كانت في كتمان إسلامه ليتمكن من حماية النبي ﷺ وأن النبي كان راضياً من كتمانه وأن أبا طالب كان ساخطاً من مقالة قومه قد جعل ابنك أميراً عليك وراضياً بإمارة ابنه عليه.

الرابع: مبيته على الفراش ليلة الغار وفداؤه النبي ﷺ بنفسه، وقد تقدم

شرح ذلك في الجزء الثاني في السيرة النبوية ويأتي ذكره مفصلاً أيضاً في هذا الجزء مع ما لم يذكر هناك عند ذكر أخباره من مولده إلى وفاته إن شاء الله تعالى.

الخامس: إقامة النبي ﷺ له مقامه يوم الهجرة في أداء أماناته ورد ودائعه وقضاء ديونه وحمل الفواطم إليه إلى المدينة ولم يأتمن على ذلك أحداً غيره لما علم من أمانته وكفاءته وشجاعته، فقام بما أمره به وأقام منادياً ينادي بالأبطح (محل اجتماع الناس) غدوة وعشية: ألا من كانت له قبل محمد أمانة فليحضر مكان كذا وكذا تؤد إليه أمانته. ثم حمل الفواطم وهاجر بهن إلى المدينة ظاهراً ولحقه الثمانية الفوارس فقتل مقدمهم ورجع الباقون حتى ورد على النبي ﷺ بقبا. قال المفيد في الإرشاد: ومن مناقبه أن النبي ﷺ كان أمين قريش على ودائعهم فلما فجأه من الكفار ما أحوجه إلى الهرب من مكة بغتة لم يجد في قومه وأهله من يأتمنه على ما كان مؤتمناً عليه سوى أمير المؤمنين عليه السلام فاستخلفه في رد الودائع إلى أربابها وقضاء دينه وجمع بناته ونساء أهله وأزواجه[1] والهجرة بهم إليه ولم ير أن أحداً يقوم مقامه في ذلك من كافة الناس فوثق بأمانته وعول على نجدته وشجاعته واعتمد في الدفاع عن أهله وخاصته على بأسه وقدرته واطمأن إلى ثقته على أهله وحرمه وعرف من ورعه وعصمته ما تسكن النفس معه إلى ائتمانه على ذلك، فقام علي به أحسن القيام ورد كل وديعة إلى أهلها وأعطى كل ذي حق حقه وحفظ بنات نبيه ﷺ وهاجر بهم ماشياً على قدميه يحوطهم من الأعداء ويكلؤهم من الخصماء ويرفق بهم في المسير حتى أوردهم عليه المدينة على أتم صيانة وحراسة ورفق وأحسن تدبير. وهذه منقبة توحد بها من كافة أهل بيته وأصحابه ولم يشركه فيها أحد من أتباعه وأشياعه ولم يحصل لغيره من الخلق فضل سواها يعادلها عند السبر ولا يقاربها على الامتحان وهي مضافة إلى ما قدمناه من مناقبه الباهرة بفضلها القاهرة بشرفها قلوب العقلاء «اهـ».

---

(١) لا يخفى أنه لم يكن للنبي ﷺ زوجة في ذلك الوقت غير سودة بنت زمعة لأنه تزوجها بمكة أما باقي نسائه فبالمدينة وخديجة كانت قد ماتت ـ المؤلف ـ.

السادس: المؤاخاة بينه وبين رسول الله ﷺ. قال ابن عبد البر في الاستيعاب: آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين ثم آخى بين المهاجرين والأنصار وقال في كل واحدة منهما لعلي: «**أنت أخي في الدنيا والآخرة وآخى بينه وبين نفسه**». وفي أسد الغابة: آخاه رسول الله ﷺ مرتين فإنه آخى بين المهاجرين ثم آخى بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة وقال لعلي في كل واحدة منهما: «**أنت أخي في الدنيا والآخرة**» ثم روى بسنده عن ابن عمر أنه لما ورد رسول الله ﷺ المدينة آخى بين أصحابه فجاء علي تدمع عيناه فقال يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد، فقال رسول الله ﷺ: يا علي أنت أخي في الدنيا والآخرة (وبسنده) عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ آخى بين أصحابه بين أبي بكر وعمر وبين طلحة والزبير وبين عثمان وعبد الرحمٰن بن عوف فقال علي: يا رسول الله إنك قد آخيت بين أصحابك فمن أخي قال رسول الله ﷺ: «**أما ترضى يا علي أن أكون أخاك**» فقال علي: بلى يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ: «**أنت أخي في الدنيا والآخرة**» (وروى) ابن عبد البر في الاستيعاب بسنده عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ لعلي: «**أنت أخي وصاحبي**» (وبسنده) عن أبي الطفيل أن علياً قال لهم يوم الشورى: أنشدكم الله هل فيكم أحد آخى رسول الله ﷺ بينه وبينه إذ آخى بين المسلمين غيري قالوا: اللهم لا (قال) وروينا من وجوه عن علي أنه كان يقول: أنا عبد اللّه وأخو رسول الله ﷺ لا يقولها أحد غيري إلا كذاب (وروى.) النسائي في الخصائص بسنده عن علي أنه قال: أنا عبد اللّه وأخو رسول الله وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كاذب آمنت قبل الناس بسبع سنين (وبسنده) عن أبي سليمان الجهني سمعت علياً على المنبر يقول: أنا عبد اللّه وأخو رسول الله لا يقول بها إلا كذاب مفتر. وفي ذلك من إبانة فضله على الكافة والدلالة على أنه لا كفؤ لرسول الله ﷺ سواه ما لا يخفى فإنه لو وجد النبي ﷺ كفؤاً له غيره لآخاه دونه وفي ذلك يقول الصفي الحلي:

لو رأى مثلك النبي لآخا ○ وإلا فأخطأ الانتقاد

ويقول المؤلف:

لو رأى مثلك النبي لآخا ... وحاشاه من خطأ الانتقاد

ويقول المؤلف أيضاً من قصيدة ثانية:

وأخوه دون الصحابة إذ كـ ... ـل شبيهين منهم إخوان

وفيه يقول المؤلف أيضاً من قصيدة ثالثة:

تخيرك الهادي النبي لنفسه ... أخاً حين آخى بينهم فلك الفخر
فهل كان مذ آخاك مثلك فيهم ... وأخطأ انتقاء المصطفى أنه الهذر

ويقول أيضاً من قصيدة رابعة:

وآخاك من بين الصحاب محمد ... فهل كان خطئاً في انتقائك ما فعل

السابع: أنه كان صاحب راية رسول الله ﷺ في المواقف كلها. والراية هي العلم الأكبر واللواء دونها، في المصباح لواء الجيش علمه وهو دون الراية. وقد مر في الأمر الثاني من مناقبه رواية الحاكم بالإسناد عن ابن عباس: لعلي أربع خصال ليست لأحد وعد منها وهو الذي كان لواؤه معه في كل زحف ورواه المفيد في الإرشاد بإسناده عن ابن عباس نحوه وقال: وهو صاحب لوائه في كل زحف وروى الحاكم في المستدرك وصححه بسنده عن مالك بن دينار: سألت سعيد بن جبير فقلت: يا أبا عبد اللّه من كان حامل راية رسول الله ﷺ فنظر إلي وقال: كأنك رخي البال فغضبت وشكوته إلى إخوانه من القراء فقلت: ألا تعجبون من سعيد سألته كذا ففعل كذا قالوا: إنك سألته وهو خائف من الحجاج وقد لاذ بالبيت فسله الآن فسألته فقال: كان حاملها علي هكذا سمعته من عبد اللّه بن عباس قال: ولهذا الحديث شاهد من حديث زنفل العرفي وفيه طول فلم أخرجه (اهـ) وفي تهذيب التهذيب في ترجمة سعد بن عبادة قال مقسم عن ابن عباس: كانت راية رسول الله ﷺ في المواطن كلها مع علي راية المهاجرين ومع سعد بن عبادة راية الأنصار (اهـ) وروى المفيد في الإرشاد عن يحيى بن عمارة حدثني الحسن بن موسى بن رباح مولى الأنصار حدثني أبو

البختري القرشي قال: كانت راية قريش ولواؤها جميعاً بيد قصي بن كلاب ثم لم تزل الراية في يد ولد عبد المطلب يحملها منهم من حضر الحرب حتى بعث الله رسوله ﷺ فصارت راية قريش وغيرها إلى النبي فأقرها في بني هاشم فأعطاها رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام في غزوة ودان وهي أول غزوة حمل فيها راية في الإسلام مع النبي ﷺ ثم لم تزل معه في بدر وهي البطشة الكبرى وفي يوم أحد وكان اللواء يومئذ في بني عبد الدار فأعطاه رسول الله ﷺ مصعب بن عمير فاستشهد ووقع اللواء من يده فتشوفته القبائل فأخذه رسول الله ﷺ فدفعه إلى علي بن أبي طالب فجمع له يومئذ الراية واللواء فهما إلى اليوم في بني هاشم «اهـ».

ففي غزوة ودان التي هي أول غزوة حمل فيها راية كانت رايته مع علي بن أبي طالب وفي غزوة بدر الأولى كان لواؤه معه وفي غزوة بدر الكبرى كانت رايته معه. وفي غزوة أحد كانت رايته ولواء المهاجرين مع علي، فلما علم أن لواء المشركين مع بني عبد الدار لأنهم كانوا أصحاب لواء قريش في الجاهلية قال: نحن أولى بالوفاء منهم فأعطى اللواء رجلاً منهم اسمه مصعب بن عمير، فلما قتل مصعب رد اللواء إلى علي. وفي غزوات حمراء الأسد والحديبية وحنين وذات السلاسل كان اللواء مع علي عليه السلام، وفي غزوة بني النضير وغزوة خيبر كانت الراية معه، وفي فتح مكة كانت الراية مع سعد بن عبادة وهي راية الأنصار أما راية المهاجرين فهي مع علي فلما قال سعد ما يدل على أنه يريد الانتقام أمر علياً أن يأخذها منه ويدخل بها لأن سعداً لم يكن ليدفعها لأحد سوى علي ولم يكن النبي ﷺ ليأمره بدفعها إلى غيره لأن في ذلك وهناً عليه إلا أن يكون ابنه كما في بعض الروايات وفي ذلك يقول المؤلف من قصيدة:

وفي كل زحف كنت رب لوائه ... ورايته العظمى وفي سيفك النصر

الثامن: الشجاعة وامتيازه بها وتفوقه فيها ملحق بالضروريات قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: أما الشجاعة فإنه أنسى الناس فيها ذكر من كان قبله

ومحا اسم من يأتي بعده ومقاماته في الحرب مشهورة تضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة وهو الشجاع الذي ما فر قط ولا ارتاع من كتيبة ولا بارز أحداً إلا قتله ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت إلى ثانية. وفي الحديث: كانت ضرباته وتراً (أقول) ولا دعي إلى مبارزة فنكل (قال) ولما دعا معاوية إلى المبارزة ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما قال له عمرو: لقد أنصفك فقال معاوية: ما غششتني منذ نصحتني إلا اليوم أتأمرني بمبارزة أبي الحسن وأنت تعلم أنه الشجاع المطرق أراك طمعت في إمارة الشام بعدي. وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته فأما قتلاه فافتخار رهطهم بأنه عليه السلام قتلهم أظهر وأكثر. قالت أخت عمرو بن عبد ود ترثيه:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... بكيته أبداً ما دمت في الأبد

لكن قاتله من لا نظير له ... وكان يدعى أبوه بيضة البلد

(ولما أقيم حيي بن أخطب سيد بني النضير بين يديه ليقتله قال قتلة شريفة بيد شريف) وأنتبه معاوية فرأى ابن الزبير تحت رجليه فقال له عبد اللّه: لو شئت أن أفتك بك لفعلت فقال: لقد شجعت بعدنا يا أبا بكر قال: وما الذي تنكره من شجاعتي وقد وقفت في الصف أزاء علي بن أبي طالب قال: لا جرم أنه قتلك[1] وأباك بيسرى يديه وبقيت اليمنى فارغة يطلب من يقتله بها، وجملة الأمر أن كل شجاع في الدنيا إليه ينتهي وباسمه ينادى في مشارق الأرض ومغاربها «اهـ» ثم قال: وما أقول في رجل تصور ملوك الفرنج والروم صورته في بيعها وبيوت عباداتها حاملاً سيفه مشمراً لحربه وتصور ملوك الترك والديلم صورته على أسيافها. كان على سيف عضد الدولة بن بويه وسيف أبيه ركن الدولة وكانت صورته على سيف ألب أرسلان وابنه ملك شاه كأنهم يتفاءلون به النصر والظفر (أقول) لا يمكن أن توصف الشجاعة بأكثر من أنه ما نكل عن مبارز ولا بارز أحداً إلا قتله ولا فر قط ولا ضرب ضربة فاحتاج إلى ثانية وكان

(١) أي شارف ذلك.

يقول: ما بارزت أحداً إلا وكنت أنا ونفسه عليه. وفي كتاب عجائب أحكامه قيل له: يا أمير المؤمنين ألا تعد فرساً للفر والكر فقال: أما أنا فلا أفر ومن فر مني فلا أطلبه «اه». وكفى في ذلك مبيته على الفراش ليلة الغار معرضاً نفسه للأخطار لم يخف ولم يحزن فوقى النبي ﷺ بنفسه وفداه بمهجته غير هياب ولا متردد ولا حزين.

وخروجه بالفواطم جهاراً من مكة ولحوق الفوارس الثمانية به لما علموا بخروجه حنقين عليه عازمين على قتله إن لم يرجع راغماً كما مر عن السيرة النبوية في الجزء الثاني ويأتي في هذا الجزء عند ذكر أخباره متتالية. ولا بد أن يكونوا من شجعان مكة وأبطالها لأن من ينتدب لمثل ذلك لا يكون من جبناء الناس وهم فرسان وهو راجل وهم ثمانية وهو واحد وليس معه إلا أيمن ابن أم أيمن وأبو واقد الليثي وهما لا يغنيان عنه شيئاً وقد أخذ الهلع أبا واقد حين رأى الفرسان فسكن جأشه ولم ينقل أنهما عاوناه بشيء بل كان حظهما حظ الواقف المتفرج وهو ليس بحاجة إلى مساعد على ثمانية فوارس، ولو لم يكونوا في الدرجة العالية من الشجاعة لا يفلت منهم رجل واحد في العشرين من سنه أو تجاوزها بقليل مهما كان شجاعاً فيمكنهم أن يحيطوا به من كل جانب فيقتلوه ولو رضخاً بالحجارة فإذا كر على الذين أمامه حمل عليه الذين وراءه أو كر على الذين وراءه حمل عليه الذين أمامه فلا يمكنه الخلاص ويسهل عليهم قتله أو أسره أما أن يكون رجل واحد على قدميه يشد على فارس في مقدمة ثمانية فوارس ولا بد أن يكون أشجعهم فيقده نصفين ويصل سيفه إلى قربوس فرسه فهذا شيء خارق للعادة من شاب لم يسبق له مباشرة الحرب قبل هذا وهو منتهى الشجاعة والجرأة والإقدام فلا جرم أن ترتعد منه فرائص الباقين فيولوا هاربين مذعورين ويطلبوا منه أن يكف عنهم. فكانت هذه أول مظهر من مظاهر شجاعته الخارقة وقايس إن شئت بين هذه الحال وحال الرسول ﷺ في هجرته إلى المدينة قبل ذلك فقد كان معه صاحبه وغلام صاحبه عامر بن فهيرة ودليلهم الليثي عبد الله بن أريقط فهم أربعة أحدهم الرسول ﷺ الذي يجب أن يكون

أشجع من علي بن أبي طالب فلما لحقهم سراقة بن مالك وهو رجل واحد بكى الصاحب خوفاً فقال له الرسول ﷺ: «لم تبك» قال: ما على نفسي بكيت ولكن أبكي عليك. فما دفعه عنهم إلا دعاء الرسول عليه فرسخت قوائم فرسه في الأرض. أترى لو كان معهم علي هل كان يبكي ويهتم لرجل واحد ليس معه أحد وهو لم يهتم لثمانية فوارس أم كان يضربه ضربة حيدرية فيقده نصفين طولاً لا عرضاً كما فعل بجناح. وهل كان يحتاج النبي ﷺ في دفعه إلى أن يدعو عليه؟ لا أظنك تشك في أنه لو كان معهم لفعل به فعله بجناح.

وما كان منه في وقعة بدر التي بها تمهدت قواعد الدين وأذل الله جبابرة المشركين وقتل فيها رؤساؤهم ووقعت الهيبة من المسلمين في قلوب العرب واليهود وغيرهم، فقد كان في هذه الوقعة قطب رحاها وليث وغاها بارز الوليد بن عتبة أول نشوب الحرب فلم يلبثه حتى قتله، وشارك عمه حمزة في قتل عتبة، واشترك هو وحمزة وعبيدة في قتل شيبة فأجهزوا عليه (قال) المفيد فكان قتل هؤلاء الثلاثة أول وهن لحق المشركين ودخل عليهم ورهبة اعتراهم بها الرعب من المسلمين وظهرت بذلك إمارات نصر المسلمين (قال) وبرز إليه حنظلة بن أبي سفيان فقتله، وبرز إليه من بعده طعيمة بن عدي فقتله، وقتل بعده نوفل بن خويلد وكان من شياطين قريش، ولم يزل يقتل واحداً منهم بعد واحد حتى أتى على شطر المقتولين منهم وكانوا سبعين قتيلاً تولى كافة من حضر بدراً من المسلمين مع ثلاثة آلاف من الملائكة المسومين قتل الشطر منهم وتولى أمير المؤمنين قتل الشطر الآخر وحده بمعونة الله له وتأييده وتوفيقه ونصره وكان الفتح له بذلك وعلى يديه «اه».

وما كان منه في وقعة أحد التي مرت مفصلة في غزوات النبي ﷺ في الجزء الثاني ويأتي ما يتعلق منها بأمير المؤمنين (ع) في هذا الجزء فقد كان قطب رحاها وليث وغاها وعليه مدارها وهو واحدها وقائدها كما كان كذلك يوم بدر. والمتأمل فيما ذكره أهل السير والتواريخ لا يشك في ذلك مهما دس الدساسون ومهما أرادوا أن يجعلوا له مشاركاً في بعض مزاياه التي امتاز بها في

تلك الوقعة وغيرها لكن المطالع للأخبار يعرف بأقل نظرة صحة ما قلناه فقد امتاز في تلك الوقعة كغيرها من الوقائع بأمور كثيرة مرت في الجزء الثاني وتأتي في هذا الجزء عند ذكر أخباره في وقعة أحد. وقتله عزوراً اليهودي لما رمى قبة النبي ﷺ ليلاً وهو يحاصر بني النضير فلحقه علي حتى قتله وجاء برأسه وكان معه تسعة فهربوا فلحقهم بعشرة من المسلمين فقتلوهم وكان ذلك سبب فتح حصون بني النضير. ومبارزته يوم الخندق عمرو بن عبد ود فارس يليل وقد جبن عنه الناس والنبي ﷺ يندبهم لمبارزته ويضمن لمبارزه الجنة فسكتوا كأنما على رؤوسهم الطير إلا علي بن أبي طالب فبارزه وقتله ولحق بعض من كان معه وهو نوفل بن عبد اللّه فقتله في الخندق وانهزم بقتله المشركون وكفى الله المؤمنين القتال به وكانت ضربته في ذلك اليوم تعدل عمل الثقلين إلى يوم القيامة. قال المفيد: وفي الأحزاب أنزل الله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ * هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا * وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ إلى قوله: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ قال: فتوجه العتب إليهم والتوبيخ والتقريع ولم ينج من ذلك أحد بالاتفاق إلا أمير المؤمنين إذ كان الفتح له وعلى يديه وكان قتله عمراً ونوفل بن عبد اللّه سبب هزيمة المشركين. وقال رسول الله ﷺ بعد قتله هؤلاء النفر: الآن نغزوهم ولا يغزوننا. وقد روى يوسف بن كليب عن سفيان بن زيد عن قرة وغيره عن عبد اللّه بن مسعود أنه كان يقرأ وكفى الله المؤمنين القتال بعلي ومر ذلك مفصلاً في الجزء الثاني ويأتي في هذا الجزء.

ومبارزته مرحباً يوم خيبر وقتله وفتح الحصن ودحو الباب بعدما رجع غيره منهزماً يجبن أصحابه ويجبنونه أو منهزماً يؤنب قومه ويؤنبونه.

وثباته يوم حنين مع رسول الله ﷺ وقد هرب عنه الناس غير عشرة: تسعة من بني هاشم والعاشر أيمن بن أم أيمن وقتله أبا جرول وأربعين من المشركين غيره وانهزام المشركين بقتله وقتلهم ورجوع المسلمين من هزيمتهم بثباته ومن

معه الذين كان ثباتهم بثباته (قال المفيد) وذلك إنا أحطنا علماً بتقدمه في الشجاعة والبأس والصبر والنجدة على العباس والفضل ابنه وأبي سفيان بن الحارث والنفر الباقين لظهور أمره في المقامات التي لم يحضرها أحد منهم واشتهار خبره في منازلة الأقران وقتل الأبطال ولم يعرف لأحد من هؤلاء مقام من مقاماته ولا قتيل عزي إليهم بالذكر فعلم بذلك أن ثبوتهم كان به وأن بمقامه ذلك وصبره مع النبي ﷺ كان رجوع المسلمين إلى الحرب وتشجعهم في لقاء العدو «اهـ».

وما كان منه في غزوة أوطاس والطائف فكان الفتح فيها على يده وقتل فيها من قتل من خثعم.

إلى غير ذلك من غزواته ووقائعه في زمن النبي ﷺ.

أما وقائعه بعد وفاة رسول الله ﷺ بعدما بويع بالخلافة أيام الجمل وصفين والنهروان فاشتهار شجاعته العظيمة فيها قد زاد عن حد الضرورة. ففي يوم الجمل ثبت الفريقان وأشرعوا الرماح بعضهم في صدور بعض كأنها آجام القصب ولو شاءت الرجال أن تمشي عليها لمشت وكان يسمع لوقع السيوف أصوات كأصوات القصارين. ولما اشتد القتال وقامت الحرب على ساقها زحف (ع) نحو الجمل بنفسه في كتيبته الخضراء من المهاجرين والأنصار وحوله بنوه ثم حمل فغاص في عسكر الجمل حتى طحن العسكر ثم رجع وقد انحنى سيفه فأقامه بركبته فقال له أصحابه وبنوه: نحن نكفيك فلم يجب أحداً منهم ولا رد إليهم بصره وظل ينحط ويزأر زئير الأسد ثم حمل حملة ثانية وحده فدخل وسطهم يضربهم بالسيف قدماً قدماً والرجال تفر من بين يديه وتنحاز عنه يمنة ويسرة حتى خضب الأرض بدماء القتلى ثم رجع وقد انحنى سيفه فأقامه بركبته فاجتمع عليه أصحابه وناشدوه الله في نفسه وفي الإسلام فقال: والله ما أريد بما ترون إلا وجه الله والدار الآخرة ثم قال لمحمد: هكذا تصنع يا ابن الحنفية فقال الناس: من الذي يستطيع ما تستطيعه يا أمير المؤمنين؟ ومن مواقفه في صفين ما كان يوم الهرير قال بعض الرواة: فوالله الذي بعث محمداً بالحق

نبياً ما سمعنا برئيس قوم منذ خلق الله السماوات والأرض أصاب بيده في يوم واحد ما أصاب علي. فقد قتل فيما ذكر العادون زيادة على خمسمائة من الأعلام يخرج بسيفه منحنياً فيقول: معذرة إلى الله واليكم من هذا لقد هممت أن أفلقه ولكن يحجزني عنه أني سمعت رسول الله يقول:

لا سـيـف إلا ذو الـفـقـار ولا فـتـى إلا عـلـي

وأنا أقاتل به دونه فكنا نأخذه فنقومه ثم يتناوله من أيدينا فيقتحم به في عرض الصف فلا والله ما ليث بأشد نكاية منه في عدوه. وكان في أوائل أيام صفين يسهر الليل كله إلى الصباح يعبي الكتائب ويؤمر الأمراء ويعقد الألوية ومر في اليوم السابع ومعه بنوه نحو الميسرة والنبل يمر بين عاتقيه ومنكبيه وما من بنيه إلا من يقيه بنفسه فيكره ذلك ويتقدم نحو أهل الشام ويؤخر الذي يقيه إلى ورائه. وهو الذي لبس يوم صفين سلاح العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب لما برز إليه اللخميان فبرز إليه أحدهما فكأنما اختطفه ثم برز إليه الآخر فألحقه بالأول. وهو الذي قتل الحميري الذي لم يكن في الشام أشهر منه بالبأس والنجدة بعد أن قتل ثلاثة من أهل العراق مبارزة ورمى أجسادهم بعضها فوق بعض ووقف عليها بغياً وعتواً فضربه أمير المؤمنين (ع) ضربة خر منها قتيلاً يتشحط في دمه وقتل معه اثنين وتلا ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾.

التاسع: القوة والأيد، وحسبك في ذلك قلعه باب خيبر وجعله جسراً على الخندق وكان يغلقه عشرون رجلاً وتترسه يومئذ بباب لم يستطع قلبه ثمانية نفر (قال المفيد): روى أصحاب الآثار عن الحسن بن صالح عن الأعمش عن أبي عبد الله الجدلي قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: لما عالجت باب خيبر جعلته مجناً لي فقاتلتهم به فلما أخزاهم الله وضعت الباب على حصنهم طريقاً ثم رميت به في خندقهم فقال له رجل: لقد حملت منه ثقلاً فقال: ما كان إلا مثل جنتي التي في يدي غير ذلك المقام. وذكر أصحاب السيرة

أن المسلمين لما انصرفوا من خيبر راموا حمل الباب فلم يقله منهم إلا سبعون رجلاً ومر في الجزء الثاني ويأتي في هذا الجزء في غزوة خيبر زيادة على هذا.
قال ابن أبي الحديد: أما القوة والأيد فبه يضرب المثل فيهما، قال ابن قتيبة في المعارف: ما صارع أحد قط إلا صرعه وهو الذي قلع باب خيبر واجتمع عليه عصبة من الناس ليقلبوه فلم يقدروا وهو الذي اقتلع هبل من أعلى الكعبة وكان عظيماً كبيراً جداً فألقاه إلى الأرض، وهو الذي اقتلع الصخرة العظيمة في أيام خلافته بيده بعد عجز الجيش كله عنها فأنبط الماء من تحتها «اهـ». ومر في الأمر الثامن عند ذكر شجاعته في غزوة خيبر أنه اقتلع باب الحصن فاجتمع عليه سبعون حتى أعادوه (وفي رواية) أن ثمانية نفر جهدوا أن يقلبوه فما استطاعوا وهذا أمر خارج عن مجاري العادات وقال ابن أبي الحديد قال ابن فارس صاحب المجمل قال ابن عائشة كانت ضربات علي (ع) في الحرب أبكاراً إن اعتلى قد وإن اعترض قط (اهـ) وهو الذي قطع حريثاً مولى معاوية نصفين يوم صفين لما أغراه عمرو بن العاص بمبارزته وكان معاوية يعده لكل مبارز وكل عظيم وكان يلبس سلاح معاوية متشبهاً به وكان يقول له: اتق علياً وضع رمحك حيث شئت. وهو الذي كان يقتلع الفارس من ظهر جواده بيده ويرمي به إلى الأرض من فوق رأسه فعل ذلك أيام صفين بأحمر مولى بني أمية لما هم أن يضرب أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن قتل كيسان مولاه فوضع أمير المؤمنين (ع) يده في جيب درع أحمر وجذبه عن فرسه وحمله على عاتقه ثم ضرب به الأرض فكسر منكبه وعضديه وأجهز عليه الحسين وابن الحنفية عليهما السلام وهو الذي كان إذا أمسك بذراع أحد أمسك بنفسه فلم يستطع أن يتنفس، ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب وقد قبض على يد خالد بن الوليد ليلة المبيت على الفراش حين تقدم إليه أمام القوم فجعل يقمص قماص البكر، رواه الشيخ الطوسي في أماليه.

العاشر: الجهاد في سبيل الله وتفوقه فيه على كافة الخلق ملحق بالضروريات والاستدلال عليه يعد من العبث فهو كالاستدلال على وجود

الشمس الضاحية وقد شهد مع رسول الله ﷺ مشاهده كلها غير تبوك وفي جميعها يكون الفتح له وعلى يديه وقد قتل الله بسيفه صناديد المشركين وجبابرة قريش وطواغيت العرب وفي جميع الوقائع تكون قتلاه أزيد ممن قتله باقي الجيش حتى أنه في يوم بدر زادت قتلاه على قتلى الجيش وهو شاب لم يتجاوز العشرين أو الخمسة والعشرين ومثله في هذا السن يكون قليل البصيرة بالحرب ناقص الخبرة بالطعن والضرب وهذا داخل في المعجزات خارج عن مجرى العادات ولو عد في عداد معجزات النبي ﷺ لكان صواباً بل إذا عد علي بن أبي طالب إحدى معجزاته ﷺ كان عين الصواب (قال المفيد) وأما الجهاد الذي ثبتت به قواعد الإسلام واستقرت بثبوتها شرائع الملة والأحكام فقد تخصص منه أمير المؤمنين بما اشتهر ذكره في الأنام واستفاض الخبر به بين الخاص والعام ولم يختلف فيه العلماء ولا شك فيه إلا غافل لم يتأمل الأخبار ولا دفعه أحد ممن نظر في الآثار إلا معاند بهات لا يستحي من العناد. ثم ذكر جهاده في بدر وغيرها. وقال ابن أبي الحديد: أما الجهاد في سبيل الله فمعلوم عند صديقه وعدوه وأنه سيد المجاهدين. وهل الجهاد لأحد من الناس إلا له وقد عرفت أن أعظم غزاة غزاها رسول الله ﷺ وأشدها نكاية في المشركين بدر الكبرى قتل فيها سبعون من المشركين قتل علي عليه السلام نصفهم. وإذا رجعت إلى مغازي محمد بن عمر الواقدي وتاريخ الأشراف ليحيى بن جابر البلاذري وغيرهما علمت صحة ذلك دع من قتله في غيرها كأحد والخندق وغيرهما. وهذا الفصل لا معنى للأطناب فيه لأنه من المعلومات الضرورية كالعلم بوجود مكة ومصر ونحوها «اهـ» قال ابن عبد البر في الاستيعاب: أجمعوا على أنه شهد بدراً والحديبية وسائر المشاهد وأنه أبلى ببدر وبأحد وبالخندق وبخيبر بلاء عظيماً وأنه أغنى في تلك المشاهد وقام فيها المقام الكريم. وكان لواء رسول الله ﷺ بيده في مواطن كثيرة وكان يوم بدر بيده على اختلاف في ذلك ولما قتل مصعب بن عمر يوم أحد وكان اللواء بيده دفعه رسول الله ﷺ إلى علي. وقال محمد بن إسحاق: شهد علي بن أبي طالب بدر وهو ابن خمس وعشرين سنة

ثم روى بسنده عن ابن عباس قال: دفع رسول الله ﷺ الراية يوم بدر إلى علي وهو ابن عشرين سنة قال: ولم يتخلف عن مشهد شهده رسول الله ﷺ منذ قدم المدينة إلا تبوك فإنه خلفه رسول الله ﷺ على المدينة وعلى عياله بعده في غزوة تبوك وقال له: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.

الحادي عشر: الحلم والصفح قال ابن أبي الحديد: وأما الحلم والصفح فكان أحلم الناس عن ذنب وأصفحهم عن مسيء، وقد ظهر صحة ما قلناه يوم الجمل حيث ظفر بمروان بن الحكم وكان أعدى الناس له وأشدهم بغضاً فصفح عنه، وكان عبد اللّه بن الزبير يشتمه على رؤوس الأشهاد وخطب يوم البصرة فقال: قد أتاكم الوغب اللئيم علي بن أبي طالب. وكان علي عليه السلام يقول: ما زال الزبير رجلاً منا أهل البيت حتى شب ابنه عبد اللّه. فظفر به يوم الجمل فأخذه أسيراً فصفح عنه وقال: اذهب فلا أرينك، لم يزده على ذلك. وظفر بسعيد بن العاص بعد وقعة الجمل بمكة وكان له عدواً فأعرض عنه ولم يقل له شيئاً. وقد علمتم ما كان من عائشة في أمره فلما ظفر بها أكرمها وبعث معها إلى المدينة عشرين امرأة من نساء عبد القيس عممهن بالعمائم وقلدهن بالسيوف فلما كانت ببعض الطريق ذكرته بما لا يجوز أن يذكر به وتأففت وقالت: هتك ستري برجاله وجنده الذين وكلهم بي، فلما وصلت المدينة ألقى النساء عمائمهن وقلن لها: إنما نحن نسوة. وحاربه أهل البصرة وضربوا وجهه ووجوه أولاده بالسيف وسبوه ولعنوه فلما ظفر بهم رفع السيف عنهم ونادى مناديه في أقطار المعسكر ألا لا يتبع مول ولا يجهز على جريح ولا يقتل مستأسر ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن تحيز إلى عسكر الإمام فهو آمن، ولم يأخذ من أثقالهم ولا سبى ذراريهم ولا غنم شيئاً من أموالهم ولو شاء أن يفعل كل ذلك لفعل ولكنه أبى إلا الصفح والعفو وتقيل سنة رسول الله ﷺ يوم فتح مكة فإنه عفا والأحقاد لم تبرد والإساءة لم تنس، ولما ملك عسكر معاوية عليه الماء وأحاطوا بشريعة الفرات وقالت رؤساء الشام له: اقتلهم بالعطش كما قتلوا عثمان عطشاً. سألهم علي وأصحابه أن يسوغوا لهم شرب الماء فقالوا: لا والله ولا قطرة حتى تموت ظمأ

كما مات ابن عفان، فلما رأى أنه الموت لا محالة تقدم بأصحابه وحمل على عساكر معاوية حملات كثيفة حتى أزالهم عن مراكزهم بعد قتل ذريع سقطت منه الرؤوس والأيدي وملكوا عليهم الماء وصار أصحاب معاوية في الفلاة لا ماء لهم، فقال له أصحابه وشيعته: امنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك ولا تسقهم منه قطرة واقتلهم بسيوف العطش وخذهم قبضاً بالأيدي فلا حاجة إلى الحرب. فقال: لا والله لا أكافيهم بمثل فعلهم افسحوا لهم عن بعض الشريعة ففي حد السيف ما يغني عن ذلك قال: فهذه إن نسبتها إلى الحلم والصفح فناهيك بها جمالاً وحسناً وإن نسبتها إلى الدين والورع فأخلق بمثلها أن تصدر عن مثله عليه السلام «اهـ».

الثاني عشر: الفصاحة والبلاغة قال ابن أبي الحديد: أما الفصاحة فهو عليه السلام إمام الفصحاء وسيد البلغاء وعن كلامه قيل: دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين. ومنه تعلم الناس الخطابة والكتابة. قال عبد الحميد بن يحيى: حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع فغاضت ثم فاضت، وقال ابن نباتة: حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيده الإنفاق إلا سعة وكثرة حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب. ولما قال محفن بن أبي محفن لمعاوية جئتك من عند أعيا الناس قال له: ويحك كيف يكون أعيا الناس فوالله ما سن الفصاحة لقريش غيره. ويكفي نهج البلاغة دلالة على أنه لا يجارى في الفصاحة ولا يبارى في البلاغة وحسبك أنه لم يدون لأحد من فصحاء الصحابة العشر ولا نصف العشر مما دون له، وكفاك في هذا ما يقوله أبو عثمان الجاحظ في مدحه في كتاب البيان والتبيين وفي غيره من كتبه «اهـ» قال الجاحظ في الكتاب المذكور: قال علي بن أبي طالب: قيمة كل امرىء ما يحسن ثم قال: فلو لم نقف من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة لوجدناها كافية شافية ومجزية مغنية بل لوجدناها فاضلة على الكفاية وغير مقصرة عن الغاية «اهـ» وقال ابن عائشة: ما أعرف كلمة بعد كلام الله ورسوله أخصر لفظاً ولا أعم نفعاً من قول علي: قيمة كل امرىء ما يحسن «اهـ» وفي البيان والتبيين قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: كم

بين السماء إلى الأرض قال: دعوة مستجابة فقالوا: كم بين المشرق إلى المغرب قال: مسيرة يوم للشمس ومن قال غير هذا فقد كذب. ويأتي عن المسعودي أنه حفظ الناس عنه أربعمائة ونيف وثمانون خطبة يوردها على البديهة. وقال الشريف الرضي في خطبة نهج البلاغة: كان أمير المؤمنين (ع) مشرع الفصاحة وموردها ومنشأ البلاغة ومولدها ومنه ظهر مكنونها وعنه أخذت قوانينها وعلى أمثلة حذا كل قائل خطيب وبكلامه استعان كل واعظ بليغ ومع ذلك فقد سبق وقصروا وتقدم وتأخروا لأن كلامه الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهي وفيه عبقة من الكلام النبوي (إلى أن قال) إن هذه الفضيلة انفرد ببلوغ غايتها من جميع السلف الأولين الذين إنما يؤثر عنهم منها القليل النادر والشاذ الشارد فأما كلامه عليه السلام فهو البحر الذي لا يساجل والجم الذي لا يحافل «اهـ» وحسبك بنهج البلاغة الذي جمعه الشريف الرضي الذي يعرف نفسه بنفسه وله منه عليه شواهد والذي تداولته العلماء والخطباء والبلغاء في كل عصر وزمان وبلغت الشروح عليه عدداً وافراً لم يوجد مثله لكتاب وطبع مرات عديدة في بلاد إيران وطبع في الشام ومصر وبيروت وطبع شرح الشيخ ميثم البحراني عليه في إيران وهو قريب من شرح ابن أبي الحديد الذي طبع في إيران مرتين وفي مصر. كل ذلك رغم ما يقوله من لا يوافق بعض ما فيه مشربهم تارة أنه من كلام الشريف الرضي وتارة أنه أدخل فيه ما ليس منه وتارة أنه منقطع السند وتارة وتارة إلى غير ذلك مما يعتاده أمثال ضرائر الحسناء فلم يؤثر عليه ذلك ولو بمقدار شعرة ولم يزدد إلا ظهوراً وانتشاراً ولم يزده تعاقب السنين وتطاول الدهور إلا إعظاماً وإكباراً وما هو إلا الذهب الإبريز يزداد حسناً بقدمه ويغلو ثمنه كلما تطاول به الأمد. وجمع الشيخ عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد الآمدي التيمي كتاباً من حكمه عليه السلام القصيرة يقارب نهج البلاغة سماه غرر الحكم ودرر الكلم ورتبه على حروف المعجم طبع في الهند ومصر وصيدا قال: إن الذي دعاه إلى جمعه ما تبجح به أبو عثمان الجاحظ من المائة الكلمة التي جمعها عن أمير المؤمنين عليه السلام فقلت: يا لله العجب من هذا الرجل وهو علامة زمانه مع تقدمه في العلم وقربه

من الصدر الأول كيف رضي عن الكثير باليسير وهل ذلك إلا بعض من كل وقل من جل وطل من وبل (إلى أن قال) جمعت يسيراً من قصير حكمه يخرس البلغاء عن مساجلته وما أنا في ذلك علم الله إلاّ كالمغترف من البحر بكفه كيف لا وهو عليه السلام الشارب من الينبوع النبوي والحاوي بين جنبيه العلم اللاهوتي إذ يقول ﷺ وقوله الحق وكلامه الصدق على ما أدته إلينا أئمة النقل: إن بين جنبي لعلماً لو أصبت له حملة «اهـ». ومما جمع من كلامه عليه السلام كتاب دستور معالم الحكم جمع القاضي القضاعي طبع في مصر وجمع الشيخ أبو علي الطبرسي صاحب مجمع البيان كتاباً من حكمه (ع) القصيرة مرتباً على حروف المعجم سماه نثر اللآلىء ذكرناه في ضمن الجزء الأول من معادن الجواهر المطبوع. وجمع الشيخ المفيد من كلامه وخطبه (ع) قدراً وافياً في كتاب الإرشاد واحتوى كتاب صفين لنصر بن مزاحم جل خطبه التي خطبها في تلك الحرب أو كلها وكتبه إلى معاوية وغيره. وجمع أبو إسحاق الوطواط الأنصاري المتوفى سنة ٥٧٨ كتاباً من كلامه عليه السلام سماه مطلوب كل طالب من كلام علي بن أبي طالب جمع فيه مائة من الحكم المنسوبة إليه طبع في ليبسك وبولاق وترجم إلى الفارسية والألمانية. وذكره صاحب كشف الظنون. وجمع القاضي الإمام أبو يوسف يعقوب بن سليمان الإسفرائي كتاباً من كلامه (ع) سماه قلائد الحكم وفرائد الكلم ذكره صاحب كشف الظنون وألف بعضهم كتاباً فارسياً أسماه معميات علي عليه السلام مذكور في كشف الظنون، وكأن المراد بها الأمور الغامضة في كلامه عليه السلام. وفي فهرست دار الكتب المصرية ج٣ ص٢٤ أمثال الإمام علي بن أبي طالب مرتبة على حروف المعجم طبع الجوائب.

الثالث عشر العلم: في الاستيعاب بسنده عن ابن عباس أنه قال: والله لقد أعطي علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم وأيم الله لقد شارككم أو شاركهم في العشر العاشر وكفى في ذلك قوله ﷺ: **«أنا مدينة العلم»** أو مدينة الحكمة **«وعلي بابها»** وسيأتي، ومعرفته بالقضاء وسيأتي أيضاً (وفي الاستيعاب) قال أحمد بن زهير أخبرنا يحيى بن معين عن عبدة بن سليمان عن عبد الملك بن

أبي سليمان قلت لعطاء: أكان في أصحاب محمد أعلم من علي قال: لا والله ما أعلمه (وفيه) بسنده عن عائشة أنها قالت في علي: أما أنه لأعلم الناس بالسنة. وفي حلية الأولياء: ثنا أبو أحمد الغطريفي ثنا أبو الحسن بن أبي مقاتل ثنا محمد بن عبد اللّه بن عتبة ثنا محمد بن علي الوهبي الكوفي ثنا أحمد بن عمران بن سلمة وكان ثقة عدلاً مرضياً ثنا سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد اللّه: كنت عند النبي ﷺ فسئل عن علي فقال: قسمت الحكمة عشرة أجزاء فأعطي علي تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً. أحمد بن عمران ذكره الذهبي في الميزان وقال: لا يدري من هو ثم ضعفه بهذا الحديث وتعقبه الحافظ في اللسان بما تقدم في السند من قول الوهبي أنه كان ثقة عدلاً مرضياً قال: وفي هذا مخالفة لما ذكره الذهبي. هكذا ذكره السيد أحمد بن محمد بن الصديق الحسيني المغربي المعاصر نزيل القاهرة في كتاب فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي ثم قال: قلت لو وثقه الناس كلهم لقال الذهبي في حديثه أنه كذب كما فعل في عدة أحاديث أخرجها الحاكم بسند الشيخين وادعى هو دفعاً بالصدر وبدون دليل أنها موضوعة وما علتها في نظره إلا كونها في فضل علي بن أبي طالب فالله المستعان.

(وروى) أبو نعيم في الحلية بسنده عن علي قال رسول الله ﷺ: «**ليهنك العلم أبا الحسن لقد شربت العلم شرباً ونهلته نهلاً**». وفي الاستيعاب والإصابة وحلية الأولياء بأسانيدهم عن ابن عباس كنا إذا أتانا الثبت عن علي لم نعدل به (وفي الاستيعاب والإصابة) بالإسناد عن سعيد بن المسيب كان عمر يتعوذ من معضلة ليس لها أبو حسن، ولم يقل أحد سلوني قبل أن تفقدوني غيره كما يأتي (وفي الاستيعاب) قال سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص قلت لعبد اللّه بن عياش بن أبي ربيعة: يا عم لم كان صفو الناس إلى علي فقال: يا ابن أخي إن علياً عليه السلام كان له ما شئت من ضرس قاطع في العلم وكان له البسطة في العشيرة والقدم في الإسلام والصهر لرسول الله ﷺ والفقه في السنة والنجدة في الحرب والجود في الماعون (وفيه) روى عبد الرحمٰن بن أذينة العبدي عن أبيه

أذينة بن مسلمة قال: أتيت عمر بن الخطاب فسألته: من أين أعتمر؟ فقال: ائت علياً فاسأله وذكر الحديث وفيه ما أجد لك إلا ما قال علي (وفيه) كان معاوية يكتب فيما ينزل به ليسأل له علي بن أبي طالب عن ذلك فلما بلغه قتله قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب فقال له أخوه عتبة: لا يسمع منك هذا أهل الشام فقال له: دعني عنك.

قال ابن أبي الحديد في النهج: أشرف العلوم العلم الإلهي (يعني علم التوحيد) لأن شرف العلم بشرف المعلوم ومن كلامه عليه السلام اقتبس وعنه نقل وإليه انتهى ومنه ابتدأ، فالمعتزلة الذين هم أرباب النظر ومنهم تعلم الناس هذا العلم تلامذته لأن كبيرهم واصل بن عطاء تلميذ أبي هاشم عبد اللّه بن محمد بن الحنفية وهو تلميذ أبيه وأبوه تلميذه عليه السلام، وأما الأشعرية فينتمون إلى أبي الحسن علي بن أبي الحسن بن أبي بشر الأشعري وهو تلميذ أبي علي الجبائي وأبو علي أحد مشايخ المعتزلة والمعتزلة ينتمون إلى علي عليه السلام كما مر. أما الإمامية والزيدية فانتماؤهم إليه ظاهر. قال وبعده علم الفقه وهو عليه السلام أصله وأساسه وكل فقيه في الإسلام فهو عيال عليه ومستفيد من فقهه فإن أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني وغيرهما أخذوا عنه، والشافعي قرأ على محمد بن الحسن تلميذ أبي حنيفة وعلى مالك بن أنس وأحمد بن حنبل قرأ على الشافعي فيرجع فقه الكل إلى أبي حنيفة وأبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمد وجعفر على أبيه وينتهي الأمر إلى علي. ومالك بن أنس قرأ على ربيعة الرأي وربيعة على عكرمة وعكرمة على ابن عباس عن علي فهؤلاء الفقهاء الأربعة. وأما فقه الشيعة فرجوعه إليه ظاهر، وكان ابن عباس من فقهاء الصحابة ورجوعه إليه ظاهر، وقد عرف كل أحد رجوع عمر إليه في كثير من المسائل التي أشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة وقوله غير مرة لولا علي لهلك عمر وقوله: لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو حسن وقوله: لا يفتين أحد في المسجد وعلي حاضر، فقد عرف بهذا الوجه أيضاً انتهاء الفقه إليه، وقد روى العامة والخاصة قوله ﷺ: «**أقضاكم علي**» والقضاء هو الفقه فهو

إذاً أفقههم، وروى الكل أنه ﷺ قال له وقد بعثه إلى اليمن قاضياً: **«اللهم اهد قلبه وثبت لسانه»** قال: فما شككت بعدها في قضاء بين اثنين قال: وهو الذي أفتى في المرأة التي وضعت لستة أشهر وفي الحامل الزانية وهو الذي قال في المنبرية صار ثمنها تسعاً (أقول) وهو الذي أفتى في المجنونة التي فجر بها رجل وقصة الأرغفة وغيرهما من القضايا العجيبة التي ذكرنا كثيراً منها في الجزء الثاني من معادن الجواهر وجمعناها كلها في كتاب مطبوع ويأتي ذكر هذه الخمسة هنا.
قال: وعلم تفسير القرآن عنه أخذ ومنه فرع، وإذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحة ذلك لأن أكثره عنه وعن عبد اللّه بن عباس، وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له وانقطاعه إليه وأنه تلميذه وخريجه وقيل له: أين علمك من علم ابن عمك قال: كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط. قال: وعلم الطريقة والحقيقة والتصوف وأرباب هذا الفن في جميع بلاد الإسلام إليه ينتهون وعنده يقفون، وقد صرح بذلك الشبلي والجنيد والسري وأبو يزيد البسطامي وأبو محفوظ معروف الكرخي وغيرهم ويكفيك دلالة على ذلك الخرقة التي هي شعارهم إلى اليوم يسندونها بإسناد متصل إليه. قال وعلم النحو والعربية وقد علم الناس كافة أنه هو الذي ابتدعه وأنشأه وأملى على أبي الأسود الدؤلي جوامعه وأصوله من جملتها: الكلام كله ثلاثة أشياء اسم وفعل وحرف، ومن جملتها تقسيم الكلمة إلى معرفة ونكرة، وتقسيم وجوه الإعراب إلى الرفع والنصب والجر والجزم، وهذا يكاد يلحق بالمعجزات لأن القوة البشرية لا تفي بهذا الحصر ولا تنهض بهذا الاستنباط (أقول) ومضى في المقدمات الكلام على ذلك مفصلاً بما لا مزيد عليه. قال: وأما علم القراءة فإذا رجعت إلى كتب القراءات وجدت أئمة القراء كلهم يرجعون إليه كأبي عمرو بن العلاء وعاصم بن أبي النجود وغيرهما لأنهم يرجعون إلى أبي عبد الرحمٰن السلمي وأبو عبد الرحمٰن كان تلميذه وعنه أخذ القراءات (اهـ) وقال أيضاً اتفق الكل على أنه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله ﷺ ولم يكن غيره يحفظه ثم هو أول من جمعه. نقلوا أنه بعد وفاة النبي ﷺ اشتغل بجمع القرآن، ولو كان

مجموعاً في حياة رسول الله ﷺ لما احتاج إلى التشاغل بجمعه بعد وفاته «اهـ» (أقول) مر في المقدمات عن ابن حجر أنه قال: ورد عن علي أنه جمع القرآن على ترتيب النزول عقيب موت النبي ﷺ وأن علياً (ع) قال: لما قبض رسول الله ﷺ أقسمت أن لا أضع ردائي حتى أجمع ما بين اللوحين. وأما علم الأخلاق وتهذيب النفس فانتسابه إليه أشهر من أن يذكر وأوضح من أن يبين كلامه في ذلك وخطبه ووصاياه قد ملأت الخافقين ومنه تعلم كل أخلاقي وواعظ وخطيب. وأما علم تدبير الملك وسياسة الرعية وإدارة الحرب فعليه يدور وإليه يحور، وقد تضمن عهده للأشتر من ذلك وما ظهر منه في خلافته وفي حروبه ما يحير العقول. وصنف النسائي كتاباً في الأحاديث أسماه مسند علي ففي كشف الظنون ما صورته: مسند علي لأبي عبد الرحمٰن أحمد بن شعيب النسائي المتوفى سنة ٣٠٣ «اهـ» وهو غير الخصائص في الأحاديث النبوية في فضائله ونحوها. وفي كشف الظنون أيضاً: الواعي في حديث علي «عليه السلام» للإمام عبد الحق بن عبد الرحمٰن الإشبيلي المتوفى سنة ٥٨٢.

المسألة المنبرية

وهي أنه عليه السلام سئل وهو على المنبر عن بنتين وأبوين وزوجة فقال بغير روية صار ثمنها تسعاً وهذه المسألة لو صحت لكانت مبنية على العول وهو إدخال النقص عند ضيق المال عن السهام المفروضة على جميع الورثة بنسبة سهامهم، فهنا للزوجة الثمن وللأبوين الثلث وللبنتين الثلثان فضاق المال عن السهام لأن الثلث والثلثين تم بهما المال فمن أين يؤخذ الثمن فمن نفى العول قال: إن النقص يدخل على البنتين. الفريضة من أربعة وعشرين للزوجة ثمنها ثلاثة وللأبوين ثلثها ثمانية والباقي ثلاثة عشر للبنتين نقص من سهمهما ثلاثة ومن أثبت العول قال: يدخل النقص على الجميع فيزاد على الأربعة والعشرين ثلاثة تصير سبعة وعشرين للزوجة منها ثلاثة وللأبوين ثمانية وللبنتين ستة عشر والثلاثة هي تسع السبعة والعشرين فهذا معنى قوله صار ثمنها تسعاً. قال ابن أبي

الحديد: هذه المسألة لو فكر الفرضي فيها فكراً طويلاً لاستحسن منه بعد طول النظر هذا الجواب فما ظنك بمن قاله بديهة واقتضبه ارتجالاً «اهـ» قال المرتضى في الانتصار: أما دعوى المخالف أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يذهب إلى العول في الفرائض وأنهم يروون عنه أنه سئل وهو على المنبر عن بنتين وأبوين وزوجة فقال بغير روية صار ثمنها تسعاً فباطلة لأنا نروي عنه خلاف هذا القول ووسائطنا إليه النجوم الزاهرة من عترته كزين العابدين والباقر والصادق والكاظم عليهم السلام وهؤلاء أعرف بمذهب أبيهم ممن نقل خلاف ما نقلوه وابن عباس ما تلقى إبطال العول في الفرائض إلا عنه ومعولهم في الرواية عنه أنه كان يقول بالعول عن الشعبي والحسن بن عمارة والنخعي فأما الشعبي فإنه ولد سنة ٣٦ والنخعي ولد سنة ٣٧ وقتل أمير المؤمنين سنة ٤٠ فكيف تصح رواياتهم عنه والحسن بن عمارة مضعف عند أصحاب الحديث ولما ولي المظالم قال سليمان بن مهران الأعمش ظالم ولي المظالم ولو سلم كل من ذكرناه من كل قدح وجرح لم يكونوا بإزاء من ذكرناه من السادة والقادة الذين رووا عنه إبطال العول فأما الخبر المتضمن أن ثمنها صار تسعاً فإنما رواه سفيان عن رجل لم يسمه والمجهول لا حكم له وما رواه عنه أهله أولى وأثبت وفي أصحابنا من يتأول هذا الخبر إذا صح على أن المراد أن ثمنها صار تسعاً عندكم أو أراد الاستفهام (الإنكاري) وأسقط حرفه كما أسقط في مواضع كثيرة «اهـ».

المسألة الدينارية

حكاها محمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول وهي أن امرأة جاءت إليه وقد خرج من داره ليركب فترك رجله في الركاب فقالت: يا أمير المؤمنين إن أخي قد مات وخلف ستمائة دينار وقد دفعوا لي منها ديناراً واحداً وأسألك إنصافي وإيصال حقي إلي فقال لها: خلف أخوك بنتين لهما الثلثان أربعمائة وخلف أماً لها السدس مائة وخلف زوجة لها الثمن خمسة وسبعون وخلف معك اثني عشر أخاً لكل أخ ديناران ولك دينار قالت: نعم فلذلك سميت هذه المسألة

بالدينارية «اهـ» وهذه المسألة لو صحت لكانت مبنية على التعصيب كما أن السابقة مبنية على العول. والتعصيب هو أخذ العصبة ما زاد عن السهام المفروضة في الكتاب العزيز والثابت عن أئمة أهل البيت بطلان التعصيب بل يرد الزائد على ذوي السهام بنسبة سهامهم ويجوز أن يكون عليه السلام قال للمرأة أن لها ذلك على المذهب الذي كان معروفاً في ذلك العصر وإن كان لا يقول به.

قصة الأرغفة

رواها العامة والخاصة بأسانيدهم المتصلة ففي الاستيعاب ما لفظه: وفيما أخبرنا شيخنا أبو الأصبغ عيسى بن سعيد بن سعدان المقري أحد معلمي القرآن رحمه الله أنبأنا أبو بكر أحمد بن محمد بن قاسم المقري قراءة عليه في منزله ببغداد حدثنا أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد المقري في مسجده حدثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا يحيى بن معين حدثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن زر بن حبيش قال: جلس رجلان يتغديان مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة أرغفة فلما وضعا الغداء بين أيديهما مر بهما رجل فسلم فقالا: اجلس للغداء فجلس وأكل معهما واستوفوا في أكلهم الأرغفة الثمانية، فقام الرجل وطرح إليهما ثمانية دراهم وقال: خذا هذا عوضاً مما أكلت لكما ونلته من طعامكما فتنازعا وقال صاحب الخمسة الأرغفة: لي خمسة دراهم ولك ثلاثة فقال صاحب الثلاثة الأرغفة: لا أرضى إلا أن تكون الدراهم بيننا نصفين وارتفعا إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فقصا عليه قصتهما فقال لصاحب الثلاثة الأرغفة: قد عرض عليك صاحبك ما عرض وخبزه أكثر من خبزك فارض بالثلاثة فقال: لا والله لا رضيت منه إلا بمر الحق فقال علي: ليس لك في مر الحق إلا درهم واحد وله سبعة فقال الرجل: سبحان الله يا أمير المؤمنين هو يعرض علي ثلاثة فلم أرض وأشرت علي بأخذها فلم أرض وتقول لي الآن: أنه لا يجب لي في مر الحق إلا درهم واحد فقال له علي: عرض عليك صاحبك أن تأخذ الثلاثة صلحاً فقلت: لم أرض إلا بمر الحق ولا يجب

لك بمر الحق إلا واحد فقال الرجل: فعرفني بالوجه في مر الحق حتى أقبله.
فقال علي: أليس للثمانية الأرغفة أربعة وعشرون ثلثاً أكلتموها وأنتم ثلاثة أنفس ولا يعلم الأكثر منكم أكلاً ولا الأقل فتحملون في أكلكم على السواء قال: بلى قال: فأكلت أنت ثمانية أثلاث وإنما لك تسعة أثلاث وأكل صاحبك ثمانية أثلاث وله خمسة عشر ثلثاً أكل منها ثمانية ويبقى له سبعة وأكل لك واحداً في تسعة فلك واحد بواحدك وله سبعة بسبعته فقال له الرجل: رضيت الآن «اه»
وفي كتاب عجائب أحكامه: علي بن أبراهيم قال: حدثني أبي عن الحسن بن محبوب عن عبد الرحمٰن بن الحجاج قال: سمعت ابن أبي ليلى يقول: قضى علي عليه السلام بقضية عجيبة وذلك أنه اصطحب رجلان في سفر فجلسا ليتغديا فأخرج أحدهما خمسة أرغفة وأخرج الآخر ثلاثة أرغفة فمر بهما رجل فسلم عليهما فقالا له: الغداء. فأكل معهما فلما قام رمى إليهما بثمانية دراهم وقال لهما: هذا عوض مما أكلت من طعامكما، فاختصما فقال صاحب الثلاثة الأرغفة: هي نصفان بيننا وقال الآخر: بل لي خمسة ولك ثلاثة فارتفعا إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال لهما أمير المؤمنين: إن هذا الأمر الذي أنتما فيه الصلح فيه أحسن فقال صاحب الثلاثة الأرغفة: لا أرضى يا أمير المؤمنين إلا بمر القضاء. قال له أمير المؤمنين: فإن لك في مر القضاء درهماً واحداً ولخصمك سبعة دراهم. فقال الرجل: سبحان الله كيف صار هذا هكذا قال له: أخبرك، أليس كان لك ثلاثة أرغفة ولخصمك خمسة أرغفة قال: بلى قال: فهذه كلها أربعة وعشرون ثلثاً أكلت منها ثمانية وصاحبك ثمانية وضيفكما ثمانية فأكلت أنت ثمانية من تسعة أثلاث وبقي لك ثلث فأصابك درهم وأكل صاحبك ثمانية أثلاث من خمسة أرغفة وبقي له سبعة أثلاث أكلها الضيف فصار له سبعة دراهم بسبعة أثلاث أكلها الضيف ولك ثلث أكله الضيف. وفي إرشاد المفيد: روى الحسن بن محبوب قال: حدثني عبد الرحمٰن بن الحجاج قال: سمعت ابن أبي ليلى يقول: لقد قضى أمير المؤمنين بقضية ما سبقه إليها أحد وذلك أن رجلين اصطحبا في سفر فجعلا يتغديان وذكر الحديث بنحو ما مر إلا أنه قال:

فقال لهما أمير المؤمنين: هذا أمر فيه دناءة والخصومة غير جميلة فيه والصلح أحسن فقال صاحب الثلاثة لست أرضى إلا بمر القضاء.

خبر المجنونـــة

في إرشاد المفيد: روي أن مجنونة على عهد عمر فجر بها رجل فقامت عليها البينة بذلك فأمر بجلدها الحد فمر بها على علي لتجلد فقال: ما بال مجنونة آل فلان تعتل فقيل له: إن رجلاً فجر بها وهرب وقامت البينة عليها فأمر عمر بجلدها فقال: ردوها إليه وقولوا له: أما علمت أن هذه مجنونة آل فلان وأن النبي ﷺ قد رفع القلم عن المجنون حتى يفيق. إنها مغلوبة على عقلها ونفسها فردت إليه وقيل له ذلك فقال: فرج الله عنه لقد كدت أهلك في جلدها.

التي ولدت لستة أشهر

في إرشاد المفيد: روي عن يونس بن الحسن أن عمر أُتي بامرأة قد ولدت لستة أشهر فهم برجمها فقال له علي: إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك، إن الله تعالى يقول: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ ويقول جل قائلاً: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ فإذا كانت مدة الرضاعة حولين كاملين وكان حمله وفصاله ثلاثين شهراً كان الحمل فيها ستة أشهر. فخلى عمر سبيل المرأة وثبت الحكم بذلك فعمل به الصحابة والتابعون ومن أخذ عنهم إلى يومنا هذا «اهـ» ورواه أيضاً ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله عن أبي حرب عن أبي الأسود ورواه يوسف بن محمد البلوي في كتاب ألف باء فيما حكي عنهما.

وقد أشار إلى هاتين الواقعتين في المجنونة التي زنت والتي ولدت لستة أشهر أبو عمرو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي المالكي في كتاب الاستيعاب في أسماء الأصحاب فقال في ترجمة علي عليه السلام من كتاب الاستيعاب ما لفظه: وقال في المجنونة التي أمر برجمها عمر وفي التي وضعت لستة أشهر فأراد عمر رجمها فقال له علي: إن الله تعالى

يقول: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾. الحديث، وقال: إن الله رفع القلم عن المجنون. الحديث، فكان عمر يقول: لولا علي لهلك عمر. قال: وقد روي مثل هذه القصة لعثمان مع ابن عباس، وعن علي أخذها ابن عباس «اهـ».

الحامل الزانيـــة

في الإرشاد: روي أنه - أي عمر - أتي بحامل قد زنت فأمر برجمها فقال له علي: هب إن لك سبيلاً عليها أي سبيل لك على ما في بطنها والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ فقال عمر: لا عشت لمعضلة لا يكون لها أبو الحسن ثم قال: فما أصنع بها قال: احتط عليها حتى تلد فإذا ولدت ووجدت لولدها من يكفله فأقم عليها الحد.

وقد نقلنا في الجزء الثاني من معادن الجواهر ثلاثاً وأربعين قضية من عجائب قضايا أمير المؤمنين عليه السلام فأغنى عن إيرادها هنا فليرجع إليه من أرادها.

وعندنا كتاب عجائب أحكام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه رواية محمد بن علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن جده هكذا كتب في أوله وفيه عدد وافر من قضاياه عليه السلام مروية بإسناد واحد وهو علي بن إبراهيم عن أبيه عن محمد بن الوليد عن محمد بن الفرات عن الأصبغ بن نباتة ويرويه عن علي بن إبراهيم ولده محمد كما مر وتاريخ كتابة النسخة سنة ٤١٠ أو ٤٢٠هـ وكتب عليه أيضاً ما صورته نسخ منه أبو النجيب عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الكريم الكرخي في شهور سنة ثمان وعشرين وخمسمائة بلغ مناه في آخرته ودنياه «اهـ». وقد جمعنا كتاباً في قضاياه وأحكامه ومسائله العجيبة وأدرجنا في ضمنه الكتاب المذكور وهو مطبوع.

الرابع عشر: قوله ﷺ: **«أنا مدينة العلم وعلي بابها»**. في الاستيعاب: روي عن النبي ﷺ أنه قال: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأته من بابه. وفي أسد الغابة بسنده عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: **«أنا مدينة العلم**

وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت بابه» وروى أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء بسنده عن علي بن أبي طالب قال رسول الله ﷺ: **«أنا دار الحكمة وعلي بابها»** ثم قال رواه الأصبغ بن نباتة والحارث عن علي نحوه ومجاهد عن ابن عباس عن النبي ﷺ مثله وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي الصلت عبد السلام بن صالح ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: **«أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب»** قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأبو الصلت ثقة مأمون «اهـ» ثم روى عن الدوري أنه قال: سألت يحيى بن معين عن أبي الصلت الهروي فقال: ثقة فقلت: أليس قد حدث عن أبي معاوية عن الأعمش أنا مدينة العلم قال: قد حدث به محمد بن جعفر الفيدي وهو ثقة مأمون. ثم روي عن صالح بن محمد بن حبيب الحافظ أنه سئل عن أبي الصلت الهروي فقال: دخل يحيى بن معين ونحن معه على أبي الصلت فلما خرج قلت له: ما تقول في أبي الصلت قال: هو صدوق قلت: إنه يروي حديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها» قال: قد روى ذاك الفيدي كما رواه أبو الصلت. ثم ذكر رواية الفيدي عن أبي معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن العباس قال رسول الله ﷺ: **«أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب»** قال الحسين بن فهم حدثناه أبو الصلت الهروي عن أبي معاوية قال الحاكم: ليعلم المستفيد لهذا العلم أن الحسين بن فهم بن عبد الرحمن ثقة مأمون حافظ. ثم قال: ولهذا الحديث شاهد من حديث سفيان الثوري بإسناد صحيح وذكر السند إلى جابر بن عبد الله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب»**. وذكر الذهبي في تلخيص المستدرك قدحاً في هذا الحديث ذكرناه مع جوابه في ترجمة أبي الصلت الهروي عبد السلام بن صالح.

الخامس عشر: أنه لم يقل أحد سلوني قبل أن تفقدوني غيره ففي الاستيعاب بسنده عن سعيد بن المسيب ما كان أحد من الناس يقول: سلوني غير علي بن أبي طالب، وروى أبو جعفر الإسكافي في كتاب نقض العثمانية بسنده

عن ابن شبرمة أنه قال: ليس لأحد من الناس أن يقول على المنبر سلوني إلا علي بن أبي طالب. حكاه ابن أبي الحديد في شرح النهج. وفي الاستيعاب روى معمر عن وهب بن عبد اللّه عن أبي الطفيل: شهدت علياً يخطب وهو يقول: سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلاّ وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل. وفي الإصابة بسنده عن أبي الطفيل كان علي يقول: سلوني وسلوني عن كتاب الله تعالى فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أنزلت بليل أو نهار. قال السيوطي في الإتقان: وأما علي فقد روي عنه الكثير وقد روى معمر عن وهب بن عبد اللّه عن أبي الطفيل قال: شهدت علياً يخطب وهو يقول: سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل «اه» وهذا الكلام قاله من جملة خطبة خطبها لما بويع بالخلافة فقام إليه رجل يقال له ذعلب وكان ذرب اللسان بليغاً في الخطب شجاع القلب فقال: لقد ارتقى ابن أبي طالب مرقاة صعبة لأخجلنه اليوم لكم في مسألتي إياه فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك فقال: ويلك يا ذعلب لم أكن بالذي أعبد رباً لم أره فقال: كيف رأيته؟ صفه لنا قال: ويلك لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان ويلك يا ذعلب إن ربي لا يوصف بالبعد ولا بالقرب ولا بالحركة ولا بالسكون ولا بقيام قيام انتصاب ولا بجيئة وذهاب لطيف اللطافة لا يوصف باللطف عظيم العظمة لا يوصف بالعظم كبير الكبر لا يوصف بالكبر جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ رؤوف الرحمة لا يوصف بالرقة مؤمن لا بعبادة مدرك لا بمحسة قائل لا بلفظ هو في الأشياء على غير ممازجة خارج عنها على غير مباينة فوق كل شيء ولا يقال له فوق أمام كل شيء ولا يقال له: أمام داخل في الأشياء لا كشيء في شيء داخل خارج منها لا كشيء من شيء خارج فخر ذعلب مغشياً عليه ثم قال: تالله ما سمعت بمثل هذا الجواب والله لا عدت إلى مثلها أبداً. وفي نهج البلاغة: ومن كلام له عليه السلام وقد سأله ذعلب اليماني فقال: هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟ فقال: أفأعبد ما لا أرى فقال:

وكيف تراه؟ قال: لا تدركه العيون بمساعدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان قريب من الأشياء غير ملامس بعيد منها غير مباين متكلم بلا روية مريد لا بهمة صانع لا بجارحة لطيف لا يوصف بالخفاء كبير لا يوصف بالجفاء بصير لا يوصف بالحاسة رحيم لا يوصف بالرقة تعنو الوجوه لعظمته وتجب القلوب من مخافته «اهـ» قال ابن أبي الحديد قوله: أفأعبد ما لا أرى. مقام رفيع جداً لا يصلح أن يقوله غيره عليه السلام «اهـ» وفي تتمة الخبر السالف ثم قال عليه السلام: سلوني قبل أن تفقدوني فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين دلني على عمل إذا أنا عملته نجاني الله من النار فقال له: اسمع يا هذا ثم افهم ثم استيقن قامت الدنيا بثلاثة: بعالم ناطق مستعمل لعلمه وبغني لا يبخل بماله عن أهل دين الله عز وجل وبفقير صابر فإذا كتم العالم علمه وبخل الغني ولم يصبر الفقير فعندها الويل والثبور. أيها السائل إنما الناس ثلاثة: زاهد وراغب وصابر فأما الزاهد فلا يفرح بشيء من الدنيا ولا يحزن على شيء منها فاته وأما الصابر فيتمناها بقلبه فإن أدرك منها شيئاً صرف عنها نفسه لما يعلم من سوء عاقبتها وأما الراغب فلا يبالي من حل أصابها أم من حرام.

السادس عشر: ان عنده علم القرآن والتوراة والإنجيل: قد مر في الأمر الخامس عشر قوله: سلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل. وفي حلية الأولياء بسنده عن علي عليه السلام قال: والله ما أنزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤولاً.

قال ابن أبي الحديد: وروى المدائني قال: خطب علي عليه السلام فقال: لو كسرت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم وما من آية في كتاب الله أنزلت في سهل أو جبل إلا وأنا عالم متى أنزلت وفيمن أنزلت. وقال: وروى صاحب كتاب الغارات عن المنهال بن عمرو عن عبد اللّه بن الحارث قال: سمعت علياً يقول على المنبر: ما أحد جرت عليه المواسي إلا وقد أنزل الله فيه قرآناً، فقام إليه

رجل فقال: يا أمير المؤمنين فما أنزل الله تعالى فيك: (يريد تكذيبه) فقام الناس إليه يلكزونه فقال: دعوه. أقرأت سورة هود؟ قال: نعم قال: قرأت قوله سبحانه: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ ويتلوه شاهد (منه) قال: نعم قال: صاحب البينة محمد والتالي الشاهد أنا.

السابع عشر: معرفة القضاء والفرائض روى الحاكم في المستدرك بسنده عن عبد الله (يعني ابن مسعود) وصححه على شرط الشيخين: كنا نتحدث أن أقضى أهل المدينة علي بن أبي طالب. وفي أسد الغابة بسنده عن عبد الله بن مسعود مثله (وفي الاستيعاب) بسنده عن عبد الله مثله وبسنده عن ابن مسعود أن أقضى أهل المدينة علي بن أبي طالب وبسنده عنه أعلم أهل المدينة بالفرائض علي بن أبي طالب وبسنده عن المغيرة ليس أحد منهم أقوى قولاً في الفرائض من علي وفيه قال ﷺ في أصحابه أقضاهم علي (وفيه) بعدة أسانيد عن عمر أنه قال: علي أقضانا. وروى أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء بسنده عن علي: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فقلت: يا رسول الله تبعثني إلى اليمن ويسألونني عن القضاء ولا علم لي به قال: ادن فدنوت فضرب بيده على صدري ثم قال: اللهم ثبت لسانه واهد قلبه. فلا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما شككت في قضاء بين اثنين بعده. ورواه المفيد في الإرشاد نحوه إلا أنه قال: تندبني يا رسول الله للقضاء وأنا شاب ولا علم لي بكل القضاء. ورواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين بسنده عن علي: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فقلت: يا رسول الله إني رجل شاب وأنه يرد علي من القضاء ما لا علم لي به فوضع يده على صدري فقال: «**اللهم ثبت لسانه واهد قلبه فما شككت في القضاء أو في قضاء بعده**». ورواه النسائي في الخصائص بسنده عن علي إلا أنه قال: «**اللهم امد قلبه وسدد لسانه فما شككت في قضاء بين اثنين حين جلست في مجلسي**». وروى النسائي في الخصائص هذا المضمون بعدة أسانيد عن علي عليه السلام. وفي بعضها: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن وأنا شاب حديث السن فقلت: يا رسول الله تبعثني إلى قوم يكون

بينهم أحداث وأنا شاب حديث السن؟ قال: «**إن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك**» قال: ما شككت في حديث أقضي بين اثنين (كذا) و(في رواية) فما شككت في حكومة بعد (وفى أخرى) فوضع يده على صدري وقال: إن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك يا علي إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول فإنك إذا فعلت ذلك تبدى لك القضاء. قال علي: فما أشكل علي قضاء بعد ذلك.

الثامن عشر: نزول ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ في حقه. في الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي عن مكحول عن علي بن أبي طالب في قوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ قال لي رسول الله: «**سألت الله أن يجعلها أذنك يا علي**» ففعل فكان علي يقول ما سمعت من رسول الله ﷺ كلاماً إلا وعيته وحفظته ولم أنسه. وفي أسباب النزول للواحدي النيسابوري: حدثنا أبو بكر التميمي أخبرنا عبد اللّه بن محمد بن جعفر أخبرنا الوليد بن إبان أخبرنا العباس الدوري أخبرنا بشر بن آدم أخبرنا عبد اللّه بن الزبير قال: سمعت صالح بن هشيم يقول: سمعت بريدة يقول: قال رسول الله ﷺ لعلي: «**إن الله أمرني أن أدنيك ولا أقصيك وأن أعلمك وتعي وحق على الله أن تعي فنزلت وتعيها أذن واعية**». وفي تفسير الطبري: حدثني عبد اللّه بن رستم سمعت بريدة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي: «**يا علي إن الله أمرني أن أدنيك**» وذكر مثله. وفي حلية الأولياء بسنده عن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن رسول الله ﷺ: «**يا علي إن الله أمرني أن أدنيك وأعلمك لتعي**» وأنزلت هذه الآية: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ فأنت أذن واعية لعلمي (وروى) الطبري في تفسيره قال: حدثنا علي بن سهل حدثنا الوليد بن مسلم عن علي بن حوشب سمعت مكحولاً يقول: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ ثم التفت إلى علي فقال: سألت الله أن يجعلها أذنك قال علي: فما سمعت شيئاً من رسول الله ﷺ فنسيته. وفي الدر المنثور للسيوطي: أخرج سعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن مكحول قال: لما نزلت ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ قال

رسول الله ﷺ: «**سألت ربي أن يجعلها أذن علي**» قال مكحول: فكان علي يقول: ما سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً فنسيته. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والواحدي وابن مردويه وابن عساكر وابن النجاري عن بريدة قال رسول الله ﷺ لعلي: «**إن الله أمرني أن أدنيك ولا أقصيك وأن أعلمك وأن تعي وحق لك أن تعي**» فنزلت هذه الآية ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾.

التاسع عشر: الزهد في الدنيا. وإنما يعرف زهد الزاهد فيها إذا كانت في يده ويزهد فيها لا إذا كانت زاهدة فيه. كان أكثر أكابر الصحابة في زمن عثمان وقبله قد درت عليهم أخلاف الدنيا من الفتوحات والعطاء من بيت المال فبنوا الدور وشيدوا القصور واختزنوا الأموال الكثيرة وخلفوها بعدهم. روى المسعودي أنه في أيام عثمان اقتنى الصحابة الضياع والمال فكان لعثمان يوم قتل عند خازنه خمسون ومائة ألف دينار وألف ألف درهم وقيمة ضياعه في وادي القرى وحنين وغيرهما مائة ألف دينار وخلف إبلاً وخيلاً كثيرة. وبلغ الثمن الواحد من متروك الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار وخلف ألف فرس وألف أمة. وكانت غلة طلحة من العراق ألف دينار كل يوم ومن ناحية السراة أكثر من ذلك. وكان على مربط عبد الرحمٰن بن عوف ألف فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف من الغنم وبلغ الربع من متروكه بعد وفاته أربعة وثمانين ألفاً. وخلف زيد بن ثابت من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس غير ما خلف من الأموال والضياع. وبنى الزبير داره بالبصرة وبنى أيضاً بمصر والكوفة والإسكندرية، وكذلك بنى طلحة داره بالكوفة وشيد داره بالمدينة وبناها بالجص والآجر والساج، وبنى سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق ورفع سمكها وأوسع فضاءها وجعل على أعلاها شرفات، وبنى المقداد داره بالمدينة وجعلها مجصصة الظاهر والباطن، وخلف يعلى ابن منبه خمسين ألف دينار وعقاراً وغير ذلك ما قيمته ثلثمائة ألف درهم «اهـ» ولكن ذكره المقداد معهم لمجرد بنائه داره وتجصيص ظاهرها وباطنها لا يخلو من حيف على المقداد فهل يريدون من المقداد أن يبقى في دار خربة سوداء مظلمة.

ولم يكن علي أقل نصيباً منهم في عطاء وغيره ثم جاءته الخلافة وصارت الدنيا كلها في يده عدا الشام ومع ذلك لم يخلف عند موته إلا ثمانمائة درهم لم يكن اختزنها وإنما أعدها لخادم يشتريها لأهله فمات قبل شرائها فأين ذهبت الأموال التي وصلت إلى يده وهو لم يصرفها في مأكل ولا ملبس ولا مركوب ولا شراء عبيد ولا إماء ولا بناء دار ولا اقتناء عقار. مات ولم يضع لبنة على لبنة ولا تنعم بشيء من لذات الدنيا بل كان يلبس الخشن ويأكل الجشب ويعمل في أرضه فيستنبط منها العيون ثم يقفها في سبيل الله ويصرف ما يصل إلى يده من مال في الفقراء والمساكين وفي سبيل الله، وهو مع ذلك يريد من عماله في الأمصار أن يكونوا مثله أو متشبهين به على الأقل، ويتفحص عن أحوالهم فيبلغه عن عامله على البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري أنه دعي إلى مأدبة فذهب إليها فيكتب إليه: بلغني أن بعض فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان وتنقل إليك الجفان وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم غنيهم مدعو وعائلهم مجفو. ومعنى هذا أن ابن حنيف يلزم أن لا يجيب دعوة أحد من وجوه البصرة فإن من يدعو الوالي إلى مأدبته لا يدعو معه إلا الأغنياء ولا يدعو أحداً من الفقراء وما يصنع الفقراء في وليمة الوالي وهم لا يجالسهم الوالي والمدعوون معه من الأغنياء ولا يواكلونهم وكيف يفعلون ذلك وثياب الفقراء بالية وهيئاتهم رثة ينفرون منها ومن رؤيتها وإذا أرادوا أن يعطفوا على فقير منهم أرسلوا إليه شيئاً من الزاد أو المال إلى بيته ولم تسمح لهم أنفسهم أن يجالسوهم على مائدتهم ثم يريد من ابن حنيف أن يقتدي به في زهده فيقول له: وأن الكل مأموم إماماً يقتدي به ويهتدي بنور علمه وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه. ثم يرى أن ذلك غير ممكن فيقول له: ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد، ثم يحلف بالله مؤكداً فيقول: فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً ولا ادخرت من غنائمها وفراً. ثم يسوقه الألم من أمر فدك إلى ذكرها هنا، وما علاقة فدك بالمقام؟ ولكن المتألم من أمر يخطر بباله عند كل مناسبة فيقول: بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما

أظلته السماء فشحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس قوم آخرين. ومن الذي يريد أن يعترض عليك يا أمير المؤمنين بفدك ويقول لك إنها كانت بيدك فكيف تقول إنك لم تدخر شيئاً من غنائم الدنيا حتى تجيبه إنه لم يكن في يدك من جميع بقاع الأرض التي تحت السماء غير فدك. ومع أنه قادر على التنعم في ملاذ الدنيا فهو يتركه زهداً فيها ومواساة للفقراء فيقول: ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز ولكن هيهات أن يقودني جشعي إلى تخير الأطعمة ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا عهد له بالقرص ولا طمع له بالشبع. وهو القائل: والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهداً وأجر في الأغلال مصفداً أحب إلي من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد وغاصباً لشيء من الحطام وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلى قفولها ويطول في الثرى حلولها والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت. ما لعلي ونعيم يفنى ولذة لا تبقى.

وهو القائل: والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها ولقد قال لي قائل: ألا تنبذها عنك فقلت: اعزب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى.

(وفي أسد الغابة) بسنده عن عمار بن ياسر سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي: «**يا علي إن الله عز وجل قد زينك بزينة لم يتزين العباد بزينة أحب إليه منها: الزهد في الدنيا فجعلك لا تنال من الدنيا شيئاً ولا تنال الدنيا منك شيئاً ووهب لك حب المساكين ورضوا بك إماماً ورضيت بهم أتباعاً فطوبى لمن أحبك وصدق فيك وويل لمن أبغضك وكذب عليك فأما الذين أحبوك وصدقوا فيك فهم جيرانك في دارك ورفقاؤك في قصرك وأما الذين أبغضوك وكذبوا عليك فحق على الله أن يوقفهم موقف الكذابين يوم القيامة**» وقال ابن عبد البر في الاستيعاب قد ثبت عن الحسن بن علي من وجوه أنه قال: لم يترك أبي إلا ثمانمائة درهم أو سبعمائة درهم فضلت من عطائه كان يعدها لخادم يشتريها

لأهله، قال: وأما تقشفه في لباسه ومطعمه فأشهر من هذا كله. ثم روى بسنده عن عبد اللّه بن أبي الهذيل قال: رأيت علياً خرج وعليه قميص غليظ دارس إذا مدّ كم قميصه بلغ إلى الظفر وإذا أرسله صار إلى نصف الساعد (وبسنده) عن عطاء رأيت على علي قميص كرابيس غير غسيل «وبسنده» عن أبي الهذيل رأيت على علي بن أبي طالب قميصاً رازياً إذا أرخى كمه بلغ أطراف أصابعه وإذا أطلقه صار إلى الرسغ «وفي أسد الغابة» بسنده عمن رأى على علي عليه السلام إزاراً غليظاً قال: اشتريته بخمسة دراهم فمن أربحني فيه درهماً بعته «وبسنده» عن أبي النوار بياع الكرابيس قال: أتاني علي بن أبي طالب ومعه غلام له فاشترى مني قميصي كرابيس فقال لغلامه: اختر أيهما شئت فأخذ أحدهما وأخذ علي الآخر فلبسه ثم مد يده فقال: اقطع الذي يفضل من قدر يدي فقطعته وكفه ولبسه وذهب «وفي حلية الأولياء» بسنده عن أبي سعيد الأزدي رأيت علياً أتى السوق وقال: من عنده قميص صالح بثلاثة دراهم فقال رجل: عندي. فجاء به فأعجبه قال: لعله خير من ذلك قال: لا ذاك ثمنه. فرأيت علياً يقرض رباط الدراهم من ثوبه فأعطاه فلبسه فإذا هو يفضل عن أطراف أصابعه فأمر به فقطع ما فضل عن أطراف أصابعه «وفي الاستيعاب» بسنده عن مجمع التميمي أن علياً قسم ما في بيت المال بين المسلمين ثم أمر به فكنس ثم صلى فيه رجاء أن يشهد له يوم القيامة «وفي حلية الأولياء» بسنده عن مجمع نحوه «وفي الاستيعاب» بسنده عن عاصم بن كليب عن أبيه قال: قدم على علي مال من أصبهان فقسمه سبعة أسباع ووجد فيه رغيفاً فقسمه سبع كسر فجعل على كل جزء كسرة ثم أقرع بينهم أيهم يعطي أولاً. قال وأخباره في مثل هذا من سيرته لا يحيط بها كتاب وبسنده عن معاذ بن العلاء عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب يقول: ما أصبت من فيئكم إلا هذه القارورة أهداها إلي الدهقان ثم نزل إلى بيت المال ففرق كل ما فيه ثم جعل يقول:

أفلح من كانت له قوصره ... يأكل منها كل يوم مره

«وفي حلية الأولياء» بسنده عن أبي عمرو بن العلاء عن أبيه أن علي بن

أبي طالب خطب الناس فقال: والله الذي لا إله إلا هو ما رزأت من فيئكم إلا هذه وأخرج قارورة من كم قميصه فقال: أهداها إلي مولاي دهقان «وفي الاستيعاب» بسنده عن عنترة الشيباني في حديث: كان علي لا يدع في بيت المال مالاً يبيت فيه حتى يقسمه إلا أن يغلبه شغل فيصبح إليه وكان يقول: يا دنيا لا تغريني غري غيري وينشد:

هـذا جـنـاي وخـيـاره فـيـه وكـل جـانٍ يـده إلـى فـيـه

قال: وذكر عبد الرزاق عن الثوري عن أبي حيان التيمي عن أبيه قال: رأيت علي بن أبي طالب يقول: من يشتري مني سيفي هذا فلو كان عندي ثمن إزار ما بعته فقام إليه رجل فقال: نسلفك ثمن إزار قال عبد الرزاق: وكانت بيده الدنيا كلها إلا ما كان من الشام «وفي حلية الأولياء» بعدة أسانيد عن الأرقم وعن يزيد بن محجن وعن أبي رجاء قال الأرقم: رأيت علياً وهو يبيع سيفاً له في السوق ويقول: من يشتري مني هذا السيف فوالذي فلق الحبة لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله ﷺ ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته وقال يزيد بن محجن: كنت مع علي وهو بالرحبة فدعا بسيف فسله فقال: من يشتري سيفي هذا فوالله لو كان عندي ثمن إزار ما بعته. وقال أبو رجاء: رأيت علي بن أبي طالب خرج بسيفه يبيعه فقال: من يشتري مني هذا لو كان عندي ثمن إزار لم أبعه فقلت: يا أمير المؤمنين أنا أبيعك وأنسؤك إلى العطاء «وفي رواية» فلما خرج عطاؤه أعطاني «وفي أسد الغابة» بسنده قال علي بن أبي طالب: الدنيا جيفة فمن أراد منها شيئاً فليصبر على مخالطة الكلاب «وبسنده» عن أبي نعيم سمعت سفيان يقول: ما بنى علي لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وإن كان ليؤتى بحبوبه من المدينة في جراب ثم قال في أسد الغابة: وزهده وعدله لا يمكن استقصاء ذكرهما. وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج: أما الزهد في الدنيا فهو سيد الزهاد وبدل الأبدال وإليه تشد الرحال وتنفض الأحلاس ما شبع من طعام قط وكان أخشن الناس مأكلاً وملبساً. قال عبد الله بن أبي رافع: دخلت إليه يوم عيد فقدم جراباً مختوماً فوجدنا فيه خبز شعير يابساً مرضوضاً

فقدم فأكل فقلت: يا أمير المؤمنين فكيف تختمه قال: خفت هذين الولدين أن يلتاه بسمن أو زيت، وكان ثوبه مرقوعاً بجلد تارة وبليف أخرى ونعلاه من ليف وكان يلبس الكرابيس الغليظ فإذا وجد كمه طويلاً قطعه بشفرة ولم يخطه فكان لا يزال متساقطاً على ذراعيه حتى يبقى سدى لا لحمة له، وكان يأتدم إذا ائتدم بخل أو بملح فإن ترقى عن ذلك فببعض نبات الأرض فإن ارتفع عن ذلك فبقليل من ألبان الإبل ولا يأكل اللحم إلا قليلاً ويقول: لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوان. وكان مع ذلك أشد الناس قوة وأعظمهم أيداً وهو الذي طلق الدنيا وكانت الأموال تجبى إليه من جميع بلاد الإسلام إلا من الشام فكان يفرقها ويمزقها ثم يقول: هذا جناي وخياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه «اهـ» (وفي حلية الأولياء) بسنده عن علي بن ربيعة الوالبي قال: جاءه ابن النباج فقال: يا أمير المؤمنين امتلأ بيت مال المسلمين من صفراء وبيضاء فقال: الله أكبر فقام متوكأ على ابن النباج حتى قام على بيت مال المسلمين فقال: هذا جناي وخياره فيه وكل جان يده إلى فيه. يا ابن النباج علي بأسباع الكوفة فنودي في الناس فأعطى جميع ما في بيت مال المسلمين وهو يقول: يا صفراء و يا بيضاء غري غيري ها وها حتى ما بقي منه دينار ولا درهم ثم أمره بنضحه وصلى فيه ركعتين (وبسنده) عن علي بن أبي طالب أنه أتي بفالوذج فوضع بين يديه فقال: إنك طيب الريح حسن اللون طيب الطعم لكن أكره أن أعود نفسي ما لم تعتده «وبسنده» عن عدي بن ثابت أن علياً أتي بفالوذج فلم يأكل «وبسنده» عن عبد الملك بن عمير عن رجل من ثقيف أن علياً استعمله على عكبرا قال: فقال: إذا كان عند الظهر فرح إلي فرحت إليه فلم أجد عنده حاجباً فوجدته جالساً وعنده قدح وكوز من ماء فدعا بظبيته[1] فقلت في نفسي: لقد أمنني حتى يخرج إلي جوهراً ولا أدري ما فيها فإذا عليها خاتم فكسره فإذا فيها سويق فأخرج منها فصب في القدح فصب عليه ماء فشرب وسقاني فلم أصبر فقلت: يا أمير المؤمنين أتصنع هذا

---

(١) وهي جراب صغير أو شبه الخريطة والكيس ويسميها أهل جبل عامل اليوم ظبوة.

بالعراق وطعام العراق أكثر من ذلك قال: أما والله ما أختم عليه بخلاً ولكني أبتاع قدر ما يكفيني فأخاف أن يفنى فيصنع من غيره وأكره أن أدخل بطني إلا طيباً (وبسنده) عن الأعمش كان علي يغدي ويعشي الناس ويأكل هو من شيء يجيئه من المدينة (ويسنده) عن زيد بن وهب قدم على علي وفد من أهل البصرة فيهم رجل من أهل الخراج[1] يقال له الجعد بن نعجة فعاتب علياً في لبوسه، فقال علي: ما لك وللبوسي؟ إن لبوسي أبعد من الكبر وأجدر أن يقتدي به المسلم (وبسنده) عن عمرو بن قيس قيل لعلي: يا أمير المؤمنين لم ترقع قميصك قال: يخشع القلب ويقتدي به المؤمن.

العشرون العبادة: قال ابن أبي الحديد: أما العبادة فكان أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوماً، ومنه تعلم الناس صلاة الليل وملازمة الأوراد وقيام النافلة وما ظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطع بين الصفين ليلة الهرير فيصلي عليه ورده والسهام تقع بين يديه وتمر على صماخيه يميناً وشمالاً فلا يراع لذلك ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته. وما ظنك برجل كانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده وأنت إذا تأملت دعواته ومناجاته ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله وما تتضمنه من الخضوع لهيبته والخشوع لعزته والاستخذاء له عرفت ما ينطوي عليه من الإخلاص وفهمت من أي قلب خرجت وعلى أي لسان جرت. وقيل لعلي بن الحسين عليهما السلام وكان الغاية في العبادة: أين عبادتك من عبادة جدك؟ قال: عبادتي عند عبادة جدي كعبادة جدي عند عبادة رسول الله ﷺ.

الحادي والعشرون العدل: مر عن أسد الغابة أن زهده وعدله لا يمكن استقصاؤهما. ومن عظيم عدله ما مر في الأمر التاسع عشر من أنه وجد مع المال الذي جاء من أصبهان رغيفاً فقسمه سبعة أجزاء كما قسم المال وجعل على كل جزء جزءاً، وأنه كان يخير غلامه بين الثوبين يشتريهما (وفي الاستيعاب) بسنده

---

(١) في النسخة من أهل الخوارج والظاهر أنه غلط.

عن أبجر بن جرموز عن أبيه: رأيت علي بن أبي طالب يخرج من مسجد الكوفة وعليه قطريتان متزر بالواحدة مرتد بالأخرى وإزاره إلى نصف الساق وهو يطوف في الأسواق ومعه درة يأمرهم بتقوى الله وصدق الحديث وحسن البيع والوفاء بالكيل والميزان (وفي أسد الغابة) بسنده عن رجل من ثقيف قال: استعملني علي بن أبي طالب على مدرج سابور فقال: لا تضربن رجلاً سوطاً في جباية درهم ولا تبيعن لهم رزقاً ولا كسوة شتاء ولا صيف ولا دابة يعتملون عليها ولا تقيمن رجلاً قائماً في طلب درهم قلت: يا أمير المؤمنين إذن أرجع إليك كما ذهبت من عندك قال: وإن رجعت ويحك إنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو يعني الفضل. وهو أول من ساوى بين الناس في العطاء وكان يأخذ كأحدهم وقصته مع أخيه عقيل حين طلب منه زيادة في عطائه فقال له: اصبر حتى يخرج عطائي فلم يقبل فأبى أن يعطيه أكثر من عطائه معروفة وكذلك خبره مع ولده الحسن حين استقرض شيئاً من عسل بيت المال ومع ابنته حين استعارت عقداً من بيت المال (وفي الاستيعاب) بسنده عن عنترة الشيباني كان علي يأخذ في الجزية والخراج من أهل كل صناعة من صناعته وعمل يده حتى يأخذ من أهل الأبر الأبر والمسال والخيوط والحبال ثم يقسمه بين الناس (الحديث).

الثاني والعشرون: السخاء والجود. قال ابن أبي الحديد: أما السخاء والجود فحاله فيه ظاهرة. كان يصوم ويطوي ويؤثر بزاده وفيه أنزل ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ وروى المفسرون أنه لم يكن يملك إلا أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سراً وبدرهم علانية فأنزل فيه ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ وروي أنه كان يسقي بيده لنخل قوم من يهود المدينة حتى مجلت يده ويتصدق بالأجرة ويشد على بطنه حجراً. وقال الشعبي وقد ذكر عنده علي عليه السلام: كان أسخى الناس. كان على الخلق الذي يحبه الله السخاء والجود وما قال لا لسائل قط. وقال عدوه ومبغضه الذي يجتهد في وصمه وعيبه معاوية بن أبي سفيان لمحفن بن أبي محفن الضبي لما قال له:

جئتك من عند أبخل الناس فقال: ويحك كيف تقول إنه أبخل الناس ولو ملك بيتاً من تبر وبيتاً من تبن لأنفق تبره قبل تبنه. وهو الذي كان يكنس بيوت الأموال ويصلي فيها وهو الذي قال: يا صفراء ويا بيضاء غري غيري وهو الذي لم يخلف ميراثاً وكانت الدنيا كلها بيده إلا ما كان من الشام «اه» روى أبو الحسن بن أحمد الواحدي النيسابوري بسنده عن ابن عباس في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ قال: نزلت في علي بن أبي طالب كان عنده أربعة دراهم فأنفق بالليل واحداً وبالنهار واحداً وفي السر واحداً وفي العلانية واحداً (وبسنده) عن مجاهد عن أبيه قال: كان لعلي أربعة دراهم فأنفق درهماً بالليل ودرهماً بالنهار ودرهماً سراً ودرهماً علانية فنزلت: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ قال: وقال الكلبي نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب لم يكن يملك غير أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سراً وبدرهم علانية فقال له رسول الله ﷺ: **«ما حملك على هذا»** قال: حملني أن أستوجب على الله الذي وعدني فقال له رسول الله ﷺ: **«ألا أن ذلك لك»** فأنزل الله تعالى هذه الآية «اه» وفي أسد الغابة بعدة أسانيد عن ابن عباس مثله.

آيـة النجــوى

وحسبك في جوده وسخائه عليه السلام أن آية النجوى لم يعمل بها أحد من الصحابة غنيهم وفقيرهم غيره حتى نسخت وجاءهم اللوم والتوبيخ منه تعالى: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ﴾ ولم ينج منه غيره. قال النسائي في الخصائص: ذكر النجوى وما خفف علي عن هذه الأمة ثم روى بسنده عن علي قال: لما نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ قال رسول الله ﷺ لعلي: **«مرهم أن يتصدقوا»** قال: بكم يا رسول الله؟ قال: **«بدينار»** قال: لا يطيقون قال: فبكم قال: **«بشعيرة»** فقال رسول الله ﷺ: إنك لزهيد، فأنزل الله: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ﴾ (الآية) وكان علي يقول خفف بي عن هذه الأمة ورواه غير النسائي من أصحاب الصحاح

بأسانيدهم مثله قال الواحدي في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾ (الآية) قال مقاتل بن حيان نزلت الآية في الأغنياء وذلك إنهم كانوا يأتون النبي ﷺ فيكثرون مناجاته ويغلبون الفقراء على المجالس حتى كره رسول الله ﷺ ذلك من طول جلوسهم ومناجاتهم فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية وأمر بالصدقة عند المناجاة فأما أهل العسرة فلم يجدوا شيئاً وأما أهل الميسرة فبخلوا واشتد ذلك على أصحاب النبي ﷺ فنزلت الرخصة وقال علي بن أبي طالب: إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾ كان لي دينار فبعته وكنت إذا ناجيت الرسول تصدقت بدرهم حتى نفد فنسخت بالآية الأخرى ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ﴾. وروى الطبري في تفسيره بعدة أسانيد عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾ قال: نهوا عن مناجاة النبي ﷺ حتى يتصدقوا فلم يناجه إلا علي بن أبي طالب قدم ديناراً فتصدق به ثم أنزلت الرخصة في ذلك (وبسنده) عن مجاهد قال علي: إن في كتاب الله عز وجل لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي وذكر الآية قال: فرضت ثم نسخت (وبسنده) عن مجاهد قال علي: آية من كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم فكنت إذا جئت إلى النبي ﷺ تصدقت بدرهم فنسخت فلم يعمل بها أحد قبلي وذكر الآية وفي (الكشاف) عن علي عليه السلام: إن في كتاب الله آية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي كان لي دينار فاشتريت به عشرة دراهم فكنت إذا ناجيته تصدقت بدرهم قال الكلبي: تصدق به في عشر كلمات سألهن رسول الله ﷺ ومثله في تفسير النيسابوري. وفي الكشاف عن ابن عمر كان لعلي ثلاث لو كانت لي واحدة منهن كانت أحب إلي من حمر النعم: تزويجه فاطمة وإعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى (وفي تفسير الرازي) روي عن علي عليه السلام أنه قال: إن في كتاب الله لآية وذكر نحو ما مر عن الكشاف إلى قوله بدرهم قال: وروي عن ابن جريح والكلبي وعطاء عن ابن عباس أنهم نهوا عن المناجاة حتى

يتصدقوا فلم يناجه أحد إلا علي عليه السلام تصدق بدينار ثم نزلت الرخصة (وفيه وفي تفسير النيسابوري) عن القاضي ما حاصله إن هذا لا يدل على فضله على أكابر الصحابة لأن الوقت لعله لم يتسع للعمل لهذا الغرض. وقال الفخر الرازي ما حاصله إن الوقت وإن وسع لكن الإقدام على هذا العمل مما يضيق قلب الفقير والصدقة عند المناجاة واجبة أما المناجاة فليست بواجبة ولا مندوبة بل الأولى تركها لأنها كانت سبباً لسآمة النبي ﷺ (وأقول) إذا كان الأمر كذلك فأي معنى لقوله تعالى: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ (الآية) وأي وجه لهذا العتاب والتقريع وإذا كان الأولى ترك المناجاة فأي معنى لقوله تعالى: ﴿وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ حتى جعلها ذنباً يوجب التوبة وترك المناجاة وإن لم يكن حراماً في نفسه لكن تركه بخلاً ورغبة عن مناجاة رسول الله ﷺ التي فيها تعلم الأحكام وخير الدنيا والآخرة إن لم يكن ذنباً فهو مساوق للذنب فيوجب التوبة حقيقة أو تنزيلاً والمناجاة التي كان الأولى تركها هي ما يوجب الملالة أو مزاحمة الأغنياء للفقراء لا مطلق المناجاة وبناء على هذه الفلسفة الواهية يلزم أن يكون الأولى ترك عمل الخيرات من الأغنياء لئلا تنكسر قلوب الفقراء العاجزين عنها ولهذا قال النيسابوري بعد نقله ذلك عن القاضي والفخر: هذا الكلام لا يخلو عن تعصب، وهل يقول منصف إن مناجاة النبي ﷺ نقيصة «اهـ» أقول بل هو تعصب مجسم ومنه يعلم أن التعصب كيف يؤدي بابن آدم إلى أن ينكر الشمس الضاحية. وروى الحاكم في المستدرك بالإسناد إلى عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: قال علي بن أبي طالب إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي آية النجوى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾ قال: كان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم فناجيت النبي ﷺ فكنت كلما ناجيته قدمت بين يدي نجواي درهماً ثم نسخت فلم يعمل بها أحد فنزلت ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ﴾ (الآية) قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وأورده الذهبي في مختصر المستدرك ولم يعلق عليه شيئاً.

الثالث والعشرون: حسن الخلق وطلاقة الوجه قال ابن أبي الحديد: وأما سجاحة الأخلاق وبشر الوجه وطلاقة المحيا والتبسم فهو المضروب به المثل فيه حتى عابه بذلك أعداؤه وقال عمرو بن العاص لأهل الشام أنه ذو دعابة شديدة وقال علي عليه السلام في ذلك: عجباً لابن النابغة يزعم لأهل الشام أن في دعابة وأني امرؤ تلعابة أعافس وأمارس. وعمرو بن العاص إنما أخذها عن عمر بن الخطاب لقوله: لما عزم على استخلافه: لله أبوك لولا دعابة فيك. إلا أن عمر اقتصر عليها وعمرو زاد فيها وسمجها وقال صعصعة بن صوحان وغيره من شيعته وأصحابه: كان فينا كأحدنا لين جانب وشدة تواضع وسهولة قياد وكنا نهابه مهابة الأسير المربوط للسياف الواقف على رأسه. وقال معاوية لقيس بن سعد: رحم الله أبا حسن فلقد كان هشاً بشاً ذا فكاهة. قال قيس: نعم كان رسول الله ﷺ يمزح ويبسم إلى أصحابه أراك تسر حسواً في ارتغاء وتعيبه بذلك أما والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة أهيب من ذي لبدتين قد مسه الطوى تلك هيبة التقوى ليس كما يهابك طغام أهل الشام. قال وقد بقي هذا الخلق متوارثاً متناقلاً في محبيه وأوليائه إلى الآن كما بقي الجفاء والخشونة والوعورة في الجانب الآخر ومن له أدنى معرفة بأخلاق الناس وعوائدهم يعرف ذلك «اهـ».

الرابع والعشرون: حسن الرأي والتدبير. قال ابن أبي الحديد: أما الرأي والتدبير فكان من أشد الناس رأياً وأصحهم تدبيراً وهو الذي أشار على عمر لما عزم أن يتوجه بنفسه إلى حرب الروم والفرس بما أشار وهو الذي أشار على عثمان بأمور كان صلاحه فيها ولو قبلها لم يحدث عليه ما حدث «اهـ» (أقول) وهو الذي أشار على المسلمين بأن يدفن النبي ﷺ في موضع وفاته وأن يصلي عليه المسلمون فرادى بدون إمام جماعة بعد جماعة وإن شئت أن تجعل هذا من العلم والفقه فلك ذلك. وهو الذي أشار على عمر بوضع التاريخ للهجرة. روى الحاكم في المستدرك بسنده عن سعيد بن المسيب: جمع عمر الناس فسألهم من أي يوم يكتب التاريخ فقال علي بن أبي طالب من يوم هاجر رسول الله ﷺ

وترك أرض الشرك ففعله عمر و ذكره ابن الأثير في تاريخه عن سعيد بن المسيب مثله. ومن أخباره في جودة الرأي ما رواه المفيد في الإرشاد عن شبابة بن سوار عن أبي بكر الهذلي قال: سمعت رجلاً من علمائنا يقول: وذكر حديثاً خلاصته أنه انتهى خبر إلى من بالكوفة من المسلمين أن جموعاً كثرة تحتشد في فارس لغزوهم، فأنهى مسلمو الكوفة الخبر إلى عمر ففزع لذلك فزعاً شديداً فاستشار المسلمين وقال: إن الشيطان قد جمع لكم جموعاً وأقبل بها ليطفىء بها نور الله فأشار عليه طلحة بالمسير بنفسه وقال عثمان: أرى أن تشخص أهل الشام من شامهم وأهل اليمن من يمنهم وتسير أنت في أهل هذين الحرمين وأهل المصرين الكوفة والبصرة فتلقى جميع المشركين بجميع المؤمنين وقال علي: إنك إن أشخصت أهل الشام من شامهم سارت الروم إلى ذراريهم وإن أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة إلى ذراريهم وإن أشخصت أهل هذين الحرمين انتقضت عليك العرب من أطرافها فأما ذكرك كثرة العجم ورهبتك من جموعهم فإنا لم نكن نقاتل على عهد رسول الله ﷺ بالكثرة وإنما كنا نقاتل بالبصيرة وإن الأعاجم إذا نظروا إليك قالوا: هذا رجل العرب فإن قطعتموه فقد قطعتم العرب وكان أشد لكلبهم ولكني أرى أن تقر هؤلاء في أمصارهم وتكتب إلى أهل البصرة فليتفرقوا على ثلاث فرق فلتقم فرقة منهم على ذراريهم ولتقم فرقة على أهل عهدهم لئلا ينتقضوا ولتسر فرقة منهم إلى إخوانهم مدداً لهم فقال عمر: أجل هذا هو الرأي وقد كنت أحب أن أتابع عليه وجعل يكرر قول علي وينسقه إعجاباً به واختياراً له.

ثم أنه قد يظن أو يعتقد بعض من لا خبرة له أو من غلب عليه الهوى أو التقليد أن علياً عليه السلام أضعف رأياً وأقل تدبيراً من سواه ويستدل على ذلك بعدم انتظام الأمر له أيام خلافته وبتغلب معاوية على قسم كبير من المملكة الإسلامية وبأنه لم لم يول معاوية على الشام ثم يعزله وبأن مساواته بين الناس في العطاء كان خلاف الرأي بل كان ينبغي أن يستميل الأكابر بالمال ليكونوا معه كما كان يفعل معاوية (والجواب) عن ذلك واضح بين لا يحتاج إلى إطالة الكلام

وكثرة النقض والإبرام فإن علياً عليه السلام لم يكن طالب ملك ولا إمارة ولا طالب دنيا وإنما كان هدفه الأعلى ومقصده الوحيد وغايته المطلوبة رضا الله وإقامة عمود الحق ومحو الباطل، والدنيا والمال والملك لا تساوي عنده جناح بعوضة فكيف يمكن أن يتوصل إليها بضد ما هو هدفه ومقصده وغايته ولم يكن يرى التوصل إلى الملك والإمارة من أي طريق كان وبأي وجه اتفق ولا يستحل التوصل إلى تثبيت ملكه بشيء يخالف الشرع من قتل النفوس البريئة ونقض العهود ودس السموم وسلب الأموال والمداهنة وغير ذلك ومن كانت هذه صفته وهذه حاله لا يصح أن ينسب إلى قصور في الرأي وضعف في التدبير ولا أن ينسب خصمه الذي كان يتوسل إلى تحصيل الملك والإمارة بكل ما يمكنه إلى أنه أصح منه تدبيراً وأسد رأياً وإنما يصح أن ينسب إلى ذلك من يدبر أمراً ليتوصل به إلى مطلوبه فتكون نتيجته بالعكس لجهله بمواقع الأمور وشيء من هذا لم يحصل من أمير المؤمنين (ع) ولا يمكن أن يحصل فهو أعلم الناس بمواقع الأمور وقد أبان عن هذا مراراً بقوله: قد يرى الحول القلب وجه الحيلة فيدعها رأي العين وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين. وقوله كما في نهج البلاغة: والله ما معاوية بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس والله ما أستغفل بالمكيدة ولا أستغمز بالشديدة[1]. وخصمه كان يرى التوصل إلى الملك والإمارة بكل ما يمكنه من حلال أو حرام من أي طريق كان وبأي وجه اتفق لا يستثني في سبيل ذلك شيئاً ولا يتقيد بأمر دون آخر ومثل هذا لا يصح أن يقال عنه أنه أسد رأياً وأصح تدبيراً ولذلك تغلب على قسم كبير من المملكة الإسلامية وقد أشار إلى ذلك ابن أبي الحديد في تتمة كلامه السابق حيث قال: وإنما قال أعداؤه أنه لا رأي له لأنه كان متقيداً بالشريعة لا يرى خلافها ولا يعمل بما يقتضي الدين تحريمه وقد قال (ع): لولا الدين والتقى

---

(١) قال ابن أبي الحديد: أي لا تجوز المكيدة علي كما تجوز على ذوي الغفلة ولا أهين ولا ألين للخطب الشديد «اهـ».

لكنت أدهى العرب. وغيره كان يعمل بمقتضى ما يستصلحه سواء كان مطابقاً للشرع أو لم يكن ولا ريب أن من يعمل بما يؤدي إليه اجتهاده ولا يقف مع ضوابط وقيود يمتنع لأجلها مما يرى الصلاح فيه تكون أحواله الدنياوية إلى الانتظام أقرب، ومن كان بخلاف ذلك تكون أحواله الدنياوية إلى الانتشار أقرب «اه». وإن نظر كثير من الناس إلى علي بن أبي طالب نظرهم إلى من يطلب ملكاً وإمارة ويريد أن يكون سلطاناً آمراً ناهياً متسلطاً متمتعاً بنعيم الدنيا متهالكاً في حب الجلوس على عرش الملك والقبض على صولجان الحكم يجمع الأموال ويصرفها فيما يحب ويولي أبناءه وأقرباءه ومن يمت إليه ويستكثر من الخدم والحشم ومثل هذا يتوسل للوصول إلى مطلوبه والحصول على بغيته بكل وسيلة شريفة أو غير شريفة، فيتوسل بالكذب والخداع ونقض العهود وقتل النفوس ودس السم والرشوة ومداهنة الظلمة والخونة وتقريبهم والاستعانة بهم وإجزال العطايا لهم وعدم الالتفات إلى الضعفاء وعدم المبالاة بهم وحرمانهم ولو كانوا من أولياء الله، والظلم والعسف والمؤاخذة بالظن والتهمة. وبالجملة فعل كل ما يظن به الوصول إلى غايته كيفما كان وترك كل ما يظن به البعد عن غايته مهما كان فإذا رأوا أمير المؤمنين عليه السلام فعل شيئاً بضد هذه الأفعال ظنوا بعقولهم القاصرة أن ذلك لقلة خبرة منه بالسياسة ولم يعلموا أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن طالب دنيا ولا إمرة ولا سلطنة بل طالب آخرة وهدفه إقامة الحق وخذلان الباطل فكيف يتوسل بالباطل إلى نيل الملك وهو الذي كان يقول: والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت. ويقول في نعله التي لا تساوي درهماً: والله لإمرتكم هذه أهون علي من هذه النعل إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً. وهو الذي لم يقبل يوم الشورى أن يبايعه عبد الرحمٰن بن عوف إلا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولم يرض أن يدخل معهما سيرة الشيخين حتى عدل عنه إلى من قبل بذلك، وهو الذي ناقش خازنه على زق عسل في بيت المال استقرض منه ولده شيئاً يسيراً لأضيافه وهو الذي لم يحاب أخاه عقيلاً في شيء

يزيده به عن عطائه. على أن ما تمكن في النفوس من الحقد عليه بمن قتله من القبائل والحسد له بما أعطاه الله من فضل كان يحول دون انقياد الجمهور له ويفسد عليه كثيراً من آرائه الصائبة. أما عدم انتظام الأمر له فلا يجوز أن يعزى إلى خطل في الرأي أو نقص في التدبير لأن الأمور كثيراً ما تفسد على أهل الآراء الصائبة نظراً إلى فساد أخلاق الناس وكثرة من يفسد على صاحب الرأي المصيب رأيه وذي التدبير تدبيره ومنه يظهر الجواب عن تغلب معاوية على قسم كبير من المملكة الإسلامية في زمن خلافته عليه السلام، فإن معاوية استطاع بالتمويه على أهل الشام وبمساعدة عمرو بن العاص أن يقنع أهل الشام أن علياً قتل عثمان مع علمه بأنه بريء منه وإن قتل عثمان تستند أقوى أسبابه إلى خذلان معاوية له وهذا لم يكن في استطاعة أي مدبر وصاحب رأي صائب أن يزيله من الأذهان بعد ما تمكن فيها سواء قلنا إن ذلك كان مخاتلة ومخادعة وسعياً وراء الملك أو قلنا أنه كان عن اجتهاد يؤجر صاحبه!!. ولا شيء أعجب من قول من يقول لم لم يول معاوية ويقره على الشام مدة ثم يعزله، فإن معاوية كان يعلم علماً يقيناً لا يخالطه شك بما مارسه وعرفه طول هذه المدة من خلق أمير المؤمنين عليه السلام وسيرته أنه لا يمكن أن يبقيه على الولاية ولا بد أن يعزله وكان أدهى من أن ينطلي عليه ذلك، فإذا ولاه وهو عالم بأنه سيعزله لم يقبل ويقول له صحح خلافتك أولاً ثم ولني وبرىء نفسك من دم عثمان ثم اجعل الأمر شورى، ولو ولاه لجعل ذلك حجة عليه فإذا أراد عزله قلب له المجن وطالبه بدم عثمان. قال ابن أبي الحديد في الجواب عن ذلك: إن أمير المؤمنين علم من قرائن الأحوال أن معاوية لا يبايع وإن أقره على ولاية الشام بل كان إقراره عليها أقوى لحال معاوية لأنه إن طالبه بالبيعة وولاه فمن الممكن أن يقرأ معاوية على أهل الشام تقليده فيؤكد حاله عندهم بأنه لو لم يكن أهلاً لذلك لما اعتمده ثم يماطل بالبيعة وإن تقدم بالمطالبة بالبيعة فهو الذي فعله أمير المؤمنين عليه السلام وإن أقره ثم طالبه بالبيعة فهو كالأول بل آكد فيما يريده معاوية، وكيف يتوهم عارف أن معاوية كان يبايع له لو أقره وبينه وبينه ما لا تبرك عليه

الإبل من الترات والأحقاد، وهو الذي قتل حنظلة أخاه والوليد خاله وعتبة جده في مقام واحد. وكيف يخطر ببال عارف بحال معاوية أنه يقبل إقرار علي له وينخدع بذلك ويبايع أنه لأدهى من ذلك وأن علياً لأعرف بمعاوية ممن ظن أنه لو استماله بإقراره لبايع ولم يكن عند علي دواء لهذا المرض إلا السيف لأن الحال إليه كانت تؤول فجعل الآخر أولاً ثم ذكر ما أورده الزبير بن بكار في الموفقيات من مكاتبة معاوية بعد قتل عثمان إلى مروان وطلحة والزبير وجماعة آخرين وجوابهم له مما يدل على أن معاوية لم يكن لينجذب إلى طاعة علي أبداً وإن مضادته له كمضادة السواد للبياض وأن علياً (ع) كان أعرف بما عمل «اهـ».

أما المساواة بين الناس في العطاء فإنه كان يرى ذلك عدلاً وقسطاً يلزمه أو يرجح عنده القيام به وكان يريد أن يمحو ما تفشى بين المسلمين من الاستئثار وتقدم القوي على الضعيف. قال ابن أبي الحديد: واعلم أن قوماً ممن لم يعرف حقيقة فضل أمير المؤمنين زعموا أن عمر كان أسوس منه وإن كان هو أعلم من عمر ثم زعم أعداؤه ومبغضوه أن معاوية كان أسوس منه وأصح تدبيراً. وأجاب بأن السائس لا يتمكن من السياسة البالغة إلا إذا كان يعمل برأيه وبما يرى فيه صلاح ملكه سواء وافق الشريعة أو لا وإلا فبعيد أن ينتظم أمره، وأمير المؤمنين كان مقيداً بقيود الشريعة ورفض ما يصلح اعتماده من آراء الحرب والتدبير والكيد إذا لم يوافق الشرع إلى أن قال: ولم يمن عمر بما مني به علي من فتنة عثمان وفتن الجمل وصفين والنهروان وكل هذه الأمور مؤثرة في اضطراب أمر الوالي ثم قال: وأما القول في سياسة معاوية وإن شناة علي ومبغضيه زعموا أنها خير من سياسة أمير المؤمنين (ع) فيكفينا في الكلام على ذلك ما قاله شيخنا أبو عثمان الجاحظ ونحن نحكيه بألفاظه قال: ربما رأيت بعض من يظن بنفسه العقل والتحصيل والفهم والتمييز يزعم أن معاوية كان أبعد غوراً وأصح فكراً وأجود روية، وليس الأمر كذلك، وسأومي إليك بجملة تعرف بها موضع غلطه والمكان الذي دخل عليه الخطأ من قبله، كان علي لا يستعمل في حربه إلا ما وافق الكتاب والسنة ومعاوية يستعمل خلاف الكتاب والسنة كما يستعملهما

ويستعمل جميع المكائد حلالها وحرامها ويسير في الحرب بسيرة ملك الهند إذا لاقى كسرى وخاقان إذا لاقى رتبيل، وعلي يقول: لا تبدؤوهم بالقتال حتى يبدؤوكم ولا تتبعوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تفتحوا باباً مغلقاً. هذه سيرته في ذي الكلاع وفي أبي الأعور السلمي وفي عمرو بن العاص وحبيب بن مسلمة وفي جميع الرؤساء كسيرته في الحاشية والحشو والأتباع والسفلة. وأصحاب الحروب إن قدروا على البيات بيتوا وإن قدروا على رضخ الجميع بالجندل وهم نيام فعلوا وإن أمكن ذلك في طرفة عين لم يؤخروه إلى ساعة وإن كان الحرق أعجل من الغرق لم يقتصروا على الغرق ولم يؤخروا الحرق إلى وقت الغرق وإن أمكن الهدم لم يتكلفوا الحصار ولم يدعوا أن تنصب المجانيق والعرادات والدبابات والنقب والكمين ولم يدعوا دس السموم ولا التضريب بين الناس بالكذب وطرح الكتب في عساكرهم بالسعايات وتوهيم الأمور وإيحاش بعض من بعض وقتلهم بكل آلة وحيلة كيف وقع القتل فمن اقتصر من التدبير على ما في الكتاب والسنة كان قد منع نفسه الطويل العريض من التدبير، فعلي كان ملجماً بالورع عن جميع القول وممنوع اليدين من كل بطش إلا ما هو لله رضاً فلما أبصرت العوام كثرة نوادر معاوية في المكائد ولم يروا ذلك من علي ظنوا بقصر عقولهم وقلة علومهم إن ذلك من رجحان عند معاوية ونقصان عند علي فانظر بعد هذا كله هل يعد له من الخدع إلا رفع المصاحف ثم انظر هل خدع بها إلا من عصى رأي علي وخالف أمره؟ فإن زعمت أنه قد نال ما أراد من الاختلاف فقد صدقت وليس في هذا اختلفنا ولا عن غرارة أصحاب علي وعجلتهم وتسرعهم وتنازعهم دافعنا وإنما كان قولنا في التمييز بينهما في الدهاء وصحة العقل والرأي وهل كتابنا وضع إلا على أن علياً كان قد امتحن في أصحابه وفي دهره بما لم يمتحن إمام قبله من الاختلاف والمنازعة والتشاح في الرياسة والتسرع والعجلة وقد علمنا أن ثلاثة تواطؤوا على قتل ثلاثة: علي ومعاوية وعمرو بن العاص فكان من الاتفاق أو من الامتحان أن كان علي من بينهم هو المقتول وفي قياس مذهبكم أن تزعموا أن سلامة عمرو ومعاوية إنما

كانت بحزم منهما وإن قتل علي إنما هو من تضييع منه فإذ قد تبين لكم أنه من الابتلاء والامتحان فكل ما سوى ذلك إنما هو تبع له «اهـ» قال ابن أبي الحديد: ومن تأمله بعين الإنصاف ولم يتبع الهوى علم صحة جميع ما ذكره وإنما أمير المؤمنين دفع من اختلاف أصحابه وسوء طاعتهم له ولزومه سنن الشريعة ومنهج العدل وخروج معاوية وعمرو عن قاعدة الشرع ما لم يدفع غيره فلولا أنه كان عارفاً بوجوه السياسة حاذقاً فيها لم يجتمع عليه إلا القليل من أهل الآخرة فلما وجدناه دبر الأمر حين وليه فاجتمع عليه من العساكر ما يتجاوز العد فظفر في أكثر حروبه وكان الأقرب إلى الانتصار على معاوية علمنا أنه من معرفة تدبير الدول والسلطان بمكان مكين «اهـ». وأورد ابن أبي الحديد في شرح النهج أموراً كثيرة تعلق بها من طعن في سياسته وأجاب عنها ولما كانت الأجوبة عنها ظاهرة لم نستحسن إطالة الكلام بذكرها والجواب عنها.

الخامس والعشرون: سياسة الملك والخشونة في ذات الله. قال ابن أبي الحديد: أما السياسة فإنه كان شديد السياسة خشناً في ذات الله لم يراقب ابن عمه في عمل كان ولاه إياه ولا رقب أخاه عقيلاً في كلام جبهه به ونقض دار مصقلة بن هبيرة ودار جرير بن عبد الله البجلي وقطع جماعة وصلب آخرين، ومن جملة سياسته حروبه أيام خلافته بالجمل وصفين والنهروان وفي أقل القليل منها مقنع فإن كل سائس في الدنيا لم يبلغ فتكه وبطشه وانتقامه مبلغ العشر مما فعل عليه السلام في هذه الحروب بيده وأعوانه «اهـ» وفي الاستيعاب بسنده عن كعب بن عجرة قال رسول الله ﷺ: **«علي مخشوشن في ذات الله»** (وفي حلية الأولياء) بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: شكا الناس علياً فقام رسول الله ﷺ خطيباً فقال: **«يا أيها الناس لا تشكوا علياً فوالله إنه لأخيشن في ذات الله عز وجل»**. ورواه الحاكم في المستدرك وصححه إلا أنه قال: لأخيشن في ذات الله وفي سبيل الله (وبسنده) عن كعب بن عجرة قال رسول الله ﷺ: **«لا تسبوا علياً فإنه ممسوس في ذات الله تعالى»** «اهـ» ممسوس أي مسه الأذى والعناء في ذات الله تعالى.

السادس والعشرون: إنه ولي كل مؤمن. في الاستيعاب (بسنده) عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب: «**أنت ولي كل مؤمن بعدي**» ويأتي في حديث عمران بن حصين قول النبي ﷺ: «**إن علياً مني وأنا من علي وهو ولي كل مؤمن بعدي**» وقول النبي ﷺ: «**إن علياً مني وأنا منه وهو وليكم بعدي**». ويأتي في حديث علقمة وفي جوامع مناقبه قول النبي ﷺ له: «**أنت ولي كل مؤمن بعدي**».

السابع والعشرون: قول النبي ﷺ: «**من كنت وليه فإن علياً وليه**». روى الحاكم في المستدرك بسنده عن بريدة الأسلمي وقال: صحيح على شرط الشيخين أنه مر بقوم ينتقصون علياً فقال: إني كنت أنال من علي وفي نفسي عليه شيء وكنت مع خالد بن الوليد في جيش فأصابوا غنائم فعمد علي إلى جارية من الخمس فأخذها لنفسه وكان بين علي وبين خالد شيء فقال خالد: هذه فرصتك وقد عرف الذي في نفسي على علي قال: فانطلق إلى النبي ﷺ فاذكر ذلك له، فأتيت النبي ﷺ فذكرت له أمر علي وكنت إذا حدثت الحديث أكببت، فرفعت رأسي وأوداج رسول الله ﷺ قد احمرت وقال: «**من كنت وليه فإن علياً وليه**». وروى النسائي في الخصائص بسنده عن بريدة: بعثنا رسول الله ﷺ واستعمل علينا علياً فلما رجعنا سألنا: كيف رأيتم صحبة صاحبكم فإما شكوته أنا وإما شكاه غيري. فرفعت رأسي وإذا وجه رسول الله ﷺ قد احمر فقال: «**من كنت وليه فعلي وليه**».

الثامن والعشرون: حديث المنزلة. وهو قوله ﷺ: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي**» ومر ذكره في الجزء الثاني في غزوة تبوك ويأتي ذكره في هذا الجزء في أدلة إمامته وأنه من أثبت الآثار وأصحها قال المفيد: لما جعل علياً منه بمنزلة هارون من موسى أوجب له جميع منازل هارون من موسى إلا ما خصه العرف من الأخوة واستثناه هو من النبوة لفظاً وهذه فضيلة لم يشرك فيها أحد أمير المؤمنين ولا ساواه في معناها ولا قاربه فيها على حال «اهـ».

التاسع والعشرون: قول سعد: ثلاث كن لعلي لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم. روى مسلم في صحيحه وابن الأثير في أسد الغابة والترمذي بسند قوي كما في الإصابة وغيرهم بأسانيدهم عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أو ما يمنعك أن تسب أبا التراب أو أبا تراب فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ فلن أسبه، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي وقد خلفه في بعض مغازيه فقال له علي: يا رسول الله تخلفني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ: «**أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي**» وسمعته يقول يوم خيبر: «**لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**» فتطاولنا إليها فقال: «**ادعوا لي علياً**» فأتاه وبه رمد فبصق في عينيه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه. وأنزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ فدعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «**اللهم هؤلاء أهلي**». وعن ابن ماجه بسنده عن سعد بن أبي وقاص قال: قدم معاوية في بعض حجاته فدخل عليه سعد فذكروا علياً فنال منه فغضب سعد وقال: تقول هذا لرجل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من كنت مولاه فعلي مولاه**» وسمعته يقول: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي**» وسمعته يقول: «**لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**». قال النووي في شرح صحيح مسلم قال العلماء: الأحاديث التي ظاهرها دخل على صحابي يجب تأويلها فقول معاوية هذا ليس فيه تصريح بأنه أمر سعداً بسبه وإنما سأله عن السبب المانع له من السب قالوا ويحتمل أن معناه ما منعك أن تخطئه في رأيه واجتهاده «اهـ» (أقول) يدفع هذا التأويل الفاسد والاعتذار البارد تصريح الراوي بقوله: أمر معاوية سعداً فقال: ما يمنعك، على أن من قال لآخر ما يمنعك أن تزورنا أو ما يمنعك أن تفعل كذا لا يرتاب من له أدنى معرفة في أنه طلب لفعل ذلك بأبلغ وجه وهو أقوى في الطلب من قوله أفعل كذا. وما أشبه

هذا الاعتذار بما يحكى أن رجلاً انتفض عليه كلب ممطور فغمض عينيه وقال: هذا سخل إن شاء الله. وأورد هذا الحديث النسائي في الخصائص بسنده عن بكر بن مسمار قال: سمعت عامر بن سعد يقول: قال معاوية لسعد بن أبي وقاص ما يمنعك أن تسب ابن أبي طالب قال: لا أسبه ما ذكرت ثلاثاً قالهن رسول الله ﷺ لأن يكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم. وذكر نحواً مما مر إلا أنه ذكر الأولى فقال: ما أسبه ما ذكرت حين نزل عليه الوحي فأخذ علياً وابنيه وفاطمة فأدخلهم تحت ثوبه ثم قال: «**رب هؤلاء بيتي وأهلي**» والثانية ما قاله في غزوة تبوك والثالثة ما قاله في غزوة خيبر ثم قال: فوالله ما ذكره معاوية بحرف حتى خرج من المدينة.

وروى هذا الحديث الحاكم في المستدرك بأسانيده عن عامر بن سعد أنه قال معاوية لسعد بن أبي وقاص: ما يمنعك أن تسب ابن أبي طالب فقال: لا أسبه ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم. فقال له معاوية: ما هن يا أبا إسحاق قال: لا أسبه ما ذكرت حين نزل عليه الوحي فأخذ علياً وابنيه وفاطمة فأدخلهم تحت ثوبه ثم قال: «**رب إن هؤلاء أهل بيتي**»، ولا أسبه ما ذكرت حين خلفه في غزوة تبوك غزاها رسول الله ﷺ فقال له علي: خلفتني مع الصبيان والنساء قال: «**ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي**» ولا أسبه ما ذكرت يوم خيبر قال رسول الله ﷺ: «**لأعطين هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويفتح الله على يديه**» فتطاولنا لرسول الله ﷺ فقال: «**أين علي**» قالوا: هو أرمد فقال: «**ادعوه**» فدعوه فبصق في عينيه ثم أعطاه الراية ففتح الله عليه قال: فلا والله ما ذكره معاوية بحرف حتى خرج من المدينة قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة وقد اتفقا جميعاً على إخراج حديث المؤاخاة وحديث الراية (وروى) النسائي في الخصائص بسنده عن محمد بن عبد اللّه بن أبي نجيح عن أبيه عن معاوية ذكر علي بن أبي طالب فقال سعد بن أبي وقاص والله لأن يكون لي واحدة من خلال ثلاث أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت

عليه الشمس. لأن يكون قال لي ما قاله له حين رده من تبوك أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، ولأن يكون قال لي: ما قال له يوم خيبر لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، ولأن يكون لي ابنته ولي منها من الولد ما له أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس.

الثلاثون: حديث الكساء وآية التطهير. وفي أسد الغابة بسنده عن أم سلمة أن النبي ﷺ جلل علياً وفاطمة والحسن والحسين كساء ثم قال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً**» قالت أم سلمة: قلت يا رسول الله أنا منهم قال: إنك إلى خير.

وفي الاستيعاب: لما نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة وعلياً وحسناً وحسيناً في بيت أم سلمة وقال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا**». وروى الواحدي في أسباب النزول بسنده عن أبي سعيد أنها نزلت في خمسة النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

(وبسنده) عن أم سلمة أن النبي ﷺ كان في بيتها فأتته فاطمة ببرمة فيها خزيرة فدخلت بها عليه فقال لها: «**ادعي لي زوجك وابنيك**» قالت: فجاء علي وحسن وحسين فدخلوا فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو على منامة له وكان تحته كساء خيبري قالت: وأنا في الحجرة أصلي فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ قالت: فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم أخرج يديه فألوى بهما إلى السماء ثم قال: **اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً** قالت: فأدخلت رأسي البيت وقلت: أنا معكم يا رسول الله قال: «**إنك إلى خير إنك إلى خير**». وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن أم سلمة إنها قالت في بيتي

نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى علي وفاطمة والحسن والحسين فقال: **«اللهم هؤلاء أهل بيتي»** قالت أم سلمة: يا رسول الله ما أنا من أهل البيت؟ قال: **«إنك إلى خير وهؤلاء أهل بيتي اللهم أهلي أحق»** قال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه وقال الذهبي في تلخيص المستدرك (قلت) سمعه الوليد بن مزيد من الأوزاعي «اهـ» (وروى الحاكم في المستدرك) بسنده عن واثلة بن الأسقع قال: جئت أريد علياً فلم أجده فقالت فاطمة: انطلق إلى رسول الله ﷺ يدعوه فأجلس فجاء مع رسول الله ﷺ فدخل ودخلت معهما فدعا رسول الله ﷺ حسناً وحسيناً فأجلس كل واحد منهما على فخذه وأدنى فاطمة من حجره وزوجها ثم لف عليهم ثوبه وأنا شاهد فقال: **«إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً اللهم هؤلاء أهل بيتي»**. هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه «اهـ» وقوله ﷺ في هذه الأخبار: **«هؤلاء أهل بيتي»** ينفي احتمال أن يراد بأهل البيت نساء النبي ﷺ كما يوهمه السياق فإنه بمنزلة التفسير له لا سيما مع تذكير الضمير المانع من إرادتهن به وإن كان الذي قبل الآية وبعدها وارداً فيهن لأن مراعاة السوق في القرآن الكريم غير لازمة وكون ترتيبه على ترتيب نزوله غير معلوم لو لم يكن معلوم العدم وفي قول أم سلمة: أنا منهم وقول النبي ﷺ جبراً لقلبها إنك إلى خير تصريح ببطلان هذا الاحتمال وبذلك يظهر بطلان ما رواه الواحدي في أسباب النزول بعد روايته إنها نزلت في الأربعة ـ عن ابن عباس وعن عكرمة أنها نزلت في نساء النبي ﷺ فإن ذلك إن صح عنهما فهو اجتهاد في مقابل النص ولو صح عن عكرمة الذي كان يميل إلى رأي الخوارج لا يكاد يصح عن ابن عباس ولا يراد بمثل ذلك إلا معارضة كل ما ورد في فضل أهل البيت ولو بالأمور الواهية ومر لهذا زيادة إيضاح في سيرة الزهراء عليها السلام في الجزء الثاني.

الحادي والثلاثون: تصدقه بخاتمه وهو في الصلاة حتى نزل فيه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾.

الثاني والثلاثون: خبر سد الأبواب غير باب علي عليه السلام كان رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة وبنى مسجده فيها بنى لنفسه حجراً في جانب المسجد أسكنها أزواجه وبنى لعلي (ع) حجرة بجانب الحجرة التي أسكنها عائشة وبنى أصحابه بجانب المسجد حجراً سكنوها وكانت أبوابها إلى المسجد فأمر النبي ﷺ بسد هذه الأبواب إلا باب علي فبقي بابه إلى المسجد ليس له طريق غيره وفتح الباقون أبواباً من غير جهة المسجد وكانت الحجرة التي تسكنها عائشة التي دفن فيها النبي ﷺ وبيت علي كلاهما في الجانب الشرقي من المسجد فلما زادت بنو أمية في المسجد دخلت فيه هذه البيوت. في مسند أحمد بن حنبل[1] حدثنا عبد الله[2] حدثني أبي حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن ميمون عن أبي عبد الله عن زيد بن أرقم قال: كان لنفر من أصحاب رسول الله ﷺ أبواب شارعة في المسجد فقال يوماً: سدوا هذه الأبواب إلا باب علي فتكلم في ذلك الناس فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: **«أما بعد فإني أمرت بسد هذه الأبواب إلا باب علي وقال فيه قائلكم وإني والله ما سددت شيئاً ولا فتحته ولكني أمرت بشيء فاتبعته»**. ورواه النسائي في الخصائص مثله قال: أخبرنا محمد بن بشار بن بندار البصري حدثنا محمد بن جعفر إلى آخر السند والمتن المتقدمين (ورواه) الحاكم في المستدرك مثله قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر البزاز ببغداد حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل إلى آخر السند والمتن السابقين وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وذكره الذهبي في تلخيص المستدرك وقال صحيح (وفي مسند أحمد)[3] حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا وكيع عن هشام بن سعد عن عمر بن أسيد عن ابن عمر كنا نقول في زمن النبي ﷺ رسول الله خير الناس ثم أبو بكر ثم عمر ولقد أوتي ابن أبي طالب ثلاث خصال لأن تكون لي واحدة منها أحب إلي من حمر

---

(١) ص٣٦٩ ج٤ الطبعة المصرية.

(٢) هو ابن أحمد بن حنبل.

(٣) ص٢٦ ج٢ الطبعة المصرية.

النعم: زوجه رسول الله ﷺ ابنته وولدت له وسد الأبواب إلا بابه في المسجد وأعطاه الراية يوم خيبر. (وروى) الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي هريرة قال عمر بن الخطاب: لقد أعطي علي بن أبي طالب ثلاث خصال لأن تكون لي خصلة منها أحب إلي من حمر النعم قيل: وما هن يا أمير المؤمنين قال: تزوجه فاطمة بنت رسول الله ﷺ وسكناه في المسجد مع رسول الله ﷺ يحل له فيه ما يحل والراية يوم خيبر قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (وروى) النسائي في الخصائص: أخبرنا أحمد بن يحيى الكوفي أخبرنا علي وهو ابن قادم أخبرنا إسرائيل عن عبد اللّه بن شريك عن الحارث بن مالك قال: أتيت مكة فلقيت سعد بن أبي وقاص فقلت له: سمعت لعلي منقبة؟ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في المسجد فنادى مناديه[1] ليخرج من في المسجد إلا آل رسول الله ﷺ وآل علي فلما أصبح أتاه عمه فقال: يا رسول الله أخرجت أصحابك وأعمامك وأسكنت هذا الغلام فقال رسول الله ﷺ: **«ما أنا أمرت بإخراجكم ولا بإسكان هذا الغلام إن الله هو أمر به»**. قال فطر عن عبد اللّه بن شريك عن عبد اللّه بن أرقم عن سعد أن العباس أتى النبي ﷺ فقال: سددت أبوابنا إلا باب علي فقال: **«ما أنا فتحتها ولا أنا سددتها»** (وفيها) بسنده عن ابن عباس أمر رسول الله ﷺ بأبواب المسجد فسدت إلا باب علي (وبسنده) عن ابن عباس وسد أبواب المسجد غير باب علي فكان يدخل المسجد وهو طريقه ليس له طريق غيره (وعن) سنن الترمذي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أمر بسد الأبواب إلا باب علي. فما يروى في بعض الكتب من جعل هذه المنقبة لغير علي إنما هو ممن يريدون معارضة مناقبه بمثلها أو بإثباتها لغيره فاختلقوا في ذلك ما اختلقوا وأكثره كان في عصر بني أمية فجاء من جاء بعد ذلك فرواه كما وجده ولم يتفطن لما فيه.

الثالث والثلاثون: آية المباهلة وتأتي عند ذكر أخباره سنة عشر من الهجرة

---

(١) النسخة مغلوطة والمظنون أن فيما هكذا.

فقد دلت على أنه نفس رسول الله ﷺ وأفضل الناس بعده كما يأتي مفصلاً هناك ويأتي عند ذكر أدلة إمامته.

الرابع والثلاثون: حديث الطائر المشوي. روى النسائي في الخصائص بسنده عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ كان عنده طائر فقال: **«اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير»** فجاء أبو بكر فرده ثم جاء عمر فرده ثم جاء علي فأذن له (وفي أسد الغابة) بسنده عن أنس مثله إلا أنه قال بدل عمر ثم جاء عثمان. قال ذكر أبي بكر وعثمان في هذا الحديث غريب جداً. ثم قال وقد روي من غير وجه عن أنس. ورواه غير أنس من الصحابة: ثم روي بسنده عن أنس قال: أهدي إلى النبي ﷺ طير فقال: **«اللهم ائتني بأحب خلقك إليك فجاء علي فأكل معه»**. وبسنده عن أنس بن مالك أهدي لرسول الله ﷺ طير فقال: **«اللهم ائتني برجل يحبه الله ويحبه رسوله»** قال أنس: فأتى علي فقرع الباب فقلت إن رسول الله ﷺ مشغول وكنت أحب أن يكون رجل من الأنصار ثم أن علياً فعل مثل ذلك ثم أتى الثالثة فقال رسول الله ﷺ: يا أنس أدخله فقد عنيته فلما أقبل قال: **«اللهم وال اللهم وال»** قال وقد رواه عن أنس غير واحد حدثنا حميد الطويل وأبو الهندي ويغنم بن سالم. وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن أنس بن مالك قال: كنت أخدم رسول الله ﷺ فقدم لرسول الله ﷺ فرخ مشوي فقال: **«اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير»** قال: فقلت اللهم اجعله رجلاً من الأنصار فجاء علي عليه السلام فقلت: إن رسول الله ﷺ على حاجة ثم جاء فقلت: إن رسول الله ﷺ على حاجة ثم جاء فقال رسول الله ﷺ: **«افتح»** فدخل فقال رسول الله ﷺ: **«ما حبسك عني»** فقال: إن هذه آخر ثلاث كرات يردني أنس يزعم إنك على حاجة فقال: **«ما حملك على ما صنعت»** فقلت: يا رسول الله سمعت دعاءك فأحببت أن يكون رجلاً من قومي فقال رسول الله ﷺ: **«إن الرجل قد يحب قومه»**، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقد رواه عن أنس جماعة من أصحابه زيادة على ثلاثين نفساً ثم صحت الرواية به عن علي وأبي سعيد الخدري وسفينة

وفي حديث ثابت البناني عن أنس زيادة ألفاظ ثم ساق إسناده إلى ثابت البناني أن أنس بن مالك كان شاكياً فأتاه محمد بن الحجاج يعوده في أصحاب له فجرى الحديث حتى ذكروا علياً عليه السلام فتنقصه محمد بن الحجاج فقال أنس: من هذا؟ أقعدوني. فأقعدوه فقال: يا ابن الحجاج ألا أراك تنتقص علي بن أبي طالب والذي بعث محمداً ﷺ بالحق لقد كنت خادم رسول الله ﷺ بين يديه وكان كل يوم يخدم بين يدي رسول الله ﷺ غلام من أبناء الأنصار فكان ذلك اليوم يومي فجاءت أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ بطير فوضعته بين يدي رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: **«يا أم أيمن ما هذا الطائر؟»** قالت: هذا الطائر أصبته فصنعته لك فقال: **«اللهم جئني بأحب خلقك إليك وإلي يأكل معي من هذا الطائر»** وضرب الباب فقال رسول الله ﷺ: **«يا أنس انظر من على الباب»** قلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار فذهبت فإذا علي بالباب قلت: إن رسول الله ﷺ على حاجة، فجئت حتى قمت مقامي فلم ألبث أن ضرب الباب فقال: **«يا أنس انظر من على الباب»** فقلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار فذهبت فإذا علي بالباب قلت: إن رسول الله ﷺ على حاجة، فجئت حتى قمت مقامي فلم ألبث أن ضرب الباب فقال رسول الله ﷺ: **«يا أنس اذهب فأدخله فلست بأول رجل أحب قومه ليس هو من الأنصار»** فذهبت فأدخلته فقال: **«يا أنس قرب إليه الطير»** قال: فوضعته بين يدي رسول الله ﷺ فأكلا جميعاً قال محمد بن الحجاج: يا أنس كان هذا بمحضر منك؟ قال: نعم قال: أعطي بالله عهداً أن لا أنتقص علياً مقامي هذا ولا أعلم أحداً ينتقصه إلا أشننت له وجهه.

الخامس والثلاثون: إنه أحب الناس إلى رسول الله ﷺ روى النسائي بسنده عن جميع بن عمر قال: دخلت مع أمي على عائشة وأنا غلام فذكرت لها علياً فقالت: ما رأيت رجلاً أحب إلى رسول الله ﷺ منه ولا امرأة أحب إلى رسول الله من امرأته (وبسنده) عن جميع بن عمر دخلت مع أبي على عائشة فسألها من وراء الحجاب عن علي فقالت: تسألني عن رجل ما أعلم أحداً كان أحب إلى رسول الله ﷺ منه ولا أحب إليه من امرأته (وبسنده) إلى ابن بريدة

جاء رجل إلى أبي فسأله: أي الناس كان أحب إلى رسول الله ﷺ قال: من النساء فاطمة ومن الرجال علي ويدل عليه ما مر من حديث الطائر المشوي.

السادس والثلاثون: قوله ﷺ من كنت مولاه فعلي مولاه وهذا قد تقدم في حديث الغدير ونذكر هنا ما ورد في غير حديث الغدير، روى النسائي في الخصائص بسنده عن ابن عباس عن بريدة بعثني النبي ﷺ مع علي إلى اليمن فرأيت منه جفوة فلما رجعت شكوته إلى النبي ﷺ فرفع رأسه إلي وقال: يا بريدة من كنت مولاه فعلي مولاه «وبسنده» عن ابن عباس عن بريدة خرجت مع علي إلى اليمن فرأيت منه جفوة فقدمت على النبي ﷺ فذكرت علياً فتنقصته فجعل رسول الله ﷺ يتغير وجهه فقال: **«يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم»** قلت: بلى يا رسول الله قال: **«من كنت مولاه فعلي مولاه»**، ورواه الحاكم في المستدرك بسنده عن بريدة مثله وقال صحيح على شرط مسلم «وروى» النسائي بسنده عن سعد أن رسول الله ﷺ قال: **«من كنت مولاه فعلي مولاه»**. عن سعد في حديث لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول في علي خصال ثلاث لأن يكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم سمعته يقول: **«إنه مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»** وسمعته يقول: **«لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»** وسمعته يقول: **«من كنت مولاه فعلي مولاه»**.

السابع والثلاثون: قول النبي ﷺ: **«علي مني وأنا منه»**. قال البخاري في صحيحه في مناقب علي بن أبي طالب: قال النبي ﷺ لعلي: **«أنت مني وأنا منك»** وهذا القول رواه البخاري بسنده عن البراء بن عازب في الصلح وعمرة القضاء من حديث (وروى) النسائي في الخصائص بسنده من حديث أنه ﷺ قال لعلي: **«أنت مني بمنزلة هارون من موسى وأنا منك»** (وسنده) عن عمران بن حصين قال رسول الله ﷺ: **«إن علياً مني وأنا منه وولي كل مؤمن بعدي»** «اهـ» وقد ورد في خبر براءة لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني وفي وقعة أحد أنه مني وأنا منه (وروى) ابن عبد البر في الاستيعاب بسنده عن المطلب بن عبد اللّه بن

حنطب قال رسول الله ﷺ لوفد ثقيف حين جاء: **«لتسلمن أو لأبعثن رجلاً مني»** أو قال: **«مثل نفسي فليضربن أعناقكم وليسبين ذراريكم وليأخذن أموالكم»** قال عمر: فوالله ما تمنيت الإمارة إلا يومئذ وجعلت أنصب صدري له رجاء أن يقول هو هذا فالتفت إلى علي فأخذ بيده ثم قال: **«هو هذا هو هذا»** مرتين (ورواه) أحمد بن حنبل في المحكي عن مسنده بسنده عن المطلب بن عبد اللّه بن حنطب مثله (وروى) النسائي في الخصائص بسنده عن حبشي بن جنادة السلولي قال رسول الله ﷺ: **«علي مني وأنا منه فلا يؤدي عني إلا أنا أو علي»** (وروى) أحمد بن حنبل في مسنده بأسانيد أربعة عن حبشي بن جنادة وكان قد شهد يوم حجة الوداع، قال رسول الله ﷺ: **«علي مني وأنا منه ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي»** ومر في الجزء الثاني في خبر نزول براءة قوله ﷺ: **«لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني أو من أهلي أو من أهل بيتي»** (وروى النسائي) بسنده عن بريدة: بعثنا رسول الله ﷺ إلى اليمن مع خالد بن الوليد وبعث علياً على جيش آخر وقال: إن التقيتما فعلي على الناس وإن تفرقتما فكل واحد منكما على جنده فلقينا بني زبيدة من أهل اليمن وظفر المسلمون على المشركين فقتلنا المقاتلة وسبينا الذرية فاصطفى علي جارية لنفسه من السبي وكتب بذلك خالد بن الوليد إلى النبي ﷺ وأمرني أن أنال منه فدفعت الكتاب إليه ونلت من علي فتغير وجه رسول الله ﷺ وقال لي: **«لا تبغضن يا بريدة علياً فإن علياً مني وأنا منه وهو وليكم بعدي»**. وبسنده عن محمد بن أسامة بن زيد عن أبيه قال رسول الله ﷺ: **«أما أنت يا علي فختني وأبو ولدي أنت مني وأنا منك»**.

الثامن والثلاثون: قول النبي ﷺ: **«علي كنفسي»**. روى النسائي في الخصائص بسنده عن أبي قال رسول الله ﷺ: **«لينتهن بنو وليعة[1] أو لأبعثن عليهم رجلاً كنفسي ينفذ فيهم أمري فيقتل المقاتلة ويسبي الذرية»** فما راعني إلا

---

(١) في النسخة المطبوعة بمصر بنو ربيعة وهي كثيرة الغلط ولم يتيسر لنا الرجوع إلى غيرها ولا يبعد أن يكون الصواب بنو وليعة كما في الحديث الذي بعده.

وكف عمر في حجزتي[1] من خلفي: من يعني[2]؟ قلت: إياك يعني وصاحبك[3] قال: فمن يعني قلت: خاصف النعل وعلي يخصف النعل. وأخرج أحمد بن حنبل في المحكي عن المسند وفي المحكي عن المناقب أن رسول الله ﷺ قال: «**لتنتهن يا بني وليعة**[4] **أو لأبعثن إليكم رجلاً كنفسي يمضي فيكم أمري يقتل المقاتلة ويسبي الذرية**» فالتفت إلى علي فأخذ بيده وقال: «**هو هذا**» مرتين. وأخرجه موفق بن أحمد الخوارزمي المكي بلفظه ومضى في الذي قبله قوله ﷺ: «**لأبعثن رجلاً مني**» أو قال: «**مثل نفسي**».

التاسع والثلاثون: قول النبي ﷺ: «**من سب علياً فقد سبني**». روى النسائي في الخصائص بسنده عن أبي عبد الله الجدلي قال: دخلت على أم سلمة فقالت لي: أيسب رسول الله ﷺ فيكم قلت: سبحان الله أو معاذ الله[5] قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سب علياً فقد سبني**». «أبو عبد الله الجدلي واسمه عتبة بن عبد الله كان ساكناً بالشام فلهذا قالت له أم سلمة ذلك». ورواه الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي عبد الله الجدلي مثله وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقد رواه بكير بن عثمان البجلي بزيادة ألفاظ (وبسنده) عن أبي عبد الله الجدلي: حججت وأنا غلام فمررت بالمدينة وإذا الناس عنق واحد فاتبعتهم فدخلوا على أم سلمة زوج النبي ﷺ فسمعتها تقول: يا شبيب (شبت ظ) بن ربعي فأجابها رجل جلف جاف لبيك يا أمتاه قالت: يسب رسول الله ﷺ في ناديكم؟ قال: و أنى ذلك؟ قالت: فعلي بن أبي طالب قال إنا لنقول أشياء نريد عرض الدنيا قالت: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سب علياً فقد سبني ومن سبني فقد سب الله تعالى**». وحكى

---

(١) الحجزة بضم الحاء وسكون الجيم وفتح الزاي معقد الإزار.

(٢) لعل في العبارة سقطاً وأصلها فقال من يعني والنسخة المنقول عنها غير مضمونة الصحة.

(٣) لعله على سبيل الإنكار.

(٤) وليعة كسفينة حي من كندة.

(٥) أو كلمة نحوها (مستدرك).

المرزباني في مختصر تاريخ شعراء الشيعة كما في نسخة عندنا مخطوطة في ترجمة عبد اللّه بن عباس، وصاحب الفصول المهمة نقلاً عن كتاب كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب تأليف الشيخ الإمام الحافظ محمد بن يوسف بن محمد الكنجي الشافعي قال: حكي عن عبد اللّه بن عباس وكان سعيد بن جبير يقوده[1] بعد أن كف بصره فمر على صفة زمزم فإذا بقوم من أهل الشام يسبون علياً فسمعهم عبد اللّه بن عباس فقال لسعيد: ردني إليهم فرده فوقف عليهم وقال: أيكم الساب الله؟ فقالوا: سبحان الله ما فينا أحد سب الله فقال: أيكم الساب لرسول الله؟ فقالوا: ما فينا أحد سب رسول الله فقال: أيكم الساب لعلي بن أبي طالب فقالوا: أما هذا فقد كان منه شيء فقال: أشهد على رسول الله بما سمعته أذناي ووعاه قلبي، سمعته يقول لعلي بن أبي طالب: يا علي من سبك فقد سبني ومن سبني فقد سب الله ومن سب الله فقد كبه الله على منخريه في النار وولى عنهم وقال: يا بني ماذا رأيتهم صنعوا؟ فقلت له يا أبت:

نظروا إليك بأعين محمرة ... نظر التيوس إلى شفار الجازر

فقال: زدني فداك أبوك فقلت:

خزر العيون نواكس أبصارهم ... نظر الذليل إلى العزيز القاهر

فقال: زدني فداك أبوك فقلت: ليس عندي مزيد فقال عندي المزيد:

أحياؤهم عار على أمواتهم ... والميتون مسبة للغابر

الأربعون: إن حبه حب رسول الله وبغضه بغضه وأذيته أذيته، في الاستيعاب: قال رسول الله ﷺ: «**من أحب علياً فقد أحبني ومن أبغض علياً فقد أبغضني ومن آذى علياً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله**». وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن عمرو بن شاس الأسلمي قال: خرجنا مع علي إلى اليمن

---

(١) آخر الرواية يدل على أنه كان معه ابنه ولم يذكر المرزباني أن سعيداً كان يقوده ويمكن أن يكون سعيد يقوده ومعه ابنه.

فجفاني في سفره ذلك حتى وجدت في نفسي فلما قدمت أظهرت شكايته في المسجد حتى بلغ ذلك رسول الله ﷺ فدخلت المسجد ذات غداة ورسول الله ﷺ في ناس من أصحابه فلما رآني أبدني عينيه، يقول: حدد إلي النظر حتى إذا جلست قال: **«يا عمرو أما والله لقد آذيتني»** فقلت: أعوذ بالله أن أؤذيك يا رسول الله قال: **«بلى من آذى علياً فقد آذاني»** قال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وروى الحاكم في المستدرك بسنده أنه قال رجل لسلمان ما أشد حبك لعلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من أحب علياً فقد أحبني ومن أبغض علياً فقد أبغضني»**. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ولم يتعقبه الذهبي في تلخيص المستدرك. ويأتي قول النبي ﷺ: **«حبيبك حبيبي وعدوك عدوي»**. وروى الحاكم في المستدرك بسنده وقال: إنه جاء رجل من أهل الشام فسب علياً عند ابن عباس فحصبه ابن عباس فقال: يا عدو الله آذيت رسول الله ﷺ إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً لو كان رسول الله ﷺ لآذيته، قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

الحادي والأربعون: إن طاعته طاعة رسول الله ﷺ ومعصيته معصيته. روى الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي ذر قال رسول الله ﷺ: **«من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع علياً فقد أطاعني ومن عصى علياً فقد عصاني»** قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي في تلخيص المستدرك صحيح.

الثاني والأربعون: إن مفارقته مفارقة رسول الله ﷺ، روى الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي ذر قال النبي ﷺ: **«يا علي من فارقني فقد فارق الله ومن فارقك يا علي فقد فارقني»**.

الثالث والأربعون: إنه مع القرآن والقرآن معه. روى الحاكم في المستدرك بسنده عن أم سلمة سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«علي مع القرآن والقرآن مع**

علي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض» قال: هذا حديث صحيح الإسناد وذكره الذهبي في تلخيص المستدرك ولم يتعقبه.

الرابع والأربعون: قوله ﷺ: **«اللهم أدر الحق معه حيث دار»**. روى الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم عن علي قال رسول الله ﷺ: **«رحم الله علياً اللهم أدر الحق معه حيث دار»**.

الخامس والأربعون: قول النبي ﷺ: **«هذا وليي والمؤدي عني»**. روى النسائي في الخصائص بسنده عن سعد قال: إن رسول الله ﷺ خطب فقال: **«أما بعد أيها الناس فإني وليكم»** قالوا: صدقت ثم أخذ بيد علي فرفعها ثم قال: **«هذا وليي والمؤدي عني والى الله من والاه وعادى من عاداه»**.

السادس والأربعون: اختصاصه بتأدية براءة وقول جبرائيل للنبي ﷺ: لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك ومر ذلك مفصلاً في السيرة النبوية في الجزء الثاني.

السابع والأربعون: تزويجه بفاطمة سيدة نساء العالمين ولولاه لم يكن لها كفؤ وقول النبي ﷺ للزهراء: **«ما أنا زوجتك بل الله تولى تزويجك»** وانحصار نسل رسول الله ﷺ في أولاده (في الاستيعاب) زوجه رسول الله ﷺ فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ما خلا مريم بنت عمران وقال لها: زوجتك سيداً في الدنيا والآخرة وأنه لأول أصحابي إسلاماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً «اه» وقد خطبها غيره فلم يزوجها أحداً وقال: ما أنا زوجتها بعلي بل الله زوجها. روى النسائي في الخصائص بسنده عن عبد اللّه بن يزيد عن أبيه قال: خطب أبو بكر وعمر فاطمة فقال رسول الله ﷺ: **«إنها صغيرة»** فخطبها علي فزوجها منه (وبسنده) عن ابن عباس في حديث أن النبي ﷺ قال لها: **«يا ابنتي والله ما أردت أن أزوجك إلا خير أهلي»**.

الثامن والأربعون: مدح محبه وذم مبغضه. روى الحاكم في المستدرك من طريق أحمد بن حنبل وصححه بسنده عن عمار بن ياسر سمعت رسول الله ﷺ

يقول لعلي: «**يا علي طوبى لمن أحبك وصدق فيك وويل لمن أبغضك وكذب فيك**».

التاسع والأربعون: إن حبه وبغضه يفرق بهما بين المؤمن والمنافق. في «الاستيعاب» بسنده عن جابر: ما كنا نعرف المنافقين إلا ببغض علي بن أبي طالب. وروى أحمد في مسنده بسنده عن جابر بن عبد اللّه: ما كنا نعرف منافقينا معشر الأنصار. إلا ببغضهم علياً. وبسنده عن أبي سعيد الخدري مثله «وروى» الترمذي بسنده عن أبي سعيد الخدري: إن كنا لنعرف المنافقين نحن معاشر الأنصار ببغضهم علي بن أبي طالب. وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي ذر: ما كنا نعرف المنافقين إلا بتكذيبهم الله ورسوله والتخلف عن الصلوات والبغض لعلي بن أبي طالب. هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وروى الترمذي بسنده عن أم سلمة كان رسول الله ﷺ يقول: «**لا يحب علياً منافق ولا يبغضه مؤمن**». وفي الاستيعاب: روت طائفة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال لعلي: «**لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق**» وكان علي يقول: والله إنه لعهد النبي الأمي إنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق.

الخمسون: دخوله على رسول الله ﷺ كل يوم وكل ليلة سحراً يتعلم منه. روى النسائي في الخصائص بسنده عن عبد اللّه بن بحر الحضرمي عن أبيه وكان صاحب مطهرة علي قال علي: كانت لي منزلة من رسول الله ﷺ لم تكن لأحد من الخلائق فكنت آتيه كل سحر فأقول: السلام عليك يا نبي الله فإن تنحنح انصرفت إلى أهلي وإلا دخلت عليه «وبسنده» عن عبد اللّه بن يحيى أنه سمع علياً يقول: كنت أدخل على نبي الله ﷺ كل ليلة فإن كان يصلي سبح فدخلت وإن لم يكن يصلي أذن لي فدخلت «وبسنده» عن عبد اللّه بن يحيى قال علي: كان لي ساعة من السحر أدخل فيها على رسول الله ﷺ فإن كان في صلاته سبح وإن لم يكن في صلاته أذن لي «وبسند آخر» عنه نحوه «وبسنده» عن أبي يحيى قال علي: كان لي من النبي ﷺ مدخلان مدخل بالليل ومدخل بالنهار «الحديث».

الواحد والخمسون: أنه إذا سأل رسول الله ﷺ أجابه وإذا سكت ابتدأه. روى النسائي في الخصائص بسنده عن عبد اللّه بن عمرو بن هند الجملي عن علي: كنت إذا سألت رسول الله ﷺ أعطيت وإذا سكت ابتدأني، ورواه الحاكم في المستدرك بسنده مثله سنداً ومتناً إلا أنه قال: أعطاني بدل أعطيت وقال صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي في تلخيص المستدرك (وفي الخصائص) بسنده عن أبي البخترى عن علي: كنت إذا سألت أعطيت وإذا سكت ابتديت (وبسنده) عن زاذان قال علي: كنت والله إذا سألت أعطيت وإذا سكت ابتديت.

الثاني والخمسون: إن مثله مثل عيسى بن مريم عليهما السلام. روى النسائي بسند عن ربيعة بن ناجذ عن علي قال رسول الله ﷺ: **«يا علي فيك مثل من مثل عيسى أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذي ليس به»** «وفي الاستيعاب» بسنده عن الشعبي قال لي علقمة: تدري ما مثل علي في هذه الأمة قلت: وما مثله قال: مثل عيسى بن مريم أحبه قوم حتى هلكوا في حبه وأبغضه قوم حتى هلكوا في بغضه.

الثالث والخمسون: شبهه بالأنبياء. في الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي عن البيهقي. في كتاب فضائل الصحابة يرفعه بسنده إلى رسول الله ﷺ أنه قال: **«من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في تقواه وإلى إبراهيم في حلمه وإلى موسى في هيبته وإلى عيسى في عبادته فلينظر إلى علي بن أبي طالب»**.

الرابع والخمسون: قول النبي ﷺ: **«إنه أمير المؤمنين وسيد المسلمين وخاتم الوصيين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين»**، روى أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء بسنده عن أنس في حديث قال رسول الله ﷺ: **«يا أنس أول من يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين وسيد المسلمين وقائد الغر المحجلين وخاتم الوصيين»** قال أنس: قلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار

وكتمته إذ جاء علي فقال: **«من هذا يا أنس»** فقلت: علي فقام مستبشراً فاعتنقه ثم جعل يمسح عرق وجهه بوجهه ويمسح عرق علي بوجهه قال علي: يا رسول الله لقد رأيتك صنعت شيئاً ما صنعت بي من قبل قال: **«وما يمنعني وأنت تؤدي عني وتسمعهم صوتي وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدي»**، رواه جابر الجعفي عن أبي الطفيل عن أنس نحوه (وبسنده) عن الشعبي: قال علي: قال لي رسول الله ﷺ: **«مرحباً بسيد المسلمين وإمام المتقين»**، وفي الفصول المهمة: روى الإمام أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني بسنده إلى عبد اللّه بن حكيم الجهني قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تبارك وتعالى أوحى إلي في علي ثلاثة أشياء ليلة أسرى بي بأنه سيد المؤمنين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين»**، وروى الحاكم في المستدرك وصححه بسنده عن أسعد بن زارة قال رسول الله ﷺ: **«أوحي إلي في علي ثلاث: إنه سيد المرسلين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين»**.

الخامس والخمسون: قول النبي ﷺ له: **«إنك سيد العرب»** مر في وقعة خيبر قوله ﷺ له: **«يا علي إنك سيد العرب وأنا سيد ولد آدم»**. وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن عروة عن أبيه عن عائشة قال رسول الله ﷺ: **«ادعوا لي سيد العرب»** فقلت: يا رسول الله ألست سيد العرب؟ قال: **«أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب»** قال وله شاهد آخر من حديث جابر قال رسول الله ﷺ: **«ادعوا لي سيد العرب»** فقالت عائشة: ألست سيد العرب يا رسول الله؟ فقال: **«أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب»** «وروى» أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء في ترجمة علي (ع) بسنده عن ابن أبي ليلى عن الحسن بن علي قال رسول الله ﷺ: **«ادعوا لي سيد العرب يعني علي بن أبي طالب»** فقالت عائشة: ألست سيد العرب؟ فقال: **«أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب»** فلما جاء أرسل إلى الأنصار فأتوه فقال لهم: **«يا معشر الأنصار ألا أدلكم على ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعده أبداً»** قالوا: بلى يا رسول الله قال: **«هذا علي فأحبوه بحبي وأكرموه بكرامتي فإن جبريل أمرني بالذي قلت لكم من الله عز وجل»** قال رواه

أبو بشر عن سعيد بن جبير عن عائشة نحوه في السؤدد مختصراً، وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن عائشة أن النبي ﷺ قال: **«أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب»**.

السادس والخمسون: قول النبي ﷺ له: **«أنت سيد في الدنيا والآخرة»** وغير ذلك روى الحاكم في المستدرك بأسانيده عن الحسين بن محمد القتباني ومحمد بن إسحاق وأحمد بن يحيى بن إسحاق الحلواني قالوا: حدثنا أبو الأزهر وقد حدثنا أبو علي المزكى عن أبي الأزهر حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس: نظر النبي ﷺ إلى علي فقال: **«يا علي أنت سيد في الدنيا سيد في الآخرة حبيبك حبيبي وحبيبي حبيب الله وعدوك عدوي وعدوي عدو الله والويل لمن أبغضك بعدي»** قال صحيح على شرط الشيخين وأبو الأزهر بإجماعهم ثقة وإذا انفرد الثقة بحديث فهو على أصلهم صحيح. ثم حكى عن أحمد بن يحيى الحلواني أنه لما ورد أبو الأزهر من صنعاء وذاكر أهل بغداد بهذا الحديث أنكره يحيى بن معين فلما كان يوم مجلسه قال في آخر المجلس: أين هذا الكذاب النيسابوري الذي يذكر عن عبد الرزاق هذا الحديث فقام أبو الأزهر فقال: ها أنا ذا فضحك يحيى بن معين وقربه وأدناه فقال له: كيف حدثك عبد الرزاق بهذا ولم يحدث به غيرك فقال: قدمت صنعاء وعبد الرزاق غائب في قرية له فخرجت إليه فسألني عن أمر خراسان فحدثته به وكتبت عنه وانصرفت معه إلى صنعاء فلما ودعته قال لي: قد وجب علي حقك فأنا أحدثك بحديث لم يسمعه مني غيرك فحدثني والله بهذا الحديث لفظاً فصدقه يحيى بن معين واعتذر إليه. ولما كان الذهبي على عادته في تعصبه وتحامله على أهل البيت وأتباعهم يصعب عليه الإذعان بمثل هذا الحديث ولا تطيق نفسه الاعتراف به وإن صح سنده على شرط الشيخين أخذ يتحيل لإنكاره بالاستبعادات والتمحلات فقال في تلخيص المستدرك بعدما كتب عليه علامة الصحة على شرط الشيخين (خ م) هذا وإن كان رواته ثقات وأبو الأزهر ثقة فهو منكر ليس ببعيد من الوضع وإلا لأي شيء حدث به عبد الرزاق سراً ولم يجسر

أن يتفوه به لأحمد وابن معين والخلق الذين رحلوا إليه «اهـ». والجواب عن قوله لأي شيء أنه وارد في فضل عظيم لعلي بن أبي طالب ويكفي في الجواب عنه كلام الذهبي هذا وتحامله بعد اعترافه بأن رواته ثقات ومع ذلك يقول: منكر ليس ببعيد من الوضع وتكذيب يحيى بن معين لراويه في أول وهلة استعظاماً لمضمونه (والحاصل) إن كلام الذهبي لا يخرج عن الاستبعاد الواهي ولا ترد الأحاديث الصحيحة بمثل ذلك.

السابع والخمسون: قوله ﷺ: **«هذا أمير البررة»**، روى الحاكم في المستدرك بسند فيه أحمد بن عبد الله بن يزيد الحراني عن جابر بن عبد الله سمعت رسول الله ﷺ وهو آخذ بضبع علي بن أبي طالب وهو يقول: **«هذا أمير البررة قاتل الفجرة منصور من نصره مخذول من خذله»** ثم مد بها صوته. قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. قال الذهبي في تلخيص المستدرك: بل والله موضوع وأحمد كذاب فما أجهلك على سعة معرفتك (أقول) تسرعه إلى الحلف على ما لا يعلم دليل على قلة مبالاته ومن أين له أن يعلم بوضعه فهل كان حاضراً مع النبي ﷺ وضبط جميع ما قاله؟ ولو فرض أن أحمد كذاب كما يزعم فهل يمكنه الجزم بأن جميع رواياته موضوعة كيف والكاذب قد يصدق على أن الحاكم أطول منه في الرواية باعاً وأوسع اطلاعاً وقد حكم بصحته وقد أساء الأدب مع إمام من أئمة علماء المسلمين وركن إلى بذاءة اللسان التي ليست من صفات العلماء ولو كان الحاكم حياً لقال له: ما أجهلك على ضيق معرفتك وبالجملة كلامه هذا كاشف عن شدة تحامله واحتدام غيظه فلا عبرة به.

الثامن والخمسون: قوله ﷺ لفاطمة: **«إن الله اطلع إلى الأرض فاختار رجلين أباك وبعلك»**. روى الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي هريرة قالت فاطمة: يا رسول الله زوجتني من علي بن أبي طالب وهو فقير لا مال له فقال: **«يا فاطمة أما ترضين أن الله عز وجل اطلع إلى أهل الأرض فاختار رجلين أحدهما أبوك والآخر بعلك؟»**. صحيح على شرط الشيخين وقول الذهبي أنه موضوع على سريج - لا يلتفت إليه إذ لم يسنده إلى دليل «وبسنده» عن ابن

عباس قالت فاطمة: زوجتني من عائل لا مال له فذكر نحوه صحيح على شرط الشيخين وكذبه الذهبي بلا دليل.

التاسع والخمسون: منزلته من رسول الله ﷺ وقربه منه، روى النسائي بسنده عن العلاء سأل رجل ابن عمر عن عثمان إلى أن قال: فسأله عن علي فقال: لا تسأل عنه ألا ترى منزلته من رسول الله ﷺ (وبسنده) عن عرار سألت عبد اللّه بن عمر قلت: ألا تحدثني عن علي وعثمان قال: أما علي فهذا بيته من بيت رسول الله ﷺ ولا أحدثك عنه بغيره «الحديث» ثم روى بسنده عن العلاء بن عرار قال: سألت عن ذلك ابن عمر وهو في مسجد رسول الله ﷺ قال: ما في المسجد غير بيته «وبسنده» عن سعيد بن عبيد جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن علي قال: لا أحدثك عنه ولكن أنظر إلى بيته من بيوت رسول الله ﷺ قال: فإني أبغضه قال: به أبغضك الله «أقول» الظاهر أن قوله فهذا بيته من بيت رسول الله ﷺ يراد به مجاورة بيته لبيت رسول الله ﷺ وملاصقته له فكان دائماً يسأله ويتعلم منه ويدل عليه جواب ابن عمر للعلاء حين سأله عن تفسير ذلك بأنه ما في المسجد غير بيته وكأنه إشارة إلى سد الأبواب التي كانت شارعة في المسجد غير باب رسول الله ﷺ وباب علي وقد أورد النسائي هذه الأحاديث في عنوان «ذكر منزلة علي وقربه من النبي ﷺ»:

الستون: إنه وارث علوم رسول الله ﷺ. روى النسائي بسنده عن خالد بن قثم بن العباس أنه سئل من أين ورث علي رسول الله ﷺ قال: إنه كان أولنا به لحوقاً وأشدنا به لزوقاً «وبسنده» عن خالد بن قثم أنه قيل له: أعلي ورث رسول الله ﷺ دون جدك وهو عمه؟ قال: إن علياً أولنا به لحوقاً وأشدنا به لزوقاً «وقوله» أولنا به لحوقاً أراد السبق في الإسلام وأشدنا به لزوقاً أراد الجوار وقلة المفارقة «اهـ» «وروى» الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي إسحاق سألت قثم بن العباس كيف ورث علي رسول الله ﷺ دونكم قال: لأنه كان أولنا به لحوقاً وأشدنا به لزوقاً. قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأورد الذهبي في تلخيص المستدرك وقال صحيح، قال الحاكم سمعت قاضي

القضاة أبا الحسن محمد بن صالح الهاشمي يقول: سمعت أبا عمر القاضي يقول سمعت إسماعيل بن إسحاق القاضي يقول: وذكر له قول قثم هذا فقال: إنما يرث الوارث بالنسب أو بالولاء ولا خلاف بين أهل العلم أن ابن العم لا يرث مع العم فقد ظهر بهذا الإجماع أن علياً ورث العلم من النبي ﷺ دونهم ثم قال وبصحة ما ذكره القاضي حدثنا محمد بن صالح وساق السند عن عكرمة عن ابن عباس كان علي يقول في حياة رسول الله ﷺ: إن الله يقول أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم والله لا ننقلب على أعقابنا بعد أن هدانا الله والله لئن مات أو قتل لأقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت والله إني لأخوه ووليه وابن عمه، ووارث علمه فمن أحق به مني (أقول) لا ينبغي الريب في أن المراد أرث العلم لأن الأنبياء لا تورث عند غيرنا والأرث كله للزهراء دون علي والعباس عندنا.

الواحد والستون: نزول آية: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ (الآية) في تفضيله: في أسباب النزول للواحدي النيسابوري: قال الحسن والشعبي والقرظي أن علياً والعباس وطلحة بن شيبة افتخروا فقال طلحة: أنا صاحب البيت بيدي مفتاحه وإلي ثياب بيته وقال العباس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها وقال علي: ما أدري ما تقولان لقد صليت ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد. فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (إلى أن قال) ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

الثاني والستون: صعوده على منكبي النبي ﷺ وإلقاء الصنم من فوق الكعبة. روى النسائي في الخصائص بسنده عن أبي مريم قال علي: انطلقت مع رسول الله ﷺ حتى أتينا الكعبة فصعد رسول الله ﷺ على منكبي فنهضت به فلما رأى رسول الله ﷺ ضعفي قال لي: «**اجلس**» فجلست فنزل النبي ﷺ وجلس لي وقال لي: «**اصعد على منكبي**» فصعدت على منكبيه فنهض بي فقال علي: إنه يخيل لي أني لو شئت لنلت أفق السماء فصعدت على الكعبة وعليها تمثال من صفر أو نحاس فجعلت أعالجه لأزيله يميناً وشمالاً وقداماً ومن بين

يديه ومن خلفه حتى استمكنت منه فقال نبي الله ﷺ: «**اقذفه**» فقذفت به فكسرته كما تكسر القوارير ثم نزلت فانطلقت أنا ورسول الله ﷺ نستبق حتى توارينا بالبيوت خشية أن يلقانا أحد «اهـ». وكان ذلك قبل الهجرة. ورواه الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي مريم عن علي قال: انطلق بي رسول الله ﷺ حتى أتى بي الكعبة فقال لي: «**اجلس**» فجلست إلى جنب الكعبة فصعد رسول الله ﷺ بمنكبي ثم قال: «**انهض**» فنهضت فلما رأى ضعفي تحته قال لي: «**اجلس**» فنزلت وجلست ثم قال لي: «**يا علي اصعد على منكبي**» فصعدت على منكبيه ثم نهض بي فخيل إلي لو شئت نلت أفق السماء فصعدت فوق الكعبة وتنحى رسول الله ﷺ فقال لي: «**ألق صنمهم الأكبر صنم قريش**» وكان من نحاس موتداً بأوتاد من حديد إلى الأرض فقال لي: «**عالجه**» ورسول الله ﷺ يقول لي: «**ايه ايه جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً**» فلم أزل أعالجه حتى استمكنت منه فقال لي: «**اقذفه**» فقذفته فتكسر وترديت من فوق الكعبة فانطلقت أنا والنبي ﷺ نسعى وخشينا أن يرانا أحد من قريش وغيرهم قال علي فما صعد به حتى الساعة. قال الحاكم هذا حديث صحيح ولم يخرجاه يعني الشيخين مسلماً والبخاري. قال الذهبي في تلخيص المستدرك: إسناده نظيف والمتن منكر «اهـ».

الثالث والستون: إنه آخر الناس وأقربهم عهداً بالنبي ﷺ ومناجاته وسراره له عند الموت وعهد إليه سبعين عهداً. روى النسائي في الخصائص بسنده عن أم المؤمنين أم سلمة: إن أقرب الناس عهداً برسول الله ﷺ علي (وبسنده) عن أم موسى قالت أم سلمة والذي تحلف به أم سلمة: إن أقرب الناس عهداً برسول الله ﷺ علي قالت: لما كان غدوة قبض رسول الله فأرسل إليه رسول الله ﷺ وأظنه كان بعثه في حاجة فجعل يقول: جاء علي؟ ثلاث مرات. فجاء قبل طلوع الشمس فلما إن جاء عرفنا أن له إليه حاجة فخرجنا من البيت وكنا عند رسول الله ﷺ يومئذ في بيت عائشة وكنت في آخر من خرج من البيت ثم جلست من وراء الباب فكنت أدناهم إلى الباب، فأكب عليه علي فكان آخر

الناس به عهداً فجعل يساره ويناجيه. (وفي حلية الأولياء) بسنده عن ابن عباس: كنا نتحدث أن النبي ﷺ عهد إلى علي سبعين عهداً لم يعهده إلى غيره. وروى الحاكم في المستدرك وصححه من طريق أحمد بن حنبل أن أم سلمة قالت: والذي أحلف به إن كان علي لأقرب الناس عهداً برسول الله ﷺ ثم ذكرت أنه أكب عليه رسول الله ﷺ وجعل يساره ويناجيه ثم قبض رسول الله ﷺ من يومه فكان علي أقرب الناس به عهداً «اهـ» ومر الحديث في الجزء الثاني وفي ذلك يقول خزيمة بن ثابت:

وأقرب الناس عهداً بالنبي ومن   جبريل عون له في الغسل والكفن

الرابع والستون: قول النبي ﷺ له: «**تقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله**». روى النسائي في الخصائص بسنده عن أبي سعيد الخدري: كنا جلوساً ننتظر رسول الله ﷺ فخرج إلينا وقد انقطع شسع نعله فرمى به إلى علي فقال: إن منكم رجلاً يقاتل الناس على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله. قال أبو بكر: أنا قال: لا. قال عمر: أنا. قال: لا. ولكن خاصف النعل. «وروى» أبو نعيم في الحلية بسنده عن أبي سعيد الخدري كنا نمشي مع النبي ﷺ فانقطع شسع نعله فتناولها علي يصلحها ثم مشى فقال: يا أيها الناس إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله قال أبو سعيد: فخرجت فبشرته بما قال رسول الله ﷺ فلم يكترث به فرحاً كأنه قد سمعه. وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي سعيد كنا مع رسول الله ﷺ فانقطعت نعله فتخلف علي يخصفها فمشى قليلاً ثم قال: إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله. فاستشرف لها القوم وفيهم أبو بكر وعمر قال أبو بكر: أنا هو قال: لا قال عمر: أنا هو قال: لا ولكن خاصف النعل يعني علياً فأتيناه فبشرناه فلم يرفع به رأسه كأنه قد سمعه من رسول الله ﷺ قال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وذكره الذهبي في تلخيص المستدرك ولم يتعقبه.

الخامس والستون: قتاله الناكثين والقاسطين والمارقين وهم أهل الجمل

وصفين والخوارج: روى النسائي في الخصائص بسنده عن زر[1] بن حبيش أنه سمع علياً يقول: أنا فقأت عين الفتنة لولا أنا ما قوتل أهل النهروان وأهل الجمل ولولا أنني أخشى أن تتركوا العمل لأخبرتكم بالذي قضى الله على لسان نبيكم لمن قاتلهم. مبصراً ضلالتهم عارفاً بالهدى الذي نحن عليه. وفي حلية الأولياء بسنده عن زر عن علي قال: أنا فقأت عين الفتنة ولو لم أكن فيكم ما قوتل فلان وفلان «وفي الاستيعاب» روي من حديث علي ومن حديث ابن مسعود ومن حديث أبي أيوب الأنصاري إن علياً أمر بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. قال: وروي عنه أنه قال: ما وجدت إلا القتال أو الكفر بما أنزل الله يعني - والله أعلم - قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ «اهـ».

وفي الاستيعاب بسنده عن ابن عمر: ما آسى على شيء إلا أني لم أقاتل مع علي الفئة الباغية «وفي رواية» أن لا أكون قاتلت الفئة الباغية على صوم الهواجر «قال» وقال الشعبي: ما مات مسروق حتى تاب إلى الله من تخلفه عن القتال مع علي قال: ولهذه الأخبار طرق صحاح قد ذكرناها في موضعها «وفي أسد الغابة» بسنده عن أبي سعيد الخدري أمرنا رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين فقلنا: يا رسول الله أمرتنا بقتال هؤلاء فمع من؟ فقال: مع علي بن أبي طالب معه يقتل عمار بن ياسر (وبسنده) عن مخنف بن سليم أتينا أبا أيوب الأنصاري فقلنا: قاتلت بسيفك المشركين مع رسول الله ﷺ ثم جئت تقاتل المسلمين قال: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين «وبسنده» عن علي بن ربيعة سمعت علياً على منبركم هذا يقول: عهد إلي رسول الله ﷺ أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين. وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي أيوب الأنصاري: أمر رسول الله ﷺ علياً بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين (وبسنده) عن أبي أيوب سمعت النبي ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب: **«تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بالطرقات**

(١) هو بالزاي كما يظهر من الإصابة وغيرها حيث ذكروه في حرف الزاي وما يوجد في بعض الكتب من رسمه بالذال تصحيف.

والنهروانات وبالسعفات» قال أبو أيوب: يا رسول الله مع من نقاتل هؤلاء الأقوام قال: **«مع علي بن أبي طالب»**.

السادس والستون: قول النبي ﷺ: **«إن الله امتحن قلبه للإيمان»**. روى النسائي في الخصائص بسنده عن ربعي عن علي جاء النبي ﷺ أناس من قريش فقالوا: يا محمد إنا جيرانك وحلفاؤك وإن من عبيدنا قد أتوك ليس بهم رغبة في الفقه إنما فروا من ضياعنا وأموالنا فارددهم إلينا قال لأبي بكر: **«ما تقول»** فقال: صدقوا أنهم لجيرانك وحلفاؤك فتغير وجه النبي ﷺ ثم قال: **«يا معشر قريش والله ليبعثن الله عليكم رجلاً منكم امتحن الله قلبه للإيمان فيضربكم على الدين أو يضرب بعضكم»** قال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله قال: **«لا»** قال عمر: أنا هو يا رسول الله قال: **«لا، ولكن ذلك الذي يخصف النعل»** وقد كان أعطى علياً نعلاً يخصفها (وفي أسد الغابة) بسنده عن ربعي بن خراش حدثنا علي بن أبي طالب بالرحبة قال: لما كان يوم الحديبية خرج إلينا ناس من المشركين فيهم سهيل بن عمرو وأناس من رؤساء المشركين فقالوا: خرج إليك ناس من أبنائنا وإخواننا وأرقائنا وليس بهم فقه في الدين وإنما خرجوا فراراً من أموالنا وضياعنا فارددهم إلينا فقال النبي ﷺ: **«يا معشر قريش لتنتهن أو ليبعثن الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين قد امتحن الله قلبه على الإيمان»** قالوا: من هو يا رسول الله فقال أبو بكر: من هو يا رسول الله وقال عمر: من هو يا رسول الله؟ قال: **«خاصف النعل»** وكان قد أعطى علياً نعلاً يخصفها «الحديث».

السابع والستون: قول النبي ﷺ: **«ما أنا انتجيته ولكن الله انتجاه»** ففي أسد الغابة بسنده عن جابر لما كان يوم الطائف دعا رسول الله ﷺ علياً فناجاه طويلاً فقال بعض أصحابه: لقد أطال نجوى ابن عمه قال ﷺ: **«ما أنا انتجيته ولكن الله انتجاه»**.

الثامن والستون: قول النبي ﷺ يوم خيبر: **«لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله كراراً غير فرار يأخذها بحقها لا يرجع حتى يفتح الله على يديه»** وكان علي أرمد فتفل في عينيه فبرئتا فدفع إليه الراية فقتل مرحباً

وفتح الحصن واقتلع الباب ومر ذلك في غزوات النبي ﷺ وفي شجاعة علي عليه السلام.

التاسع والستون: ما ورد في موالاته والاقتداء بالأئمة من بعده. روى أبو نعيم في حلية الأولياء بسنده عن شريك عن الأعمش عن زيد بن وهب عن حذيفة قال رسول الله ﷺ: **«من سره أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ويتمسك بالقصبة الياقوتة التي خلقها الله بيده ثم قال لها: «كوني» فكانت، فليتول علي بن أبي طالب من بعدي»** ثم قال: رواه شريك أيضاً عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم ورواه السدي عن زيد بن أرقم ورواه ابن عباس وهو غريب (وبسنده) عن عكرمة عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: **«من سره أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة عدن غرسها ربي فليوال علياً من بعدي وليوال وليه وليقتد بالأئمة من بعدي فإنهم عترتي خلقوا من طينتي رزقوا فهماً وعلماً وويل للمكذبين بفضلهم من أمتي للقاطعين فيهم صلتي لا أنالهم الله شفاعتي»**.

«وروى» الحاكم في المستدرك قال: حدثنا بكر بن محمد الصيرفي حدثنا القاسم بن أبي شيبة حدثنا يحيى بن يعلى الأسلمي حدثنا عمار بن زريق عن أبي إسحاق عن زياد بن مطرف عن زيد بن أرقم قال رسول الله ﷺ: **«من يرد أن يحيا حياتي ويموت موتي ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي فليتول علي بن أبي طالب فإنه لن يخرجكم من هدى ولن يدخلكم في ضلالة»** قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. قال الذهبي في تلخيص المستدرك: أنى له الصحة والقاسم متروك وشيخه ضعيف واللفظ ركيك فهو إلى الوضع أقرب. (أقول) القاسم نقل الذهبي في ميزان الاعتدال عن أبي زرعة وأبي حاتم أنهما رويا عنه ثم تركا حديثه. والظاهر أنه لروايته فضائل أهل البيت بدليل ما قاله في الميزان ومن بلايا القاسم ما رواه عثمان بن خوذاذ عنه عن يحيى بن يعلى الأسلمي وساق الحديث عن زيد بن أرقم مرفوعاً من أراد أن يدخل جنة ربي التي غرسها فليحب علياً. ويحيى الظاهر أن تضعيفه لكونه شيعياً بدليل ما في تهذيب

التهذيب بعد نقل تضعيفه: كوفي من الشيعة. وقوله: واللفظ ركيك ليس بعجيب منه بعدما نسب نهج البلاغة إلى الركة في ميزانه الخارج عن الاعتدال في ترجمة الشريف المرتضى وبقي في الحديث شيء آخر لم يذكره هو الذي دعاه إلى كل ما قال هو أن مضمونه لا تستطيع نفسه أن تحمله وتعترف به وهو الذي دعا إلى تضعيفه كما عرفت.

السبعون: قوله ﷺ: «**أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه بعدي**». روى الحاكم في المستدرك بسنده عن أنس بن مالك وقال صحيح على شرط الشيخين أن النبي ﷺ قال لعلي: «**أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه بعدي**».

الواحد والسبعون: إن النبي ﷺ كان إذا غضب لا يجترىء أحد أن يكلمه غير علي. روى الحاكم في المستدرك بسنده عن أم سلمة أن النبي ﷺ كان إذا غضب لم يجترىء أحد منا أن يكلمه غير علي بن أبي طالب، هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

الثاني والسبعون: نزول ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ في حقه: روى الحاكم في المستدرك بسنده عن علي ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قال علي: رسول الله ﷺ المنذر وأنا الهادي قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وفي الدر المنثور للسيوطي: أخرج ابن جرير وابن مردويه وأبو نعيم في المعرفة والديلمي وابن عساكر وابن النجار قال: لما نزلت: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ وضع رسول الله ﷺ يده على صدره فقال: «**أنا المنذر**» وأومأ بيده إلى منكب علي فقال: «**أنت الهادي يا علي بك يهتدي المهتدون من بعدي**». وأخرج ابن مردويه عن أبي برزة الأسلمي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنما أنت منذر**» ووضع يده على صدر نفسه ثم وضعها على صدر علي ويقول: «**لكل قوم هاد**»، وأخرج ابن مردويه والضياء في المختارة عن ابن عباس في الآية قال رسول الله ﷺ: «**المنذر أنا والهادي علي بن أبي طالب**». وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد المسند وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط

والحاكم وصححه وابن مردويه وابن عساكر عن علي بن أبي طالب في قوله: **«إنما أنت منذر ولكل قوم هاد»**، قال رسول الله ﷺ: **«المنذر أنا والهادي»** وفي لفظ والهادي رجل من بني هاشم يعني نفسه «اه» الدر المنثور. وبعد هذا لا يلتفت إلى قول الذهبي الناشئء عن حاله المعلومة: بل كذب قبح الله واضعه.

الثالث والسبعون: قول النبي ﷺ له: **«إن الأمة ستغدر به بعده ويلقى جهداً»**. روى الحاكم في المستدرك وقال صحيح بسنده عن علي عليه السلام قال: إن مما عهد إليّ النبي ﷺ أن الأمة ستغدر بي بعده (وبسنده) وصححه على شرط الشيخين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال النبي ﷺ لعلي: **«أما إنك ستلقى بعدي جهداً»** قال: في سلامة من ديني؟ قال: **«في سلامة من دينك»**. وروى الحاكم في المستدرك أيضاً وصححه عن حيان الأسدي سمعت علياً يقول: قال لي رسول الله ﷺ: **«إن الأمة ستغدر بك بعدي وأنت تعيش على ملتي وتقتل على سنتي من أحبك أحبني ومن أبغضك أبغضني وأن هذه ستخضب من هذا»** يعني لحيته من رأسه.

الرابع والسبعون: إن النظر إلى وجهه عبادة. روى الحاكم في المستدرك وصححه عن الأعمش عن إبراهيم النخعي عن علقمة عن عبد اللّه بن مسعود قال رسول الله ﷺ: **«النظر إلى وجه علي عبادة»**. ثم قال تابعه عمرو بن مرة عن إبراهيم النخعي وذكر مثله. وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي سعيد الخدري عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: **«النظر إلى علي عبادة»** هذا حديث صحيح الإسناد وشواهده عن عبد اللّه بن مسعود صحيحة وذكر مثل الحديث الأول. قال ابن الأثير في النهاية في حديث عمران بن حصين قال رسول الله ﷺ: **«النظر إلى وجه علي عبادة»**، قيل: معناه أن علياً كان إذا برز قال الناس: لا إله إلا الله ما أشرف هذا الفتى، لا إله إلا الله ما أعلم هذا الفتى، لا إله إلا الله ما أكرم هذا الفتى أي ما أتقى، لا إله إلا الله ما أشجع هذا الفتى فكانت رؤيته تحملهم على كلمة التوحيد.

الخامس والسبعون: جوامع مناقبه: في الاستيعاب بسنده عن أبي قيس الأودي أدركت الناس وهم ثلاث طبقات أهل دين يحبون علياً وأهل دنيا يحبون معاوية وخوارج وأخرج الحاكم في المستدرك وقال صحيح وأقره الذهبي في تلخيصه وأخرجه النسائي في الخصائص من طريق عمرو بن ميمون قال: إني لجالس إلى ابن عباس إذ أتاه تسعة رهط فقالوا: إما أن تقوم معنا وإما أن تخلو بنا من بين هؤلاء فقال: بل أقوم معكم وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى فابتدؤوا فتحدثوا فلا ندري ما قالوا فجاء ينفض ثوبه ويقول: أف وتف وقعوا في رجل له بضع عشرة فضائل ليست لأحد غيره قال له رسول الله ﷺ: **«لأبعثن رجلاً يحب الله ورسوله لا يخزيه الله أبداً»** فاستشرف لها من استشرف فقال: **«أين ابن أبي طالب»** قيل: هو في الرحى يطحن قال: **«وما كان أحدهم ليطحن»** فجاء وهو أرمد لا يكاد يبصر فتفل في عينيه ثم هز الراية ثلاثاً فدفعها إليه فجاء بصفية بنت حيي وبعث أبا بكر بسورة التوبة وبعث علياً خلفه فأخذها منه فقال: **«لا يذهب بها إلا رجل هو مني وأنا منه»**. وقال ﷺ لبني عمه: **«أيكم يواليني في الدنيا والآخرة»** وعلي معهم جالس فقال وأقبل على رجل رجل منهم فقال: **«أيكم يواليني في الدنيا والآخرة»** فأبوا. فقال: أنا أواليك في الدنيا والآخرة فقال: **«إنه وليي في الدنيا والآخرة»**. وكان أول من أسلم من الناس بعد خديجة. وأخذ رسول الله ﷺ ثوبه أو رداءه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين وقال: **«إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا»**. وشرى علي نفسه فلبس ثوب النبي ﷺ ثم نام مكانه وكان المشركون يرمون رسوول الله ﷺ فجاء أبو بكر وعلي نائم وأبو بكر يحسبه أنه نبي الله فقال: **«يا نبي الله»** فقال له علي: إن نبي الله قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركه فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار وجعل علي يرمى بالحجارة كما كان يرمى نبي الله وهو يتضور وقد لف رأسه في الثوب لا يخرجه حتى أصبح ثم كشف عن رأسه. وخرج بالناس في غزوة تبوك فقال له علي: أخرج معك فقال له نبي الله: **«لا»** فبكى علي فقال له: **«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنك لست بنبي»** **«إلا أنه**

ليس بعدي نبي» «**إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي**». وقال له رسول الله ﷺ: «**أنت وليي في كل مؤمن بعدي**»: «**وأنت ولي كل مؤمن بعدي ومؤمنة**» وسد أبواب المسجد غير باب علي فيدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره. وقال: من كنت مولاه فإن مولاه علي «وبسنده» عن ابن عباس أن علياً كان يقول في حياة رسول الله ﷺ إن الله تعالى يقول: أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم والله لا ننقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله والله لئن مات أو قتل لأقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت والله إني لأخوه ووليه ووارثه وابن عمه فمن أحق به مني «وبسنده» عن نافع بن عجير عن علي قال النبي ﷺ: «**يا علي أنت صفيي وأميني**» وبسنده» عن علي مرضت فعادني رسول الله ﷺ فدخل علي وأنا مضطجع فاتكأ إلى جنبي ثم سجاني بثوبه فلما رآني قد برئت قام إلى المسجد يصلي فلما قضى صلاته جاء فرفع الثوب وقال: «**قم يا علي**» فقمت وقد برئت كأنما لم أشك شيئاً قبل ذلك فقال: ما سألت ربي شيئاً في صلاتي إلا أعطاني وما سألت لنفسي شيئاً إلا سألت لك مثله (وبسنده) عن القاسم بن زكريا بن دينار قال لي علي: وجعت وجعاً فأتيت رسول الله ﷺ فأقامني في مكانه وقام يصلي وألقى علي طرف ثوبه ثم قال: «**قم يا علي قد برئت لا بأس عليك وما دعوت لنفسي بشيء إلا دعوت لك بمثله وما دعوت بشيء إلا استجيب لي**» أو قال: «**قد أعطيت إلا أنه قيل لي لا نبي بعدي**» (وبسنده) عن علي في حديث قال: دعا لي رسول الله ﷺ بدعوات ما يسرني ما على الأرض بشيء منهن (وبسنده) عن علي في حديث: قال لي رسول الله ﷺ كلمة ما أحب أن لي بها الدنيا (وروى) أبو نعيم في الحلية بسنده عن ابن عباس ما أنزل الله آية فيها يا أيها الذين آمنوا إلا وعلي رأسها وأميرها (وبسنده) عن حذيفة بن اليمان قالوا: يا رسول الله ألا تستخلف علياً قال: «**أن تولوا علياً تجدوه هادياً مهدياً يسلك بكم الطريق المستقيم**» (وبسنده) عن حذيفة قال رسول الله ﷺ: «**أن تستخلفوا علياً - وما أراكم فاعلين - تجدوه هادياً مهدياً يحملكم على المحجة البيضاء**» (وبسنده) عن معاذ بن جبل قال النبي ﷺ: «**يا علي أخصمك بالنبوة لا**

نبوة بعدي وتخصم الناس بسبع ولا يحاجك فيها أحد من قريش: **أنت أولهم إيماناً بالله وأوفاهم بعهد الله وأقومهم بأمر الله وأقسمهم بالسوية وأعدلهم في الرعية وأبصرهم بالقضية وأعظمهم عند الله مزية»** (وفي رواية) **«وأرأفهم بالرعية وأعلمهم بالقضية وأعظمهم مزية يوم القيامة»** (وفي الحلية) بسنده عن أنس بن مالك بعثني النبي ﷺ إلى أبي برزة الأسلمي فقال له ـ وأنا أسمع ـ: **«يا أبا برزة إن رب العالمين عهد إلي في علي بن أبي طالب قال إنه راية الهدى ومنار الإيمان وإمام أوليائي ونور جميع من أطاعني، يا أبا برزة علي بن أبي طالب أميني غداً في القيامة على مفاتيح خزائن رحمة ربي وصاحب رايتي يوم القيامة»** (وبسنده) عن أبي برزة قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى عهد إلي عهداً في علي»** فقلت: يا رب بينه لي فقال: **«اسمع»** فقلت: سمعت فقال: **«إن علياً راية الهدى وإمام أوليائي ونور من أطاعني وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين، من أحبه أحبني ومن أبغضه أبغضني فبشره بذلك»** فجاء علي فبشرته «إلى أن قال» **«قلت اللهم آجل قلبه واجعل ربيعه الإيمان فقال الله قد فعلت به ذلك»** ثم أنه رفع إلي أنه سيخصه من البلاء بشيء لم يخص به أحداً من أصحابي فقلت: يا رب أخي وصاحبي فقال: **«إن هذا شيء قد سبق أنه مبتلى ومبتلى به»**. . .

أدلـة إمامتـــه

وهي أمور كثيرة نذكر منها هنا بعضها:

الأول: ما رواه الطبري في تاريخه وتفسيره والبغوي والثعلبي في تفسيره والنسائي في الخصائص وصاحب السيرة الحلبية ورواه من ثقات أصحابنا ومحدثيهم محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي والشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي في مجالسه جميعاً بأسانيدهم المتصلة وقد مرت رواياتهم بأسانيدهم المتصلة في الجزء الثاني من هذا الكتاب في السيرة النبوية ونعيد ذكرها هنا باختصار وإن لزم بعض التكرار. قال الطبري في تاريخه: حدثنا ابن حميد حدثنا سلمة حدثني محمد بن إسحاق عن عبد الغفار بن القاسم عن

المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب عن عبد الله بن عباس عن علي بن أبي طالب قال: لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين دعاني رسول الله ﷺ (إلى أن قال) فاصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عساً من لبن (والعس القدح الكبير) ثم اجمع لي بني عبد المطلب ففعلت ما أمرني ثم دعوتهم وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب، فلما وضعت الطعام تناول جذبة من اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحفة ثم قال: خذوا باسم الله فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة وما أرى إلا موضع أيديهم وأيم الله إن كان الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم وشربوا من ذلك العس حتى رووا جميعاً وأيم الله إن كان الواحد منهم ليشرب مثله فلما أراد أن يكلمهم بدره أبو لهب فقال: لشد ما سحركم صاحبكم فتفرقوا ولم يكلمهم. ثم فعل مثل ذلك في اليوم الثاني فأكلوا وشربوا فقال: يا بني عبد المطلب إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم فأحجم القوم جميعاً وقلت ـ وإني لأحدثهم سناً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً وأحمشهم ساقاً ـ أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي ثم قال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا فقاموا يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع «اه». كبر عليهم أن يسمعوا ويطيعوا لشاب حدث السن عمره بين العشر والخمس عشرة سنة رمص العين حمش الساق عظيم البطن وكل ذلك يوجب عدم الروعة في عين الرائي وقالوا في أنفسهم: كيف يؤمّر غلام صغير السن ليس في مرآه روعة على مشيخة قومه وكهولهم وفيهم أعمامه وأبوه شيخ الأبطح، إن هذا لعجيب يوجب الضحك فضحكوا منه ولم يعلموا أن هذا الغلام الحدث السن الرمص العين العظيم البطن الحمش الساق سيكون له شأن عظيم فيكون باب مدينة علم المصطفى وحامل لواء الإسلام ومشيد أركانه ورافع بنيانه ومنسي شجاعة الشجعان وجامع أعلى صفات الفضل وحاوي أرفع وأعظم

مزايا النبل ومشيد مجد لبني عبد المطلب وعامة العرب لا تهدمه الأيام مهما تطاولت، ومخلد ذكر لهم لا تمحوه الأعوام مهما تعاقبت؛ وأنه هو خليفة الرسول في أمته، وأنه لا يصل إلى مرتبته أحد منهم ولا من غيرهم، وكأن النبي ﷺ قال لهم في نفسه وبلسان حاله: **«مهلاً يا بني عبد المطلب ستعلمون عن قريب أنني لم أخطىء في تقديمه عليكم وستصدق أفعاله أقوالي فيه»**، ولا شك أن جملة من شبانهم وكهولهم الذين هم أعلى منه سناً وأروع منظراً في رأى العين أخذهم الحسد عند ذلك الذي يأخذ أمثالهم في مجرى العادة في مثل هذا المقام كما أخذ قابيل ابن أبيهم آدم وأخذ أخوة يوسف عليهما السلام فكان ذلك سبباً في زيادة ضحكهم وتعجبهم وغطى ما رأوه من المعجزة ولا شك أن أبا لهب كان أشدهم ضحكاً ونفوراً حتى أوهمهم أن هذه المعجزة نوع من السحر الشديد، أما أبو طالب فكان مسروراً أشد السرور بما رأى من كرامة ولده وعلو شأنه الذي انضم إلى ما كان يراه فيه من مخايل النجابة والنبل ومن أعلم بالولد من الوالد وكان عالماً بصدق النبي ﷺ فيما ادعاه وزاده يقيناً ما رآه من المعجز لكنه لم يستطع مجابهة قومه بإظهار ما في نفسه وإن كان شاركهم في الضحك - ولا نخاله - فما ضحكه إلا ضحك سرور لا ضحك استهزاء وإن كان فيما هو إلا استهزاء بهم، أما أخوه حمزة فلا نعتقد إلا أنه كان مثله في أكثر ذلك وقد سره ما رأى من ابني أخويه محمد وعلي لكنه سكت متربصاً سنوح الفرصة ليظهر إسلامه. ويمكن أن يكون العباس أيضاً كذلك. وروى هذا الحديث الطبري في تفسيره أيضاً بمثل ما رواه في تاريخه سنداً ومتناً إلا أنه أبدل في النسخة المطبوعة قوله: **«على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم»**. وقوله: **«إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم»** بغيره فوضع مكان الأول (على أن يكون أخي وكذا وكذا) ومكان الثاني (إن هذا أخي وكذا وكذا) ولا شك أن هذا التبديل من الطابعين جرياً على الشنشنة الأخزمية ولكن وجوده في التاريخ وما بقي منه في التفسير من قوله: **«فاسمعوا له وأطيعوا»** كاف في الإرشاد إلى ما حذف منه.

وقد رواه الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي من علمائنا في كتاب مجالسه-قال: حدثنا جماعة عن أبي المفضل حدثنا أبو جعفر الطبري سنة ٣٠٨ حدثنا محمد بن حميد الرازي حدثنا سلمة بن الفضل الأبرش حدثني محمد بن إسحاق عن عبد الغفار قال أبو المفضل: وحدثنا محمد بن محمد بن سليمان الباغندي واللفظ له حدثنا محمد بن الصباح الجرجاوي حدثنا سلمة بن صالح الجعفي عن سليمان الأعمش وأبي مريم جميعاً عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن عبد الله بن عباس عن علي بن أبي طالب قال: لما نزلت هذه الآية وذكر مثل رواية الطبري المتقدمة بعينها مع تفاوت يسير في بعض الألفاظ لا يخل بالمعنى.

ورواه البغوي كما في رواية الطبري بعينها حكاه عنه ابن تيمية كما ستعرف.

وقال الثعلبي في تفسيره: أخبرني الحسين بن محمد بن الحسين حدثنا موسى بن محمد حدثنا الحسن بن علي بن شعيب العمري حدثنا عبد الله بن يعقوب حدثنا علي بن هاشم عن صباح بن يحيى المزني عن زكريا بن ميسرة عن أبي إسحاق عن البراء قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب وهم أربعون رجلاً فأمر علياً برجل شاة فأدمها ثم قال: ادنوا بسم الله فدنوا عشرة عشرة فأكلوا حتى صدروا ثم دعا بقعب من لبن فجرع منه جرعة ثم قال: «**اشربوا بسم الله**» فشربوا حتى رووا فبدرهم أبو لهب فقال: هذا ما سحركم به الرجل فسكت ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك من الطعام والشراب ثم أنذرهم فقال: يا بني عبد المطلب إني أنا النذير إليكم من الله عزوجل والبشير فأسلموا وأطيعوني تهتدوا ثم قال: من يواخيني ويوازرني ويكون وليي ووصيي بعدي وخليفتي في أهلي ويقضي ديني؟ فسكت القوم فأعادها ثلاثاً كل ذلك يسكت القوم ويقول علي: أنا فقال في المرة الثالثة: أنت. فقام القوم وهم يقولون لأبي طالب أطع ابنك فقد أمر عليك. وهو يدل على أنهم فهموا الخلافة بعده ولذلك قالوا هذا لأبي طالب مع أن اتحاده مع رواية الطبري في الخصوصيات يدل على اشتماله على ما فيها. وقال النسائي في

الخصائص أخبرنا الفضل بن سهل حدثني ابن عفان بن مسلم حدثنا أبو عوانة عن عثمان بن المغيرة عن أبي صادق عن ربيعة بن ماجد أن رجلاً قال لعلي: يا أمير المؤمنين لم ورثت دون أعمامك قال: جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب فصنع لهم مداً من الطعام فأكلوا حتى شبعوا ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا فقال: يا بني عبد المطلب إني بعثت إليكم خاصة وإلى الناس عامة فأيكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي ووارثي فلم يقم إليه أحد فقمت إليه فقال: اجلس ثم قال ثلاث مرات كل ذلك أقوم إليه فيقول: اجلس حتى إذا كان في الثالثة ضرب بيده على يدي فبذلك ورثت ابن عمي دون عمي «اهـ».

واتحاد الخصوصيات في هذا الحديث مع خصوصيات حديث الطبري من جمع بني عبد المطلب وصنع الطعام لهم والمجيء بالشراب يدل على أن متنه هو متن حديث الطبري بعينه وأنه اشتمل على جميع ما اشتمل عليه حديث الطبري وأنه قد تناولته يد التحريف ـ لأمر يعلمه الله ـ فلذلك وقع اضطراب في متنه فإن هذا التعليل في الميراث لا يصح إن أريد به ميراث المال، أما عندنا فلأن الميراث للبنت بالفرض والرد وليس لابن العم شيء، وأما عند غيرنا فلأن الأنبياء لا تورث. وإن أريد ميراث العلم نافاه السياق الدال على أن المذكور فيه هو المذكور في حديث الطبري.

وقد أورد هذا الحديث صاحب السيرة الحلبية بنحو ما مر عن الطبري إلى أن قال: من يجيبني إلى هذا الأمر ويوازرني على القيام به قال علي: أنا يا رسول الله (قال) وزاد بعضهم في الرواية يكن أخي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي فلم يجبه أحد منهم فقام علي وقال: أنا يا رسول الله قال: اجلس ثم أعاد القول على القوم ثانياً فلم يجبه أحد منهم فقام علي وقال: أنا يا رسول الله فقال: اجلس فأنت أخي ووزيري ووصيي ووارثي وخليفتي من بعدي، ثم حكي عن ابن تيمية أنه قال في الزيادة المذكورة إنها كذب وحديث موضوع من له أدنى معرفة في الحديث يعلم ذلك، قال: وقد رواه مع زيادته المذكورة ابن جرير والبغوي بإسناد فيه أبو مريم الكوفي وهو مجمع على تركه وقال أحمد أنه ليس

بثقة، عامة أحاديثه بواطيل. وقال ابن المديني كان يضع الحديث «اهـ» (وأقول) من عنده أدنى معرفة يعلم أن قدح ابن تيمية فيه لم يستند إلى حجة بل إلى التحامل على علي والنصب فقد سمعت بسنده في رواية الطبري في تاريخه وتفسيره وفي رواية الثعلبي في تفسيره، وليس فيه أبو مريم الكوفي على فرض صحة ما قيل فيه وقد عرفت أن الشيخ الطوسي رواه بسندين آخرين غير سند الطبري وأن أبا مريم في أحدهما دون الآخر على أن رواية البغوي له إن لم تكن حجة فهي مؤيدة ولا يكون ضعفها قادحاً في الرواية الصحيحة، وكل من له أدنى معرفة في الحديث يعلم ذلك.

وقد رواه أيضاً من مشاهير علمائنا وثقات محدثيهم الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالصدوق قال: حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني، حدثنا عبد العزيز حدثنا المغيرة بن محمد حدثنا إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمٰن الأزدي حدثنا قيس بن الربيع وشريك بن عبد اللّه عن الأعمش عن منهال بن عمرو عن عبد اللّه بن الحارث بن نوفل عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ دعا رسول الله ﷺ بني عبد المطلب وهم إذ ذاك أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصون رجلاً فقال: **«أيكم يكون أخي ووارثي ووزيري ووصيي وخليفتي فيكم بعدي»** فعرض ذلك عليهم رجلاً رجلاً كلهم يأبى ذلك حتى أتى علي فقال: أنا يا رسول الله فقال: **«يا بني عبد المطلب هذا أخي ووارثي ووزيري وخليفتي فيكم بعدي»** فقام القوم يضحك بعضهم إلى بعض ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع وتطيع لهذا الغلام. ومرت رواية الشيخ المفيد له في إرشاده عند ذكر فضائله ومناقبه؟[١].

---

(١) لما كتب الدكتور محمد حسين هيكل كتابه حياة محمد نشره أول الأمر فصولاً في جريدة السياسة الأسبوعية وأورد هذا الحديث بنصه كاملاً، فاعترض عليه معترض بأن هذا يؤيد رأي الشيعة فرد الدكتور هيكل بما معناه: إن هذا عين ما رواه التاريخ ثم نشر الدكتور كتابه في طبعته الأولى ونشر فيه هذا الحديث وإن عدله تعديلاً يسيراً، فلما طبع الكتاب ثانية شوه الحديث تشويهاً =

الثاني: النص على إمامته من النبي ﷺ يوم الغدير حين رجع من حجة الوداع ومعه ما يزيد على مائة ألف فخطبهم وقال في خطبته وقد رفعه للناس وأخذ بضبعيه فرفعهما حتى بان للناس إبطيهما: **«ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم»** قالوا: بلى قال: **«من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحب من أحبه وابغض من أبغضه وانصر من نصره وأعن من أعانه واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار»**، ثم أفرده بخيمة وأمر الناس بمبايعته بإمرة المؤمنين حتى النساء ومنهم نساؤه، ومر ذلك مفصلاً في الجزء الثاني في السيرة النبوية، ويأتي في هذا الجزء في حوادث سنة عشر من الهجرة، ونذكر هنا وجه الدلالة على إمامته ويتضمن ذلك طرفاً من الأحاديث الواردة فيه مما لم يذكر هناك فنقول: وجه الاستدلال أنه قال: من كنت مولاه فعلي مولاه بعد تقريرهم بقوله: **«ألست أولى بكم من أنفسكم»** وإقرارهم بقولهم: بلى فدل على أن المراد من كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به من نفسه وليست الإمامة شيئاً فوق ذلك وهذا التقرير والإقرار والتعقيب بهذا الكلام نص على أن المراد بالمولى هنا هو الأولى فإنه أحد معانيه وناف لاحتمال غيره فبطل الاعتراض بأن المولى لفظ مشترك بين معان فتعيين أحدها يحتاج إلى القرينة لأنها موجودة وهي ما ذكرناه على أن بعض تلك المعاني لا يصح إرادته في المقام مثل المعتق والمعتق ونحو ذلك وبعضها لا يناسبه كل هذا الاهتمام من النبي ﷺ مثل الصديق ونحوه وكفى في الاهتمام جمع الناس من أقاصي البلاد وأدانيها ليحجوا معه في ذلك العام الذي لم يكن إلا لتبليغهم هذا الأمر المهم وبطل ما يتمحله بعض المتمحلين من أن ذلك قاله في شأن أسامة بن زيد بن حارثة لما قال لعلي: لست مولاي وإنما مولاي (أي

= عجيباً، ولما سأل الناس عن السر وكيف أن الدكتور في جريدته دافع عن هذا الحديث وقال إن هذا ما رواه التاريخ. ثم عاد في طبعة الكتاب الثانية فشوهه وتجنى على التاريخ ـ لما سأل الناس عرفوا أن الدكتور كان قد عرض على جهة أن تشتري ألف نسخة من الطبعة الثانية فاشترطت هذه الجهة عليه أن يشوه الحديث هذا التشويه لقاء الخمسمائة الجنيه التي ستدفعها ثمن الألف النسخة (ح).

معتقي) رسول الله فقال رسول الله ﷺ ذلك، فإنه إذا كان أسامة بن زيد قد أعتقه النبي ﷺ فلا معنى لأن يكون أعتقه علي ولو فرض فلا يناسبه هذا الاهتمام العظيم، على أن أسامة لم يعتقه النبي ﷺ وإنما أعتق أباه زيد بن حارثة فإطلاق أنه مولى رسول الله ﷺ عليه إنما هو باعتبار انجرار الولاء إليه من أبيه ولهذا قال بعضهم إن القائل لعلي لست مولاي وإنما مولاي رسول الله هو زيد بن حارثة فقال رسول الله: **«من كنت مولاه فعلي مولاه»** رداً لقول زيد وهذا القول قاله إسحاق بن حماد بن زيد للمأمون لما جمع العلماء ليحتج عليهم في فضل علي عليه السلام فيما ذكره صاحب العقد الفريد فقال إسحاق للمأمون ذكروا أن الحديث إنما كان بسبب زيد بن حارثة لشيء جرى بينه وبين علي وأنكر ولاء علي فقال رسول الله ﷺ: **«من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»** فرد عليه المأمون بأن ذلك كان في حجة الوداع وزيد بن حارثة قتل قبل ذلك وكأن من ذكر هذا العذر التفت إلى مثل ما رد به المأمون فغير العذر وقال إنه قال ذلك في شأن أسامة بن زيد، وسواء أقيل إن ذلك في شأن زيد أو ابنه أسامة فزيد إنما هو مولى عتاقة وابنه أسامة كذلك بجر الولاء وعلي لم يعتقه وإنما أعتقه النبي ﷺ فكيف يكون زيد أو ابنه مولاه وهو لم يعتقه على أنه لا يناسبه كل هذا الاهتمام كما عرفت، وكذلك ما تمحله ابن كثير وصاحب السيرة الحلبية من صرف ما وقع يوم الغدير إلى ما وقع عند رجوع علي من اليمن، فقال ابن كثير في تاريخه: فصل في الحديث الدال على أنه عليه السلام خطب بمكان بين مكة والمدينة مرجعه من حجة الوداع قريب من الجحفة يقال له غدير خم فبين فيها فضل علي بن أبي طالب وبراءة عرضه مما كان تكلم فيه بعض من كان معه بأرض اليمن بسبب ما كان صدر إليهم من المعدلة التي ظنها بعضهم جوراً وتضييقاً وبخلاً والصواب كان معه في ذلك، ولهذا لما فرغ عليه السلام من بيان المناسك ورجع إلى المدينة بين ذلك في أثناء الطريق فخطب خطبة عظيمة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة عامئذ وكان يوم الأحد بغدير خم تحت شجرة هناك وذكر من فضل علي وأمانته وعدله وقربه إليه ما أزاح به ما كان في نفوس كثير من الناس منه

(إلى أن قال) ونحن نورد عيون ما روي في ذلك مع إعلامنا أنه لاحظ للشيعة فيه ولا متمسك لهم ولا دليل ـ لكنه لم يأت بدليل يثبت ما قال ـ بل قدم أولاً روايات هذه الواقعة فنقل عن محمد بن إسحاق بسنده عن يزيد بن طلحة قال: لما أقبل علي من اليمن ليلقى رسول الله ﷺ بمكة تعجل إلى رسول الله واستخلف على جنده الذين معه رجلاً من أصحابه فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حلة من البز الذي كان مع علي (وهو الذي أخذه من أهل نجران) فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم فإذا عليهم الحلل قال: ويلك ما هذا قال: كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس قال: ويلك انزع قبل أن ينتهى به إلى رسول الله ﷺ فانتزع الحلل من الناس فردها في البز. وأظهر الجيش شكواهم لما صنع بهم، ثم حكى عن ابن إسحاق أنه روى بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: اشتكى الناس علياً فقام رسول الله ﷺ فينا خطيباً فسمعته يقول: «**أيها الناس لا تشتكوا علياً فوالله إنه لأخشن في ذات الله أو في سبيل الله من أن يشكى**»، ثم حكى عن الإمام أحمد أنه روى بسنده عن بريدة قال: غزوت مع علي اليمن فرأيت منه جفوة فلما قدمت على رسول الله ﷺ ذكرت علياً فتنقصته فرأيت وجه رسول الله ﷺ يتغير فقال: «**يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم**» قلت: بلى يا رسول الله قال: «**من كنت مولاه فعلي مولاه**». قال ابن كثير: وكذا رواه النسائي بإسناده نحوه، قال: وهذا إسناد جيد قوي رجاله كلهم ثقات «اهـ» ثم اتبع ابن كثير ذلك بروايات الغدير ليجعلهما بزعمه واقعة واحدة وإن ما وقع يوم الغدير هو تدارك لما وقع في سفر اليمن وأن النبي ﷺ بين يوم الغدير فضل علي وبراءة ساحته مما تكلم فيه أهل ذلك الجيش مع أنهما واقعتان لا دخل لإحداهما في الأخرى فالنبي ﷺ لما شكا أهل الجيش من علي وكانت شكايتهم منه بمكة في أيام الحج غضب النبي لذلك وبين لهم أن شكايتهم منه في غير محلها وقام فيهم خطيباً وقال: «**لا تشكوا علياً فوالله إنه لأخشن في ذات الله من أن يشكى**» وقال لهم يومئذ: «**ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم**» قالوا: بلى قال: «**من كنت مولاه فعلي مولاه**» واكتفى بذلك وهو كاف في ردعهم وبيان فضل علي وأن ما فعله هو الصواب، وحديث

الغدير كان في الثامن عشر من ذي الحجة بعد انقضاء الحج ورجوعه إلى المدينة ولو كان ما وقع يوم الغدير هو لمجرد ردعهم وبيان خطئهم في شكايتهم من علي لقاله بمكة واكتفى به ولم يؤخره إلى رجوعه، وزعم صاحب السيرة الحلبية أنه قال ذلك بمكة لبريدة وحده ثم لما وصل إلى غدير خم أحب أن يقوله للصحابة عموماً يكذبه ما سمعته من قول أبي سعيد الخدري أحد الصحابة: فقام فينا خطيباً. أي قام في الصحابة عموماً وأعلن ذلك في خطبته على المنبر وعلى رؤوس الأشهاد وقوله ذلك بمكة أعم وأشمل لوجود الحاج كلهم ومنهم أهل مكة وما حولها الذين لم يكونوا معه في غدير خم فلو كان الغرض تبليغ عموم الصحابة ما وقع في مسألة اليمن لما أخره إلى غدير خم ولكنه لما نزل عليه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ وهو في الطريق بلغهم إياه في غدير خم حين نزلت عليه الآية فهما واقعتان لا دخل لإحداهما في الأخرى، وخلط إحداهما بالأخرى نوع من الخلط والخبط والغمط مع أنك ستعرف وعرفت أن في روايات الغدير أنه وقف حتى لحقه من بعده وأمر برد من كان تقدم وهذا يدل على أنه لأمر حدث في ذلك المكان وهو نزول الوحي عليه ولو كان لتبليغ عموم الصحابة لم يؤخره إلى غدير خم بل كان يقوله في بعض المنازل قبله أو في مكة فأمره بالنزول وهو في أثناء السير وانتظار من تخلف وأمره برد من تقدم يدل على أنه لأمر حدث في ذلك الوقت مع أنه قال هذا الكلام عقيب الأمر بالتمسك بالكتاب والعترة وبيان أنهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض الذي هو تمهيد لما بعده، فدل على أنه لأمر أهم من مسألة اليمن على أننا إنما نستدل بقوله: **«من كنت مولاه فعلي مولاه»** عقيب قوله: **«ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم»** سواء أقال ذلك بمكة أم في غدير خم وسواء أقاله عقيب شكايتهم من علي أم لا فإنه دال على أن علياً أولى بالمؤمنين من أنفسهم والإمامة والخلافة لا تزيد على ذلك كما مر، وقد أجاب صاحب السيرة الحلبية عن الحديث بوجوه عمدتها ما يأتي:

أحدهما: إن الشيعة اتفقوا على اعتبار التواتر فيما يستدلون به على الإمامة

من الأحاديث وهذا الحديث مع كونه آحاداً طعن في صحته جماعة من أئمة الحديث كأبي داود وأبي حاتم الرازي (ويرده) أن الحديث لا يقصر عن درجة المتواتر بمعنى المقطوع الصدور فقد رواه علماء الفريقين ومحدثوهم بأسانيد صحيحة تزيد عن عدد التواتر. وقد رواه عن النبي ﷺ ثلاثون صحابياً واعترف لعلي به عدد كثير من الصحابة لما نشدهم في مسجد الكوفة ودعا على من أنكر فاستجيب دعاؤه فيه كما ستعرف، ولم يكن في الدوحات أحد إلا سمع ورأى ما جرى فيه وهم يزيدون على مائة ألف وقد اعترف الحافظ الذهبي بتواتره فيما يأتي حيث قال وصدر الحديث متواتر أتيقن أن رسول الله ﷺ قاله وأما زيادة: **«اللهم وال من والاه»** فزيادة قوية الإسناد «اهـ» وقد أفرد هذا الحديث بالتأليف حتى أن ابن جرير الطبري ـ وناهيك به ـ جمع مجلدين في طرقه وألفاظه وقد أثبت تواتره السيد حامد حسين الهندي اللكهنوئي من أجلاء علماء الهند في هذا العصر في كتابه عبقات الأنوار فذكر من رواه من الصحابة ومن رواه عنهم من التابعين ومن رواه عن التابعين من تابعي التابعين ومن أخرجه في كتابه من المحدثين على ترتيب القرون والطبقات ومن وثق الراوين والمخرجين له ومن وثق من وثقهم وهكذا في طرز عجيب لم يسبقه إليه أحد. قال ابن كثير الشامي في تاريخه: اعتنى بأمر هذا الحديث ـ يعني حديث الغدير ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ فجمع فيه مجلدين أورد فيهما طرقه وألفاظه وكذلك الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر ـ صاحب تاريخ دمشق ـ أورد أحاديث كثيرة في هذه الخطبة يعني خطبة يوم الغدير «اهـ» ثم أورد ابن كثير أحاديث كثيرة جداً مما ورد في يوم الغدير نقلها من كتاب ابن جرير المشار إليه ويأتي نقل بعضها، وأما طعن أبي داود وأبي حاتم فيه الذي لا منشأ له إلا التحامل فهو قد قال فيما يأتي أنه لا يلتفت إليه.

ثانيها: إن اسم المولى يطلق على عشرين معنى منها أنه السيد الذي ينبغي محبته ويجتنب بغضه وأيد ذلك بما مر عنه من أن بريدة لما جاء من اليمن مع علي شكا بريدة علياً إلى النبي ﷺ فقال ذلك لبريدة خاصة ثم أحب أن يقوله للصحابة

عموماً في غدير خم أي فكما عليهم أن يحبوني عليهم أن يحبوا علياً (ويرده) أن اسم المولى لو كان يطلق على ألف معنى فالمراد به هنا الأولى لاقترانه بقوله: **«ألست أولى بكم من أنفسكم»** فقالوا: بلى قال: **«من كنت مولاه فعلي مولاه»** كما مر تفصيله، على أن هذا الاهتمام العظيم من النبي ﷺ بجمع الناس في غدير خم والخطبة ورفع علي معه وأخذه بضبعيه حتى بان بياض إبطيهما لا يناسب أن يكون الغرض منه أن يعلمهم أن عليهم أن يحبوا علياً كما عليهم أن يحبوه مع كون ذلك أمراً ثابتاً في حق كل مسلم لا يختص به علي.

ثالثها: مع تسليم أن المراد أنه أولى بالإمامة فالمراد في المآل لا في الحال قطعاً وإلا لكان هو الإمام مع وجود النبي ﷺ والمآل لم يعين وقته فيجوز أن يكون بعد أن يبايع بالخلافة وأيده بأنه لم يحتج بذلك إلا بعد أن صارت الخلافة إليه.

(ويرده) أنه لم يقل أحد أن معنى الحديث إنه أولى بالإمامة بل أولى بالمؤمنين من أنفسهم فيكون هو الإمام بعد النبي ﷺ لأن الإمامة لا تزيد على ذلك وأما في حياة النبي ﷺ فقد علم أنه ليس للناس إمام غيره، وأما إرادة أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم في زمن خلافته فتقييد بلا مقيد. وأما عدم احتجاجه بذلك قبل زمن خلافته فلأن القول الفصل حينئذ لم يكن للكلام والاحتجاج بل كان للسيف والقوة، وما ينفع الاحتجاج فيمن يقول: والله لأحرقن عليكم أو لتخرجن إلى البيعة ويجيء بعلي والزبير ويقول: لتبايعان وأنتما طائعان أو لتبايعان وأنتما كارهان كما مر في الجزء الثاني عن الطبري ويقول لعلي: إنك لست متروكاً حتى تبايع. ويدعو بالحطب ويحلف لتخرجن أو لأحرقن الدار عليكم فيقال له: إن فيها فاطمة فيقول: وإن، كما مر عن ابن قتيبة هناك أيضاً ويمكن أن يكون ترك الاحتجاج به لأن فيه ما لا يمكن أن يتحملوه منه فيقع ما لا تحمد عقباه مع علمه بعدم الفائدة فعدل إلى الاحتجاج بالقرابة وبأنه أحق وما غاب عنا لا يمكننا الإحاطة بجميع خصوصياته لا سيما مع اعتراض الأهواء والعصبيات.

وروى الواحدي النيسابوري في كتاب أسباب النزول بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ يوم غدير خم في علي بن أبي طالب. وروى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده وأبو يعلى الموصلي والحسن بن سفيان فيما حكاه عنهما ابن كثير في تاريخه فأسانيدهم عن البراء بن عازب قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر (في حجة الوداع) فنزلنا بغدير خم فنودي فينا الصلاة جامعة وكسح لرسول الله ﷺ تحت شجرة فصلى الظهر وأخذ بيد علي (فأقامه عن يمينه) فقال: «**ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم**» (ألست أولى بكل امرىء من نفسه) قالوا: بلى فأخذ بيد علي فقال: «**من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه**»، فلقيه عمر بعد ذلك فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت ولي كل مؤمن ومؤمنة. وروى الحاكم في المستدرك وصححه على شرط الشيخين ولم يتعقبه الذهبي في التلخيص بعدة أسانيد عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم قال: لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن فقال: كأني قد دعيت فأجبت أني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ثم قال: إن الله عز وجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن ثم أخذ بيد علي فقال: «**من كنت مولاه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه**». وروى الحاكم أيضاً بسنده عن سلمة بن كهيل عن أبي الطفيل عامر بن واثلة وصححه على شرطهما أنه سمع زيد بن أرقم يقول: نزل رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة عند شجرات خمس دوحات عظام فكنس الناس ما تحت الشجرات ثم راح رسول الله ﷺ عشية فصلى ثم خطب وقال: «**أيها الناس إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن اتبعتموهما وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي**» ثم قال: «**أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم**» ثلاث مرات قالوا: نعم فقال: «**من كنت مولاه فعلي مولاه**».

وفي السيرة الحلبية لما وصل ﷺ إلى محل بين مكة والمدينة يقال له

غدير خم بقرب رابغ جمع الصحابة فخطبهم فقال: **«أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب»** ثم حض على التمسك بكتاب الله ووصى بأهل بيته فقال: **«إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض»**، وقال في حق علي لما كرر عليهم: **«ألست أولى بكم من أنفسكم»** ثلاثاً وهم يجيبونه بالتصديق والاعتراف ورفع يد علي وقال: **«من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه وانصر من نصره وأعن من أعانه واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار»**، ثم قال وهذا حديث صحيح ورد بأسانيد صحاح وحسان. قال: ولا التفات لمن قدح في صحته. قال وقول بعضهم أن زيادة اللهم وال من والاه الخ موضوعة مردود فقد ورد ذلك من طرق صحح الذهبي كثيراً منها (انتهت السيرة الحلبية).

وقال ابن ماجه: حدثنا علي بن محمد أنبأنا أبو الحسين أنبأنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب: أقبلنا مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع فنزل في الطريق فأمر بالصلاة جامعة فأخذ بيد علي فقال: **«ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم»** قالوا: بلى قال: **«ألست أولى بكل مؤمن من نفسه»** قالوا: بلى قال: **«فهذا ولي من أنا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»** «اهـ». قال ابن كثير وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن علي بن زيد بن جدعان عن البراء «اهـ». وأورد ابن كثير عن الإمام أحمد بعدة أسانيد عن زيد بن أرقم في بعضها نزلنا مع رسول الله ﷺ منزلاً يقال له وادي خم فأمر بالصلاة فصلاها بهجير فخطبنا وظلل رسول الله بثوب على شجرة ستره من الشمس قال: **«ألستم تعلمون ـ أو ألستم تشهدون ـ إني أولى بكل مؤمن من نفسه»** قالوا: بلى قال: **«فمن كنت مولاه فإن علياً مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»**، قال ابن كثير وهذا إسناد جيد رجاله ثقات على شرط السنن، وأورد ابن كثير روايات كثيرة بأسانيدها من كتاب غدير خم لابن جرير وفي بعضها أنه ﷺ قال: **«أيها الناس إني وليكم»** قالوا: صدقت فرفع يد علي

فقال: **«هذا وليي والمؤدي عني وإن الله موالي من والاه ومعادي من عاداه»** «اهـ» تاريخ ابن كثير واستقصاء ما فيه يطول به الكلام.

وروى النسائي في الخصائص عن محمد بن المثنى عن يحيى بن حماد عن أبي معاوية عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم قال: لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن ثم قال: **«كأني قد دعيت فأجبت وإني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»** ثم قال: **«إن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن»** ثم أخذ بيد علي فقال: **«من كنت وليه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»** فقلت لزيد: سمعته من رسول الله ﷺ فقال: نعم وإنه ما كان في الدوحات أحد إلا رآه بعينه وسمعه بإذنه، قال ابن كثير في تاريخه قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي وهذا حديث صحيح.

وروى النسائي في الخصائص أيضاً بسنده عن زيد بن أرقم قام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: **«ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه»** قالوا: بلى نشهد لأنت أولى بكل مؤمن من نفسه قال: **«فإني من كنت مولاه فهذا مولاه»** وأخذ بيد علي. وروى النسائي في الخصائص أيضاً بسنده عن عائشة بنت سعد سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يوم الجحفة فأخذ بيد علي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: **«أيها الناس إني وليكم»** قالوا: صدقت يا رسول الله ثم أخذ بيد علي فرفعها فقال: **«هذا وليي ويؤدي عني وأنا موالي من والاه ومعادي من عاداه»**. وحكى ابن كثير عن ابن جرير الطبري أنه رواه بسنده عن عائشة بنت سعد عن أبيها مثله إلا أنه قال: **«هذا وليي والمؤدي عني وإن الله موالي من والاه ومعادي من عاداه»**، قال: ثم رواه ابن جرير من طريق آخر وإنه عليه السلام وقف حتى لحقه من بعده وأمر برد من كان تقدم فخطبهم الحديث (وروى) النسائي بسنده عن عائشة بنت سعد عن سعد قال: أخذ رسول الله ﷺ بيد علي فخطب فحمد الله أثنى عليه ثم قال: **«ألم تعلموا إني أولى بكم من**

أنفسكم» قالوا: نعم صدقت يا رسول الله. ثم أخذ بيد علي فرفعها فقال: **«من كنت وليه فهذا وليه وإن الله ليوالي من والاه ويعادي من عاداه»**. وبسنده عن عائشة بنت سعد عن سعد قال: كنا مع رسول الله ﷺ بطريق مكة وهو متوجه إليها فلما بلغ غدير خم وقف للناس ثم رد من تقدم ولحقه من تخلف فلما اجتمع الناس إليه قال: **«أيها الناس من وليكم»** قالوا: الله ورسوله ثلاثاً ثم أخذ بيد علي فأقامه ثم قال: **«من كان الله ورسوله وليه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»** (أقول) كأنه أشار بذلك إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ والولي هنا بمعنى الأولى ومنه ولي الطفل وولي المرأة «اهـ».

وفي الاستيعاب: روى بريدة وأبو هريرة وجابر والبراء بن عازب وزيد بن أرقم كل واحد منهم عن النبي ﷺ أنه قال يوم غدير خم: **«من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»**، وبعضهم لا يزيد على من كنت مولاه فعلي مولاه، ثم قال بعد ذكر خبر إعطاء الراية يوم خيبر وهذه كلها آثار ثابتة.

وحكى صاحب السيرة الحلبية عن بعضهم أنه لما شاع قوله ﷺ من كنت مولاه فعلي مولاه في سائر الأمصار وطار في الأقطار بلغ الحارث بن النعمان الفهري فقدم المدينة ودخل على النبي ﷺ ثم قال: يا محمد أمرتنا بالشهادتين فقبلنا وأمرتنا بالصلاة والصوم والزكاة والحج فقبلنا ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك ففضلته وقلت من كنت مولاه فعلي مولاه فهذا شيء من الله أو منك فاحمرت عينا رسول الله ﷺ فقال: **«والله الذي لا إله إلا هو إنه من الله وليس مني»** قالها ثلاثاً فقام الحارث وهو يقول: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ وكان ذلك (أي ما جرى يوم الغدير) في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة «اهـ».

استشهاد علي عليه السلام في خلافته جماعة من الصحابة على حديث الغدير

في السيرة الحلبية: قد جاء إن علياً قام خطيباً ثم قال: أنشد الله من شهد يوم غدير خم إلا قام ولا يقوم رجل يقول: أنبئت أو بلغني إلا رجل سمعت أذناه

ووعى قلبه فقام سبعة عشر صحابياً وفي رواية ثلاثون صحابياً وفي المعجم الكبير ستة عشر وفي رواية اثنا عشر فذكر الحديث وعن زيد بن أرقم كنت ممن كتم فذهب الله ببصري وكان علي دعا على من كتم (انتهت السيرة الحلبية).

وقال ابن كثير في تاريخه: أورد ابن ماجه عن عبد اللّه بن الإمام أحمد في مسند أبيه بعدة أسانيد عن سعيد بن وهب وعن زيد بن يثيع[1] قال: نشد علي الناس في الرحبة من سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم ما قال إلا قام. فقام من قبل سعيد ستة ومن قبل زيد ستة فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول لعلي يوم غدير خم: **«أليس رسول الله أولى بالمؤمنين من أنفسهم»** قالوا: بلى قال: **«اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»** قال وفي بعضها زيادة وانصر من نصره واخذل من خذله، وأورد فيه أيضاً بعدة أسانيد عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى نحوه، وفي بعضها فقام اثنا عشر رجلاً فقالوا: قد رأيناه وسمعناه حيث أخذ بيده يقول: **«اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله»** إلا ثلاثة لم يقوموا فدعا عليهم فأصابتهم دعوته. وأورد عنه أيضاً بعدة أسانيد عن جماعة منهم أبو الطفيل قال: جمع علي الناس في الرحبة يعني رحبة مسجد الكوفة قال: أنشد الله كل من سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم ما سمع لما قام فقام ناس كثير فشهدوا حين أخذ بيده فقال للناس: **«أتعلمون إني أولى بالمؤمنين من أنفسهم»** قالوا: نعم يا رسول الله قال: **«من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»** قال: فخرجت كأن في نفسي شيئاً فلقيت زيد بن أرقم فقلت له: إني سمعت علياً يقول كذا وكذا قال: فما تنكر سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك له هكذا ذكره الإمام أحمد في مسند زيد بن أرقم «اهـ».

وفي الخصائص بسنده عن عمرو بن سعد أنه سمع علياً وهو ينشد في

---

(١) يثيع كزبير بمثناة تحتية ومثلثة وعين مهملة ويقال: أثيع كذا في القاموس وبعضهم قال بغين معجمة.

الرحبة من سمع رسول الله ﷺ يقول: **«من كنت مولاه فعلي مولاه»** فقام ستة نفر فشهدوا (وبسنده) عن سعيد بن وهب أنه قام صحابة ستة وقال زيد بن يثيع وقام مما يلي المنبر ستة فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول: **«من كنت مولاه فعلي مولاه»** (وفيه) أخبرنا أبو داود حدثنا عمران بن أبان حدثنا شريك حدثنا أبو إسحاق عن زيد بن يثيع سمعت علي بن أبي طالب يقول على منبر الكوفة أني أنشد الله رجلاً ولا يشهد إلا أصحاب محمد سمع رسول الله ﷺ يوم غدير خم يقول: **«من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»** فقام ستة من جانب المنبر وستة من جانب المنبر الآخر فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول ذلك. قال شريك: فقلت لأبي إسحاق هل سمعت البراء بن عازب يحدث بهذا عن رسول الله ﷺ قال: نعم، قال أبو عبد الرحمٰن «هو النسائي»: عمران بن أبان الواسطي ليس بقوي في الحديث (وبسنده) المتعدد عن فطر بن خليفة عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال: جمع علي الناس في الرحبة فقال: أنشد بالله كل امرىء سمع من رسول الله ﷺ قال يوم غدير خم: **«ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم»** وهو قائم ثم أخذ بيد علي فقال: **«من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»** قال أبو الطفيل فخرجت وفي نفسي منه شيء فلقيت زيد بن أرقم فأخبرته فقال: تشك؟ أنا سمعته من رسول الله ﷺ (وبسنده) عن سعيد بن وهب قال علي في الرحبة: أنشد بالله من سمع رسول الله ﷺ يوم غدير خم يقول: **«إن الله ورسوله ولي المؤمنين ومن كنت وليه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره»** قال سعيد: قام إلى جنبي ستة قال زيد بن يثيع قام عندي ستة وقال عمرو ذي مر: أحب من أحبه وأبغض من أبغضه وساق الحديث (وبسنده) عن عمرو ذي مر شهدت علياً بالرحبة ينشد أصحاب محمد أيكم سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم ما قال فقام أناس فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول: **«من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه وانصر من نصره»** (وبسنده) عن سعيد بن وهب قال علي في الرحبة أنشد بالله من سمع

رسول الله ﷺ يوم غدير خم يقول: **«الله وليي وأنا ولي المؤمنين ومن كنت وليه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره»** فقال سعيد: قام إلى جنبي ستة وقال حارثة بن نصر: قام ستة وقال زيد بن يثيع: قام عندي ستة وقال عمرو ذي مر: أحب من أحبه (وفي أسد الغابة) بسنده عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى: شهدت علياً في الرحبة يناشد الناس أنشد الله من سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم: **«ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجي أمهاتهم»** قلنا: بلى يا رسول الله فقال: **«من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»**، وقد روي مثل هذا عن البراء بن عازب وزاد فقال عمر بن الخطاب: يا ابن أبي طالب أصبحت اليوم ولي كل مؤمن «اهـ».

قال المفيد في الإرشاد: وكان في حجة الوداع من فضل أمير المؤمنين عليه السلام الذي اختص به ما شرحناه وانفرد فيه من المنقبة الجليلة ما ذكرناه وكان شريك النبي في حجه وهديه ومناسكه ووفقه الله تعالى لمساواة نبيه في نيته ووفاقه في عبادته وظهر من مكانه عنده وجليل محله عند الله سبحانه ما نوه به في مدحته وأوجب له فرض طاعته على الخلائق واختصاصه بخلافته والتصريح منه بالدعوة إلى أتباعه والنهي عن مخالفته والدعاء لمن اقتدى به في الدين وقام بنصرته والدعاء على من خالفه واللعن لمن بارزه بعداوته وكشف بذلك عن كونه أفضل خلق الله تعالى وأجل بريته وهذا مما لم يشركه فيه أيضاً أحد من الأمة ولا تعرض منه بفضل يقاربه على شبهة لمن ظنه أو بصيرة لمن عرف المعنى في حقيقته والله المحمود «اهـ».

الثالث: إنه أفضل الصحابة فيكون هو الإمام لأن تقديم المفضول على الفاضل قبيح والدليل على أنه أفضل الصحابة أمور:

أحدها: إن الناس إنما تتفاضل بالصفات الحسنة النفسية كالعلم والحلم والصفح والشجاعة والسماحة والفصاحة والبلاغة والعدل ومحاسن الأخلاق والعبادة والزهادة والجهاد وغير ذلك.

(أما العلم) فقد كان أعلم الصحابة وكانوا يرجعون إليه في المشكلات ولم يكن يرجع إلى أحد وكفى في ذلك قول عمر: لولا علي لهلك عمر، قضية ولا أبو حسن لها، أعوذ بالله من قضية ليس لها أبو حسن، لا يفتين أحد في المسجد وعلي حاضر وأمثاله مما شاع وذاع وعرفه كل أحد حتى استشهد به النحويون في كتبهم. وقوله ﷺ: **«أنا مدينة العلم وعلي بابها»**، وقوله ﷺ: **«أعطي علي تسعة أجزاء الحكمة والناس جزءاً واحداً»**. وقول ابن عباس أنه أعطي تسعة أعشار العلم وشارك في العشر العاشر، وإنه ما شك في قضاء بين اثنين، وأنه أقضى أهل المدينة وأعلمهم بالفرائض، وقوله ﷺ: **«إنه أقضى أصحابه»**. وقد ألفت المؤلفات في قضاياه بالخصوص، وقول عطاء ما أعلم أحداً كان في أصحاب محمد ﷺ أعلم من علي، وقول عائشة أما أنه لأعلم الناس بالسنة، وقوله عليه السلام: سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم سلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل، وإنه ما كان أحد يقول سلوني غيره، وقوله ﷺ لما نزلت: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ أنت أذن واعية لعلمي. وقول معاوية ذهب الفقه والعلم بموت علي بن أبي طالب. وذكرنا هذا كله مفصلاً بأسانيده عند ذكر فضائله.

قال المفيد في الإرشاد: فأما الأخبار التي جاءت بالباهر من قضاياه في الدين وأحكامه التي افتقر إليه في علمها كافة المؤمنين بعد الذي أثبتناه من جملة الوارد في تقدمه في العلم وتبريزه على الجماعة بالمعرفة والفهم وفزع علماء الصحابة إليه فيما أعضل من ذلك والتجائهم إليه فيه وتسليمهم له القضاء به فهي أكثر من أن تحصى وأجل من أن تتعاطى فمن ذلك ما رواه نقلة الآثار من العامة والخاصة في قضاياه ورسول الله حي فصوبه فيها وحكم له بالحق فيما قضاه ودعا له بخير وأثنى عليه به وأبانه بالفضل في ذلك من الكافة ودل به على استحقاقه الأمر من بعده ووجوب تقدمه على من سواه في مقام الإمامة كما تضمن ذلك التنزيل فيما دل على معناه وعرف به ما حواه من التأويل حيث يقول الله عز وجل: ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ

كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ وقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ وقوله عز وجل في قصة آدم وقد قالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ * قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ فنبه الله جل جلاله الملائكة على أن آدم أحق بالخلافة منهم لأنه أعلم منهم بالأسماء وأفضلهم في علم الأنباء.
وقال: تقدست أسماؤه في قصة طالوت ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ فجعل جهة حقه في التقدم عليهم ما زاده الله من البسطة في العلم والجسم واصطفاءه إياه على كافتهم بذلك وكانت هذه الآيات موافقة لدلائل العقول في أن الأعلم هو أحق بالتقدم في محل الإمامة ممن لا يساويه في العلم ودلت على وجوب تقدم أمير المؤمنين على كافة المسلمين في خلافة الرسول وإمامة الأمة لتقدمه في العلم والحكمة وقصورهم عن منزلته في ذلك «اهـ».

(وأما الحلم والصفح) فقد ذكرنا عند ذكر فضائله ما يثبت لك بأوضح وجه وأجلاه وكذا الباقي فلا نطيل بإعادته، وامتيازه في كل ذلك قد صار ملحقاً بالضروريات منتظماً في سلك المتواترات والاستدلال عليه كالاستدلال على الشمس الضاحية، وما ذكرناه في ذلك قد اتفق على روايته المؤالف والمخالف بخلاف ما روي مما يعارضه فقد رواه فريق دون فريق وتطرقت إليه الشبهة بما كان يجهد فيه أعداء أمير المؤمنين في عصر الملك العضوض ويبذلون على روايته الأموال وهم في سلطانهم، والإطالة في هذا تخرجنا عن موضوع الكتاب وفيما ذكر غنى وكفاية ومقنع لمن أراد والله الهادي.

ثانيها: حديث الطائر المشوي الذي مر في الفضائل لدلالته على أنه أحق الخلق إلى الله تعالى بعد النبي ﷺ ومعلوم أن حب الله تعالى وحب النبي ﷺ لا يكون كحب غيرهم لمحاباة أو قرابة أو منفعة أو غيرها ولا يكون إلا عن استحقاق فيدل على الأفضلية.

ثالثها: حديث الكساء ومر ذكره في سيرة الزهراء عليها السلام في الجزء الثاني ومر في الفضائل في هذا الجزء.

رابعها: ما دل على أنه نفس رسول الله ﷺ في آية المباهلة ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ ويأتي خبر نزولها عند ذكر وفد نجران سنة عشر من الهجرة وإنما نذكر هنا بعض ما يتعلق بكونه نفس رسول الله ﷺ فقط فنقول: اتفق الرواة والمفسرون على أن الذين دعاهم رسول الله ﷺ للمباهلة هم علي وفاطمة والحسنان وأنه لم يدع أحداً غيرهم. وحينئذ فالمراد بأبنائنا الحسنان وبنسائنا فاطمة وهو واضح. أما أنفسنا فلا يجوز أن يكون المراد به غير علي بن أبي طالب لما ذكره صاحب مجمع البيان وغيره من أنه لا يجوز أن يدعو الإنسان نفسه وإنما يصح أن يدعو غيره وإذا كان قوله وأنفسنا لا بد أن يكون إشارة إلى غير الرسول وجب أن يكون إشارة إلى علي لأنه لا أحد يدعي دخول غير أمير المؤمنين علي وزوجته وولديه في المباهلة. ويمكن أن يقال بأنه يصح التعبير عن الحضور بدعاء النفس مجازاً وهو المراد هنا فالأولى في الاستدلال أن يقال إن الاتفاق واقع على أن علياً كان من جملة من دعاهم النبي ﷺ للمباهلة وليس داخلاً في الأبناء والنساء قطعاً فتعين دخوله في قوله وأنفسنا فيكون المراد بأنفسنا علي وحده أو هو مع النبي ﷺ وعلى الوجهين يكون قد أطلق عليه نفس النبي ﷺ فإن قلنا: المراد بأنفسنا علي وحده كان التجوز في أنفسنا وحدها، وإن قلنا المراد به رسول الله وعلي معاً كان التجوز في ندعو باستعمالها في دعاء النفس ودعاء الغير وفي أنفسنا أيضاً.

والحاصل أن أنفسنا مراد به علي بن أبي طالب إما وحده أو مع النبي ﷺ

اختار الأول الشعبي فيما حكاه عنه الواحدي فقال: أبناءنا الحسن والحسين ونساءنا فاطمة وأنفسنا علي بن أبي طالب، واختار الثاني جابر فيما حكاه عنه صاحب الدر المنثور فقال: أنفسنا رسول الله وعلي وأبناؤنا الحسن والحسين ونساؤنا فاطمة.

(فإذا) ثبت أن المراد بأنفسنا علي بن أبي طالب دل على أنه أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ إذ المراد به أنه مثل نفسه مجازاً لأن كونه نفسه حقيقة باطل بالضرورة وإذا ثبت إطلاق أنه مثله كان المراد أنه مثله في جميع صفاته إلا ما أخرجه الدليل مثل النبوة والمساواة في الفضل للإجماع على أن علياً ليس بنبي وأن النبي ﷺ أفضل منه فبقي الباقي وهو أنه أفضل من سائر الصحابة وبالجملة ففي كونه مثل النبي إلا ما أخرجه الدليل غنى وكفاية. قال الرازي في تفسيره: كان في الري رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصي(1) وكان متكلم الاثني عشرية وكان يزعم أن قوله: وأنفسنا وأنفسكم يدل على أن علياً أفضل من جميع الأنبياء سوى محمد ﷺ لأن الإنسان لا يدعو نفسه بل غيره وأجمعوا على أن ذلك الغير كان علي بن أبي طالب فدلت على أن نفسه هي نفس محمد ولا يمكن أن يراد أن هذه النفس عين تلك النفس فالمراد إنها مثلها وذلك يقتضي الاستواء في جميع الوجوه ترك العمل به في النبوة والفضل لقيام الدليل فبقي ما عداه. ومحمد أفضل من سائر الأنبياء فعلي مثله. ثم قال (أي الحمصي) ويؤيد الاستدلال بهذه الآية الحديث المقبول عند الموافق والمخالف وهو قوله عليه السلام: من أراد أن يرى آدم في علمه ونوحاً في طاعته وإبراهيم في خلقه فلينظر إلى علي بن أبي طالب، فالحديث دل على أنه اجتمع فيه ما كان متفرقاً فيهم وذلك يدل على أنه أفضل من جميعهم سوى محمد ﷺ. قال: وأما سائر الشيعة فقد كانوا قديماً وحديثاً يستدلون بهذه الآية على أن علياً أفضل من سائر الصحابة

---

(1) هو شيخ الإمام الرازي. في القاموس الحمصي بالضم مشدداً محمود بن علي الحمصي (الرازي) متكلم أخذ عنه الإمام فخر الدين الرازي «اهـ» لكنه قال محمود بن علي والرازي قال محمود بن الحسن ولعل أحدهما نسبه إلى الأب والآخر إلى الجد.

لأن الآية لما دلت على أن نفسه مثل نفسه إلا فيما خصه الدليل وكانت نفس محمد أفضل من الصحابة فوجب أن تكون نفس علي كذلك. والجواب أنه كما انعقد الإجماع بين المسلمين على أن محمداً عليه السلام أفضل من علي كذلك انعقد الإجماع بينهم قبل ظهور هذا الإنسان على أن النبي أفضل ممن ليس بنبي «اهـ» ملخصاً. وقد دل كلامه على تسليم دلالة الآية على ذلك لولا الإجماع فبقي الأمر موقوفاً على تحقق الإجماع هذا بالنسبة إلى الأنبياء، أما بالنسبة إلى الصحابة فهو يسلم به لأنه لم يرده ولم يناقش فيه.

قال المفيد:

وفي قصة أهل نجران بيان عن فضل أمير المؤمنين عليه السلام مع ما فيه من الآية للنبي ﷺ والمعجز الدال على نبوته، وأن الله تعالى حكم في آية المباهلة لأمير المؤمنين عليه السلام بأنه نفس رسول الله ﷺ كاشفاً بذلك عن بلوغه نهاية الفضل ومساواته للنبي ﷺ في الكمال والعصمة من الآثام وأن الله تعالى جعله وزوجته وولديه مع تقارب سنهما حجة لنبيه وبرهاناً على دينه ونص على الحكم بأن الحسن والحسين أبناؤه وأن فاطمة نساؤه المتوجه إليهن الذكر والخطاب في الدعاء إلى المباهلة والاحتجاج وهذا فضل لم يشركهم فيه أحد من الأمة ولا قاربهم فيه ولا ماثلهم في معناه وهو لاحق بما تقدم من مناقب أمير المؤمنين الخاصة به.

الرابع: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾. نزلت في حق علي بن أبي طالب لما تصدق بخاتمه وهو في الصلاة، فلفظ الذين آمنوا وإن كان عاماً إلا أن المراد به خاص وإرادة الواحد من لفظ الجمع في كلام العرب وفي القرآن الكريم غير عزيزة مع دلالة القرينة كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾ والمراد نعيم بن مسعود، والمراد من الزكاة فيها هي الصدقة لأن الزكاة وإن اشتهرت في الشرع في الصدقة الواجبة لكنها تطلق على المستحبة أيضاً بكثرة وقوله وهم راكعون حال من ضمير يؤتون الزكاة أي ويؤتون الزكاة في حال

ركوعهم. روى الواحدي النيسابوري في كتابه أسباب النزول عن الكلبي أن آخر الآية في علي بن أبي طالب لأنه أعطى خاتمه سائلاً وهو راكع. وروي بسنده عن ابن عباس قال: أقبل عبد اللّه بن سلام ومعه نفر من قومه قد آمنوا فقالوا: يا رسول الله إن منازلنا بعيدة وليس لنا مجلس ولا متحدث وأن قومنا لما رأونا آمنا بالله ورسوله وصدقناه رفضونا وآلوا على أنفسهم أن لا يجالسونا ولا يناكحونا ولا يكلمونا فشق ذلك علينا فقال لهم النبي عليه السلام: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ثم إن النبي ﷺ خرج إلى المسجد والناس بين قائم وراكع فنظر سائلاً فقال: «**هل أعطاك أحد شيئاً**» قال: نعم خاتم قال: «**من أعطاكه**» قال: ذلك القائم وأومأ بيده إلى علي بن أبي طالب فقال: «**على أي حال أعطاك**» قال: أعطاني وهو راكع فكبر النبي ﷺ ثم قرأ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ وفي الدر المنثور للسيوطي: أخرج ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: أتى عبد اللّه بن سلام وذكر نحوه. وفي أسباب النزول للسيوطي: أخرج الطبراني في الأوسط بسند فيه مجاهيل عن عمار بن ياسر قال: وقف على علي بن أبي طالب سائل وهو راكع في تطوع فنزل خاتمه فأعطاه السائل فنزلت: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ وله شاهد. قال عبد الرزاق حدثنا عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ قال: نزلت في علي بن أبي طالب. وروى ابن مردويه من وجه آخر عن ابن عباس مثله، وأخرج أيضاً عن علي مثله، وأخرج ابن جرير عن مجاهد وابن أبي حاتم عن سلمة بن كهيل مثله قال فهذه شواهد يقوي بعضها بعضاً «اهـ» أسباب النزول، يعني فلا يضر كون بعض طرقه فيه مجاهيل. وقال السيوطي في الدر المنثور: أخرج الخطيب في المتفق عن ابن عباس قال: تصدق علي بخاتمه وهو راكع فقال النبي ﷺ للسائل: «**من أعطاك هذا الخاتم**» قال: ذاك الراكع فأنزل الله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾. وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ قال: نزلت في علي بن أبي طالب. وأخرج

الطبراني في الأوسط وابن مردويه عن عمار بن ياسر قال: وقف بعلي سائل وهو راكع في صلاة تطوع فنزع خاتمه فأعطاه السائل فأتى رسول الله ﷺ فأعلمه ذلك فنزلت على النبي ﷺ هذه الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ فقرأ رسول الله ﷺ على أصحابه ثم قال: «**من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه**»، وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه عن علي بن أبي طالب قال: نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ في بيته ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ إلى آخر الآية فخرج رسول الله ﷺ فدخل المسجد وجاء الناس يصلون بين راكع وساجد وقائم يصلي فإذا سائل فقال: «**يا سائل هل أعطاك أحد شيئاً**» قال: لا إلا ذاك الراكع لعلي بن أبي طالب أعطاني خاتمه. وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن عساكر عن سلمة بن كهيل قال: تصدق علي بخاتمه وهو راكع فنزلت: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾، وأخرج الطبراني وابن مردويه وأبو نعيم عن أبي رافع قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو نائم يوحى إليه «إلى أن قال» فمكث ساعة فاستيقظ وهو يقول: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ (الآية) الحمد لله الذي أتم لعلي نعمه وهنيئاً لعلي بتفضيل الله إياه. وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس: كان علي بن أبي طالب قائماً يصلي فمر سائل وهو راكع فأعطاه خاتمه فنزلت هذه الآية، نزلت في الذين آمنوا وعلي أولهم «اهـ» الدر المنثور. وفي الكشاف: وهم راكعون الواو فيه للحال أي يعملون ذلك في حال الركوع وهو الخشوع والإخبات والتواضع لله إذا صلوا وإذا زكوا وقيل هو حال من يؤتون الزكاة بمعنى يؤتونها في حال ركوعهم في الصلاة وإنها نزلت في حق علي بن أبي طالب حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه قال: فإن قلت كيف صح أن يكون لعلي واللفظ لفظ جماعة قلت: جيء به على لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلاً واحداً ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه «اهـ» (أقول) الركوع وإن كان في اللغة بمعنى مطلق الخضوع لكنه صار في الشرع اسماً لركوع الصلاة كما أن الصلاة كان معناها في اللغة مطلق الخضوع لكنه صار في الشرع اسماً لركوع الصلاة كما أن الصلاة كان معناها في اللغة مطلق الدعاء وصارت في

عرف الشرع لذات الأركان فقوله تعالى: ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ لا يصح أن يراد به وهم خاضعون لأن الحقيقة الشرعية والعرفية مقدمة على الحقيقة اللغوية ولم يستعمل في القرآن إلا في ذلك المعنى، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ ﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ﴾، فعلم بذلك أن المراد به ركوع الصلاة، وفي تفسير الطبري: اختلف أهل التأويل في المراد بالذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون فقال بعضهم: عني به علي بن أبي طالب وقال بعضهم: عني به جميع المؤمنين، ثم روي عن السدي أنه قال: هؤلاء جميع المؤمنين ولكن علي بن أبي طالب مر به سائل وهو راكع في المسجد فأعطاه خاتمه، وروى بسنده عن عبد الملك عن أبي جعفر سألته عن هذه الآية قلنا: من الذين آمنوا؟ قال: الذين آمنوا قلنا: بلغنا أنها نزلت في علي بن أبي طالب قال: علي من الذين آمنوا. وفي الدر المنثور أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن أبي جعفر أنه سئل عن هذه الآية وذكر مثله. قال وأخرج أبو نعيم في الحلية عن عبدالملك بن أبي سليمان قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي وذكر نحوه ومنه علم أن المراد به الباقر عليه السلام. وروى الطبري في تفسيره عن عتبة بن حكيم في هذه الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال: علي بن أبي طالب، وبسنده عن مجاهد قال: نزلت في علي بن أبي طالب تصدق وهو راكع (أقول) فدل عدم إمكان إرادة العموم منها على أن كلام السدي راجع إلى أن المراد من الذين آمنوا علي بن أبي طالب بأن يكون مراده هؤلاء جميع المؤمنين في ظاهر اللفظ ولكن علي بن أبي طالب مر به سائل وهو راكع فأعطاه خاتمه فكان ذلك قرينة على أنه هو المراد وإلا لكان كلامه متدافعاً، ولذلك قال السيوطي في الدر المنثور: أخرج ابن جرير عن مجاهد أنها نزلت في علي بن أبي طالب تصدق وهو راكع، وأخرج ابن جرير عن السدي وعتبة بن حكيم مثله «اهـ» فجعل السدي من القائلين بنزولها في

علي، والمنقول عن أبي جعفر الباقر إن صح فيه نوع إجمال ويمكن إرجاعه إلى ما مر بأن يكون قوله علي من الذين آمنوا أي فصح إطلاق هذا اللفظ عليه، ومن ذلك يعلم أن وجود القائل بالقول الثاني غير متحقق، وفي تفسير الفخر الرازي في قوله الذين آمنوا قولان: **الأول**: إن المراد عامة المؤمنين لأن عبادة بن الصامت لما تبرأ من اليهود وقال أنا بريء إلى الله من حلف قريظة والنضير وأتولى الله ورسوله نزلت هذه الآية على وفق قوله، قال: وروي أيضاً أن عبد اللّه بن سلام قال: يا رسول الله إن قومنا قد هجرونا وأقسموا أن لا يجالسونا ولا نستطيع مجالسة أصحابك لبعد المنازل فنزلت هذه الآية فقال: رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين أولياء (أقول) الاستشهاد بخبر عبد اللّه بن سلام على أن المراد عامة المؤمنين لا وجه له لأنه إنما يدل على أن الله تعالى جعل لهم بدل هجر قومهم إياهم ولاية الله ورسوله والذين آمنوا سواء أريد بالذين آمنوا العموم أو الخصوص فإذا كان هناك ما يدل على الخصوص لم يكن فيه منافاة لهذا الخبر ولذلك ذكره الواحدي في سياق نزولها في علي بن أبي طالب كما مر في الفضائل. قال الفخر **القول الثاني**: إن المراد من هذه الآية شخص معين - روى عكرمة أنها نزلت في علي بن أبي طالب وروي أن عبد الله بن سلام قال: لما نزلت هذه الآية قلت: يا رسول الله أنا رأيت علياً تصدق بخاتمه على محتاج وهو راكع فنحن نتولاه، وروي عن أبي ذر أنه قال صليت مع رسول الله ﷺ يوماً صلاة الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم اشهد إني سألت في مسجد الرسول ﷺ فما أعطاني أحد شيئاً وعلي (ع) كان راكعاً فأومأ إليه بخنصره اليمنى وكان فيها خاتم فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم بمرأى النبي ﷺ فقال: «**اللهم إن أخي موسى سأل فقال رب اشرح لي صدري إلى قوله: وأشركه في أمري فأنزلت قرآناً ناطقاً سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً اشدد به ظهري**» قال أبو ذر فوالله ما أتم رسول الله ﷺ هذه الكلمة حتى نزل جبريل فقال: يا محمد اقرأ إنما وليكم الله ورسوله إلى آخرها «اهـ»

(أقول) علم من مجموع ما سلف أن احتمال إرادة عموم المؤمنين ضعيف لا يعول عليه ولا يرجع إلى مستند ولا يعارض الأخبار الكثيرة الدالة على نزولها في علي عليه السلام وأن وجود القائل به غير متحقق، مضافاً إلى أنه على هذا الاحتمال تكون الواو في وهم راكعون عاطفة من عطف الخاص على العام كما في أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين، ولو كان كذلك لكان من مقتضى البلاغة أن يقول وهم يركعون لأن الجمل التي قبلها فعلية فلا يناسب عطف الجملة الإسمية الصرفة عليها بل المناسب أن يقول وهم يركعون كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ * وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ ولم يقل موقنون ورواية عكرمة قد انفرد بها فلا تعارض الروايات الكثيرة مع أنه كان متهماً برأي الخوارج وإذا كان المراد بهذه الآية شخص معين وهو علي بن أبي طالب كانت دالة على إمامته لأن في اقتران ولايته بولاية الله تعالى ورسوله ﷺ مع الحصر بإنما أقوى دليل على ذلك، وقد أطال الفخر الرازي في تفسير هذه الآية وذكر أشياء أكثرها لا طائل تحتها مثل أن اللائق بعلي عليه السلام أن يكون مستغرق القلب بذكر الله في الصلاة لا يتفرغ لاستماع كلام الغير وفهمه (الجواب) أن الاستماع إلى كلام السائل لا يخرج عن ذلك كما يحكى عن أبي الفرج الجوزي أنه قال في جواب السائل عن ذلك:

يسقي ويشرب لا تلهيه سكرته ... عن النديم ولا يلهو عن الكأس

(ومثل) إن دفع الخاتم في الصلاة للفقير عمل كثير واللائق بحال علي عليه السلام أن لا يفعل ذلك (والجواب) إن أراد أنه عمل كثير مبطل للصلاة فقد أجاب عنه في الكشاف بقوله كأن الخاتم كان مرجاً في خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلاته «اه» وعند فقهائنا أنه لا يفسد الصلاة إلا العمل الكثير الماحي لصورتها وإن أراد أنه عمل كثير يكره فعله ففيه أنه كيف يكره التصدق على الفقير الذي هو من أفضل الطاعات إلى غير ذلك مما أطال به ولا فائدة في نقله ونقضه.

الخامس: آية التطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، دلت الأخبار الكثيرة على أن المراد بأهل البيت علي وفاطمة والحسنان فتدل الآية الشريفة على عصمتهم لأن الذنب رجس وقد أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً من كل رجس وذنب، ولا ينافي ذلك كون ما قبلها وما بعدها في نساء النبي ﷺ بعدما ورد النص الصريح بأن المراد بها ما ذكر وبعد تذكير ضمير عنكم ومراعاة السياق في الكتاب العزيز غير لازمة كما في موارد كثيرة منه ولعل ذلك لأنه نزل نجوماً، ومر الكلام على ذلك مفصلاً في سيرة الزهراء عليها السلام من الجزء الأول ومر له ذكر في الفضائل من هذا الجزء.

السادس: أحاديث الثقلين التي رواها أجلاء علماء أهل السنة وأكابر محدثيهم في صحاحهم بأسانيدهم المتعددة واتفق على روايتها الفريقان فرواها مسلم والترمذي في صحيحيهما والإمام أحمد بن حنبل في مسنده والثعلبي في تفسيره وابن المغازلي الشافعي في المناقب وصاحب الجمع بين الصحاح الستة والحميدي من أفراد مسلم والسمعاني في فضائل الصحابة والحموئي وموفق بن أحمد والطبراني وابن حجر في صواعقه وغيرهم ورويت من طرق أهل البيت باثنين وثمانين طريقاً (أما روايات أهل السنة) ففيها عن زيد بن أرقم عن النبي ﷺ: **«أنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به»** فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: **«وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي»** فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته فقال: نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده قال: ومن هم قال: آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس قال: هؤلاء حرم الصدقة قال: نعم (وفي رواية) لمسلم فقلنا من أهل بيته نساؤه قال: لا لأن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده، (وفيها) عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: **«إني تارك فيكم الثقلين»**

وفي رواية خليفتين «أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض» «وفي رواية» «وأن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا بما تخلفوني فيهما» «وفي أخرى» **«إني قد تركت فيكم ما أن أخذتم به لن تضلوا بعدي الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»** (وفي رواية) **«إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن تبعتموهما وهما كتاب الله وعترتي أهل بيتي فلا تتقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم»**، وهي صريحة في خروج النساء من أهل البيت واختصاصهم بعشيرته وعصبته وقد أوردنا هذه الأحاديث كلها وتكلمنا عليها بما لا مزيد عليه في كتابنا (إقناع اللائم على إقامة المآتم) فليرجع إليه من أراد، دلت هذه الأحاديث على عصمة أهل البيت من الذنوب والخطأ لمساواتهم فيها بالقرآن الثابت عصمته في أنهم أحد الثقلين المخلفين في الناس وفي الأمر بالتمسك بهم كالتمسك بالقرآن ولو كان الخطأ يقع منهم لما صح الأمر بالتمسك بهم الذي هو عبارة عن جعل أقوالهم وأفعالهم حجة وفي أن المتمسك بهم لا يضل كما لا يضل المتمسك بالقرآن ولو وقع منهم الذنب أو الخطأ لكان المتمسك بهم يضل وأن في اتباعهم الهدى والنور كما في القرآن ولو لم يكونوا معصومين لكان في أتباعهم الضلال وفي أنهم حبل ممدود من السماء إلى الأرض كالقرآن وهو كناية عن أنهم واسطة بين الله تعالى وبين خلقه وأن أقوالهم عن الله تعالى ولو لم يكونوا معصومين لم يكونوا كذلك وفي أنهم لن يفارقوا القرآن ولن يفارقهم مدة عمر الدنيا ولو أخطأوا أو أذنبوا لفارقوا القرآن وفارقهم وفي عدم جواز مفارقتهم بتقدم عليهم بجعل نفسه إماماً لهم أو تقصير عنهم وائتمام بغيرهم كما لا يجوز التقدم على القرآن بالإفتاء بغير ما فيه أو التقصير عنه باتباع أقوال مخالفيه وفي عدم جواز تعليمهم ورد أقوالهم ولو كانوا يجهلون شيئاً لوجب تعليمهم ولم ينه عن رد قولهم، ودلت هذه الأحاديث أيضاً على أن منهم من هذه صفته في كل

عصر وزمان بدليل قوله ﷺ: **«إنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»** وأن اللطيف الخبير أخبره بذلك وورود الحوض كناية عن انقضاء عمر الدنيا فلو خلا زمان من أحدهما لم يصدق إنهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض، إذا علم ذلك ظهر أنه لا يمكن أن يراد بأهل البيت جميع بني هاشم بل هو من العام المخصوص بمن ثبت اختصاصهم بالفضل والعلم والزهد والعفة والنزاهة من أئمة أهل البيت الطاهر وهم الأئمة الاثنا عشر وأمهم الزهراء البتول للإجماع على عدم عصمة من عداهم والوجدان أيضاً على خلاف ذلك لأن من عداهم من بني هاشم تصدر منهم الذنوب ويجهلون كثيراً من الأحكام ولا يمتازون عن غيرهم من الخلق فلا يمكن أن يكونوا هم المجعولين شركاء القرآن في الأمور المذكورة بل يتعين أن يكونوا بعضهم لا كلهم وليس إلا من ذكرنا أما تفسير زيد بن أرقم لهم بمطلق بني هاشم إن صح ذلك عنه فلا تجب متابعته عليه بعد قيام الدليل على بطلانه.

السابع: حديث السفينة وباب حطة وهو قوله ﷺ: **«مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تأخر عنها هلك أو من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق أو من دخلها نجا ومن تخلف عنها هلك»**. الذي اتفق على روايته جميع علماء الإسلام، قال ابن حجر في الصواعق. جاء من طرق عديدة يقوي بعضها بعضاً إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا وفي رواية مسلم ومن تخلف عنها غرق وفي رواية هلك وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له وفي رواية غفر له الذنوب وقال في موضع آخر جاء من طرق كثيرة يقوي بعضها بعضاً مثل أهل بيتي وفي رواية إنما مثل أهل بيتي وفي أخرى إن مثل أهل بيتي وفي رواية إلا أن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وفي رواية من ركبها سلم ومن تركها غرق وإن مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له (اهـ). وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن حنش الكناني: سمعت أبا ذر يقول وهو آخذ بباب الكعبة: من عرفني فأنا من عرفتم

ومن أنكرني فأنا أبو ذر سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»** هذا حديث صحيح على شرط مسلم (اهـ) وقد تكلمنا على هذه الروايات مفصلاً في كتاب إقناع اللائم على إقامة المآتم وذكرنا هناك أن تمثيلهم بسفينة نوح صريح في وجوب اتباعهم والاقتداء بأقوالهم وأفعالهم وحرمة اتباع من خالفهم وأي عبارة أبلغ في الدلالة على ذلك من قوله: **«من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك أو غرق»** فكما أن كل من ركب مع نوح في سفينته نجا من الغرق ومن لم يركب غرق وهلك فكذلك كل من اتبع أهل البيت أصاب الحق ونجا من سخط الله وفاز برضوانه ومن خالفهم هلك ووقع في سخط الله وعذابه وذلك دليل عصمتهم وإلا لما كان كل متبع لهم ناجياً وكل مخالف لهم هالكاً وهذا عام مخصوص كما مر في حديث الثقلين وليس المراد به إلا أئمة أهل البيت الذين وقع الاتفاق على تفضيلهم واشتهروا بالعلم والفضل والزهد والورع والعبادة واتفقت الأمة على عدم عصمة غيرهم وغير المعصوم لا يكون متبعه ناجياً ومخالفه هالكاً على كل حال ولا يقصر عنه في الدلالة خبر تسميتهم بباب حطة الدال على أن النجاة في اتباعهم والخلاص من الذنوب والمعاصي بالأخذ بطريقتهم.

الثامن: حديث المنزلة وهو قوله ﷺ: **«أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»**. ومر في غزاة تبوك في هذا الجزء والجزء الثاني أنه قال له: **«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»**.

وهذا الحديث يقع الكلام فيه في مقامين في صحة سنده وإثبات دلالته على المطلوب.

المقام الأول صحة سنده

هذا الحديث قد اعترف أكابر علماء المسلمين وثقات الرواة من الفريقين بصحة سنده وأنه من أثبت الآثار وأصحها.

في الاستيعاب روى قوله ﷺ لعلي: **«أنت مني بمنزلة هارون من موسى»**

جماعة من الصحابة وهو من أثبت الآثار وأصحها رواه عن النبي ﷺ سعد بن أبي وقاص وطرق حديث سعد فيه كثيرة جداً قد ذكرها ابن أبي خيثمة وغيره. ورواه ابن عباس وأبو سعيد الخدري وأم سلمة وأسماء بنت عِميس وجابر بن عبد الله وجماعة يطول ذكرهم ثم روى بسنده عن أسماء بنت عميس أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي: **«أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس بعدي نبي»**. وروى قبل ذلك أنه قال له في غزوة تبوك: **«أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»** (وروى) النسائي في الخصائص هذا الحديث بأسانيد كثيرة عن سعد بن أبي وقاص (فمن رواياته) بسنده عن سعد بن أبي وقاص قال: لما غزا رسول الله ﷺ غزوة تبوك وخلف علياً في المدينة قالوا فيه ملّه وكره صحبته فتبع علي النبي ﷺ حتى لحقه في الطريق قال: يا رسول الله خلفتني بالمدينة مع الذراري والنساء حتى قالوا مله وكره صحبته فقال النبي ﷺ: **«إنما خلفتك على أهلي. أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي»** (وفي رواية) **«إلا أنه لا نبوة بعدي»** (وفي رواية) فقال علي: رضيت رضيت (وفي رواية) **«أنت يا ابن أبي طالب مني مكان هارون من موسى إلا أنه لا نبي من بعدي»** (وفي رواية) **«إلا أنه ليس من بعدي نبي»** (وبسنده) عن سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال لعلي: **«أنت مني بمنزلة هارون من موسى»** (وبسنده) عن سعد قال: لما خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك خرج علي فتبعه فشكا وقال: يا رسول الله أتتركني مع الخوالف فقال النبي ﷺ: **«يا علي أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة»** (وبسنده) عن سعد بن مالك أن رسول الله ﷺ غزا على ناقته الجدعاء وخلف علياً وجاء علي حتى تعدى الناقة فقال: يا رسول الله زعمت قريش أنك إنما خلفتني لأنك استثقلتني وكرهت صحبتي وبكى. فنادى رسول الله ﷺ في الناس: **«ما منكم أحد إلا وله حاجة بابن أبي طالب أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»** قال علي: رضيت عن الله عز وجل وعن رسول الله ﷺ (وروى) مسلم في صحيحه حديث المنزلة بعدة أسانيد منها عن

سعيد بن المسيب عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أن النبي ﷺ قال لعلي: **«أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»** قال سعيد: فأحببت أن أشافه بذلك سعداً فلقيته فحدثته بما حدثني به عامر فقال: أنا سمعته فقلت: أنت سمعته فوضع إصبعيه على أذنيه فقال: نعم وإلا فاستكتا (ورواه) في أسد الغابة بسنده عن سعيد عن عامر عن أبيه نحوه (ورواه) النسائي في الخصائص بسنده عن سعيد عن عامر بن سعد عن سعد مثله بتفاوت يسير (وروى) مسلم في صحيحه بسنده عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال: خلف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في غزوة تبوك فقال: يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان فقال: **«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي»**.

المقام الثاني إثبات دلالته على المطلوب

من القواعد المسلمة أن الاستثناء دليل العموم فيما عدا المستثنى فقوله: إلا أنه لا نبي بعدي يدل على عموم المنزلة وهارون كان وزيراً لموسى وشريكاً له في النبوة ولو عاش بعد موسى لكان خليفة له لكنه مات في حياته فعلي له منزلة هارون عدا المشاركة في النبوة وحيث أنه بقي بعد النبي ﷺ فيكون خليفة له وتنتفي عنه صفة النبوة خاصة.

(لا يقال) هارون كان خليفة موسى عليهما السلام على قومه في حياته مدة غيابه كما حكاه الله تعالى بقوله: اخلفني في قومي وعلي عليه السلام خلفه على أهله وعلى المدينة في حياته مدة غيابه ولذلك قال له: **«أنت مني بمنزلة هارون من موسى»** أي كما أن موسى خلف هارون على قومه في حياته مدة غيابه فأنا خلفتك على أهلي في حياتي مدة غيابي وأين هذا من الإمامة والخلافة العامة.

(لأنا نقول) ينافي التخصيص بذلك الاستثناء الدال على عموم المنزلة كما مر فهو دال على أن لعلي من النبي جميع ما كان لهارون من موسى عدا النبوة.

قال المفيد في الإرشاد: تضمن هذا القول من رسول الله ﷺ نصه عليه بالإمامة وإبانته من الكافة بالخلافة ودل به على فضل لم يشركه فيه أحد سواه

وأوجب له به جميع منازل هارون من موسى إلا ما خصه العرف واستثناه هو من النبوة ألا ترى أنه جعل له كافة منازل هارون من موسى إلا المستثنى منها لفظاً (وهو النبوة) وعقلاً وهو الأخوة وقد علم من تأمل معاني القرآن وتصفح الروايات والأخبار أن هارون كان أخا موسى لأبيه وأمه وشريكه في أمره ووزيره على نبوته وتبليغه رسالات ربه وأن الله سبحانه شد به إزره وأنه كان خليفته على قومه وكان له من الإمامة عليهم وفرض الطاعة كإمامته وفرض طاعته وأنه كان أحب قومه إليه وأفضلهم لديه قال الله عز وجل حاكياً عن موسى ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي * وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُواْ قَوْلِي * وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَٰرُونَ أَخِي * ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا *وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ فأجاب الله تعالى مسألته وأعطاه سؤله في ذلك وأمنيته حيث يقول: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ وقال تعالى حاكياً عن موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ فلما جعل رسول الله ﷺ علياً منه بمنزلة هارون من موسى أوجب له بذلك جميع ما عددناه إلا ما خصه العرف من الأخوة واستثناه من النبوة لفظاً وهذه فضيلة لم يشرك فيها أحد أمير المؤمنين ولا ساواه في معناه ولا قاربه فيها على حال.

سيرته متتالية متتابعة من ولادته إلى شهادته ـ نشأته وتربيته

نشأ علي عليه السلام في حجر رسول الله ﷺ وتأدب بآدابه وربي بتربيته وذلك أنه لما ولد أحبه رسول الله ﷺ حباً شديداً وقال لأمه اجعلي مهده بقرب فراشي وكان يلي أكثر تربيته ويطهره في وقت غسله ويوجره اللبن عند شربه ويحرك مهده عند نومه ويناغيه في يقظته ويحمله على صدره، وكان يحمله دائماً ويطوف به جبال مكة وشعابها وأوديتها ـ كأنه يفعل ذلك ترويحاً له ـ وفي ذلك يقول المؤلف من قصيدة:

وربيت في حجر النبي محمد ... فطوبى لمن من أحمد ضمه حجر

وغذاك بالعلم الإلهي ناشئاً ... فلا علم إلا منك قد حاطه خبر

بـآدابـه أدبـت طـفـلاً ويـافـعـاً وأكسبنـك الأخـلاق أخلاقـه الـغـر

وفي بعض السنين أصاب أهل مكة جدب شديد وكان أبو طالب كثير العيال قليل المال فاجتمع النبي ﷺ وحمزة والعباس فقالوا إن أبا طالب كثير العيال فهلموا نخفف عنه فقال لهم أبو طالب ما أبقيتم لي عقيلاً فخذوا من شئتم فأخذ النبي ﷺ علياً وأخذ حمزة جعفراً وأخذ العباس طالباً وأبقى أبو طالب عنده عقيلاً لميله إليه ـ ولعل ذلك كان لضعف عقيل ـ وفي ذلك يقول المؤلف من قصيدة:

أتـت سـنـة شـهـبـاء أصـبـح عـنـدهـا أبـو طـالـب قـد حـل سـاحـتـه الـفـقـر
فـقـالـوا دعـونـا نـكـفـه بـعـض ولـده مـسـاعـدة فـالـحـر يـسـعـده الـحـر
خذوا من أردتـم إن تـركـتـم بـجـانـبـي عـقـيـلاً فـلـي فـي حـبـه مـنـكـم عـذر
لأحـمـد أعـطـيـنـا عـلـيـاً وجـعـفـراً لـحـمـزة والـعـبـاس طـالـب فـلـيـدروا

وقد كان علي عليه السلام يلازم رسول الله ﷺ وهو يتحنث في غار حراء كل سنة قبل النبوة. قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: قد ورد في الكتب الصحاح أن النبي ﷺ كان يجاور في حراء من كل سنة شهراً حتى جاءت السنة التي أكرمه الله فيها بالرسالة فجاور في حراء شهر رمضان ومعه أهله خديجة وعلي بن أبي طالب وخادم لهم «الحديث».

فلم يزل علي مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله بالنبوة فكان أول من آمن به واتبعه وصدقه، وقال ابن حجر في الاصابة: ربي في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك. وفي أسد الغابة: كان مما أنعم الله به على علي أنه ربي في حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام (وقال) هاجر إلى المدينة وشهد بدراً وأحداً والخندق وبيعة الرضوان وجميع المشاهد مع رسول الله ﷺ إلا تبوك وله في الجميع بلاء عظيم وأثر حسن «اهـ» ولم يكن لأحد غيره في تلك المشاهد مثل أثره. ومر عند ذكر فضائله ما ينبغي أن يراجع.

ما جرى عند نزول «وأنذر عشيرتك الأقربين»

قد مر ذلك مفصلاً في الجزء الثاني في السيرة النبوية وفي هذا الجزء عند ذكر مناقبه وفضائله وذكرنا الأحاديث الواردة في ذلك بأسانيدها ونعيد ذكره هنا ببعض الروايات وإن لزم بعض التكرار لتكون أخباره عليه السلام متتابعة متتالية بحسب السنين ونقتصر من ذلك على ما ذكره المفيد في الإرشاد في جملة كلام له في ذلك مر عند ذكر مناقبه وفضائله قال: وذلك في حديث الدار الذي أجمع على صحته نقلة الآثار حين جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب في دار أبي طالب وهم أربعون رجلاً يومئذ يزيدون رجلاً أو ينقصون رجلاً فيما ذكره الرواة وأمره أن يصنع لهم طعاماً فخذ شاة مع مد من البر ويعد لهم صاعاً من اللبن وقد كان الرجل منهم معروفاً يأكل الجذعة[١] في مقام واحد ويشرب الفرق[٢] من الشراب. في ذلك المقعد فأراد عليه السلام بإعداد قليل الطعام والشراب لجماعتهم إظهار الآية في شبعهم وريهم مما كان لا يشبع واحداً منهم ولا يرويه ثم أمر بتقديمه لهم فأكلت الجماعة كلها من ذلك اليسير حتى تملوا منه ولم يبن ما أكلوه منه وشربوه فيه، فبهرهم بذلك وبين لهم آية نبوته وعلامة صدقه ببرهان الله تعالى فيه، ثم قال لهم بعد أن شبعوا من الطعام ورووا من الشراب يا بني عبد المطلب إن الله بعثني إلى الخلق كافة وبعثني إليكم خاصة فقال: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان تملكون بهما العرب والعجم وتنقاد لكم بهما الأمم وتدخلون بهما الجنة وتنجون بهما من النار شهادة أن لا إله إلا الله وإني رسول الله فمن يجيبني إلى هذا الأمر ويوازرني عليه يكن أخي ووصيي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي؟ فلم يجبه أحد منهم، فقال أمير المؤمنين: فقمت بين يديه من بينهم وأنا إذ ذاك أصغرهم سناً وأحمشهم ساقاً وأرمصهم عيناً فقلت: أنا يا رسول الله أوازرك على هذا الأمر فقال: اجلس ثم أعاد القول على القوم ثانية فأصمتوا فقمت وقلت مثل

---

(١) الجذعة بالتحريك الأنثى من المعز والغنم وهي قبل الثني.

(٢) الفرق مكيال كبير.

مقالتي الأولى فقال: اجلس ثم أعاد القول على القوم ثالثة فلم ينطق أحد منهم بحرف فقمت وقلت: أنا أوازرك يا رسول الله على هذا الأمر فقال: اجلس فأنت أخي ووصيي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي. فنهض القوم وهم يقولون لأبي طالب يا أبا طالب ليهنئك اليوم إن دخلت في دين ابن أخيك فقد جعل ابنك أميراً عليك «اهـ».

نصره النبي ﷺ في صغره

كان علي عليه السلام في صغره يدافع عن النبي ﷺ فقد كانت قريش لا تستطيع أذاه لمكان عمه أبي طالب فكانوا يغرون به صبيانهم فيرمونه بالحجارة والتراب إذا خرج وليس من شأن أبي طالب أن يتبع الصبيان يذودهم عنه، ولكن النبي ﷺ أخبر بذلك صبياً مثلهم هو من أبطال الصبيان يستطيع أن يتبعهم ويذودهم وهو ابن عمه علي بن أبي طالب فذودهم أن لم يكن من شأن أبيه فهو من شأن صبي مثلهم هو بطل في صباه كما هو بطل في شبابه وفي كهولته وفي شيخوخته. روى علي بن إبراهيم بن هاشم القمي بسنده عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن معنى قول طلحة بن أبي طلحة العبدري لما برز إليه علي عليه السلام يوم أحد فسأله طلحة من أنت يا غلام قال أنا علي بن أبي طالب فقال قد علمت يا قضيم أنه لا يجسر علي أحد غيرك، ما معنى قوله يا قضيم فقال: إن رسول الله ﷺ كان بمكة لم يجسر عليه أحد لمكان أبي طالب وأغروا به الصبيان فكان إذا خرج يرمونه بالحجارة والتراب فشكا ذلك إلى علي عليه السلام فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله إذا خرجت فأخرجني معك فخرج معه فتعرض له الصبيان كعادتهم فحمل عليهم علي عليه السلام وكان يقضمهم في وجوههم وآنافهم وآذانهم فكان الصبيان يرجعون باكين إلى آبائهم ويقولون قضمنا علي فسمي لذلك القضيم، وفي ذلك يقول المؤلف من قصيدة علوية:

أبوك حمى الهادي فأصبح جهدهم	لصبيانهم بالمصطفى الطهر أن يغروا
حملت على صبيانهم فقضمتهم	فعادوا إلى الأهلين باكين قد فرُّوا
لذلك سموك القضيم وإنما	لأعناقهم من حد صارمك البتر

فداؤه النبي ﷺ بنفسه في صغره

وكان علي عليه السلام يفدي النبي ﷺ بنفسه وينيمه أبوه أبو طالب في مرقد رسول الله ﷺ خوفاً على النبي من البيات ويعرضه للقتل والاغتيال ويوطن علي نفسه على ذلك، قال ابن أبي الحديد: قرأت في أمالي أبي جعفر محمد بن حبيب قال كان أبو طالب كثيراً ما يخاف على رسول الله ﷺ البيات إذا عرف مضجعه وكان يقيمه ليلاً من منامه ويضجع ابنه علياً مكانه، فقال له علي ليلة يا أبت إني مقتول فقال له أبو طالب:

اصبرن يا بني فالصبر أحجى	كل حي مصيره لشعوب
قد بذلناك والبلاء شديد	لفداء الحبيب وابن الحبيب
لفداء الأغر ذي الحسب الثا	قب والباع والكريم النجيب
إن تصبك المنون فالنبل تبرى	فمصيب منها وغير مصيب
كل حي وإن تملى بعمر	آخذ من مذاقها بنصيب[1]

إسلامه

كان علي عليه السلام أول من آمن بالنبي ﷺ واتبعه من جميع الخلق، بعث النبي ﷺ يوم الاثنين وأسلم علي يوم الثلاثاء ثم أسلمت خديجة، وبعضهم يروي أن خديجة أسلمت قبل علي، وأصحابنا يروون أن علياً أسلم قبل خديجة ويدل عليه قول أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطب النهج: اللهم إني أول من أناب وسمع وأجاب لم يسبقني إلا رسول الله ﷺ بالصلاة، وهو الموافق للاعتبار فإن رسول الله ﷺ مع حاله المعلومة مع علي لم يكن ليقدم في الدعوة إلى الإسلام أحداً على علي حتى خديجة مع مكانتها منه. وكيف كان فلا ريب

---

(١) في نسخة الأبيات الثلاثة هكذا:

قد بذلناك والبلاء شديد	لفداء النجيب وابن النجيب
لفداء الأغر ذي الحسب الثا	قب والباع والفناء الرحيب
كل حي وإن تطاول عمراً	آخذ من سهامه بنصيب

في أن إسلامهما في زمان متقارب كما لا ريب في أن أول الناس إسلاماً من الذكور علي ومن النساء خديجة، ولا شك أنه لما كان النبي ﷺ يتحنث أي يختلي للعبادة في غار حراء كان علي (ع) يحمل إليه الزاد والماء من بيت خديجة إن لم يحمله الخادم. وفي الاستيعاب عن عفيف الكندي قال: كنت امرأ تاجراً فقدمت للحج فأتيت العباس بن عبد المطلب لأبتاع منه بعض التجارة وكان امرأ تاجراً فإني لعنده بمنى إذ خرج رجل من خباء قريب منه فنظر إلى الشمس فلما رآها قد مالت قام يصلي ثم خرجت امرأة من ذلك الخباء الذي خرج منه ذلك الرجل فقامت خلفه تصلي ثم خرج غلام قد راهق الحلم من ذلك الخباء فقام معهما يصلي فقلت للعباس: من هذا يا عباس؟ قال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي، قلت: من هذه المرأة؟ قال: هذه امرأته خديجة بنت خويلد، قلت: من هذا الفتى؟ قال: علي بن أبي طالب ابن عمه، قلت: ما هذا الذي يصنع؟ قال: يصلي، وهو يزعم أنه نبي ولم يتبعه فيما ادعى إلا امرأته وابن عمه هذا الغلام، وهو يزعم أنه ستفتح عليه كنوز كسرى وقيصر، وكان عفيف يقول ـ وقد أسلم بعد ذلك ـ لو كان الله رزقني الإسلام يومئذ فأكون ثانياً مع علي، قال وقد ذكرنا هذا الحديث من طرق في باب عفيف الكندي «اهـ». ورواه النسائي في الخصائص بسنده عن عفيف قال: جئت في الجاهلية إلى مكة وأنا أريد أن أبتاع لأهلي من ثيابها وعطرها فأتيت العباس بن عبد المطلب وذكر نحوه إلا أنه قال: فأنا عنده جالس حيث أنظر إلى الكعبة وقال: فقلت: يا عباس أمر عظيم قال العباس: أمر عظيم تدري من هذا الشاب الخ ثم قال إن ابن أخي هذا أخبرني أن ربه رب السماء والأرض أمره بهذا الدين الذي هو عليه ولا والله ما على الأرض كلها أحد على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة «اهـ». ومر في مناقبه وفضائله زيادة شرح لهذا.

مبلغ سنه وقت إسلامه

قيل أسلم وهو ابن عشر سنين رواه الحاكم في المستدرك بسنده عن محمد بن إسحق وهو المطابق لقول من قال إنه ولد بعد مولد النبي ﷺ بثلاثين

سنة وقبل البعثة بعشر سنين فإن النبي ﷺ كان عمره يوم بعث أربعين سنة ومطابق للقول بأنه عاش ثلاثاً وستين سنة. فإنه استشهد سنة أربعين وتوفي النبي ﷺ سنة عشر أو إحدى عشرة وعاش هو بعد النبي ثلاثين سنة فإذا أضيفت إلى ثلاث وعشرين سنة أقامها بمكة والمدينة بعد البعثة كانت ثلاث وخمسين فإذا أضيف إليها عشر قبل البعثة كان ثلاثاً وستين. وقال المفيد في الإرشاد: أقام بعد البعثة ثلاثاً وعشرين سنة منها ثلاث عشرة سنة بمكة قبل الهجرة وعشر سنين بعد الهجرة بالمدينة وتوفي النبي ولأمير المؤمنين ثلاث وثلاثين سنة «اهـ». فعلى هذا يكون عمره يوم أسلم عشر سنين. وقيل أسلم وهو ابن إحدى عشرة سنة وهو الذي صححه أبو الفرج الأصبهاني في مقاتل الطالبين وهو المروي عن مجاهد وقيل اثنتي عشرة سنة بناء على أنه عاش خمساً وستين سنة كما سيأتي، اثنتي عشرة قبل البعثة وثلاثاً وعشرين بعد البعثة إلى وفاة النبي ﷺ وثلاثين بعد وفاة النبي ﷺ وقيل ثلاث عشرة سنة، في الاستيعاب هو أصح ما قيل وقد روي عن ابن عمر من وجهين جيدين «اهـ» وقيل خمس عشرة سنة رواه الحاكم في المستدرك بسنده عن قتادة عن الحسن ثم قال وهذا الإسناد أولى من الإسناد الأول. يعني الذي رواه عن محمد بن إسحق. ورواه في أسد الغابة بسنده عن الحسن وغيره قال: أول من أسلم علي بعد خديجة وهو ابن خمس عشرة سنة «اهـ». وقيل ابن ست عشرة سنة حكاه الحاكم في المستدرك ثم روى بسنده عن ابن عباس وقال: صحيح على شرط الشيخين أن رسول الله ﷺ دفع الراية إلى علي يوم بدر وهو ابن عشرين سنة. قال الذهبي في تلخيص المستدرك: هذا نص على أنه أسلم وله أقل من عشر سنين بل نص في أنه أسلم وهو ابن سبع سنين أوثمان وهو قول عروة «اهـ» (أقول) بل يلزم كونه ابن خمس سنين ونصف تقريباً لأن النبي ﷺ أقام بمكة بعد البعثة نحو ثلاث عشرة سنة وكانت بدر على رأس تسعة عشر شهراً من مهاجره فهذه نحو أربع عشر سنة ونصف فإذا أضيف إليها خمس سنين ونصف كانت عشرين. وروى ابن عبد البر في الاستيعاب عن السراج في تاريخه بسنده عن ابن عباس قال: دفع رسول الله ﷺ الراية يوم بدر

إلى علي وهو ابن عشرين سنة، وتدل خطبته حين بلغه غارة الغامدي على الأنبار أنه باشر الحرب وهوابن عشرين سنة. وقال في خطبة له يحث فيها على الجهاد: لقد نهضت فيها (أي الحرب) وما بلغت العشرين «اهـ» ولا يبعد أن يريد بمباشرته الحرب ما كان منه يوم هجرته ولحوق الفوارس الثمانية به وقتله مقدمهم جناحاً فإن ذلك أول مباشرته الحرب وأول ظهور شجاعته العظيمة لا حرب بدر المتأخرة عن ذلك تسعة عشر شهراً وإن كانت هي أول وقائعه العظمى فيكون عمره على هذا يوم أسلم سبع سنين فإذا أضيف إليها ثلاث عشرة سنة أقامها بمكة إلى حين هجرته كانت عشرين. وفي بعض الروايات أنه كان عمره يوم بدر ثلاثاً وعشرين سنة وفي بعضها أربعاً وعشرين وفي بعضها خمساً وعشرين، ولعل القول بأن عمره يوم أسلم إحدى عشرة سنة مبني على أنه كان يوم بدر ابن خمس وعشرين أو ست وعشرين بأن تكون التسعة عشر شهراً حسبت سنة وترك الزائد أو حسبت سنتين وألغي الناقص، وكذلك القول بأن عمره يوم أسلم اثنتي عشرة سنة يمكن تطبيقه على أنه كان يوم بدر ابن ست عشرة بحساب التسعة عشر شهراً سنة واحدة، أما القول بأنه أسلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة أو خمس عشرة أو ست عشرة فهو يقتضي أن يكون عمره يوم بدر فوق سبع وعشرين أو تسع وعشرين أو ثلاثين والله أعلم.

ملازمته النبي ﷺ

ولم يزل علي في صحبة النبي ﷺ ملازماً له فأقام مع النبي ﷺ بعد البعثة ثلاثاً وعشرين سنة منها ثلاث عشرة سنة بمكة قبل الهجرة مشاركاً له في محنه كلها متحملاً عنه أكثر أثقاله، وعشر سنين بالمدينة بعد الهجرة يكافح عنه المشركين ويجاهد دونه الكافرين ويقيه بنفسه من أعدائه في الدين وقتل الأبطال وضرب بالسيف بين يدي رسول الله ﷺ وعمره بين العشرين والثلاث والعشرين سنة إلى الخمس والعشرين.

في حصار الشعب

ويوم حصار الشعب الذي دخل فيه بنو هاشم خوفاً من قريش وحصروهم

فيه كان علي معهم ولا شك أن أباه كان ينيمه أيضاً في مرقد النبي ﷺ لأن ذلك من أشد أيام الخوف عليه من البيات وقد يسأل سائل لما اختص أبو طالب ابنه علياً بأن يبيته في مضجع النبي ﷺ حين يقيمه منه مع أنه أصغر أولاده وطالب وعقيل وجعفر أكبر منه فهم أولى بأن ينيم واحداً منهم في مضجع النبي ﷺ والجواب على هذا السؤال لا يحتاج إلى كثير تفكير فهو على صغر سنه أثبتهم جناناً وأشجعهم قلباً وأشدهم تهالكاً في حب ابن عمه وإن كان لجعفر المقام السامي في ذلك لكنه لا يصل إلى رتبة أخيه علي.

خبره مع أبي ذر عند إسلامه

رواه صاحب الاستيعاب بسنده عن ابن عباس في حديث طويل سيأتي في ترجمة أبي ذر في الجزء السادس عشر، وفيه أن أبا ذر لما بلغه مبعث النبي ﷺ قدم مكة فأتى المسجد فالتمس النبي ﷺ ولا يعرفه وكره أن يسأل عنه حتى أدركه الليل فاضطجع، فرآه علي بن أبي طالب فقال: كأن الرجل غريب قال: نعم قال انطلق إلى المنزل قال: فانطلقت معه لا يسألني عن شيء ولا أسأله، فلما أصبحت رجعت إلى المسجد فبقيت يومي حتى أمسيت وسرت إلى مضجعي فمر بي علي فقال: أما آن للرجل أن يعرف منزله؟ فأقامه وذهب به معه وما يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى إذا كان اليوم الثالث فعل مثل ذلك فأقامه علي معه ثم قال له: ألا تحدثني ما الذي أقدمك هذا البلد؟ قال: إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني فعلت، ففعل فأخبره علي أن محمداً ﷺ نبي وإن ما جاء به حق وأنه رسول الله وقال: فإذا أصبحت فاتبعني فإني إن رأيت شيئاً أخاف عليك قمت كأني أريق الماء فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل معي مدخلي فانطلقت أقفوه حتى دخل على رسول الله ﷺ (الحديث) ويدلنا هذا الحديث على جود علي عليه السلام وكرم أخلاقه وحسن أدبه وشدة حنوه على الغريب والضعيف ومسارعته إلى إقراء الضيف فإنه لما رآه وعلم أنه غريب دعاه إلى منزله وأضافه وقراه ولم يسأله عن شيء وذلك من حسن الأدب مع الضيف ولما رآه في الليلة الثانية عاتبه على عدم رجوعه إلى منزل ضيافته وبقائه في المسجد وأقامه معه ولم يسأله عن

شيء إلا في الليلة الثالثة بعدما أنس أبو ذر به وارتفعت عنه وحشة الغربة وقضى أيام الضيافة التي هي ثلاثة وربما يكون قد توسم فيه أنه جاء لينظر في الإسلام وقد يكون مانعهما عن السؤال شدة الخوف. وسوق الحديث يدل على أن الخوف من قريش كان شديداً فهو حين أراد أن يذهب به إلى رسول الله ﷺ خاف عليه أن يراه أحد معه فيظن أنه ذهب ليسلم فينال أبا ذر من ذلك أذى شديداً فقال له أنه إذا رأى أحداً يخافه عليه جلس وتعلل بأنه يريد أن يبول ولا يعرف من يراه أن أبا ذر معه وأوصاه أنه إذا رآه قد مضى اتبعه بدون أن يلتفت إليه ولا يشير إليه لئلا يراه أحد فيعرف أنه سائر معه. وكأن أبا ذر وقع في قلبه من ذلك اليوم حب علي فساعده التوفيق على أن تولاه وشايعه طول حياته.

صعوده على منكب النبي ﷺ وإلقاؤه الصنم عن الكعبة

روى الحاكم في المستدرك بسنده عن علي بن أبي طالب قال: انطلق بي رسول الله ﷺ حتى أتى بي الكعبة فقال لي: اجلس فجلست إلى جنب الكعبة فصعد رسول الله ﷺ بمنكبي ثم قال لي: انهض فنهضت فلما رأى ضعفي تحته قال لي: اجلس فنزلت وجلست ثم قال لي: يا علي اصعد على منكبي فصعدت على منكبيه ثم نهض بي فلما نهض بي خيل لي لو شئت نلت أفق السماء، فصعدت فوق الكعبة وتنحى رسول الله ﷺ فقال لي: الق صنمهم الأكبر صنم قريش وكان من نحاس موتداً بأوتاد من حديد إلى الأرض فقال لي: عالجه وهو يقول لي: «**إيه إيه جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً**»، فلم أزل أعالجه حتى استمكنت منه فقال اقذفه فقذفته فتكسر وترديت من فوق الكعبة فانطلقت أنا والنبي ﷺ نسعى وخشينا أن يرانا أحد من قريش وغيرهم قال علي: فما صعد به حتى الساعة. قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ـ البخاري ومسلم ـ.

وصية أبيه له عند وفاته

ولما حضرت أبا طالب الوفاة أوصى ابنيه علياً وجعفراً وأخويه حمزة

وعباس بنصره فقاموا به أحسن قيام لا سيما علي وحمزة وجعفر، وفي ذلك يقول أبو طالب من أبيات مرت في الجزء الثاني:

أوصي بنصر النبي الخير مشهده عليّاً ابني وعم الخير عباسا
وحمزة الأسد المخشي جانبه وجعفراً أن تذودوا دونه الناسا

وفي جمع علي معهم بل تقديمه عليهم وهو غلام صغير وأخوه جعفر أكبر منه والآخران عماه وهما أسن منه دليل كاف على ما كان يتوسمه أبو طالب في ابنه علي من مخايل الشجاعة والرجولة والبأس والنجدة وأنه سيكون خير ناصر للنبي ﷺ وأعظم محام عنه ومؤازر له وما أخطأت فراسته فيه بل أصابت فكان عند فراسته فيه بأقصى حد يتصور.

ما جرى له عند وفاة أبي طالب

ولما توفي أبو طالب ومر الخلاف في سنة وفاته في الجزء الثاني، جاء علي إلى النبي ﷺ فأعلمه بوفاته فحزن عليه حزناً شديداً وأمر علياً بتغسيله واعترض جنازته وأثنى عليه وحلف ليستغفرن له وليشفعن فيه شفاعة يعجب لها الثقلان. روى السيد فخار بن معد الموسوي من أهل المائة السابعة في كتابه الذي ألفه في إسلام أبي طالب أن أبا طالب لما مات جاء علي عليه السلام إلى النبي ﷺ فآذنه بموته فتوجع عظيماً وحزن شديداً ثم قال: امض فتول غسله فإذا رفعته على سريره فاعلمني. ففعل فاعترضه رسول الله ﷺ وهو محمول على رؤوس الرجال فقال له: وصلتك رحم يا عم وجزيت خيراً فلقد ربيت وكفلت صغيراً ونصرت وآزرت كبيراً ثم تبعه إلى حفرته فوقف عليه فقال: أما والله لأستغفرن لك ولأشفعن فيك شفاعة يعجب لها الثقلان «اه». أما ما رووه أن علياً عليه السلام جاء إلى رسول الله ﷺ بعد موت أبي طالب فقال له: إن عمك الضال قد قضى فما الذي تأمرني فيه، فلا يقبله عقل عاقل فإن أبا طالب لو فرض محالاً أنه مات كافراً لم يكن علي ليواجه رسول الله ﷺ في حقه بهذا الكلام الخشن الجافي الذي لا يصدر إلا من أجلاف الناس ومن ليس عنده شيء

من كرم الأخلاق، وحاشا علياً أن يكون كذلك وكيف يواجهه بهذا الكلام في حق عمه الذي رباه ونصره وتحمل المشاق العظيمة في نصرته ومع ذلك هو أبوه وهل يستجيز عاقل أن يقول رجل من أدنى الناس مثل هذا الكلام في حق أبيه فضلاً عن علي بن أبي طالب في أخلاقه السامية.

الهجرة إلى الطائف

روى الطبري في تاريخه:

أنه لما مات أبو طالب طمعت قريش في رسول الله ﷺ ونالت منه ما لم تكن تناله في حياة أبي طالب، فخرج من مكة إلى الطائف وذلك في شوال من سنة عشر من الهجرة فأقام بالطائف عشرة أيام وقيل شهراً فدعاهم إلى الإسلام فلم يجيبوه وأغروا به سفهاءهم وكان معه زيد بن حارثة، قال ابن أبي الحديد: والشيعة تروي أنه كان معه علي بن أبي طالب أيضاً. أقول: وهو الصواب فإن علياً لم يكن ليفارقه في مثل هذه الحال كما لم يفارقه في غيرها، ولم يكن ليرغب بنفسه عنه.

ليلة الغار ومبيت علي في الفراش

وكما فدا أبو طالب النبي ﷺ بولده علي فكان يقيم النبي من مرقده خوفاً عليه من اغتيال المشركين وينيم ولده علياً مكانه ليكون فداء له لو قصده المشركون باغتيال كما مر، كذلك فدا علي النبي ﷺ بنفسه بعد وفاة أبيه فنام على فراش النبي ﷺ ليلة الغار وفداه بنفسه وسن له أبوه في حياته في المحافظة على النبي ﷺ إلى حد الفداء بالنفس سنة اتبعها علي بعد وفاة أبيه ووطن نفسه عليها واستهان بالموت في سبيلها، وذلك أن قريشاً ائتمرت برسول الله ﷺ في دار الندوة لما أعياهم أمره ورأوا دعوته لا تزداد إلا انتشاراً فأجمع رأيهم على اغتياله ليلاً وهو في فراشه وانتخبوا من قبائلهم العشر من كل قبيلة رجلاً شجاعاً ليهجموا عليه ليلاً فيقتلوه ويضيع دمه في القبائل ويرضى قومه بالدية، ومر ذلك مفصلاً في الجزء الثاني في السيرة النبوية ونعيد هنا جملة مما ذكرناه هناك مما

يتعلق بعلي عليه السلام وإن لزم بعض التكرار ثم نتبعه ببعض ما ورد من الروايات مما لم نذكره هناك: فنقول:

روى الشيخ الطوسي في أماليه بسنده ورواه غيره أنه لما اشتد البلاء على المؤمنين بمكة من المشركين أذن لهم النبي ﷺ بالهجرة إلى المدينة فهاجروا فلما رأى ذلك المشركون اجتمعوا في دار الندوة وائتمروا في رسول الله ﷺ فقال العاص بن وائل وأمية بن خلف نبني له بنياناً نستودعه فيه حتى يموت (فقال) صاحب رأيهم لئن صنعتم ذلك ليسمعن الحميم والمولى الحليف ثم لتأتين المواسم والأشهر الحرم بالأمن فلينتزعن من أيديكم (فقال) عتبة وأبو سفيان نرحل بعيراً صعباً ونوثق محمداً عليه ثم نقصع البعير بأطراف الرماح فيقطعه أرباً أرباً (فقال) صاحب رأيهم: أرأيتم إن خلص به البعير سالماً إلى بعض الأفاريق فأخذ بقلوبهم بسحره وبيانه فصبا القوم إليه واستجابت القبائل له فيسيرون إليكم بالكتائب والمقانب فلتهلكن كما هلكت أياد (فقال) أبو جهل: لكني أرى لكم رأياً سديداً وهو أن تعمدوا إلى قبائلكم العشر فتنتدبوا من كل قبيلة رجلاً نجداً ثم تسلحوه حساماً عضباً حتى إذا غسق الليل أتوا ابن أبي كبشة فقتلوه فيذهب دمه في قبائل قريش فلا يستطيع بنو هاشم وبنو المطلب مناهضة قريش فيرضون بالدية (فقال) صاحب رأيهم: أصبت يا أبا الحكم هذا هو الرأي فلا تعدلوا به رأياً وكموا في ذلك أفواهكم، فسبقهم الوحي بما كان من كيدهم وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ فدعا رسول الله ﷺ علياً عليه السلام وأخبره بذلك وقال له أوحى إلي ربي أن أهجر دار قومي وأنطلق إلى غار ثور تحت ليلتي هذه وأن آمرك بالمبيت على فراشي ليخفى بمبيتك عليهم أمري، واشتمل ببردي الحضرمي (وكان له برد حضرمي أخضر أو أحمر ينام فيه) ثم ضمه النبي ﷺ إلى صدره وبكى وجدا به فبكى علي جزعاً لفراق رسول الله ﷺ.

وفي أسد الغابة:

بسنده عن ابن إسحق قال: أقام رسول الله ﷺ ينتظر الوحي بالأذن له في الهجرة إلى المدينة حتى إذا اجتمعت قريش فمكرت بالنبي ﷺ فدعا علي بن أبي طالب فأمره أن يبيت على فراشه ويستجى ببرد له أخضر ففعل ثم خرج رسول الله ﷺ على القوم وهم على بابه، قال ابن إسحق وتتابع الناس في الهجرة وكان آخر من قدم المدينة من الناس ولم يفتن في دينه علي بن أبي طالب، وذلك أن رسول الله ﷺ أخره بمكة وأحله ثلاثاً وأمره أن يؤدي إلى كل ذي حق حقه ففعل ثم لحق برسول الله ﷺ ثم روى بسنده عن أبي رافع في هجرة النبي ﷺ أنه خلف علياً يخرج إليه بأهله وأمره أن يؤدي عنه أمانته ووصايا من كان يوصي إليه وما كان يؤتمن عليه من مال فأدى علي أمانته كلها وأمره أن يضطجع على فراشه ليلة خرج وقال إن قريشاً لا يفقدوني ما رأوك فاضطجع على فراشه وكانت قريش تنظر إلى فراش النبي ﷺ فيرون عليه علياً فيظنونه النبي ﷺ حتى إذا أصبحوا رأوا عليه علياً فقالوا لو خرج محمد لخرج بعلي معه فحبسهم الله بذلك عن طلب النبي ﷺ حين رأوا علياً.

وفي مبيت علي عليه السلام على الفراش ليلة الغار يقول شاعر أهل البيت الحاج هاشم بن الحاج حردان الكعبي من قصيدة علوية حسينية:

ومواقف لك دون أحمد جاوزت	بمقامك التعريف والتحديدا
فعلى الفراش مبيت ليلك والعدى	تهدي إليك بوارقاً ورعودا
فرقدت مثلوج الفؤاد كأنما	يهدي القراع لسمعك التغريدا
فكفيت ليلته وقمت معارضاً	بالنفس لا فشلاً ولا رعديدا
واستصبحوا فرأوا دوين مرادهم	جبلاً أشم وفارساً صنديدا
رصدوا الصباح لينفقوا كنز الهدى	أو ما دروا كنز الهدى مرصودا

وفي ذلك يقول المؤلف أيضاً من قصيدة:

وما زلت للمختار ردءاً وناصراً	صبياً وكهلاً ما استمر به العمر
ففي ليلة الغار التي شاع ذكرها	وكان لجمع من قريش بها مكر

أباتك خير الخلق فوق فراشه	تقيه الردى ما مسك الخوف والذعر
إلى غار ثور قد مضى مع صاحب	له وهم جائون بالباب لم يدروا
بقوا يرقبون الفجر كي يفتكوا به	وقد خابت الآمال مذ طلع الفجر
رأوا نائماً في برده متلفعاً	وظنوا النبي المصطفى فيه فاغتروا
من الباب إسراعاً إليك تواثبوا	فلما رأوا ليث الشرى دونهم فروا
قبضت بكف العزم ساعد خالد	فأبدى قماصاً مثلما تقمص البكر
لك الفخر يوم الغار دون مشارك	وفي كل مسعاة لك الفخر والذكر

وفيه يقول السيد الحميري في قصيدته المذهبة:

باتوا وبات على الفراش ملفعاً	ويرون أن محمداً لم يذهب
حتى إذا طلع الشميط كأنه	في الليل صفحة خد أدهم مغرب
ثاروا لأخذ أخي الفراش فصادفت	غير الذي طلبت أسف الخيب
فتراجعوا لما رأوه وعاينوا	أسد الإله وعصبوا في منهب

ثم قال الشيخ الطوسي في تتمة الخبر السابق: وأمر رسول الله ﷺ أبا بكر وهند بن أبي هالة أن يقعدا له بمكان ذكره لهما ولبث مع علي يوصيه ويأمره بالصبر حتى صلى العشاءين ثم خرج في فحمة العشاء الآخرة والرصد من قريش قد أطافوا بداره ينتظرون إلى أن ينتصف الليل حتى أتى إلى أبي بكر وهند فنهضا معه حتى وصلا إلى الغار فدخلا الغار ورجع هند إلى مكة لما أمره به رسول الله ﷺ فلما أغلق الليل أبوابه وانقطع الأثر أقبل القوم على علي يقذفونه بالحجارة ولا يشكون أنه رسول الله، حتى إذا قرب الفجر هجموا عليه وكانت دور مكة يومئذ لا أبواب لها، فلما بصر بهم علي قد انتضوا السيوف وأقبلوا بها إليه أمامهم خالد بن الوليد وثب علي فهمز يده فجعل خالد يقمص قماص البكر ويرغو رغاء الجمل وأخذ سيف خالد وشد عليهم به فأجفلوا أمامه إجفال النعم إلى ظاهر الدار وبصروه فإذا هو علي فقالوا: إنا لم نردك فما فعل صاحبك؟ قال: لا علم لي به. وأمهل علي حتى إذا اعتم من الليلة القابلة انطلق هو

وهند بن أبي هالة حتى دخلا على رسول الله ﷺ في الغار فأمر رسول الله هنداً أن يبتاع له ولصاحبه بعيرين فقال صاحبه: قد أعددت لي ولك يا نبي الله راحلتين فقال: إني لا آخذهما ولا إحداهما إلا بالثمن قال: فهما لك بذلك، فأمر علياً فأقبضه الثمن ثم وصى علياً بحفظ ذمته وأداء أمانته، وكانت قريش تدعو محمداً ﷺ في الجاهلية الأمين وتودعه أموالها وكذلك من يقدم مكة من العرب في الموسم، وجاءته النبوة والأمر كذلك فأمر علياً أن يقيم منادياً بالأبطح غدوة وعشية، ألا من كانت له قبل محمد أمانة فليأتي لتؤدى إليه أمانته، وقال: إنهم لن يصلوا إليك بما تكرهه حتى تقدم علي، فأد أمانتي على أعين الناس ظاهراً، وإني مستخلفك على فاطمة ابنتي ومستخلف ربي عليكما، وأمره أن يبتاع رواحل له وللفواطم ومن أراد الهجرة معه من بني هاشم وغيرهم وقال له: إذا قضيت ما أمرتك به فكن على أهبة الهجرة إلى الله ورسوله وانتظر قدوم كتابي إليك ولا تلبث بعده، وأقام رسول الله ﷺ في الغار ثلاث ليال ثم سار نحو المدينة حتى قاربها فنزل في بني عمرو بن عوف بقبا، وأراده صاحبه على دخول المدينة فقال: ما أنا بداخلها حتى يقدم ابن عمي وابنتي يعني علياً وفاطمة، ثم كتب إلى علي مع أبي واقد الليثي يأمره بالمسير إليه وكان قد أدى أماناته وفعل ما أوصاه به، فلما أتاه الكتاب ابتاع ركائب وتهيأ للخروج وأمر من كان معه من ضعفاء المؤمنين أن يتسللوا ليلاً إلى ذي طوى.

هجرته إلى المدينة

وخرج علي بالفواطم فاطمة بنت رسول الله ﷺ وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب وزاد بعضهم فاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب، وتبعهم أيمن بن أم أيمن مولى رسول الله ﷺ وأبو واقد الليثي الذي جاء بالكتاب. قال الشيخ الطوسي في تتمة الخبر السابق: فجعل أبو واقد يسوق الرواحل سوقاً حثيثاً فقال علي: ارفق بالنسوة يا أبا واقد إنهن من الضعائف قال: إني أخاف أن يدركنا الطلب قال: أربع عليك، ثم جعل علي يسوق بهن سوقاً رفيقاً وهو يقول:

ليس إلا اللّه فارفع ظنكا   يكفك رب الناس ما أهمكا

فلما قارب ضجنان أدركه الطلب وهم ثمانية فرسان ملثمون معهم مولى لحرب بن أمية اسمه جناح (وكأن قريشاً لما فاتهم محمد ﷺ وبطل كيدهم فيه ولم يقدروا عليه ثم رأوا أن علياً قد خرج من بينهم جهاراً بالفواطم الهاشميات لاحقاً بابن عمه أعدى أعدائهم وما هو إلا رجل واحد وهم عصبة أخذهم الحنق وهاجت بهم العداوة وقالوا: كيف يخرج هذا الشاب الهاشمي المنفرد عن ناصر ابن عم محمد بنسائه ظاهراً غير هياب ولا نناله بسوء ولا نرده صاغراً، إن هذا لذل وعار علينا إلى الأبد، فانتخبوا من فرسانهم هؤلاء الثمانية ليلحقوه ويردوه) فقال علي لأيمن وأبي واقد: أنيخا الإبل واعقلاها. وتقدم فأنزل النسوة ودنا القوم فاستقبلهم علي (ع) منتضياً سيفه (والله أعلم كم كان خوف النسوة لما رأوا هذه الحال وكأنهن كن يتناجين هل يستطيع علي وهو رجل واحد راجل ليس بفارس مقاومة ثمانية فرسان فتارة يغلب عليهن اليأس ويبتهلن إلى الله تعالى أن ينصر علياً على عدوه وتارة يقلن إن علياً ملامح الشجاعة عليه ظاهرة بينة ولو لم يعلم أنه كفؤ لكل من يعارضه لما خرج بنا ظاهراً معلناً فيغلب عليهن الأمل) فقال الفرسان: ظننت إنك يا غدار ناج بالنسوة ارجع لا أبا لك (وهكذا يكون خطاب ثمانية فرسان لرجل واحد لا يظنون أنه يقدر على مقاومتهم قاسياً جافياً) قال علي (ع) (مجيباً لهم جواب شخص غير مبال بهم ولا مكترث، جواب هادىء مطمئن): فإن لم أفعل؟ (فأجابوه بجواب كسابقه في القساوة والجفاء قالوا: لترجعن راغماً أو لنرجعن بأكثرك شعراً وأهون بك من هالك. ودنوا من المطايا ليثوروها فحال علي (ع) بينهم وبينها فأهوى له جناح بسيفه فراغ عن ضربته رواغ عارف بالفنون الحربية ماهر فيها وهو بعد لم يباشر حرباً قبلها وسنه لم يتجاوز العشرين أو تجاوزها بقليل) وضرب جناحاً على عاتقه فقده نصفين حتى وصل السيف إلى كتف فرسه (وذلك إن علياً راجل وجناح فارس والفارس لا يمكنه ضرب الراجل بالسيف حتى ينحني ليصل سيفه إلى الراجل فلما انحنى جناح لم يمهله علي حتى يعتدل بل عاجله بأسرع من لمح البصر وهو منحن

بضربة على عاتقه قبل أن يعتدل قدته نصفين، وهذا شيء لم يكن في حسبان جناح وأصحابه) وشد علي على أصحابه وهو على قدميه شدة ضيغم وهو يقول:

خلوا سبيل الجاهد المجاهد آليت لا أعبد غير الواحد

فتفرق القوم عنه وقالوا: احبس نفسك عنا يا ابن أبي طالب قال: فإني منطلق إلى أخي وابن عمي رسول الله فمن سره أن أفري لحمه وأريق دمه فليدن مني (وهنا هدأ روع النسوة وعلمن أنهن بصحبته في منجاة من كل خطر) وقد ذكرنا فيما مر المقايسة بين هذه الحال لما لحق علياً ثمانية فوارس وبين حال النبي ﷺ لما لحقه ومن معه فارس واحد فراجع.

ثم أقبل علي (بعد قتله جناحاً وفرار أصحابه) على أيمن وأبي واقد وقال لهما: أطلقا مطاياكما ثم سار ظافراً قاهراً حتى نزل ضجنان فلبث بها يومه وليلته ولحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين فيهم أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ وبات ليلته تلك هو والفواطم طوراً يصلون وطوراً يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم حتى طلع الفجر فصلى بهم صلاة الفجر ثم سار لا يفتر عن ذكر الله هو ومن معه حتى قدموا المدينة، وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ «إلى قوله»: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَـٰجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ وتلا ﷺ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ وفي سيرة ابن هشام: أقام علي بن أبي طالب عليه السلام بمكة ثلاث ليال وأيامها حتى أدى عن رسول الله ﷺ الودائع ثم لحق به بقبا فأقام بها ليلة أو ليلتين «اهـ». وفي السيرة الحلبية عن الإمتاع: لما قدم علي (ع) من مكة كان يسير الليل ويكمن النهار حتى تفطرت قدماه فاعتنقه النبي ﷺ وبكى رحمة لما بقدميه من الورم وتفل في يديه وأمرهما على قدميه فلم يشكهما بعد ذلك «اهـ». وفي أسد الغابة بسنده عن أبي رافع في تتمة الخبر السابق (قال):

وأمر النبي ﷺ علياً أن يلحقه بالمدينة فخرج علي في طلبه بعدما أخرج إليه أهله يمشي الليل ويكمن النهار حتى قدم بالمدينة فلما بلغ النبي قدومه قال: **«ادعوا لي علياً»** قيل: يا رسول الله لا يقدر أن يمشي فأتاه النبي ﷺ فلما رآه اعتنقه وبكى رحمة لما بقدميه من الورم وكانتا تقطران دماً فتفل النبي ﷺ في يديه ومسح بهما رجليه ودعا له بالعافية فلم يشتكهما حتى استشهد «اهـ».

السنة الأولى من الهجرة

وبعدما دخل النبي ﷺ المدينة ومعه علي بن أبي طالب واحتمل أبو أيوب رحله فوضعه في بيته كان علي معه وبقي في بيت أبي أيوب سبعة أشهر حتى بنى مسجده ومساكنه. قال المفيد فأنزله النبي ﷺ عند وروده المدينة داره ولم يميزه من خاصة نفسه ولا احتشمه في باطن أمره وسره «اهـ». ثم لما بنى مسجده وبنى لنفسه بيوتاً حول المسجد أسكنها أزواجه بنى لعلي بيتاً بجنب البيت الذي كانت تسكنه عائشة وسكنه علي وسكنت معه الزهراء لما تزوج بها، ولما بنى المسجد عمل فيه رسول الله ﷺ والمهاجرون والأنصار ومنهم علي وكان رجل من المهاجرين عليه ثياب بيض فكان يحيد عن الغبار محافظة على ثيابه، قال ابن هشام في سيرته وارتجز علي بن أبي طالب:

لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب فيها قائماً وقاعدا
ومن يرى عن الغبار حائدا

فأخذها عمار بن ياسر فجعل يرتجز بها فلما أكثر ظن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ إنه إنما يعرض به، وقد سمى ابن إسحاق الرجل، فقال: قد سمعت ما تقول منذ اليوم يا ابن سمية والله إني لأراني سأعرض هذه العصا لأنفك (وفي يده عصا) فغضب رسول الله ﷺ ثم قال: **«ما لهم ولعمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، إن عماراً جلدة ما بين عيني وأنفي»** ـ وهو موضع أكرم المواضع على الإنسان في وجهه الذي هو أكرم أعضاء البدن عليه ـ وهما في السيرة الحلبية من أن الرجل الذي ظن أن عماراً يعرض به هو عثمان بن

مظعون غير صحيح، ولو كان هو لما كتم ابن هشام اسمه واقتصر على قوله، وقد سمي ابن إسحاق الرجل بل هو سمي لابن مظعون ولما ارتجز علي بهذا الرجز لم يكن في وسعه أن يعارضه فلما أخذه عمار وكرر الارتجاز به رأى مجالاً لمعارضة عمار لضعفه. وما في طبقات ابن سعد من أنه بعث من منزل أبي أيوب زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة فقدما عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنتيه وسودة بنت زمعة زوجته مخالف لما عليه عامة الرواة وللاعتبار.

المؤاخـــاة

في السيرة الحلبية: آخى النبي ﷺ قبل الهجرة بين المهاجرين وآخى بين علي ونفسه وقال: **«أما ترضى أن أكون أخاك»** قال: بلى يا رسول الله رضيت قال: **«فأنت أخي في الدنيا والآخرة»** «اهـ». وإنكار ابن تيمية المؤاخاة بين المهاجرين لا سيما مؤاخاة النبي ﷺ لعلي معتلاً بأن المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار إنما جعلت لإرفاق بعضهم ببعض ولتأليف قلوبهم فلا معنى لمؤاخاة مهاجري لمهاجري لا يلتفت إليه لأنه كما قال الحافظ بن حجر رد للنص بالقياس ولأنه كما يطلب الإرفاق بين المهاجرين والأنصار، والأنصار بعضهم مع بعض، وتأليف قلوب بعضهم ببعض يطلب ذلك بين المهاجرين أنفسهم، وفي ذلك يقول الصفي الحلي:

أنت سر النبي والصنو وابن الـ ... ـعم والصهر والأخ المستجاد
لو رأى مثلك النبي لآخا ... ه وإلا فأخطأ الانتقاد

وقال أبو تمام:

أخوه إذا عد الفخار وصهره ... فما مثله أخ ولا مثله صهر

ثم آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين بعد الهجرة ثم بين عموم المسلمين من المهاجرين والأنصار، فقد تكون بين مهاجري ومهاجري، وأنصاري وأنصاري، ومهاجري وأنصاري وأخذ بيد علي بن أبي طالب كما في السيرة الحلبية فقال: **«هذا أخي»** فكان رسول الله ﷺ وعلي أخوين، قال: وفي رواية

لما آخى بين أصحابه جاء علي تدمع عيناه فقال: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد فقال له رسول الله ﷺ: «**أنت أخي في الدنيا والآخرة**» «اهـ». أما الدكتور محمد حسين هيكل فاقتصر على قوله فكان هو وعلي بن أبي طالب أخوين وفلان وفلان أخوين الخ ولم يشر إلى ما في هذه المؤاخاة من مغزى كما هو مبنى كتابه وهي أولى بأن تكون رمزاً إلى الميزة على سائر الناس وأنه لا كفؤ لمؤاخاته سواه وإلى الوزارة التي أثبتها قبل ذلك بقليل لغيره.

تزوجه بالزهراء عليهما السلام

ويأتي مفصلاً في سيرة الزهراء في الجزء الثاني مع ذكر مصادره فليرجع إليها من أراد، ونذكر هنا ما له تعلق بعلي (ع) بشيء من الاختصار وإن لزم بعض التكرار من دون ذكر المصادر لأنها تقدمت. وبعدما استقرت قدم علي عليه السلام بالمدينة ونزل مع النبي ﷺ في دار أبي أيوب الأنصاري كان من اللازم أن يقترن بزوجة وكان على النبي ﷺ أن يزوجه فهو شاب قد بلغ العشرين أو تجاوزها. والتزوج من السنة ومن أحق من النبي وعلي صلوات الله عليهما باتباع السنة، ومن هي هذه الزوجة التي يخطبها علي ويقترن بها، ومن هي هذه الزوجة التي يختارها له النبي ﷺ ويقضي بذلك حقه وحق أبيه أبي طالب؟ ليست إلا ابنة ابن عمه فاطمة، فلا أكمل ولا أفضل منها في النساء، ولا أكمل ولا أفضل من علي في الرجال، إذاً فتحتم على علي أن يختارها زوجة وعلى الرسول ﷺ أن يختارها له، ولذلك قال النبي ﷺ: «**لولا علي لم يكن لفاطمة كفؤ**». ولكن النبي ﷺ عند دخوله المدينة كان قد نزل في دار أبي أيوب الأنصاري وكان علي معه فيها كما مر، ولم يكن قد بنى لنفسه بيتاً ولا لعلي ولذلك لم يزوج علياً أول وروده المدينة وانتظر بناء بيت له، ومع ذلك في بعض الروايات الآتية في آخر الكلام أنه زوجه بها بعد مقدمه المدينة بخمسة أشهر وبنى بها مرجعه من بدر فيكون قد عقد له عليها وهو في دار أبي أيوب ودخل

بها بعد خروجه من دار أبي أيوب بشهرين كما ستعرف، وخطبها أبو بكر ثم عمر إلى النبي ﷺ مرة بعد أخرى فردهما فمرة يقول: إنها صغيرة ومرة يقول: انتظر بها القضاء.

وما كانت خطبتهما لها إلا لشدة الرغبة في نيل الشرف مع أنهما لا يحتملان الإجابة إلا احتمالاً في غاية الضعف، وإلا فكيف يظنان أنه يزوجها أحدهما مع وجود أخيه وناصره وابن عمه الذي ليس عنده زوجة وأفضل أهل بيته وأصحابه، وهو بعد لم ينس فضل أبي طالب العظيم عليه، فلم يكن يتصور متصور أنه يزوجها غيره أو يرى لها كفؤاً سواه؛ لكن شدة الرغبة والتهالك في شيء قد يدعو إلى التشبث في نيله بالأوهام، فقال نفر من الأنصار لعلي: عندك فاطمة. فأتى النبي ﷺ فسلم عليه فقال: ما حاجتك قال: ذكرت فاطمة قال: مرحباً وأهلاً فأخبر النفر بذلك قالوا: يكفيك أحدهما أعطاك الأهل أعطاك المرحب. ثم إن رسول الله ﷺ قال لفاطمة: «**إن علياً يذكرك وهو ممن عرفت قرابته وفضله في الإسلام وإني سألت ربي أن يزوجك خير خلقه وأحبهم إليه**»، فسكتت فقال: «**الله أكبر سكوتها إقرارها**». وفي الشريعة الإسلامية أنه يكفي في رضا البكر السكوت ولا يكفي في الثيب إلا الكلام، وكيف لا تسكت فاطمة ولا ترضى وهي قد عرفت علياً في صغره وشبابه ودرست أخلاقه وأحواله درساً كافياً فإنه تربى معها وفي بيت أبيها مع ذكائها وفطنتها وكونها ابنة رسول الله ﷺ قد تربت في حجره واقتبست من خلقه وعلمه وابنة خديجة عاقلة النساء ونضلاهن وقد صاحبت فاطمة علياً عليهما السلام في هجرتها من مكة إلى المدينة ورأت بعينها شجاعته الخارقة حين لحقه الفوارس الثمانية وكيف قتل جناحهم فقده من كتفه إلى قربوس فرسه وهرب أصحابه أذلاء صاغرين، وعرفت كيف كانت محافظته عليها وعلى رفيقاتها الفواطم الهاشميات في ذلك السفر وحنوه عليها وعليهن ورفقه بها وبهن، وأنه لو كان معها أبوها لم يزد عليه في ذلك حتى أنه لم يرض أن يسوق بهن أبو واقد سوقاً حثيثاً في ساعة الخطر وأمره بالرفق ولم يبال بذلك الخطر واستهانه ولم يحفل به اعتماداً على شجاعته وبطشه وتأييد الله

له فهل يمكن أن تتردد في الرضا بأن يكون لها بعلاً وتكون له زوجة، وتحقق بذلك صدق أبيها في أنه لولا علي لم يكن لفاطمة كفؤ على وجه الأرض، وإنما أراد الرسول ﷺ باستشارتها الجري على السنة وتعليم أمته أن تستأمر المرأة عند إرادة تزويجها وأن لا يستبدوا بها وإظهار كرامة المرأة في استشارتها حتى لو كان أبوها سيد الأنبياء وخاطبها علي بن أبي طالب سيد الأمة بعد أبيها وبياناً لخطأ أهل الجاهلية في استبدادهم بالمرأة.

خطبة النبي ﷺ عند تزويجه فاطمة من علي عليهما السلام

الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع بسلطانه المرهوب من عذابه المرغوب إليه فيما عنده النافذ أمره في أرضه وسمائه الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم بأحكامه وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد ﷺ ثم إن الله جعل المصاهرة نسباً لاحقاً وأمراً مفترضاً وشج بها الأرحام وألزمها الأنام فقال تبارك اسمه وتعالى جده: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ ثم إن الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي وإني أشهد أني قد زوجتها إياه على أربعمائة مثقال فضة أرضيت قال: قد رضيت يا رسول الله ثم خر ساجداً فقال رسول الله ﷺ: «**بارك الله عليكما وبارك فيكما وأسعد جدكما وجمع بينكما وأخرج منكما الكثير الطيب**». قال أنس: والله لقد أخرج منهما الكثير الطيب.

خطبة علي عند تزويجه بفاطمة عليهما السلام

الحمد لله الذي قرب حامديه ودنا من سائليه ووعد الجنة من يتقيه وأنذر بالنار من يعصيه نحمده على قديم إحسانه وأياديه حمد من يعلم أنه خالقه وباريه ومميته ومحييه وسائله عن مساويه ونستعينه ونستهديه ونؤمن به ونستكفيه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تبلغه وترضيه وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ تزلفه وتحظيه وترفعه وتصطفيه وهذا رسول الله ﷺ زوجني ابنته فاطمة على خمسمائة درهم فاسألوه واشهدوا قال رسول الله ﷺ: «**قد زوجتك ابنتي فاطمة**

على ما زوجك الرحمٰن وقد رضيت بما رضي الله فنعم الختن أنت ونعم الصاحب أنت وكفاك برضى الله رضى» ثم أمر النبي ﷺ بطبق تمر وأمر بنهبه.

تفديك يا سيدة النساء كل امرأة أظلتها السماء ما ضرك وأنت ابنة سيد الأنبياء ومخطوبة سيد الأوصياء وخير امرأة ولدتها حواء أن تكون حلوى تزويجك طبق تمر تواضعاً مع الفقراء وتباعداً عن الكبرياء وسرف الأغنياء، وهل كان ما ينهب في تزويج بنات الملوك والأمراء من أنواع الحلوى الفاخرة النفيسة جاعلاً قدرهن مدانياً لقدرك وملحقاً شأوهن بشأوك كلا فقد انخفض شأن بوران وازميدخت ابنة ساسان، وزبيدة ابنة جعفر الذي كان مبنياً على السطوة والسلطان ولم ينفعهن ما أنهب في تزويجهن من فاخر الحلوى ونفيسها وبقي شأنك يا درة الكون عالياً سامياً متلألئاً في جبين الدهر ما بقي الدهر.

قدر مهر الزهراء عليها السلام

والروايات مختلفة في قدر مهر الزهراء عليها السلام والصواب أنه كان خمسمائة درهم اثنتي عشرة أوقية ونصفاً والأوقية أربعون درهماً لأنه مهر السنة كما ثبت من طريق أهل البيت عليهم السلام وما كان رسول الله ﷺ ليعدوه في تزويج علي بفاطمة، وتدل عليه روايات كثيرة ورواه ابن سعد في الطبقات وذكره علي عليه السلام في خطبته السابقة، أما ما دلت عليه خطبة النبي ﷺ المتقدمة من أنه أربعمائة مثقال فهو يقتضي أن يكون أكثر من خمسمائة درهم لأن كل سبعة مثاقيل عشرة دراهم وقيل: كان أربعمائة وثمانين درهماً حكاه في الاستيعاب ويدل عليه قول الحسين عليه السلام في خبر خطبة مروان أم كلثوم بنت عبد اللّه بن جعفر على يزيد بن معاوية: لو أردنا ذلك ما عدونا سنة رسول الله ﷺ في بناته ونسائه وأهل بيته وهو اثنتا عشرة أوقية يكون أربعمائة وثمانين درهماً (وفي رواية) أن علياً عليه السلام باع بعيراً له بذلك المقدار (وفي أخرى) إن المهر كان درع حديد تسمى الحطمية فباعها بهذا المقدار (وفي ثالثة) أنه كان درع حديد وبرداً خلقاً والظاهر أنه باع ذلك ودفعه في المهر كما تدل عليه

بعض الروايات لا أن ذلك بعينه كان مهراً. فليعلم الذين يغالون في المهور إنهم قد خالفوا السنة النبوية.

جهاز الزهراء عند تزويجها

فجاء علي بالدراهم فصبها بين يدي رسول الله ﷺ فأمر رسول الله ﷺ أن يجعل ثلثها في الطيب - اهتماماً بأمر الطيب - وثلثها في الثياب وقبض قبضة كانت ثلاثة وستين أو ستة وستين لمتاع البيت ودفع الباقي إلى أم سلمة فقال: ابقيه عندك، وأرسل أبا بكر وقال: ابتع لفاطمة ما يصلحها من ثياب وأثاث البيت وأردفه بعمار وعدة من أصحابه فكانوا يعرضون الشيء على أبي بكر فإن استصلحه اشتروه. بأبي أنت وأمي يا رسول الله بلغ من اهتمامك بجهاز فاطمة عند تزويجها أن ترسل جماعة من أصحابك برئاسة أبي بكر لشراء جهازها وما يبلغ ما أعطيتهم من المال لشراء الجهاز سواء أكان الثلث من خمسمائة درهم أم أقل أم كان قبضة بكلتا يديك كما في بعض الأخبار. هذه فاطمة وهذا علي لا تزيدهما كثرة المال شرفاً ولا تنقص قلته من شرفهما، هي سيدة النساء وهو سيد الرجال، فما يصنعان بالمال وما يصنع بهما. فكان مما اشتروه قميص بسبعة دراهم وخمار بأربعة دراهم وقطيفة سوداء خيبرية (وهي دثار له خمل) وسرير مزمل (ملفوف) بشريط (خوص مفتول) وفراشان من خيش مصر (وهو مشاقة الكتان) حشو أحدهما ليف وحشو الآخر من صوف الغنم وأربع مرافق (متكآت) من أدم الطائف (والأدم الجلد) حشوها أذخر (نبات طيب الرائحة) وستر رقيق من صوف وحصير هجري (معمول بهجر قرية بالبحرين) ورحى لليد. ومخضب من نحاس (إناء لغسل الثياب) وسقاء من أدم (قربة صغيرة) وقعب (قدح من خشب) للبن وشن للماء (قربة صغيرة عتيقة لتبريد الماء) ومطهرة (إناء يتطهر به) مزفتة وجرة خضراء وكيزان خزف ونطع من أدم (بساط من جلد) وعباة قطوانية (وهي عباءة قصيرة الخمل معمولة بقطوان موضع بالكوفة) وقربة للماء. فلما وضع ذلك بين يدي النبي ﷺ جعل يقلبه بيده ويقول: اللهم بارك لأهل البيت، وفي رواية أنه بكى وقال: اللهم بارك لقوم جل آنيتهم الخزف. ولم يكن بكاؤه

أسفاً على ما فاتهم من زخارف الدنيا الفانية ولكنها رقة طبيعية تعرض للوالد في مثل هذه الحال. وكان من تجهيز علي داره انتشار رمل لين ونصب خشبة من حائط إلى حائط وبسط اهاب كبش ومخدة ليف وقربة ومنخل ومنشفة وقدح.

هكذا كان جهاز سيدة النساء وجهاز بيت سيد الأوصياء، وهو مما يدلنا على هوان الدنيا على الله، وما ضر علياً وفاطمة ولا أنقص من عزهما أن يكون جهاز فاطمة في عرسها قميص بسبعة دراهم وخمار بأربعة وقطيفة سوداء لكنها خيبرية وعباءة بيضاء لكنها قطوانية وحصير لكنه هجري، ولا بد أن يكون ما صنع بخيبر أجود مما يصنع بالمدينة، وما صنع بقطوان وهجر أجود مما يصنع بالحجاز، فلذلك اختيرت هذه لجهاز العرس، وسرير من جريد النخل لا من ساج ولا آبنوس ولا شيء من المعادن، مشبك بخوص النخل المفتول ولم يزين بعاج ولا ذهب ولا فضة، وفراشان من مشاقة الكتان حشو أحدهما ليف، ومتكآت من الجلود محشوة بنبات الأرض، ونطع من جلد لا طنافس إيران، وستر من صوف، ورحى لتطحن بها سيدة النساء لقوتها وقوت علي وقد يساعدها علي على الطحن، وإناء نحاس لتغسل فيه الثياب وربما عجنت فيه، وقربة صغيرة وأخرى كبيرة لتستقي بها، وقربة صغيرة عتيقة لتبريد الماء، ووعاء مصنوع من ورق النخل مزفت تغسل به يديها ويدي ابن عمها، وقدح من خشب لا من الصيني، وجرة لكنها خضراء والخضراء أجود من سواها ولذلك اختيرت لجهاز العرس، وكيزان من الفخار، ولم يكن في جهازها أساور ولا أقراط من ذهب ولا فضة ولا عقود من جواهر أو لؤلؤ بل تزينت بحلي مستعار وأن يكون تجهيز علي بيته المعد لعرسه بفرش رمل في داره لكنه لين لا خشن (طبعاً) لأنه معد للعرس فلا يناسب أن يكون خشناً، ونصب خشبة من حائط إلى حائط لتعليق الثياب فهي ثياب العرس لا يوافق أن توضع على الأرض؛ وبسط جلد كبش ومخدة ليف وقربة ومنخل لتنخل به الزهراء الدقيق الذي تطحنه ومنشفة وقدح، ويمكن أن هذه كلها كانت عنده وهي أثاث بيته ولم يشتر منها شيئاً ولذلك لم يكتف بالقربة التي كانت في جهاز الزهراء وهو عليه السلام قد باع درعه لأداء

المهر فلم يكن عنده شيء من المال لشراء شيء. ما ضر علياً وفاطمة ولا أنقص من عزهما أن يكون جهاز عرسهما ما ذكرناه وهو سيد الأوصياء وهي سيدة النساء ابنة سيد الأنبياء.

زفاف الزهراء على علي عليهما السلام

فلما كان بعد نحو من شهر قال جعفر وعقيل لأخيهما علي أو عقيل وحده: ألا تسأل رسول الله ﷺ أن يدخل عليك أهلك قال: الحياء يمنعني، فأقسم عليه أن يقوم معه فقاما وأعلما أم أيمن فدخلت إلى أم سلمة فأعلمتها وأعلمت نساء النبي ﷺ فاجتمعن عنده وقلن: فديناك بآبائنا وأمهاتنا إنا قد اجتمعنا لأمر لو كانت خديجة في الأحياء لقرت عينها، قالت أم سلمة: فلما ذكرنا خديجة بكى وقال: خديجة، وأين مثل خديجة؟ صدقتني حين كذبني الناس ووازرتني على دين الله وأعانتني عليه بمالها، إن الله عز وجل أمرني أن أبشر خديجة ببيت في الجنة لا صخب فيه ولا نصب، قالت أم سلمة: فديناك بآبائنا وأمهاتنا إنك لم تذكر من خديجة أمراً إلا وقد كانت كذلك غير أنها قد مضت إلى ربها فهنأها الله بذلك وجمع بيننا وبينها في جنته، يا رسول الله هذا أخوك وابن عمك في النسب علي بن أبي طالب يحب أن تدخل عليه زوجته قال: «**حباً وكرامة**»، فدعا بعلي فدخل وهو مطرق حياء وقمن أزواجه فدخلن البيت فقال: «**أتحب أن أدخل عليك زوجتك**» فقال وهو مطرق: أجل فداك أبي وأمي فقال: «**أدخلها عليك إن شاء الله**» ثم التفت إلى النساء وقال: «**من ها هنا**» فقالت أم سلمة: أنا أم سلمة وهذه زينب وفلانة وفلانة فأمرهن أن يزين فاطمة ويطيبنها ويصلحن من شأنها في حجرة أم سلمة وأن يفرشن لها بيتاً كان قد هيأه علي عليه السلام بالأجرة وكان بعيداً عن بيت النبي ﷺ قليلاً فلما بنى بها حوله إلى بيت قريب منه، ففعلن النسوة ما أمرهن وعلقن عليها من حليهن وطيبنها.

فانظر في هذا الخبر تجد أن أم سلمة كانت المقدمة في هذا الأمر فأم أيمن جاءت إليها ولم يذكر اسم امرأة غيرها وهي وحدها كانت المخاطبة للنبي ﷺ في شأن خديجة والمثنية عليها والمسلية عنها بأسلوبها البديع الرقيق وهي التي

خاطبته في شأن إدخال الزهراء على علي عليهما السلام وتوسلت إليه بما يوجب الرقة والعطف من قولها أخوك وابن عمك في النسب، ولما قال للنساء: **«من ها هنا»** كانت هي المجيبة وكان إصلاح شأن الزهراء في حجرتها ودفع إليها ما بقي من المهر وقال ابقيه عندك.

وقارن بين هذا وبين قول بعض أمهات المؤمنين للنبي ﷺ لما ذكر خديجة فأثنى عليها فتناولتها بالذم وقالت: ما كانت إلا عجوزاً حمراء الشدقين وقد أبدلك الله خيراً منها، فأخذتها الغيرة منها بعد وفاتها ـ كما أخبرت عن نفسها ـ ولم تدرك زمانها والغيرة تنطفي جمرتها بعد الوفاة عادة، فغضب رسول الله ﷺ حتى اهتز مقدم شعره من الغضب وقال: **«لا والله ما أبدلني الله خيراً منها»** «الحديث» ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب وكنى عن بعض ألفاظه بكذا وكذا والظاهر أن ذلك من الطابعين لا من ابن عبد البر، وبما مر من فعل أم سلمة يبطل اعتذار البعض عن عداوة بعض أمهات المؤمنين لعلي بأنه زوج الزهراء التي هي بنت زوجها، وعداوة المرأة لبنت زوجها من طباع البشر، وتسربت العداوة إلى زوج بنت زوجها، فيا ليت شعري لم لم تكن هذه الطبيعة البشرية في أم سلمة، ألم تكن من البشر؟.

وليمة العرس

وجاءت الهدايا إلى النبي ﷺ: **«وكأني بالمسلمين من المهاجرين والأنصار لما سمعوا بهذا الزفاف قالوا: هذا نبيكم سيد الأنبياء الذي أنقذكم الله به من الضلالة إلى الهدى يريد أن يزف ابنته سيدة النساء إلى ابن عمه أعز الناس عليه وأكثرهم جهاداً بين يديه فأعينوه على وليمة العرس فاهدوا له البر والسمن والبقر والغنم وغيرها»** فأمر بطحن البر وخبزه وأمر علياً بذبح البقر والغنم فلما فرغوا من الطبخ أمر أن ينادي على رأس داره أجيبوا رسول الله فبسط النطوع في المسجد فأكل الناس وكانوا أكثر من أربعة آلاف رجل وسائر نساء المدينة ثم دعا بالصحاف فملئت ووجه بها إلى منازل أزواجه ثم أخذ صحفة فقال: **«هذه لفاطمة وبعلها»**. ويظهر أن الطعام كان مقصوراً على الثريد من الخبز واللحم.

كيفية الزفـاف

فلما كانت ليلة الزفاف أتى ببغلته الشهباء وثنى عليها قطيفة وقال لفاطمة: اركبي فأركبها وأمر سلمان أن يقود بها ومشى ﷺ خلفها ومعه حمزة وجعفر وعقيل وبنو هاشم مشهرين سيوفهم ونساء النبي ﷺ قدامها يرجزن وأمر بنات عبد المطلب ونساء المهاجرين والأنصار أن يمضين في صحبة فاطمة وأن يفرحن ويرجزن ويكبرن ويحمدن ولا يقلن ما لا يرضي الله.

ثم إن النبي ﷺ أنفذ إلى علي فدعاه ثم هتف بفاطمة، فأخذ علياً بيمينه وفاطمة بشماله وضمهما إلى صدره فقبل بين أعينهما وأخذ بيد فاطمة فوضعها في يد علي وقال: **«بارك الله لك في ابنة رسول الله»** وقال: **«يا علي نعم الزوجة زوجتك»** وقال: **«يا فاطمة نعم البعل بعلك»** ثم قال لهما: **«اذهبا إلى بيتكما جمع الله بينكما وأصلح بالكما»** وقام يمشي بينهما حتى أدخلهما بيتهما. وقال: **«لا تهيجا شيئاً حتى آتيكما»** وجلس علي في البيت وفيه أمهات المؤمنين وبينهن وبين علي حجاب وجلست فاطمة مع النساء ثم أقبل النبي فدخل وخرج النساء مسرعات سوى أسماء بنت عميس وكانت قد حضرت وفاة خديجة فبكت خديجة عند وفاتها فقالت لها: أتبكين وأنت سيدة نساء العالمين وأنت زوجة النبي ﷺ ومبشرة على لسانه بالجنة فقالت: ما لهذا بكيت ولكن المرأة ليلة زفافها لا بد لها من امرأة تفضي إليها بسرها وتستعين بها على حوائجها وفاطمة حديثة عهد بصبا وأخاف أن لا يكون لها من يتولى أمرها حينئذ، قالت أسماء بنت عميس: فقلت لها يا سيدتي لك عهد الله إن بقيت إلى ذلك الوقت أن أقوم مقامك في هذا الأمر، فلما كانت تلك الليلة وأمر النبي ﷺ النساء بالخروج فخرجن وبقيت فلما أراد الخروج رأى سوادي فقال: **«من أنت»** فقلت: أسماء بنت عميس قال: **«ألم آمرك أن تخرجي»** قلت: بلى يا رسول الله وما قصدت خلافك ولكن أعطيت خديجة عهداً فحدثته فبكى وقال: **«أسأل الله أن يحرسك من فوقك ومن تحتك ومن بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك من الشيطان الرجيم ناوليني المركن واملأيه ماء»** فملأ فاه ثم مجه فيه ثم قال: **«إنهما**

مني وأنا منهما اللهم كما أذهبت عني الرجس وطهرتني تطهيراً فطهرهما» ثم أمرها أن تشرب منه وتتمضمض وتستنشق وتتوضأ ثم دعا بمركن آخر وصنع كالأول. وقال: «اللهم إنهما أحب الخلق إلي فأحبهما وبارك في ذريتهما واجعل عليهما منك حافظاً وإني أعيذهما بك وذريتهما من الشيطان الرجيم»، ودعا لفاطمة فقال: «أذهب الله عنك الرجس وطهرك تطهيرا» وقال: «مرحباً ببحرين يلتقيان ونجمين يقترنان»، وقال: «اللهم إن هذه ابنتي وأحب الخلق إلي، وهذا أخي وأحب الخلق إلي اللهم اجعله لك ولياً وبك حفياً وبارك له في أهله» ثم قال: «يا علي ادخل بأهلك بارك الله تعالى لك ورحمة الله وبركاته عليكم إنه حميد مجيد»، ثم خرج من عندهما فأخذ بعضادتي الباب فقال: «طهركما الله وطهر نسلكما أنا سلم لمن سالمكما وحرب لمن حاربكما أستودعكما الله وأستخلفه عليكما» ثم أغلق عليهما الباب بيده ولم يزل يدعو لهما حتى توارى في حجرته ولم يشرك معهما أحداً في الدعاء.

الشك في حضور أسماء بنت عميس زفاف الزهراء

ثم إنه قد ذكر جملة من المؤرخين جعفر بن أبي طالب وأسماء بنت عميس مكرراً في خبر تزويج فاطمة كما سمعت مع أن جعفر وأسماء كانا بالحبشة يومئذ مهاجرين وإنما جاء جعفر وزوجته أسماء من الحبشة بعد فتح خيبر. قال محمد بن يوسف الكنجي الشافعي في كتابه كفاية الطالب: إن ذكر أسماء بنت عميس في خبر تزويج فاطمة عليها السلام غير صحيح لأن أسماء التي حضرت في عرس فاطمة إنما هي بنت يزيد بن السكن الأنصارية ولها أحاديث عن النبي ﷺ وأسماء بنت عميس كانت مع زوجها جعفر بن أبي طالب بالحبشة وقدم بها يوم فتح خيبر سنة سبع وكان زواج فاطمة بعد بدر بأيام يسيرة «اهـ» واشتباه أسماء بنت عميس بأسماء بنت يزيد ممكن بأن يكون الراوي ذكر أسماء فتبادر إلى الأذهان بنت عميس لشهرتها إلا أن آخر الحديث ينافي ذلك لأن فيه أنها حضرت وفاة خديجة وخديجة توفيت بمكة قبل الهجرة وأسماء بنت يزيد أنصارية من أهل المدينة ولم تكن بمكة حتى تحضر وفاة خديجة مع أن هذا

إن رفع الإشكال في أسماء لم يرفعه في جعفر الذي كرر مرتين ذكره واحتمل في كشف الغمة أن تكون التي شهدت الزفاف سلمى بنت عميس أخت أسماء وزوجة حمزة وأن يكون بعض الرواة اشتبه بأسماء لشهرتها، وهذا أيضاً إن رفع الإشكال في أسماء لا يرفعه في جعفر إلاأن يقال: لما حصل الاشتباه في أسماء حصل الاشتباه في جعفر فجعل موضع حمزة والله أعلم.

هكذا كان زفاف فاطمة إلى علي عليهما السلام فيا له من زفاف عظيم باهر تجلت فيه العزة والعظمة والهيبة لا يستطيع الواصف أن يصف مبلغ عظمته وأبهته وجلاله وهيبته مهما بالغ وأطنب. فهنيئاً لك يا أبا الحسن ويا نخبة الكون وهنيئاً لك يا سيدة النساء بهذا العرس المبجل المفخم العزيز الذي لم ينل أحد قبلكما ولا بعدكما مثله. للمؤلف:

مفاخر قلدت جيد الزمان حلى ... أمسى بها الكون مزداناً إلى الأبد
ما نالها أحد من قبل ذاك ولا ... أصابها بعده في الناس من أحد

أمر لا ينقضي منه العجب

بقي علينا أن نذكر في المقام أمراً لا يكاد ينقضي منه العجب وهو أن من زفها سيد المرسلين مع بني هاشم وأصحابه ونساء المؤمنين واحتفل في زفافها هذا الاحتفال العظيم كانت حرية أن يحتفل بتشييعها عند وفاتها بمثل هذا الاحتفال أو أعظم، ولكنها دفنت في الليل سراً وعفي قبرها ولم يعلم موضعه على التحقيق إلى اليوم فتزار في ثلاثة مواضع ولم يشهد جنازتها إلا علي وولداها ونفر من بني هاشم ونفر قليل من الصحابة.

سنة تزويج علي بفاطمة

وقد اختلف في سنة تزويج علي بفاطمة فقيل: بعد الهجرة بسنة وقيل: بسنتين وقيل: بثلاث وقال ابن الأثير قيل: إن علي بن أبي طالب بنى بفاطمة على رأس اثنين وعشرين شهراً من الهجرة. وروى ابن سعد في الطبقات أن تزوجه بها كان بعد مقدم النبي ﷺ المدينة بخمسة أشهر وبنى بها مرجعه من

بدر، وبدر كانت على رأس تسعة عشر شهراً من الهجرة. فيكون قد عقد له النبي ﷺ عليها وهو في دار أبي أيوب ودخل بها بعد خروجه من دار أبي أيوب بشهرين لأنه بقي في دار أبي أيوب سبعة أشهر فأخر دخوله إلى أن بنى بيتاً له ولعلي.

أخباره في غزواته في عهد النبي ﷺ في السنة الثانية من الهجرة

قال: كل من كتب في التاريخ والآثار والسير أنه لم يتخلف عن النبي ﷺ في موطن قط إلا في غزاة تبوك لأنه علم أنه ليس فيها حرب فخلفه على المدينة فعلم من ذلك وجوده في جميع الغزوات وإن كانت غير مهمة، كما أن أكثرهم قال: إنه كان صاحب الراية في جميع الغزوات وهو الذي يقتضيه الاعتبار، فكيف تساعد علياً نفسه أن يتخلف عنه في شدة ولو قلت وكيف تساعد الرسول نفسه أن يدفع الراية لغير علي وهو أشجع من معه إلا أن يدفعها نادراً إلى حمزة أسد الله وأسد رسوله. ثم إن أخباره في الغزوات المهمة قد تقدمت في الجزء الثاني مفصلة ونذكر هنا منها ما له تعلق به عليه السلام سواء أكنا ذكرناه فيما سبق أم لا وإن لزم شيء من التكرار لتكون أخباره متتالية متتابعة بحسب السنين وإن كان بعضها ـ مما ليس مهماً ـ متقدماً في التاريخ عما قدمناه من تزوجه بالزهراء عليهما السلام كالغزوات التي قبل بدر، لأننا أردنا أن تكون غزواته في نسق واحد.

الأولى غزوة ودان أو الابواء

وكانت في صفر لاثنتي عشرة ليلة مضت منه على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة وهي أول غزوات النبي ﷺ وأول غزوة حمل فيها راية مع النبي ﷺ، خرج النبي في ستين راكباً من المهاجرين فيهم علي عليه السلام يريد عيراً لقريش فلم يلق حرباً وكانت رايته مع علي عليه السلام فيما رواه المفيد مسنداً عن أبي البخترى القرشي وكان لواؤه مع حمزة بن عبد المطلب فيما قاله ابن سعد في الطبقات ولا منافاة فالراية العلم الأكبر واللواء دونها.

وبعدها (غزوة بواط وبدر الأولى) في ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً من الهجرة ولم يصرح المؤرخون بأن علياً كان في الأولى ولا أن رايته كانت معه ولا مع غيره لكن قول المؤرخين إنه لم يتخلف عنه في موطن إلا في تبوك وكان صاحب رايته يدل على ذلك وصرحوا بأن لواءه في الثانية كان مع علي بن أبي طالب وهو لواء أبيض.

وبعدها غزوة (العشيرة) بالتصغير على رأس ستة عشرة شهراً من الهجرة ولم يصرحوا بوجوده فيها ولا بحمله الراية وقالوا: إن اللواء كان مع حمزة وتعميمهم السابق يدل على وجوده فيها ويمكن كون الراية معه واللواء مع حمزة كما مر في غزوة ودان. وبعدها.

أخباره في غزوة بدر الكبرى

وكانت في شهر رمضان يوم تسعة عشر أو سبعة عشر منه على رأس تسعة عشر شهراً من الهجرة ومر بيان سببها في الجزء الثاني ونذكر هنا ما له علاقة بأخبار علي ﷺ مما قد تقدم أو لم يتقدم وقد نذكر غير ذلك مما لم يتقدم. كان المسلمون فيها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً ومعهم فرسان وسبعون بعيراً فكان الرجلان والأكثر يتعاقبون بعيراً واحداً وكان النبي ﷺ وعلي (ع) ومرثد بن أبي مرثد يتعاقبون بعيراً لمرثد وقال ابن الأثير: كان ثالثهم زيد بن حارثة وكان المشركون تسعمائة وخمسين أو عشرين مقاتلاً وقادوا مائتي فرس وقيل: أربعمائة والإبل سبعمائة بعير وأعطى النبي ﷺ رايته في هذه الغزاة إلى علي (ع) كما في غيرها من الغزوات ومرت رواية الاستيعاب عن تاريخ السراج بسنده عن ابن عباس قال: دفع رسول الله ﷺ الراية يوم بدر إلى علي وهو ابن عشرين سنة وفي السيرة الحلبية عن ابن عباس مثله وقال ابن الأثير: كان لواؤه ورايته مع علي بن أبي طالب. وفي السيرة النبوية لدحلان عقد ﷺ يوم بدر لواء أبيض ودفعه لمصعب بن عمير وكان أمامه ﷺ رايتان سوداوان إحداهما مع علي بن أبي طالب والأخرى مع سعد بن معاذ وقيل: مع الحباب بن المنذر وفي السيرة

الحلبية أن النبي ﷺ دفع اللواء يوم بدر وكان أبيض إلى مصعب بن عمير وكان أمامه رايتان سوداوان إحداهما مع علي بن أبي طالب ويقال لها العقاب. وفيها أيضاً عن الإمتاع أن النبي ﷺ عقد الألوية يوم بدر وهي ثلاثة: لواء يحمله مصعب بن عمير ورايتان سوداوان إحداهما مع علي والأخرى مع رجل من الأنصار «اهـ» والراية هي العلم الأكبر واللواء دونها وما يتوهم من كلام بعض أهل اللغة من اتحادهما مردود بتصريح غيره مما ذكرناه نعم قد يطلق أحدهما على الآخر أو على الأعم باعتبار أن الراية تسمى لواء أيضاً وقد يفسر أحدهما بالآخر في كلام أهل اللغة الذين كثيراً ما يفسرون بالأعم، كما أن ما يحكى عن ابن سعد وابن إسحاق من أن الرايات حدثت يوم خيبر مردود بهذه الروايات وبما تقدم في غزوة ودان وبدر الأولى وغزوة العشيرة. وقد علم مما مر أن راية المهاجرين في غزوة بدر كانت مع علي (ع) وأن لواءهم كان مع مصعب بن عمير وأن لواء الخزرج من الأنصار كان مع الحباب بن المنذر ولواء الأوس مع سعد بن معاذ. وفي السيرة الحلبية التصريح بذلك، وحينئذ فتكون الراية واحدة والألوية ثلاثة، وهو الموافق للاعتبار فإن الراية العظمى يجب أن تكون بيد علي عليه السلام لأنها لا تعطى إلا لمتميز في الشجاعة، وعلي وإن كان من المهاجرين إلا أن كونه صاحب الراية يجعله الرئيس على الجميع، فاستحسن أن يكون للمهاجرين لواء أيضاً فأعطي لمصعب بن عمير، وجعل للأنصار لواءان **أحدهما**: للخزرج مع الحباب، **والآخر**: للأوس مع سعد. وسار النبي ﷺ بأصحابه حتى كان قريباً من الصفراء وهي قرية لجهينة على مرحلة من بدر فأرسل رجلين من جهينة يتجسسان له خبر أبي سفيان والعير وأرسل علياً والزبير وسعداً إلى بدر يلتمسون له الخبر لأن بدراً منهل بطريق القادم من الشام إلى مكة فلا بد أن يردها أبو سفيان وسار هو نحو بدر حتى قاربها فجاءه الجهنيان وأخبراه أن العير قد قاربت بدراً ولم يكن عنده علم بمسير قريش لمنع غيرهم، ووصل علي ومن معه إلى بدر فوجدوا سقاة قريش فأخذوا منهم رجلين فجاؤوا بهما والنبي ﷺ يصلي فسألهما أصحابه فقالوا: نحن سقاة قريش فضربوهما لأنهم

يحبون أن يكونا سقاة أبي سفيان الذي معه العير وفيها الأموال ليغنموها وكرهوا أن يكونا سقاة قريش الذين جاؤوا للحرب، والغنيمة الباردة أحب إلى النفوس من الحرب الشاقة فقالوا: نحن لأبي سفيان فتركوهما ولما فرغ النبي ﷺ من الصلاة قال: «**إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا كذباكم تركتوهما**»، ثم سألهما عن قريش فقالا: هم وراء هذا الكثيب بالعدوة القصوى، فسألهما عن عددهم فقالا: لا ندري فقال: «**كم ينحرون**» قالا: يوماً تسعة أباعر ويوماً عشرة قال القوم بين التسعمائة والألف، وخرج رسول الله ﷺ يبادرهم إلى الماء فنزل بأدنى ماء من بدر، وقال الحباب بن المنذر بن الجموح: يا رسول الله هذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه أو نتأخره أم هو الرأي والحرب والمكيدة فقال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة، قال: فإن هذا ليس بمنزل انطلق بنا إلى أدنى مياه القوم فإني عالم بها وإن بها قليباً قد عرفت عذوبة مائه وغزارته ثم نبني لنا حوضاً ونملؤه ماء ونقذف فيه بالآنية فنشرب ولا يشربون فارتحلوا وبنوا حوضاً وملؤوه في السحر ماء وقذفوا فيه الآنية وكان هذا تدبيراً سديداً ليشرب العطشان من الحوض بسهولة إذا عاد من القتال ولا يتكلف الاستقاء من البئر ولا الشرب من قربة أو سقاء، وهذا صريح في أنه كان ببدر عدة قلبان لا قليب واحد، ومنه يعلم الجواب لمن لم يظهر له وجه الحكمة في إلقاء النبي ﷺ قتلى المشركين في القليب بعد الفراغ من الوقعة الذي يفسد على أهل بدر والسابلة ماءهم فإن إفساد ماء قليب بدر إنما يضر إذا لم يكن إلا قليب واحد ولكنها قلبان كثيرة لا يضر إفساد واحد منها ومبطل لتوهم الدكتور محمد حسين هيكل إنه حفر حفرة وألقاهم فيها مع أن الحفرة لا تسمى قليباً كما بيناه في الجزء الثاني، وقد صرح بذلك الواقدي حيث قال: وأمر رسول الله ﷺ يوم بدر بالقليب أن تغور ثم أمر بالقتلى فطرحوا فيها «اهـ». وامتاز علي عليه السلام في ذلك بميزة لم يشاركه فيها أحد فقد ذكر أهل الأخبار أنه متح في ذلك الحوض كثيراً ولا غرو فهو صاحب القوة والأيد وهو من شبابه في ريعانه مع نفاذ بصيرته وقوة إيمانه. ثم اصطفت الصفوف وتهيؤوا للقتال فأول من برز من صف المشركين عتبة بن

ربيعة وأخوه شيبة وابنه الوليد بن عتبة ودعوا إلى المبارزة فبرز إليهم فتيان ثلاثة من الأنصار وهم معاذ ومعوذ وعوف بنو الحارث ويقال لهم: بنو عفراء فلم يرضوا أن يبارزوهم عتواً واستكباراً ورأوا أنهم غير أكفاء لهم وقالوا لهم: ارجعوا فما لنا بكم من حاجة ونادوا: يا محمد اخرج إلينا أكفاءنا من قومنا فقال لعبيدة بن الحارث بن المطلب[1] بن عبد المناف ولحمزة بن عبد المطلب ولعلي بن أبي طالب: **«قوموا فقاتلوا بحقكم الذي بعث الله به نبيكم إذ جاؤوا بباطلهم ليطفئوا نور الله ويأبى الله إلا أن يتم نوره»**، فبرزوا فقال عتبة: تكلموا نعرفكم فإن كنتم أكفاءنا قاتلناكم وكان عليهم البيض فلم يعرفوهم فقال حمزة: أنا حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله فقال عتبة: كفو كريم وأنا أسد الحلفاء بضم الحاء وفتح اللام أي الأحلاف أو الحلفاء بفتح الحاء وسكون اللام أي الأجمة. ومن هذان معك قال علي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث بن المطلب قال: كفوان كريمان، فبارز علي الوليد وكانا أصغر القوم وبارز عبيدة شيبة وهما أسن القوم ولعبيدة سبعون سنة وبارز حمزة عتبة وهما أوسط القوم سناً. ومن الطبيعي أن يبارز الرجل من يناسبه في السن، هذه رواية الواقدي والمفيد في الإرشاد. وقال ابن سعد في الطبقات: الثبت أن حمزة بارز عتبة وأن عبيدة بارز شيبة، وروى ابن إسحاق في المغازي أن عبيدة بارز عتبة وحمزة بارز شيبة، وقال ابن أبي الحديد لمن روى ذلك أن ينتصر بقول هند بنت عتبة ترثي أباها:

تداعى له رهطه قصرة ... بنو هاشم وبنو المطلب
يذيقونه حر أسيافهم ... يعلونه بعدما قد شجب

وذلك لأن عبيدة من بني المطلب أثبت عتبة عليه ودفف عليه علي وحمزة

---

(١) يوجد في بعض المواضع ابن الحارث بن عبد المطلب والصواب أنه ابن الحارث بن المطلب كما هو كذلك في طبقات ابن سعد والمطلب هو أخو هاشم وعم عبد المطلب، وصرح ابن أبي الحديد بأن عبيدة من بني المطلب ويدل عليه قول هند بنت عتبة ترثي أباها:

تداعى له رهطه قصرة ... بنو هاشم وبنو المطلب

وكأن الاشتباه وقع من شهرة عبد المطلب دون المطلب.

قال وهو الموافق لما يذكره أمير المؤمنين في كتبه بقوله لمعاوية: وعندي السيف الذي اعضضت به أخاك وخالك وجدك، وقوله: قد عرفت مواقع نصالها في أخيك وخالك وجدك. أخوه حنظلة وخاله الوليد وجده عتبة، وعندي أنه لا دلالة في هذا الكلام على ذلك فهو قد قتل عتبة أو شرك في قتله سواء أكان المبارز له حمزة ووضع رأسه في صدره كما في إحدى الروايتين أم عبيدة كما في الرواية الأخرى فإذ كر هو وحمزة فأجهزا عليه. وأما شعر هند فمحمول على نحو من التوسع فإذا كان بنو هاشم وبنو المطلب تداعوا له ولمن معه صح أن يقال توسعا تداعى له بنو هاشم وبنو المطلب وصح أن يقال: يذيقونه حر أسيافهم باعتبار أن بعضهم أو أكثرهم يذيقونه ذلك. أما علي والوليد فاختلفا ضربتين أخطأت ضربة الوليد علياً لأنه بمهارته في الحرب - مع أن هذه أول حروبه - حاد عن الضربة فأخطأته كما حاد عن ضربة جناح يوم الهجرة فأخطأته ضربته وضربه علي على حبل عاتقه الأيسر أو الأيمن على اختلاف النقلين فأخرج السيف من إبطه وقد سبق له أن ضرب جناحاً يوم هجرته على عاتقه فقده نصفين حتى وصل السيف إلى كتف فرسه ومن ذلك اليوم قيل فيه أن ضرباته كانت وتراً إذا علا قد وإذا اعترض قط وفي بعض الروايات أن علياً قال: فأخذ الوليد يمينه بيساره فضرب بها هامتي فظننت أن السماء وقعت على الأرض ثم ضربه ضربة أخرى فصرعه وهذا يدل على أن الضربة الأولى قطعت يده وخرجت من إبطه الأيمن فقطعت اليد وحدها من الإبط فتناولها بيساره وضربه بها وقد ذكرنا في الجزء الثاني في وقعة بدر أن الصواب أنه ضربه على عاتقه الأيسر لأن الضارب إنما يضرب بيده اليمنى ومقابل الأيمن إنما هو الأيسر وأن القول بأنه ضربه على عاتقه الأيمن غلط وروى المفيد في الإرشاد عن علي بن هاشم عن محمد بن عبد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جده أبي رافع مولى رسول الله ﷺ في حديث أن علياً والوليد اختلفا ضربتين أخطأت ضربة الوليد أمير المؤمنين فأبانتها (اهـ) فهذا صريح في أن الضرب كان على الجانب الأيسر كما مر ثم قال المفيد فروي أن علياً عليه السلام كان يذكر بدراً وقتله الوليد فقال

في حديثه: كأني أنظر إلى وميض خاتمه في شماله ثم ضربته ضربة أخرى فصرعته وسلبته فرأيت به ردعاً من خلوق فعلمت أنه قريب عهد بعرس وأما حمزة وعتبة فقيل: إن حمزة لم يمهل عتبة أن قتله وقيل: تضاربا بالسيفين حتى انثلما واعتنقا فصاح المسلمون: يا علي أما ترى الكلب قد بهر عمك حمزة وكان حمزة أطول من عتبة فقال علي: يا عم طأطىء رأسك فأدخل حمزة رأسه في صدر عتبة فضرب علي عتبة فطرح نصفه فكانت ضربته هذه من الضربات التي إذا اعترض بها قط. وأما عبيدة وشيبة فاختلفا ضربتين فضربه عبيدة على رأسه ضربة فلقت هامته وضربه شيبة على ساقه فقطعها وسقطا جميعاً وكر حمزة وعلي على شيبة فأجهزوا عليه وحملا عبيدة إلى المعسكر. وذلت قريش بمقتل هؤلاءالثلاثة وظهرت إمارات النصر للمسلمين عليهم وقد قتل علي أحدهم وشرك في قتل الباقيين وإلى ذلك وأمثاله يشير أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه بقوله: وكان رسول الله ﷺ إذا احمر الباس وأحجم الناس قدم أهل بيته فوقى بهم أصحابه حر الأسنة والسيوف فقتل عبيدة يوم بدر وقتل حمزة يوم أحد وقتل جعفر يوم مؤتة وأراد من لو شئت ذكرت اسمه مثل الذي أرادوا من الشهادة ولكن آجالهم عجلت ومنيته أجلت وإلى ذلك وغيره تشير الزهراء عليها السلام بقولها في بعض خطبها السابقة: فأنقذكم الله بأبي بعد اللتيا والتي بعد أن مني بهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب (كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله أو نجم قرن للشيطان أو فغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها فلا ينكفىء حتى يطأ صماخها بأخمصه ويخمد لهبها بسيفه مجداً كادحاً وأنتم في بلهنية من العيش وادعون فاكهون آمنون تنكصون عند النزال وتفرون من القتال. وروى الحاكم في المستدرك وقال صحيح ولم يخرجاه وصححه الذهبي في التلخيص عن علي قال: نزلت: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ في الذين بارزوا يوم بدر حمزة بن عبد المطلب وعلي وعبيدة بن الحارث وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة قال علي: وأنا أول من يجثو للخصومة على ركبتيه بين يدي الله يوم القيامة وروى المفيد في الإرشاد بسنده عن أبي جعفر عليه السلام في حديث

قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام أقبل إلي حنظلة بن أبي سفيان فلما دنا مني ضربته ضربة بالسيف فسالت عيناه ولزم الأرض قتيلاً. وأقبل العاص بن سعيد بن العاص يبحث للقتال فبارزه علي فقتله بعدما أحجم عنه غيره. روى المفيد في الإرشاد بسنده عن صالح بن كيسان أن ابنه سعيد بن العاص دخل على عمر في خلافته فجلس ناحية قال سعيد: فنظر إلي عمر وقال: ما لي أراك كأن في نفسك علي شيئاً أتظن أني قتلت أباك والله لوددت أني كنت قتلته ولو قتلته لم أعتذر من قتل كافر ولكني مررت به يوم بدر فرأيته يبحث للقتال كما يبحث الثور بقرنه فهبته ورغت عنه فقال لي: إلى أين يابن الخطاب وصمد له علي فتناوله فوالله ما رمت مكاني حتى قتله وكان علي حاضراً في المجلس فقال: اللهم غفراً ذهب الشرك بما فيه ومحا الإسلام ما تقدم فما لك تهيج الناس علي؟ فكف عمر فقال سعيد: أما أنه ما كان يسرني أن يكون قاتل أبي غير ابن عمه علي بن أبي طالب. وقال الواقدي فيما حكاه ابن أبي الحديد: أقبل العاص بن سعيد بن العاص يبحث للقتال فالتقى هو وعلي عليه السلام فقتله علي عليه السلام فكان عمر بن الخطاب يقول لابنه سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص: ما لي أراك معرضاً أتظن أني قتلت أباك فقال سعيد: لو قتلته لكان على الباطل وكنت على الحق الخبر وقال ابن أبي الحديد ونقلت من غير كتاب الواقدي أن عثمان بن عفان وسعيد بن العاص حضرا عند عمر في خلافته فجلس سعيد بن العاص حجزة فنظر إليه عمر فقال: ما لي أراك معرضاً كأني قتلت أباك إني لم أقتله ولكن قتله أبو حسن وكان علي حاضراً فقال: اللهم غفرا ذهب الشرك بما فيه ومحا الإسلام ما قبله فلماذا تهاج القلوب؟ فسكت عمر وقال سعيد: لقد قتله كفؤ كريم وهو أحب إلي من أن يقتله من ليس من بني عبد مناف «اه» وسعيد بن العاص هذا هو والد عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالأشدق الذي كان عاملاً على المدينة من قبل يزيد بن معاوية يوم قتل الحسين عليه السلام ولما أخبر بقتله وسمع واعية بني هاشم ضحك وتمثل بقول عمرو بن معديكرب الزبيدي:

عجت نساء بني زياد عجة كعجيج نسوتنا غداة الأرنب

قال الواقدي: ولما رأت بنو مخزوم مقتل من قتل قالوا: أبو الحكم لا يخلص إليه - يعنون أبا جهل - فأحدقوا به وألبسوا لامته عبد الله بن المنذر فصمد له علي فقتله وهو يراه أبا جهل ومضى وهو يقول: أنا ابن عبد المطلب ثم ألبسوها حرملة بن عمرو فصمد له علي فقتله ثم أرادوا أن يلبسوها خالد بن الأعلى فأبى وقال رسول الله ﷺ: **«اللهم اكفني نوفل بن العدوية»** وهو نوفل بن خويلد من بني أسد بن عبد العزى فأسره جبار بن صخر ورأى علياً مقبلاً نحوه فقال لجبار: من هذا واللات والعزى إني لأرى رجلاً يريدني قال: هذا علي بن أبي طالب فصمد له علي فضربه فنشب سيفه في حجفته فزعه وضرب به ساقيه فقطعهما ثم أجهز عليه فقتله فقال رسول الله ﷺ: **«من له علم بنوفل بن خويلد»** قال علي: أنا قتلته فكبر رسول الله ﷺ وقال: **«الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه»**. وروى محمد بن إسحاق أن طعيمة بن عدي قتله علي بن أبي طالب شجرة بالرمح فقال: والله لا تخاصمنا في الله بعد اليوم أبداً ثم قال: وقيل قتله حمزة «اهـ» وروى الواقدي ما يقتضي أنه اشترك في قتله علي وحمزة قال الواقدي: كان علي عليه السلام يحدث فيقول إني يومئذ بعدما متع النهار[1] ونحن والمشركون قد اختلطت صفوفنا وصفوفهم خرجت في أثر رجل منهم فإذا رجل من المشركين على كثيب رمل وسعد بن خيثمة وهما يقتتلان حتى قتل المشرك سعد بن خيثمة والمشرك مقنع في الحديد وكان فارساً فاقتحم عن فرسه فعرفني وهو معلم فناداني: هلم يابن أبي طالب إلى البراز فعطفت عليه فانحط إلي مقبلاً وكنت رجلاً قصيراً فانحططت راجعاً لكي ينزل إلي كرهت أن يعلوني فقال: يابن أبي طالب فررت فقلت: قريباً مفر ابن الشتراء[2] فلما استقرت قدماي وثبتت أقبل فلما دنا مني ضربني فاتقيت بالدرقة فوقع سيفه

(١) متع النهار ارتفع وبلغ غاية ارتفاعه قبل الزوال.

(٢) هو مثل قال الزمخشري في الفائق: ابن الشتراء رجل كان يصيب الطريق وكان يأتي الرفقة فيدنو منهم حتى إذا هموا به نأى قليلاً ثم عاودهم حتى يصيب منهم غرة «اهـ» فضرب به المثل.

فلحج[1] فأضربه على عاتقه وهو دارع فارتعش ولقد قط سيفي درعه فظننت أن سيفي سيقتله فإذا بريق سيف من ورائي فطأطأت رأسي ويقع السيف فاطن قحف رأسه بالبيضة وهو يقول: خذها وأنا ابن عبد المطلب فالتفت من ورائي فإذا هو عمي حمزة والمقتول طعيمة بن عدي «اهـ» فإذا كان علي ضربه على عاتقه وقط سيفه درعه فهو قد أشرف به على الموت ولذلك قال: فظننت أن سيفي سيقتله ثم أكمل قتله حمزة فأطار قحف رأسه وبذلك يجمع بين القول بأنه قتله علي والقول بأنه قتله حمزة وأما أن علياً شجره بالرمح فيمكن أن يكون جمع بين شجرة بالرمح وضربه بالسيف. قال المفيد: وقد أثبت رواة العامة والخاصة معاً أسماء الذين تولى أمير المؤمنين قتلهم ببدر من المشركين على اتفاق فيما نقلوه من ذلك فكان ممن سموه.

١ ـ الوليد بن عتبة وكان شجاعاً جريئاً وقاحاً تهابه الرجال.

٢ ـ العاص بن سعيد بن العاص وكان هولاً عظيماً تهابه الأبطال وهو الذي حاد عنه عمر كما مر.

٣ ـ طعيمة بن عدي بن نوفل وكان من رؤوس أهل الضلال.

٤ ـ نوفل بن خويلد وكان أشد المشركين عداوة لرسول الله ﷺ وكانت قريش تقدمه وتعظمه وتطيعه وهو الذي قرن أبا بكر وطلحة قبل الهجرة بمكة وأوثقهما بحبل وعذبهما يوماً إلى الليل حتى سئل في أمرهما.

٥ ـ زمعة بن الأسود.

٦ ـ الحارث بن زمعة.

٧ ـ النضر بن الحارث بن عبد الدار.

٨ ـ عمر أو عمير بن عثمان بن كعب بن تيم عم طلحة بن عبيد الله.

٩، ١٠ ـ عثمان ومالك أبناء عبيد الله أخو طلحة بن عبيد الله.

---

(١) لحج أي نشب.

١١ ـ مسعود بن أمية بن المغيرة.

١٢ ـ قيس بن الفاكه بن المغيرة.

١٣ ـ حذيفة بن أبي حذيفة بن المغيرة.

١٤ ـ أبو قيس بن الوليد بن المغيرة.

١٥ ـ حنظلة بن أبي سفيان.

١٦ ـ عمر بن مخزوم.

١٧ ـ أبو المنذر بن أبي رفاعة.

١٨ ـ منبه بن الحجاج السهمي.

١٩ ـ العاص بن منبه.

٢٠ ـ علقمة بن كلدة.

٢١ ـ أبو العاص بن قيس بن عدي.

٢٢ ـ معاوية بن المغيرة بن أبي العاص.

٢٣ ـ لوذان بن ربيعة.

٢٤ ـ عبد الله بن المنذر بن أبي رفاعة.

٢٥ ـ مسعود بن أمية بن المغيرة.

٢٦ ـ حاجب أو حاجز بن السائب بن عويمر.

٢٧ ـ أوس بن المغيرة بن لوذان.

٢٨ ـ زيد بن مليص.

٢٩ ـ غانم بن أبي عوف.

٣٠ ـ سعيد بن وهب حليف بني عامر.

٣١ ـ معاوية بن عامر بن عبد القيس.

٣٢ ـ عبد الله بن جميل بن زهير بن الحارث بن أسد.

٣٣ ـ السائب بن مالك.

٣٤ ـ أبو الحكم بن الأخنس.

٣٥ ـ هشام بن أبي أمية بن المغيرة. قال المفيد: فذلك خمسة وثلاثون رجلاً سوى من اختلف فيه أو شرك أمير المؤمنين فيه غيره «اهـ» ولكنه عد مسعود بن أمية بن المغيرة مرتين فلذلك بلغوا خمسة وثلاثين وإلا فهم أربعة وثلاثون كما ترى، وبعضهم عد معهم عيسى بن عثمان فيكونون بذلك خمسة وثلاثين وهو نصف المقتولين الذين كانوا سبعين قتيلاً، كل هذا ولم يتجاوز الخمسة والعشرين عاماً على الأكثر ولم يزد عن العشرين على الأقل. وحكى بن أبي الحديد في شرح النهج أن جميع من قتل ببدر في رواية الواقدي من المشركين في الحرب وصبرا اثنان وخمسون رجلاً قتل علي (ع) منهم مع الذين شرك في قتلهم أربعة وعشرين ولكنه عدهم ٢٣ رجلاً، قال وقد كثرت الرواية أن المقتولين ببدر كانوا سبعين ولكن الذين عرفوا وحفظت أسماؤهم من ذكرناه «اهـ». وهذه (أسماء من قتلهم علي ببدر) على رواية الواقدي: فمن بني عبد شمس:

١ ـ حنظلة بن أبي سفيان.

٢ ـ العاص بن سعيد بن العاص.

٣ ـ الوليد بن عتبة.

٤ ـ شيبة بن ربيعة شرك في قتله.

٥ ـ عامر بن عبد الله حليف لهم من أنمار وقيل قتله سعد بن معاذ ولعله لذلك لم يذكره المفيد لأنه لا يذكر إلا ما اتفقوا عليه. ومن بني نوفل بن عبد مناف:

٦ ـ طعيمة بن عدي ويكنى أبا الريان قتله علي على رواية ابن إسحق وحمزة على رواية الواقدي ومن بني أسد ابن عبد العزى:

٧ ـ الحارث بن زمعة بن الأسود.

٨ ـ عقيل بن الأسود بن المطلب قال الواقدي حدثني أبو معشر قال قتله علي وحده وقيل شرك في قتله علي وحمزة وقيل قتله أبو داود المازني ولم يذكره المفيد.

٩ ـ نوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى وهو ابن العدوية. ومن بني عبد الدار بن قصي.

١٠ ـ النضر بن الحارث بن كلدة قتله علي صبراً بالسيف بأمر النبي ﷺ.

١١ ـ زيد بن مليص مولى عمرو بن هاشم بن عبد مناف من عبد الدار وقيل قتله بلال ولم يذكر المفيد خلافاً في قتل علي له.

ومن بني تيم بن مرة:

١٢ ـ عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة.

١٣ ـ حليف لبني مخزوم وقيل قتله عمار بن ياسر. ومن بني الوليد بن المغيرة.

١٤ ـ أبو قيس بن الوليد أخو خالد بن الوليد، ومن بني أمية بن المغيرة.

١٥ ـ مسعود بن أبي أمية.

ومن بني رفاعة:

١٦ ـ عبد الله بن أبي رفاعة.

ومن بني عمران بن مخزوم:

١٧ ـ حاجز بن السائب بن عويمر بن عائذ.

١٨ أخوه عويمر بن السائب بن عويمر قتله علي على رواية البلاذري ولم يذكره المفيد.

ومن بني جمح:

١٩ ـ أوس بن المغيرة بن لوذان شرك فيه علي وعثمان بن مظعون.

ومن بني سهم:

٢٠ ـ منبه بن الحجاج وقيل قتله أبو أسيد الساعدي ولم يذكر المفيد خلافاً في أنه قتله علي.

٢١ ـ نبيه بن الحجاج ولم يذكره المفيد.

٢٢ ـ العاص بن منبه بن الحجاج.

٢٣ ـ أبو العاص بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم، روى الواقدي عن أبي معشر عن أصحابه أنه قتله علي وقيل قتله أبو دجانة ولم يذكر المفيد فيه خلافاً. قال ابن أبي الحديد: في رواية الشيعة أن زمعة بن الأسود بن المطلب قتله علي، والأشهر في الرواية أنه قتل الحارث بن زمعة وأن زمعة قتله أبو دجانة «اهـ» ومر عن المفيد أن علياً قتلهما معاً. قال المفيد وابن الأثير في أسد الغابة وابن حجر في الإصابة: وفيما صنعه أمير المؤمنين (ع) ببدر قال أسيد بن أبي اياس بن وثيم يحرض مشركي قريش عليه ويعيرهم به:

في كل مجمع غاية[1] أخزاكم	جذع[2] ابر[3] على المذاكي[4] القرح
لله دركم ألما تنكروا	قد ينكر الحر الكريم ويستحي
هذا ابن فاطمة الذي أفناكم	ذبحاً وقتله قصعة[5] لم يذبح
أعطوه خرجاً واتقوا تضريبه	فعل الذليل وبيعة لم تربح
أين الكهول وأين كل دعامة	في المعضلات وأين زين الأبطح
أفناهم قصعاً وضرباً يفتري	بالسيف يعمل حده لم يصفح

---

(١) أي محل اجتماع لغاية من الغايات أو مجمع غاية السباق.

(٢) الجذع بالتحريك الشاب الحدث.

(٣) يقال أبر عليهم إذا غلبهم.

(٤) المذاكي من الخيل التي مضى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان.

(٥) القصع الدفع والكسر والقصعة المرة منه، قال أبو عبيدة: القصع ضمك الشيء على الشيء حتى تقتله أو تهشمه ومنه قصع القملة ويروى ذبحاً وقتلا قصعة والمعنى أنه أفناكم بالقتل الذي هو على نوعين قتل الذبح وقتل القصع وهو الدفع برمح وغيره حتى يموت، يقول أفناكم بالذبح تارة وبقتلة قصعة أخرى بإضافة قتلة إلى قصعة أو قتلا قصعة على الرواية الأخرى فقصعة بدل من قتلا فعل كل هذا ولم يذبحه أحد.

قال الزمخشري في الفائق: قال سعد بن أبي وقاص رأيت علياً يوم بدر وهو يقول:

بازل عامين حديث سني ... سنحنح الليل كأني جني
لمثل هذا ولدتني أمي ... ما تنقم الحرب العوان مني

ويروى سمعمع كأنني من جن (بازل عامين) هو البعير الذي تمت له عشر سنين ودخل في الحادية عشرة[1] وبلغ نهايته في القوة والمعنى أنا في استكمال القوة كهذا البعير مع حداثة السن (السنحنح) و (السمعمع) مما كرر عينه ولامه من سنح وسمع فالسنحنح الذي يسنح كثيراً وإضافته إلى الليل على معنى أنه يكثر السنوح فيه لأعدائه لجلادته. والسمعمع الخفيف السريع في وصف الذئاب فاستعير «اهـ» الفائق. وأخرج ابن عساكر في تاريخه من طريق مصعب بن سعد عن أبيه سعد بن أبي وقاص قال: لقد رأيت علي بن أبي طالب بارز يوم بدر فجعل يحمحم كما يحمحم الفرس ويقول: وذكر الرجز ثم قال: فما رجع حتى خضب سيفه دما. وفي أسد الغابة بسنده عن مصعب بن سعد عن سعد قال: رأيته - يعني علياً - يخطف بالسيف هام المشركين وهو يقول: سنحنح الليل كأني جني. وفي وقعة بدر يقول الحاج هاشم بن الحاج حردان الكعبي من قصيدة:

وغداة بدر وهي أم وقائع ... كبرت وما زالت لهن ولودا
قابلتهن فلم تدع لعقودها ... نظماً ولا لنظامهن عقيدا
فالتاح عتبة ثاوياً بيمين من ... يمناه أردت شيبة ووليدا
سجدت رؤوسهم لديك وإنما ... كان الذي ضربت عليه سجودا
وتوحدت بعد ازدواج والذي ... ندبت إليه لتهتدي التوحيدا

---

(١) في القاموس بزل ناب البعير بزلاً وبزولاً طلع، جمل وناقة بازل وذلك في تاسع سنيه «اهـ» فمعنى بازل عامين أنه مضى له عامان وهو بازل فإذا كان البزول يحصل بالدخول في التاسعة فبازل عامين الذي دخل في الحادية عشرة.

وفيها يقول المؤلف من قصيدة:

غدا يوم بدر شاهداً لك في الورى ... بآيات فضل قد تضمنها بدر
وعتبة وافى والوليد وشيبة ... وقائدهم تيه وسائقهم كفر
عليهم من الماذي كل مفاضة نبت ... في الوغى عنها الظبا والقنا السمر
أبوا عن بني عفراء كبراً وطالبوا ... بأكفائهم لما استخفهم الكبر
عبيدة والمولى علي وحمزة ... هم خير أكفاء كرام لهم قدر
قتلت وليداً واشتركت بشيبة ... وفي عتبة شاركت عمك يا وتر

تزوجه بالزهراء عليهما السلام

وعقيب عوده من بدر تزوج بالزهراء عليهما السلام، ومر تفصيله قبل وقعة بدر وإنما قدمناه على وقعة بدر لأن في بعض الروايات أنه عقد عليها قبل بدر وبنى بها مقدمه من بدر فلذلك قدمنا خبر تزوجه بها على وقعة بدر ولم نؤخر خبر بنائه بها عنها لتكون أخبار تزوجه بها متتابعة.

السنة الثالثة من الهجرة

وفي ليلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة ولد له الحسن بن علي من فاطمة الزهراء وقيل سنة اثنتين وقيل أكثر والمشهور الأثبت القولان الأولان، فلما ولد الحسن قالت فاطمة لعلي عليهم السلام سمه فقال ما كنت لأسبق باسمه رسول الله ﷺ فجاء النبي ﷺ وقال لعلي هل سميته قال ما كنت لأسبقك باسمه قال سمه الحسن.

أخباره في وقعة أحد

وكانت في شوال لسبع خلون منه أو للنصف منه يوم السبت سنة ثلاث من الهجرة على رأس اثنين وثلاثين شهراً منها ومرت مفصلة في الجزء الثاني ونذكر هنا إجمالها ثم تفصيل ما له علاقة بأمير المؤمنين عليه السلام مما يتقدم وإن لزم بعض التكرار. وكان سببها أن المشركين اجتمعوا وقرروا غزو المدينة للأخذ

بالثأر بما أصابهم يوم بدر. فكتب العباس كتاباً وأرسله مع رجل من غفار إلى النبي ﷺ يخبره بخبرهم استأجره وشرط عليه أن يصل المدينة في ثلاث، فوصلها وسلم الكتاب وأقبل المشركون في ثلاثة آلاف وقائدهم أبو سفيان ومعهم مائتا فرس وثلاثة آلاف بعير وخمس عشرة امرأة فنزلوا أولاً بذي الحليفة على نحو مسير أربع ساعات من المدينة. ثم ساروا حتى مروا بالعقيق وساروا منه حتى نزلوا ببطن الوادي من قبل أحد مقابل المدينة وكان وصولهم يوم الأربعاء ثاني عشر شوال فأقاموا الأربعاء والخميس والجمعة وبات رؤساء الأنصار سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وأسيد بن حضير بالسلاح بباب رسول الله ﷺ ليلة الجمعة خوفاً عليه من البيات حتى أصبحوا وحرست المدينة تلك الليلة فلما أصبح النبي ﷺ يوم الجمعة خطب أصحابه فقال رأيت البارحة في منامي أني أدخلت يدي في درع حصينة ورأيت بقراً تذبح ورأيت في ذباب سيفي ثلماً وإني أردفت كبشاً. وأولتها: أما الدرع الحصينة فالمدينة وأما البقر فناس من أصحابي يقتلون وأما الثلم فرجل من أهل بيتي يقتل وأما الكبش فكبش الكتيبة نقتله إن شاء الله فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فإن أقاموا أقاموا بشر مقام، وإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها، فأنا أعلم بها منهم. فكان رأيه البقاء بالمدينة واختلف رأي أصحابه فكان رأي أكثر وجوههم موافقاً لرأيه وكان رأي الشبان الذين لم يحضروا بدراً وبعض الشيوخ الخروج فلما رأى النبي ﷺ أكثرهم يريد الخروج وافقهم لأن المصلحة تقتضي ذلك وإن كانت من وجه آخر تقتضي خلافه. ومع ذلك كان النصر فيها مضموناً لولا مخالفة الرماة كما يأتي، وعقد رسول الله ﷺ ثلاثة ألوية على ثلاثة رماح، لواء المهاجرين بيد علي بن أبي طالب ولواء الأوس بيد أسيد بن حضير، ولواء الخزرج بيد الحباب بن المنذر أو سعد بن عبادة، وأعطى الراية وهي العلم الأكبر واللواء دونها علي بن أبي طالب، وسار من المدينة بعد العصر في ألف من أصحابه فيهم مائة دارع ومعهم فرسان، هذا على بعض الروايات، ولكن الطبري قال إنه أمر الزبير على الخيل وقال: استقبل خالد بن الوليد فكن بإزائه وكان على خيل

المشركين، وأمر بخيل أخرى فكانوا من جانب آخر، ثم قال فأرسل إلى الزبير أن يحمل فحمل على خالد بن الوليد وهذا يدل على أنه كان معه خيل كثيرة فلما وصل إلى مكان يسمى الشيخين عرض عسكره وبات هناك ثم سار سحراً حتى وصل إلى بستان يسمى الشوط بين المدينة وأحد فصلى فيه صلاة الصبح ومن هناك رجع عبد الله بن أبي بن سلول في ثلثمائة من المنافقين وبقي في سبعمائة فلما نهض من الشيخين زحف المشركون على تعبئة فوصل إلى أحد وهو جبل على مسافة نحو ساعتين من المدينة فجعل أحداً خلف ظهره وجاء المشركون فاستدبروا المدينة واستقبلوا أحداً وأعطى المشركون لواءهم إلى طلحة بن أبي طلحة من بني عبد الدار لأن لواء قريش كان لهم في الجاهلية فلما علم رسول الله ﷺ أن لواء المشركين مع بني عبد الدار أخذ اللواء من علي ودفعه إلى رجل من بني عبد الدار اسمه مصعب بن عمير وقال: نحن أحق بالوفاء منهم فلما قتل مصعب رده إلى علي فحيث أن أعطاه المشركين لواءهم للعبدري كان وفاء منهم لعشيرته الذين كان لهم لواء قريش في الجاهلية دفع النبي ﷺ لواءه إلى مصعب بن عمير العبدري مقابلة لفعل قريش وقال: نحن أحق بالوفاء منهم لا لأن أحداً في الناس أحق باللواء من علي ولذلك لما قتل مصعب رده إلى علي. قال المفيد: فصار صاحب الراية واللواء جميعاً، وليس معنى كونهما معه أنه يحملهما جميعاً بل المراد أن أمرهما إليه فيعطي أحدهما من شاء كما كانوا يفعلون في ولاية البلدان أو أنه مرة كان يحمل اللواء ومرة الراية. وصف المشركون صفوفهم وكان لهم مجنبتان ميمنة وميسرة فيهما مائتا فرس وخالد بن الوليد في الميمنة وعكرمة بن أبي جهل في الميسرة وصف النبي ﷺ أصحابه وجعل الرماة خلف العسكر عند فم الشعب الذي في جبل أحد وكانوا خمسين رجلاً وأمر عليهم عبد الله بن جبير وقال: انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتوننا من خلفنا فإن الخيل لا تقدم على النبل واثبت مكانك إن كانت لنا أو علينا فإنا لا نزال غالبين ما ملكتم مكانكم فإن رأيتمونا قد هزمناهم حتى أدخلناهم مكة فلا تبرحوا وإن رأيتموهم قد هزمونا حتى أدخلونا المدينة فلا تبرحوا وألزموا

مراكزكم. وبرز طلحة بن أبي طلحة عبد الله بن عثمان العبدري صاحب لواء المشركين وكان يسمى كبش الكتيبة وطلب البراز مراراً فلم يجبه أحد فبرز علي بن أبي طالب فقتله. ومن الذي يجيب نداء المنادي إلى البراز حين يجبن عنه الناس ويكشف الكرب غير علي؟ فهو الذي أجاب نداء طلحة هذا كبش الكتيبة يوم أحد ونداء عمرو بن عبد ود فارس يليل يوم الخندق ونداء مرحب فارس اليهود يوم خيبر، جبن عنهم الناس وبارزهم وقتلهم وهم فرسان الحروب. وقد اتفق المؤرخون على أن الذي قتل طلحة هو علي بن أبي طالب. وإنما اختلفت الروايات بعض الاختلاف في كيفية مبارزة علي له وقتله فقد وردت في ذلك روايات **(إحداها)** أن طلحة طلب المبارزة مراراً فلم يجبه أحد فقال: يا أصحاب محمد زعمتم أن قتلاكم إلى الجنة وقتلانا إلى النار فهل أحد منكم يعبطني بسيفه إلى النار أو أعجله بسيفي إلى الجنة كذبتم واللات والعزى لو تعلمون ذلك لخرج إلي بعضكم فقام إليه علي بن أبي طالب فقال: والذي نفسي بيده لا أفارقك حتى أعجلك بسيفي إلى النار أو تعجلني بسيفك إلى الجنة. فضربه علي فقطع رجله فسقط فانكشفت عورته فقال أنشدك الله والرحم يا ابن عم فتركه، فكبر رسول الله ﷺ وقيل لعلي: ما منعك أن تجهز عليه قال: ابن عمي ناشدني حين انكشفت عورته فاستحييت منه. ومن هذا تعلم عمرو بن العاص ويسر بن أرطاة فكشفا سوأتيهما يوم صفين اتقاء سيف علي عليه السلام.

(ثانيتها) رواية الواقدي قال: برز طلحة بن أبي طلحة فصاح: من يبارز؟ فقال علي عليه السلام: هل لك في مبارزتي قال: نعم فبرزا بين الصفين فالتقيا فبدره علي بضربة على رأسه فمضى السيف حتى فلق هامته إلى أن انتهى إلى لحيته فوقع وانصرف علي عليه السلام فقيل له: هلا دففت عليه قال: إنه لما صرع استقبلني بعورته فعطفتني عليه الرحم وقد علمت أن الله سيقتله هو كبش الكتيبة (إشارة إلى رؤيا النبي ﷺ المتقدمة).

(ثالثها) ما ذكره الواقدي أيضاً قال: وروي أن طلحة حمل على علي عليه السلام فضربه بالسيف فاتقاه بالدرقة فلم يصنع شيئاً وحمل عليه علي عليه السلام

وعلى طلحة درع ومغفر فضربه بالسيف فقطع ساقيه ثم أراد أن يدفف عليه فسأله طلحة بالرحم أن لا يفعل فتركه ولم يدفف عليه، قال الواقدي: ويقال أن علياً عليه السلام دفف عليه، ويقال إن بعض المسلمين مر به في المعركة فدفف عليه (أقول) لعل رواية أنه قطع ساقية أقرب إلى الصحة فإن من يمضي السيف في رأسه حتى يصل إلى لحيته كما تضمنته الرواية الثانية لا يمكن أن يبقى حياً حتى يحتاج إلى أن يدفف عليه.

(رابعتها) ما رواه المفيد بسنده عن عبد الله بن مسعود أن علياً عليه السلام ضربه على مقدم رأسه فندرت عينه وصاح صيحة لم يسمع بمثلها قط وسقط اللواء من يده.

(خامستها) ما ذكره علي بن إبراهيم بن هاشم القمي في تفسيره قال: كانت راية قريش مع طلحة بن أبي طلحة العبدري من بني عبد الدار فبرز ونادى: يا محمد تزعمون أنكم تجهزوننا بأسيافكم إلى النار ونجهزكم بأسيافنا إلى الجنة فمن شاء أن يلحق بجنته فليبرز إلي. فبرز إليه أمير المؤمنين فقال طلحة: من أنت يا غلام؟ قال: أنا علي بن أبي طالب قال: قد علمت يا قضيم أنه لا يجسر عليَّ أحد غيرك وشد عليه طلحة فضربه فاتقاه علي بالجحفة ثم ضربه علي على فخذيه فقطعهما فسقط على ظهره وسقطت الراية فذهب علي ليجهز عليه فحلفه بالرحم فانصرف عنه فقال المسلمون: ألا أجهزت عليه قال: قد ضربته ضربة لا يعيش معها أبداً. ومر عند ذكر نصره النبي ﷺ في صغره معنى قوله يا قضيم وقد صدق طلحة في قوله أنه لا يجسر علي أحد غيرك ولو كان يجسر عليه أحد غيره لبرز إليه غيره وقد كرر النداء ووبخهم وكذبهم. قال الواقدي: فلما قتل طلحة سرّ رسول الله ﷺ وكبر تكبيراً عالياً وكبر المسلمون، ثم شد المسلمون على كتائب المشركين فجعلوا يضربون وجوههم حتى انتقضت صفوفهم ولم يقتل أحد إلا طلحة بن أبي طلحة وحده. وفي ترتيب أسماء من أخذ اللواء بعد طلحة وعددهم ومن قتَلهم بعض الاختلاف بين المؤرخين بعد اتفاقهم على أن طلحة قتله علي.

قال الواقدي: حمله بعد طلحة أخوه عثمان وهو أبو شيبة فقتله حمزة ثم حمله أخوهما أبو سعد أو أبو سعيد فقتله سعد بن أبي وقاص ثم حمله بعد أبي سعد مسافع بن طلحة بن أبي طلحة فقتله عاصم بن ثابت ثم حمله أخوه الحارث بن طلحة بن أبي طلحة فقتله عاصم أيضاً ثم حمله أخوهما كلاب بن طلحة بن أبي طلحة فقتله الزبير وقيل عاصم بن ثابت ثم حمله أخوهما الجلاس بن طلحة بن أبي طلحة فقتله طلحة بن عبيد الله. ثم حمله أرطاة بن شرحبيل فقتله علي بن أبي طالب. ثم حمله قارظ أو فارط أو قاسط بن شريح بن عثمان بن عبد الدار فقتل وفي بعض المواضع ثم حمله شريح بن قارظ بن شريح بن عثمان الخ قال الواقدي لا يدرى من قتله، وقال البلاذري قتله علي بن أبي طالب. ثم حمله غلام لهم اسمه صواب فقتله علي بن أبي طالب. هذه رواية الواقدي في ترتيب أسماء من أخذ اللواء وقاتليهم، فعلى هذه الرواية يكون الذين قتلهم علي من أصحاب اللواء ثلاثة طلحة وأرطاة وصواب.

وروى المفيد في الإرشاد بسنده عن ابن مسعود أن الذي أخذ اللواء بعد طلحة أخ له يقال له مصعب فقتله عاصم بن ثابت ثم أخذه أخ له يقال له عثمان فقتله عاصم أيضاً فأخذه عبد لهم يقال له صواب وكان من أشد الناس فضربه علي عليه السلام على يده فقطعها فأخذ اللواء بيده اليسرى فضربه علي على يده اليسرى فقطعها فأخذ اللواء على صدره وجمع يديه وهما مقطوعتان عليه فضربه علي على أم رأسه فسقط صريعاً (اهـ).

وقال ابن الأثير: كان الذي قتل أصحاب اللواء علي قال أبو رافع وروي الطبري وعلي بن إبراهيم والمفيد ما يدل على أن علياً عليه السلام قتل أصحاب اللواء جميعهم. أما الطبري ففي روايته الآتية بسنده عن أبي رافع قال: لما قتل علي بن أبي طالب أصحاب الألوية الخ فهذا ظاهر في أنه هو الذي قتل أصحاب الألوية جميعهم. وقال علي بن إبراهيم في تفسيره كما مر في الجزء الثاني: كانت راية قريش مع طلحة بن أبي طلحة العبدري فبرز إليه علي فضربه على فخذيه فقطعهما فسقط على ظهره وسقطت الراية ثم أخذ الراية أبو سعيد بن أبي

طلحة فقتله علي وسقطت الراية إلى الأرض فأخذها عثمان بن أبي طلحة فقتله علي وسقطت الراية إلى الأرض فأخذها مسافع بن أبي طلحة فقتله علي وسقطت الراية إلى الأرض فأخذها الحارث بن أبي طلحة فقتله علي وسقطت الراية إلى الأرض فأخذها أبو عزيز بن عثمان فقتله علي وسقطت الراية إلى الأرض فأخذها عبد الله بن أبي جميلة بن زهير فقتله علي وسقطت الراية إلى الأرض فقتل أمير المؤمنين التاسع من بني عبد الدار وهو أرطاة بن شرحبيل فبارزه علي وقتله وسقطت الراية إلى الأرض فأخذها مولاهم صواب فضربه أمير المؤمنين على يمينه فقطعها وسقطت الراية إلى الأرض فأخذها بشماله فضربه أمير المؤمنين على شماله فقطعها وسقطت الراية إلى الأرض فاحتضنها بيديه المقطوعتين ثم قال: يا بني عبد الدار هل أعذرت؟ فضربه أمير المؤمنين على رأسه فقتله وسقطت الراية إلى الأرض فأخذتها عمرة بنت علقمة الحارثية ونظرت قريش في هزيمتها إلى الراية قد رفعت فلاذوا بها اه (قوله) عبد الله بن أبي جميلة بن زهير الظاهر أنه هو الآتي في كلام المفيد باسم عبد الله بن حميد بن زهرة بن الحارث بن أسد بن عبد العزى وقد صحف حميد بأبي جميلة وزهير بزهرة وقال ابن أبي الحديد عن الواقدي ومحمد بن إسحق أنه عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد وهو من بني أسد بن عبد العزى لا من بني عبد الدار كما صرح به الواقدي حكاه عنه ابن أبي الحديد (قوله) التاسع من بني عبد الدار قد يقول قائل أنه السابع لا التاسع لأنه إذا كان عبد الله بن حميد من بني أسد لا من بني عبد الدار يكون أرطاة السابع منهم ويمكن الجواب بأن أرطاة وإن كان السابع ممن قتلهم علي عليه السلام إلا أنه التاسع ممن قتل من بني عبد الدار ممن قتله علي أو غيره فقد قتل منهم كلاب بن طلحة بن أبي طلحة قتله الزبير والجلاس بن طلحة بن أبي طلحة قتله طلحة بن عبيد الله وعليه فيكون أرطاة هو التاسع وإذا ضممنا شريح بن قارظ أو نارظ بن شريح إليهم صاروا عشرة قال ابن هشام فقال حسان بن ثابت في ذلك:

فخرتم باللواء وشر فخر ... لواء حين صار إلى صواب

جعلتم فخركم فيه بعبد وألأم من يطا عفر التراب
ظننتم والسفيه له ظنون وما أن ذاك من أمر الصواب
بان جلادكم يوم التقينا بمكة[1] بيعكم حمر العياب
أقر العين إن عصبت يداه وما أن تعصبان على خضاب

ويقول أيضاً:

أقمنا لهم طعناً مبيراً منكلاً وحزناهم بالضرب من كل جانب
ولولا لواء الحارثية أصبحوا يباعون في الأسواق بيع الجلائب

وفي إرشاد المفيد: روى عبد الملك بن هشام حدثنا زياد بن عبد الله عن محمد بن إسحق قال كان صاحب لواء قريش يوم أحد طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار قتله علي بن أبي طالب وقتل ابنه أبا سعيد بن طلحة وقتل أخاه خالد بن أبي طلحة وقتل عبد الله بن حميد بن زهرة بن الحارث بن أسد بن عبد العزى وأبا الحكم بن الأخنس بن شريق الثقفي والوليد بن أبي حذيفة بن المغيرة وأخاه أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة وأرطاة بن شرحبيل وهشام بن أمية وعمرو بن عبد الله الجمحي وبشر بن مالك وصوابا مولى بني عبد الدار «اهـ» وقد صرحت هذه الرواية بأن أبا سعيد هو ابن طلحة لا أخاه ولكن الواقدي كما مر صرح بأن أبا سعيد هو أخو طلحة لا ابنه ثم إن خالد بن أبي طلحة لم يرد له ذكر في غير هذه الرواية واحتملنا في الجزء الثاني أن يكون هو أبا عزيز بن عثمان المذكور في رواية علي بن إبراهيم لكن تأملنا بعد ذلك فوجدنا أن عثمان والد أبا عزيز الظاهر أنه عثمان بن أبي طلحة المذكور أولاً في تلك الرواية فأبو عزيز حفيد بني طلحة وخالد بن أبي طلحة ابنه لا حفيده ولا يبعد أن يكون خالد تصحيف الحارث والله أعلم. أما عبد الله بن حميد بن زهرة فالظاهر أنه هو المذكور في رواية علي بن إبراهيم باسم عبد الله بن أبي جميلة بن زهير فوقع التصحيف فصحف حميد بأبي جميلة وزهير بزهرة كما مر وأما بشر بن مالك العامري فقد مر في الجزء الثاني ويأتي في هذا الجزء عن الطبري أن علياً عليه السلام قتل شيبة بن

(١) متعلق ببيعكم لا بجلادكم.

مالك أحد بني عامر بن لؤي، والظاهر أنه بشر ابن مالك صحف أحدهما بالآخر.

وروى المفيد في الإرشاد بسند صحيح عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام قال: كان أصحاب اللواء يوم أحد تسعة قتلهم علي بن أبي طالب عن آخرهم وانهزم القوم وطارت مخزوم فضحها علي يومئذ.

وبعدما رأينا اختلاف المؤرخين فيمن عدا طلحة واثنين معه من أصحاب اللواء في عددهم وفيمن قتلهم وترتيب قتلهم بحيث لا يكاد يتفق اثنان منهم كابن سعد والطبري والواقدي وابن إسحق وابن الأثير وغيرهم كما عرفت لا نستبعد أن يكون التحامل على علي بن أبي طالب الذي هو فاش في الناس في كل عصر حمل البعض على نقل ما ينافي قتله جميع أصحاب اللواء وما علينا إلا أن نأخذ بالرواية الصحيحة المتقدمة عن الباقر عليه السلام أنه قتل أصحاب اللواء التسعة مع اعتضادها أيضاً بغيرها وترك ما يعارضها.

وهذا اللواء كان شؤماً على بني عبد الدار فقد قتلت رجالهم تحته ووقع على الأرض حتى رفعته امرأة. وقد حمشهم أبو سفيان في أول الحرب فكان لتحميشه أثره في محافظتهم على اللواء فإنه ناداهم قبل الحرب فقال: يا بني عبد الدار إنما يؤتى القوم من قبل لوائهم وإنما أتينا يوم بدر من اللواء فالزموا لواءكم وحافظوا عليه أو خلوا بيننا وبينه فأثار حفيظتهم بهذا الكلام فقالوا: نحن نسلم لواءنا؟ لا كان هذا أبداً ثم زادهم تحميشاً فقال: نجعل لواء آخر قالوا: نعم ولا يحمله إلا رجل من بني عبد الدار لا كان غير ذلك أبدا. وقوله إنما أتينا يوم بدر من اللواء محض غرور وخداع فإنما أتوا يوم بدر من قتل علي وحمزة وعبيدة رؤساءهم ومن سيف علي الذي قتل نصف المقتولين لا من اللواء. وقال أبو سفيان لخالد بن الوليد وهو في مائتين فارس مع عكرمة بن أبي جهل: إذا رأيتمونا قد اختلطنا بهم فاخرجوا عليهم من هذا الشعب حتى تكونوا من ورائهم. وكان خالد كلما أتى من يسرة النبي ﷺ ليجوز حتى يأتيهم من قبل السفح رده الرماة حتى فعل وفعلوا ذلك مراراً قال المفيد: وبارز الحكم بن

الأخنس فضربه علي فقطع رجله من نصف الفخذ فهلك منها ولما قتل أصحاب اللواء انهزم المشركون وانتقضت صفوفهم ولحقهم المسلمون يضعون السلاح فيهم حيث شاؤوا حتى أخرجوهم عن المعسكر. قال الطبري: وأمعن في الناس أبو دجانة وحمزة وعلي بن أبي طالب في رجال من المسلمين فأنزل الله عليهم نصره وصدقهم وعده وكانت الهزيمة لا شك فيها وجعلوا ينهبون ويغنمون فلما رآهم الرماة تاقت نفوسهم إلى الغنيمة وتناسوا أمر النبي ﷺ لهم أن يلزموا مراكزهم أكانت للمسلمين أم عليهم ومبالغته في الوصية لهم بذلك فقال بعضهم لبعض: لم تقيمون هنا في غير شيء وقد هزم الله العدو وهؤلاء أخوانكم ينتهبون عسكرهم فاذهبوا فاغنموا معهم. فذكرهم البعض وصية النبي ﷺ أن لا يبرحوا من مكانهم فأجابوهم بأن النبي ﷺ لم يرد هذا وقد هزم العدو فخطبهم أميرهم ونهاهم عن الذهاب وأمر بطاعة الرسول ﷺ فعصوه وانطلقوا وبقي معه دون العشرة قال الواقدي: قالوا: ما ظفر الله نبيه في موطن قط ما ظفره وأصحابه يوم أحد حتى عصوه فلما رأى خالد أن الرماة قد تركوا مراكزهم ولم يبق منهم إلا القليل كر عليهم بالخيل وتبعه عكرمة فراماهم القوم حتى قتلوا بعدما فني نبلهم وراماهم عبد الله بن جبير حتى فنيت نبله ثم طاعن بالرمح حتى انكسر ثم كسر جفن سيفه فقاتل حتى قتل، ولما رأى المشركون خيلهم تقاتل رجعوا من هزيمتهم وكروا على المسلمين من أمامهم وهم غارون آمنون مشتغلون بالنهب وكر عليهم خالد بخيله من ورائهم وجعلوا المسلمين في مثل الحلقة وانتقضت صفوف المسلمين وجعل بعضهم يضرب بعضاً ومن العجلة والدهشة حتى قتل منهم سبعون رجلاً بعدد من قتل من المشركين يوم بدر أو أكثر وتفرقوا في كل وجه وتركوا ما انتهبوه فأخذه المشركون وتركوا ما بأيديهم من أسرى المشركين.

قال المفيد: ولما جال المسلمون تلك الجولة أقبل أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة وهو دارع وهو يقول يوم بيوم بدر فعرض له رجل من المسلمين فقتله أمية وصمد له علي بن أبي طالب فضربه بالسيف على هامته فنشب في بيضة مغفره وضربه أمية بسيفه فأتقاها أمير المؤمنين بدرقته فنشب فيها ونزع أمير

المؤمنين سيفه من مغفره وخلص أمية سيفه من درقته أيضاً ثم تناوشا فقال علي (ع): فنظرت إلى فتق تحت إبطه فضربته بالسيف فيه فقتلته «اه».

وكانت هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان وأم معاوية جعلت جعلاً لوحشي بن حرب غلام جبير بن مطعم ـ وكان حبشياً يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطىء ـ إن هو قتل رسول الله ﷺ أو علي بن أبي طالب أو حمزة فقال لها: أما محمد فلا حيلة لي فيه لأن أصحابه يطيفون به وأما علي فإنه إذا قاتل كان أحذر من الذئب وأما حمزة فإني أطمع فيه لأنه إذا غضب لم يبصر بين يديه فرمى حمزة بحربته فقتله وهذه مزية انفرد بها علي وهي أنه مع شجاعته الفائقة حذر أحذر من الذئب لا يقدر أحد أن يغتاله في الحرب. وتفرق الناس كلهم عن رسول الله ﷺ وأسلموه إلى أعدائه ولم يبق معه أحد إلا علي عليه السلام فبعضهم ذهبوا إلى المدينة وبعضهم صعدوا فوق الصخرة التي في جبل أحد وقال بعض أصحاب الصخرة ليت لنا رسولاً إلى عبد اللّه بن أبيّ فيأخذ لنا أمَنَةً من أبي سفيان فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم وبعضهم ذهبوا إلى جبل بناحية المدينة فأقاموا به ثلاثاً ثم عاد جماعة من أصحاب الصخرة أربعة أو خمسة فحاموا عن النبي ﷺ مع علي عليه السلام وكان عودهم بسبب ثبات علي وكان علي هو المتميز وحده بالمحاماة عن النبي ﷺ فكان كلما أقبلت إليه جماعة من المشركين عازمين على أن يقتلوه مجتهدين في ذلك يقول له: «**يا علي احمل عليهم**» فيحمل عليهم ويفرقهم ويقتل فيهم وهكذا حتى نجاه الله من كيدهم وسلم منهم. قال المفيد وتوجه العتاب من الله تعالى إلى كافتهم لهزيمتهم يومئذ وذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ قال الطبري: تفرق عن رسول الله أصحابه ودخل بعضهم المدينة وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة فقاموا عليها وفشا في

الناس إن رسول الله ﷺ قد قتل فقال بعض أصحاب الصخرة: ليت لنا رسولاً إلى عبد اللّه بن أبيّ فيأخذ لنا أمنة من أبي سفيان. يا قوم إن محمداً قد قتل فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم فقال الله عز وجل للذين قالوا هذا القول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ «اهـ». وقوله: فارجعوا إلى قومكم يدل على أن القائل من المهاجرين وقال الطبري وغيره: وفر عثمان بن عفان ومعه رجلان من الأنصار حتى بلغوا الجلعب جبلاً بناحية المدينة مما يلي الأعرض فأقاموا به ثلاثاً فقال لهم رسول الله ﷺ: **«لقد ذهبتم فيها عريضة»**[1] «اهـ» وفي رواية الواقدي أنهم انتهوا إلى مكان يسمى الأعرض فقال ﷺ لهم ذلك. وقال المفيد فيما رواه بسنده عن ابن مسعود: وثبت معه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأبو دجانة وسهل بن حنيف يدفعون عنه ففتح ﷺ عينيه وكان قد أغمي عليه مما ناله فقال: يا علي ما فعل الناس قال: نقضوا العهد وولوا الدبر قال: اكفني هؤلاء الذين قد قصدوا قصدي فحمل عليهم علي فكشفهم وعاد إليهم وقد حملوا عليه من ناحية أخرى فكر عليهم فكشفهم وأبو دجانة وسهل بن حنيف قائمان على رأسه بيد كل واحد منهما سيف ليذب عنه «اهـ».

وفي إرشاد المفيد: حدثنا أحمد بن عمار حدثنا شريك عن عثمان بن المغيرة عن زيد بن وهب عن ابن مسعود وذكر غزاة أحد إلى أن قال زيد بن وهب: قلت لابن مسعود: انهزم الناس عن رسول الله ﷺ حتى لم يبق معه إلا علي بن أبي طالب وأبو دجانة وسهل بن حنيف فقال: انهزم الناس إلا علي بن أبي طالب وحده وثاب إلى رسول الله ﷺ نفر كان أولهم عاصم بن ثابت وأبو دجانة وسهل بن حنيف ولحقهم طلحة بن عبيد اللّه فقلت: وأين كان الشيخان قال: كانا فيمن تنحى قلت: وأين كان عثمان قال: جاء بعد ثلاثة أيام من الوقعة فقال له رسول الله ﷺ: **«لقد ذهبت فيها عريضة»** فقلت: وأين كنت أنت قال:

---

(١) جانس بين الأعرض اسم المكان الذي ذهبوا إليه وبين عريضة.

«كنت ممن تنحى» قلت: فمن حدثك بهذا قال: عاصم وسهل بن حنيف «اهـ».

وقال ابن أبي الحديد: وقد روى كثير من المحدثين أن رسول الله ﷺ قال لعلي (ع) حين سقط ثم أقيم: **«اكفني هؤلاء الجماعة»** قصدت نحوه فحمل عليهم فهزمهم وقتل منهم عبد اللّه بن حميد من بني أسد بن عبد العزى ثم حملت عليه طائفة أخرى فقال له: **«اكفني هؤلاء»** فحمل عليهم فانهزموا من بين يديه وقتل منهم أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة المخزومي.

وقال ابن أبي الحديد أيضاً: روى أبو عمر الزاهد محمد بن عبد الواحد اللغوي غلام ثعلب ورواه أيضاً محمد بن حبيب في أماليه أن رسول الله ﷺ لما فر معظم أصحابه عنه يوم أحد كثرت عليه كتائب المشركين وقصدته كتيبة من بني كنانة فيها بنو سفيان بن عويف وهم خالد وأبو الشعثاء وأبو الحمراء وغراب فقال ﷺ: **«يا علي اكفني هذه الكتيبة»** فحمل عليها وإنها لتقارب خمسين فارساً وهو (ع) راجل فما زال يضرب فيها بالسيف حتى تتفرق عنه ثم يجتمع عليه هكذا مراراً حتى قتل بني سفيان بن عويف الأربعة وتمام العشرة منها ممن لا يعرفون بأسمائهم.

قال: ولما انهزم الناس عن النبي ﷺ في يوم أحد وثبت أمير المؤمنين عليه السلام قال له النبي ﷺ: **«ما لك لا تذهب مع القوم»** قال أمير المؤمنين: أذهب وأدعك يا رسول الله؟ والله لا برحت حتى أقتل أو ينجز الله لك ما وعدك من النصرة فقال له النبي ﷺ: **«أبشر يا علي فإن الله منجز وعده ولن ينالوا منا مثلها أبداً»** ثم نظر إلى كتيبة قد أقبلت إليه فقال: **«لو حملت على هذه يا علي»** فحمل أمير المؤمنين عليها فقتل منها هشام بن أمية المخزومي وانهزم القوم ثم أقبلت كتيبة أخرى فقال له النبي ﷺ: **«احمل على هذه»** فحمل عليهم فقتل منها عمرو بن عبد اللّه الجمحي وانهزمت أيضاً ثم أقبلت كتيبة أخرى فقال له النبي ﷺ: **«احمل على هذه»** فحمل عليها فقتل بشر بن مالك العامري وانهزمت الكتيبة ولم يعد بعدها أحد منهم وتراجع المنهزمون من المسلمين إلى النبي ﷺ «اهـ».

وروى الطبري بسنده عن أنس بن النضر عم أنس بن مالك أنه انتهى إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قتل محمد رسول الله قال: فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه ثم قاتل حتى قتل «اهـ» وأصعد رسول الله ﷺ في الجبل مع جماعة من أصحابه فيهم علي بن أبي طالب وهم الذين رجعوا بعد فرارهم أما علي فلم يفارق النبي ﷺ. قال ابن هشام: وقع رسول الله ﷺ في حفرة فشجت ركبته فأخذ علي بن أبي طالب بيده ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً وقال ابن هشام أيضاً: لما انتهى رسول الله ﷺ إلى فم الشعب خرج علي بن أبي طالب حتى ملأ درقته ماء من المهراس فجاء به إلى رسول الله ﷺ ليشرب منه فوجد له ريحاً فعافه وغسل عن وجهه الدم وصب على رأسه وقال ابن الأثير: لما جرح ﷺ جعل علي ينقل له الماء في درقته من المهراس ويغسله فلم ينقطع الدم فأتت فاطمة وجعلت تعانقه وتبكي وأحرقت حصيراً وجعلت على الجرح من رماده فانقطع «اهـ». وقال الواقدي خرجت فاطمة عليها السلام في نساء وقد رأت الذي بوجه أبيها فاعتنقته وجعلت تمسح الدم عن وجهه وذهب علي عليه السلام فأتى بماء من المهراس وقال لفاطمة: امسكي هذا السيف غير ذميم قال: فلما أحضر علي الماء أراد رسول الله ﷺ أن يشرب منه فلم يستطع وكان عطشاً ووجد ريحاً من الماء كرهها فقال: هذا ماء آجن فتمضمض من الدم الذي كان بفيه ثم مجه وغسلت فاطمة به الدم عن أبيها. وقال أيضاً: خرج محمد بن مسلمة مع النساء وكن أربعة عشر امرأة قد جئن من المدينة يتلقين الناس منهن فاطمة عليها السلام (إلى أن قال) وجعل الدم لا ينقطع من وجهه فلما رأت فاطمة الدم لا يرقأ وهي تغسل جراحه وعلي يصب الماء عليها بالمحن أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رماداً ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم ويقال: إنها داوته بصوفة محرقة «اهـ» والظاهر أن الخبر وصل إلى المدينة من بعض المنهزمين الذين دخلوها فلم تتمالك فاطمة حتى جاءت إلى فم الشعب أو إلى مكان غير قريب من المدينة

لتنظر ما جرى على أبيها وبعلها وقال المفيد في الإرشاد: انصرف المسلمون مع النبي ﷺ إلى المدينة فاستقبلته فاطمة عليها السلام ومعها إناء فيه ماء فغسل وجهه. وهذا يدل على أن استقبالها له كان في نفس المدينة أو قريباً منها وأنها لم تخرج إلى أحد الذي يبعد عن المدينة فرسخاً أو أكثر وهذا هو الأقرب إلى الاعتبار.

ولما انصرف أبو سفيان ومن معه بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: **«اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون فإن كانوا قد اجتنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة»** قال علي: فخرجت في آثارهم فرأيتهم اجتنبوا الخيل وامتطوا الإبل.

وبعدما انصرف المشركون فرغ الناس للنظر في حال من فقد منهم فمن كان حياً جريحاً أسعفوه ومن كان ميتاً دفنوه فأول ما سأل النبي ﷺ عن سعد بن الربيع الخزرجي فوجد حياً بآخر رمق ومات ثم قال: من له علم بعمي حمزة ولا بد أن يكون علم أنه قتيل أو جريح وإلا لم يتخلف عنه فقال الحارث بن الصمة: أنا أعرف موضعه والظاهر أنه رآه لما سقط فيمكن أن يكون حياً ويمكن كونه ميتاً لكنه لم يعلم أنه قد مثل به هذا التمثيل الفظيع فلما رآه قد مثل به كره أن يرجع إلى رسول الله ﷺ فيخبره فلم يرجع فلما أبطأ استشعر رسول الله ﷺ من أبطائه فظاعة الحال فقال لعلي: اطلب عمك وإنما لم يرسله من أول الأمر إشفاقاً عليه من أن يرى عمه قتيلاً أو جريحاً أثبتته الجراحة فتتحرك فيه عاطفة الرحم فيشتد حزنه فلما لم يعد إليه الحارث بخبره لم يجد بداً من إرسال علي فكره على أن يعود إليه فيخبره بما رأى فلم يعد فعندها لم يجد بداً من أن يطلبه بنفسه مع ما به من التعب المنهك والجراحة فوجده قد بقر بطنه عن كبده وجدع أنفه وأذناه فعلت به ذلك هند بنت عتبة فبكى مع ما به من الصبر والجلد وانتحب وكيف لا يبكي على حمزة ويبلغ به الحزن أقصاه وهو أسد الله وأسد رسوله الذي يعده للشدائد وهو قاتل الأبطال يوم بدر والخارج أمامه بالجيش يوم أحد

وعضده وناصره في كل موقف والقائل في حقه يوم الخندق: اللهم إنك أخذت مني عبيدة يوم بدر وحمزة يوم أحد فاحفظني في علي أو ما هذا معناه.

وهؤلاء الثلاثة كانوا أركان جيشه وبلغ به الأسف على حمزة أن قال: لن أصاب بمثلك ما وقفت موقفاً قط أغيظ علي من هذا الموقف وبالغ بتمني أن يتركه ليكون في أجواف السباع وحواصل الطير لئلا ينطفي حزنه ليشتد الباعث على الأخذ بثأره لولا أن تحزن أخته صفية أو تكون سنة من بعده وحلف ليمثلن بثلاثين أو سبعين من قريش إن ظفر بهم جزاء عن تمثيلهم بعمه حمزة لكنه صبر وعفا ونهى عن المثلة لما أوحى الله تعالى إليه ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾ وكرر الصلاة على حمزة مع كل شهيد حتى صلى عليه سبعين مرة، ولما سمع البكاء من دور الأنصار على قتلاهم ذرفت عيناه فبكى وتأسف أن لا يكون لحمزة بواكي كثيرة مع أن الهاشميات كن يبكينه لكن لا كبكاء الأنصاريات في كثرتهن فقال: لكن حمزة لا بواكي له وأي شهيد أحق بالبكاء عليه من حمزة الذي أبكى مصابه رسول الله ﷺ فأمر رؤساء الأنصار نساءهم أن يبكين حمزة قال ابن سعد: فهن إلى اليوم إذا مات ميت من الأنصار بدأ النساء فبكين على حمزة ثم بكين على ميتهن.

ولكن أبا سفيان وزوجته أظهرا من خبث السريرة ولؤم الغلبة ما هما أهله فمثلت هند بحمزة ولاكت كبده فسميت آكلة الأكباد وعير به نسلها إلى آخر الدهر وجعل بعلها يضرب بزج رمحه في شدق حمزة وهو ميت ويقول: ذق عُقَق ولما بويع عثمان جاء أبو سفيان إلى قبر جمزة فرفسه برجله وقال: يا أبا عمارة إن الذي تقاتلنا عليه يوم بدر صار في أيدي صبياننا.

يجنون ما غرست يداك قضية   ألقت على شهب العقول خمودا

فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة وقال: «**اغسلي عن هذا دمه يا بنية**» وناولها علي عليه السلام سيفه وقد خضب الدم يده إلى كتفه فقال: وهذا فاغسلي عنه فوالله لقد صدقني اليوم وأنشأ يقول:

أفاطم هاك السيف غير ذميم ... فلست برعديد ولا بمليم
لعمري لقد أعذرت في نصر أحمد ... وطاعة رب بالعباد عليم
وسيفي بكفي كالشهاب أهزه ... أجذبه من عاتق وصميم
فما زلت حتى فض ربي جموعهم ... وحتى شفينا نفس كل حليم
أميطي دماء القوم عنه فإنه ... سقى آل عبد الدار كأس حميم

وقال رسول الله ﷺ: **«خذيه يا فاطمة فقد أدى بعلك ما عليه وقد قتل الله بسيفه صناديد قريش»**. فأخذت فاطمة السيفين وجعلت تغسل عنهما الدم ونفسها فخورة بسيف ابن عمها وجهاده بين يدي أبيها وافتخاره بذلك تحدثاً بنعمة الله عليه رغم ما بها من الحزن والجزع على عمها حمزة وهذا مقام لا بد أن تأخذ فيه الروعة والابتهاج نفس فتاة هاشمية نشأت في حجر النبوة وتفرعت من قبيلة عريقة في الشرف حين ترى بين يديها سيفي أبيها وابن عمها الشاب الشجاع الباسل الذي لم يمض على تزوجه بها إلا زمان قليل وقد خضب الدم يمين ابن عمها إلى كتفه وهما يقولان: خذيهما يا فاطمة فاغسلي عنهما الدم. وحق لعلي أن لا تغسل الدماء عن سيفه غير فاطمة وقد مر أن علياً قال لها: امسكي هذا السيف غير ذميم. والسياق يقتضي أن ذلك كان حين جاء بالماء من المهراس بأحد فكأنه حين أراد الذهاب لجلب الماء تخفف بإعطاء السيف لها إلى أن رجع حيث أن محل الماء قريب ولا حاجة هناك إلى السيف ثم أعطاه إياها في المدينة لتغسل عنه الدم ووصفه في المقامين بأنه غير ذميم أجل وكيف يكون ذميماً سيف في يمين بطل الأبطال وأسد الحروب والوقائع والفخر في كل ذلك ليمين تحمله وكف يضرب به.

قال المفيد في الإرشاد وغيره في غيره وفي قتله عليه السلام طلحة بن أبي طلحة ومن قتل معه يوم أحد وغنائه في الحرب وحسن بلائه يقول الحجاج بن علاط السلمي:

لله أي مذبب عن حرمة ... أعني ابن فاطمة المعم المخولا

جادت يداك له بعاجل طعنة ... تركت طليحة للجبين مجدلا
وشددت شدة باسل فكشفتهم ... بالسفح إذ يهوون أسفل أسفلا
وعللت سيفك بالدماء ولم تكن ... لترده حران حتى ينهلا

وقد تميز علي عليه السلام في هذه الوقعة كغيرها من الوقائع بأمور لم يشاركه فيها أحد:

(منها): إنه كان صاحب راية رسول الله ﷺ فيها كما كان يوم بدر وصاحب لواء المهاجرين. والراية هي العلم الأكبر واللواء دونها فقد مر أنه ﷺ عقد يوم أحد ثلاثة ألوية اثنان للأوس والخزرج وهم الأنصار والثالث للمهاجرين فكان من مقتضيات التدبير والسياسة أن تكون ألوية الأنصار إلى رؤسائهم بما آووا ونصروا وبما لهم من الفضل على الإسلام وأما لواء المهاجرين فكان إلى علي (ع) فاجتمع له في أحد الراية واللواء وقد كان لواء قريش في الجاهلية إلى بني عبد الدار فأعطاه المشركون يوم أحد لهم لأنه حق من حقوقهم فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: نحن أحق بالوفاء منهم. ذكره ابن سعد في الطبقات فأخذه من علي (ع) وأعطاه إلى رجل منهم يسمى مصعب بن عمير فلما قتل رده إلى علي (ع) ذكر ذلك ابن هشام في سيرته والطبري وابن الأثير وصاحب السيرة الحلبية والمفيد وغيرهم قال ابن هشام: لما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله ﷺ اللواء علي بن أبي طالب ثم روى بسنده إنه لما اشتد القتال يوم أحد أرسل ﷺ إلى علي بن أبي طالب أن قدم الراية فتقدم «اهـ». وقال الطبري لما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله ﷺ اللواء علي بن أبي طالب ومثله قال ابن الأثير وصاحب السيرة الحلبية.

وقال المفيد في الإرشاد روى المفضل بن عبد الله عن سماك عن عكرمة عن عبد الله بن العباس أنه قال لعلي بن أبي طالب: أربع ما هن لأحد: هو أول عربي وعجمي صلى مع رسول الله ﷺ وهو صاحب لوائه في كل زحف وهو الذي ثبت معه يوم المهراس يعني يوم أحد وفر الناس وهو الذي أدخله قبره «اهـ» وقال محمد بن سعد في الطبقات: دعا رسول الله ﷺ يوم أحد بثلاثة أرماح

فعقد ألوية فدفع لواء الأوس إلى آسيا بن حضير ولواء الخزرج إلى الحباب بن المنذر بن سعد بن عبادة ولواء المهاجرين إلى علي بن أبي طالب ويقال إلى مصعب بن عمير «اه» ودفع اللواء إلى علي وإلى مصعب لا تنافي بينهما لما مر.

(ومنها): قتله أصحاب لواء المشركين وهم سبعة أو تسعة أولهم طلحة بن أبي طلحة الذي كان يسمى كبش الكتيبة لشجاعته والذي لم يبرز إليه أحد لما برز بعدما كرر النداء ووبخ المسلمين لعدم خروج أحد منهم إليه بأنهم كاذبون في دعوى أن من يقتل منهم إلى الجنة ومن يقتل من غيرهم إلى النار فبرز إليه علي عليه السلام فقتله باتفاق الرواة وجرى له معه نظير ما جرى مع عمرو بن عبد ود يوم وقعة الخندق الآتية ولذلك كبر الرسول ﷺ عند قتله تكبيراً عالياً إظهاراً للسرور بقتله وكبر معه المسلمون فكان قتله أول فتح شد قلوب المسلمين وأوهن المشركين.

أما بقية من حمل اللواء من بني عبد الدار فقد عرفت إن المؤرخين ذكروا أن اثنين منهم قتلهما علي بن أبي طالب وهما أرطاة بن شرحبيل وصواب غلام لبني عبد الدار واختلفوا في الباقي فذكر الواقدي إن الذين قتلوهم جماعة مختلفين وإن الأصح في الرواية أن قاتلهم علي بن أبي طالب فإن روايات الطبري وعلي بن إبراهيم والمفيد تدل على أن علياً (ع) هو الذي قتل أصحاب اللواء جميعهم كما مر هنا وفي الجزء الثاني وكان آخرهم عبدهم صواب، وبقتلهم انهزم المشركون وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون وينهبون وكانت الهزيمة لا شك فيها وإنما لم يجن المسلمون ثمرة انتصارهم ووقعت الغلبة عليهم بمخالفة الرماة أمر رسول الله ﷺ.

(ومنها): ثباته مع رسول الله ﷺ وعدم فراره بعدما فر عنه الناس جميعهم أو أكثرهم وأسلموه إلى عدوه. فمنهم من صعد في الجبل ومنهم من فر إلى المدينة ومنهم إلى خارجها. وكان عود من عاد منهم بسبب ثباته وتوجه العتاب من الله تعالى إلى كافتهم لهزيمتهم يومئذ سواه ومن ثبت معه من رجال الأنصار وكانوا ثمانية وقيل: خمسة وقيل: أربعة وقيل: لم يثبت معه أحد وإنما عادوا

بعدما تنحوا كما مر بقوله تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ الآية وتقدمت. قال المفيد في الإرشاد: روى سلام بن سليمان عن قتادة عن سعيد بن المسيب لو رأيت مقام علي يوم أحد لوجدته قائماً على ميمنة رسول الله ﷺ يذب عنه بالسيف وقد ولى غيره الأدبار.

(ومنها): أنه كان هو المحامي عن رسول الله ﷺ والدافع عنه كتائب المشركين الذين صمدوا لقتله كما مر.

(ومنها): إن أكثر المقتولين يومئذ قتلاه قال المفيد: وقد ذكر أهل السير قتلى أحد من المشركين فكان جمهورهم قتلى أمير المؤمنين عليه السلام «اهـ» وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج جميع من قتل من المشركين يوم أحد ثمانية وعشرون قتل علي عليه السلام منهم ما اتفق عليه وما اختلف فيه اثنا عشر وهو قريب من نصف المقتولين كما كان يوم بدر وقد حكى عن الواقدي أنه عدهم هكذا «من بني عبد الدار» أحد عشر رجلاً:

١ ـ طلحة بن أبي طلحة صاحب لواء قريش قتله علي بن أبي طالب عليه السلام مبارزة.

٢ ـ عثمان بن أبي طلحة قتله حمزة بن عبد المطلب.

٣ ـ أبو سعيد بن أبي طلحة قتله سعد بن أبي وقاص.

٤ ـ مسافع بن طلحة بن أبي طلحة قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح.

٥ ـ كلاب بن طلحة بن أبي طلحة قتله الزبير بن العوام.

٦ ـ الحارث بن طلحة بن أبي طلحة قتله عاصم بن ثابت.

٧ ـ الجلاس بن طلحة بن أبي طلحة قتله طلحة بن عبيد الله.

٨ ـ أرطاة بن شرحبيل قتله علي بن أبي طالب.

٩ ـ قارظ بن شريح بن عثمان بن عبد الدار قال الواقدي: لا يدرى من قتله وقال البلاذري: قتله علي بن أبي طالب وقيل: قتله قزمان.

١٠ ـ أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير قتله قزمان.

١١ ـ صواب مولى آل عبد الدار قتله علي وهذا لم ينقله ابن أبي الحديد فيما حكاه عن الواقدي بل كان آخر من نقله أبو عزيز ثم قال: فهؤلاء أحد عشر مع أنهم عشرة ومر أنه عد قتلى علي اثني عشر مع أنهم أحد عشر إن لم يعد معهم فكأنه سقط من الناسخ (ومن بني أسد بن عبد العزى) رجل واحد.

١٢ ـ عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد قتله أبو دجانة في رواية الواقدي وفي رواية محمد بن إسحاق قتله علي بن أبي طالب (ومن بني زهرة) رجلان.

١٣ ـ أبو الحكم بن الأخنس بن شريق قتله علي بن أبي طالب.

١٤ ـ سباع بن عبد العزى الخزاعي قتله حمزة (ومن بني مخزوم خمسة).

١٥ ـ أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة قتله علي.

١٦ ـ هشام بن أبي أمية بن المغيرة قتله قزمان.

١٧ ـ الوليد بن العاص بن هشام قتله قزمان.

١٨ ـ خالد بن أعلم العقيلي قتله قزمان.

١٩ ـ عثمان بن عبد الله بن المغيرة قتله الحارث بن الصمة (ومن بني عامر بن لؤي) اثنان.

٢٠ ـ عبيد بن حاجز قتله أبو دجانة.

٢١ ـ شيبة بن مالك بن المضرب قتله طلحة بن عبيد الله (ومن بني جمح) اثنان.

٢٢ ـ أبي بن خلف قتله رسول الله ﷺ.

٢٣ ـ أبو عزة قتله عاصم بن ثابت صبرا (ومن بني عبد مناف بن كنانة) أربعة.

٢٤ ـ خالد بن سفيان بن عويف.

٢٥ ـ أبو الشعثاء بن سفيان بن عويف.

٢٦ ـ أبو الحمراء بن سفيان بن عويف.

٢٧ ـ غراب بن سفيان بن عويف قال ابن أبي الحديد: هؤلاء الأخوة الأربعة قتلهم علي بن أبي طالب في رواية محمد بن حبيب قال: ورأيت في بعض كتب أبي الحسن المدائني أن علياً هو قتل بني سفيان بن عويف يوم أحد وروى له شعراً في ذلك (ومن بني عبد شمس) رجل واحد.

٢٨ ـ معاوية بن المغيرة بن أبي العاص قتله علي عليه السلام في إحدى الروايات، وقيل قتله زيد بن حارثة وعمار بن ياسر «اهـ» هذا على ما ذكر الواقدي أما على ما ذكره غيره فقد عرفت أن علياً هو الذي قتل أصحاب اللواء التسعة على أصح الروايات وهم: (١) طلحة بن أبي طلحة، (٢) أخوه أو ابنه أبو سعيد، (٣) أخوه عثمان، (٤) أخوه مسافع، (٥) أخوه الحارث أو خالد، (٦) ابن أخيه أبو عزيز، (٧) عبد الله بن حميد من بني أسد، (٨) أرطاة بن شرحبيل العبدري، (٩) صواب مولاهم هذا على رواية علي بن إبراهيم، (١٠) قارظ بن شريح العبدري على رواية البلاذري، (١١) أبو الحكم بن الأخنس الثقفي، (١٢) الوليد بن أبي حذيفة بن المغيرة، (١٣) أخوه أمية، (١٤) هشام بن أمية المخزومي، (١٥) عمرو بن عبد الله الجمحي، (١٦) بشر أو شيبة بن مالك العامري أحد بني عامر بن لؤي والستة الأخيرة في رواية ابن إسحق وغيره، (١٧ و١٨ و١٩ و٢٠) أبناء سفيان بن عويف الأربعة المتقدمون على رواية محمد بن حبيب والمدائني، (٢١) معاوية بن المغيرة على إحدى الروايات، فإذا كان جميع من قتل من المشركين ثمانية وعشرين يكون من قتله علي منهم ما اتفق عليه وما اختلف فيه واحداً وعشرين لا اثني عشر والله أعلم.

(ومنها): تركه الإجهاز على طلحة بن أبي طلحة حياء وكرماً وعدم سلبه كما لم يسلب عمرو بن عبد ود مع تأسف سعد بن أبي وقاص يوم أحد على عدم تمكنه من سلب درع ومغفر وسيف لبعض المشركين.

(ومنها): أنه أخذ بيد رسول الله ﷺ لما سقط في إحدى الحفر التي كان حفرها أبو عامر الراهب ليقع فيها المسلمون مما دل على ملازمته للنبي ﷺ أين كان وأين ذهب وحبس نفسه على حمايته.

(ومنها): أنه حمل الماء بدرقته من المهراس إلى النبي ﷺ.

(ومنها) أنه أرسله النبي ﷺ بعد انصراف قريش عن المعركة لينظر ما يصنعون هل قصدوا المدينة أو مكة.

وفي وقعة أحد يقول شاعر أهل البيت الحاج هاشم بن حردان الكعبي من قصيدة:

وقضية المهراس عن كثب وقد ... عم الفرار أساوداً وأسودا

فشددت كالليث الهزبر فلم تدع ... ركناً لجيش ضلالة مشدودا

تولي بها الطعن الدراك ولم تزل ... إذ ذاك مبدي كرة ومعيدا

وكشفتهم عن وجه أبيض ماجد ... لم يعرف الإدبار والتعريدا

ويقول المؤلف من قصيدة:

وفي يوم أحد كنت رداء محمد ... وناصره الكرار إذ أعوز الكر

فأفنيت أصحاب اللوا وطحتهم ... جميعا فلم يسمع لهم بعدها ذكر

هزمت جيوش الشرك بالصارم الذي ... إلى الحشر في سمع الزمان له نبر

أقام أناساً في فم الشعب موصبا ... لهم أن يقيموا فيه مهما اقتضى الأمر

عصوا أمره مذ عاينوا النهب واقعاً ... وكان حقيقاً أن يطاع له الأمر

فكر عليهم خالد من ورائهم ... فلما رأى الفرار خيلهم كروا

هنالك فر المسلمون وأسلموا ... نبيهم الهادي وعمهم الذعر

وبعضهم قد قال يا ليت إننا ... أخذنا أمانا للسلامة ينجر

وبعضهم قد عاد بعد ثلاثة ... وبعضهم حامي وجلهم فروا

سوى حيدر فهو الزعيم بمثلها ... يصول ووجه الأفق بالنقع مغبر

بيمنى يديه ذو الفقار وما به ... إذا شبت الهيجا إلى ناصر فقر

يحامي به دون النبي فكلما أتت عصبة ينتابها القتل والفر
علي ألا اقصد هؤلاء وهؤلاء وهاتيك فاقصد ما سواك لها ذخر
فباهى به جبريل إذ قال معلنا ألا إنها هذي المواساة والنصر
إلا أنه مني علي وإنني أنا منه والأقوام عالمهم ذر
هنالك جبريل أهاب منادياً نداء للمرتضى الشرف الدثر
فلا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى سوى حيدر الكرار هذا هو الفخر
وعاد بذاك السيف ينكر لونه أجل وعليه للدما حلل حمر
أفاطم هاك السيف غير مذمم فما أنا رعديد إذا شدة تعرو
أميطي دماء القوم عنه فإنه سقى آل عبد الدار كأساً هو الصبر
أنا الأسد الوثاب في حومة الوغى إذا خرس الأبطال كان له زأر

ثم تلا وقعة أحد بلا فاصل غزوة حمراء الأسد وكان علي فيها معه اللواء كما كان في كل غزوة فدعا بلواء معقود لم يحل فدفعه إلى علي ومرت مفصلة في الجزء الثاني.

سنة أربع من الهجرة ـ أخباره في غزوة بني النضير

وكانت في ربيع الأول سنة أربع من الهجرة ومرت مفصلة في الجزء الثاني في السيرة النبوية ونذكر منها هنا ما له تعلق بسيرة أمير المؤمنين عليه السلام وإن لزم بعض التكرار. وبنو النضير بطن من اليهود الذين كانوا بقرب المدينة وكان بينهم وبين النبي ﷺ معاهدة ومهادنة فنقضوا العهد وأرادوا أن يلقوا على النبي ﷺ صخرة وهو جالس بجانب جوار من بيوتهم فجاءه الوحي بذلك فأرسل إليهم أن اخرجوا من بلدي فلا تساكنوني وقد هممتم بالغدر وأجَّلهم عشراً فقالوا نخرج فأرسل إليهم عبد الله بن أبي بن سلول: لا تخرجوا ووعدهم النصرة فطمع رئيسهم حيي بن أخطب في ذلك ونهاه سلام بن مشكم رئيس آخر فلم يقبل فأعطى النبي ﷺ رايته علي بن أبي طالب وسار إليهم فصلى العصر بفنائه وضرب قبته هناك قال المفيد في الإرشاد: لما توجه رسول الله ﷺ إلى بني النضير عمل على حصارهم فضرب قبته في أقصى بني حطمة من البطحاء فلما

أقبل الليل رماه رجل من بني النضير بسهم فأصاب القبة فأمر أن تحول قبته إلى السفح فلما اختلط الظلام فقدوا علياً فقال الناس: يا رسول الله لا نرى علياً فقال: أراه في بعض ما يصلح شأنكم. فلم يلبث أن جاء برأس اليهودي الذي رمى النبي ﷺ ويقال له عزور فطرحه بين يدي النبي ﷺ فقال: كيف صنعت؟ فقال: إني رأيت هذا الخبيث جرياً شجاعاً فكمنت له وقلت ما أحراه أن يخرج إذا اختلط الليل يطلب منا غرة فأقبل مصلتاً بسيفه في تسعة نفر من اليهود فشددت عليه فقتلته وأفلت أصحابه ولم يبرحوا قريباً فابعث معي نفراً فإني أرجو أن أظفر بهم، فبعث عشرة فيهم أبو دجانة وسهل بن حنيف فأدركوهم قبل أن يلجوا الحصن فقتلوهم وجاؤوا برؤوسهم إلى النبي ﷺ فأمر أن تطرح في بعض آبار بني حطمة وكان ذلك سبب فتح حصون بني النضير «اهـ». وفي السيرة الحلبية وكان رجل منهم اسمه عزور أو غزول وكان رامياً يبلغ نبله ما لا يبلغه غيره فوصل نبله تلك القبة فأمر بها النبي ﷺ فحولت وفقد علي قرب العشاء فقال الناس: يا رسول الله ما نرى علياً فقال: دعوه فإنه في بعض شأنكم. فعن قليل جاء برأس غزول. كمن له علي حين خرج يطلب غرة من المسلمين ومعه جماعة فشد عليه فقتله وفر من معه فأرسل رسول الله ﷺ مع علي أبا دجانة وسهل بن حنيف في عشرة فأدركوهم وقتلوهم وذكر بعضهم أن أولئك الجماعة كانوا عشرة وأنهم أتوا برؤوسهم فطرحت في بعض الآبار قال وفي هذا رد على بعض الرافضة حيث ادعى أن علياً هو القاتل لأولئك العشرة «اهـ» (ونقول) لم يدع أحد من الشيعة «الذين نبزهم لنصبه بالرافضة» أن علياً هو القاتل لهم وقد سمعت كلام شيخ الشيعة ومقتداها في إرشاده وليس فيه شيء من ذلك وما الذي يدعو هذا البعض إلى دعوى غير صحيحة وتفوُّق علي في الشجاعة أمر فوق التواتر فلا يحتاج من يريد إثباته إلى الكذب وإنما يحتاج إلى الكذب من يدعي شجاعة لمن لم يؤثر عنه أنه قتل أحداً في حرب من الحروب ثم ألا يكفي في بلوغ علي أعلى درجات الشجاعة خروجه ليلاً وحده لا يشعر به أحد لمقابلة عشرة من الشجعان أقدموا هذا الإقدام وقتله رئيسهم وإحضاره رأسه وهزيمة التسعة وإقدامه ثانياً مع عدة عليهم حتى قتلوهم وجاؤوا برؤوسهم ولولا مكانه ما

اجترؤوا عليهم أفلا يكفي هذا كله حتى يدعي أحد الشيعة أنه قتل العشرة وحده فيتبجح صاحب السيرة الحلبية بالرد عليه. وفي ذلك يقول الحاج هاشم الكعبي شاعر أهل البيت:

وشللت عشراً فاقتنصت رئيسهم ... وتركت تسعاً للفرار عبيدا

ويقول المؤلف من قصيدة:

بيوم النضير الدين أصبح ناضراً ... وأينع في دوح الهدى الورق النضر

تتبع عشراً في الظلام يشلهم ... ومقدامهم أردى وقد هلك العشر

قال المفيد في الإرشاد وفي تلك الليلة قتل كعب بن الأشرف واصطفى رسول الله ﷺ أموال بني النضير وكانت أول صافية قسمها رسول الله ﷺ بين المهاجرين الأولين وأمر علياً عليه السلام فحاز ما لرسول الله ﷺ منها فجعله صدقة وكان في يده مدة حياته ثم في يد أمير المؤمنين بعده وهو في يد ولد فاطمة حتى اليوم قال وفيما كان من أمر أمير المؤمنين في هذه الغزاة وقتله اليهودي ومجيئه إلى النبي ﷺ برؤوس التسعة نفر يقول حسان بن ثابت:

لله أي كريهة أبليتها ... ببني قريظة والنفوس تطلع

أردى رئيسهم وآب بتسعة ... طوراً يشلهم وطوراً يدفع

وهذا صريح في أن ذلك أو مثله وقع مع بني قريظة وقيل فيه الشعر فكيف أورده في بني النضير ولعله لذلك أورد في البحار بني نضير عوض بني قريظة والله أعلم.

ثم تلا غزوة بني النضير غزوات أخرى مهمة كغزوة بدر الموعد وحمل لواء النبي ﷺ فيها علي بن أبي طالب وغزوتي ذات الرقاع ودومة الجندل وغيرها، ولم يذكر المؤرخون مع من كان لواؤه فيهما ولا بد أن يكون مع علي، فقد صرح المؤرخون أنه لم يتخلف عنه في غزاة غير تبوك وأنه صاحب لوائه في المواقف كلها ومرت الغزوات الثلاث مفصلة في الجزء الثاني.

وفي شعبان في الثالث أو الخامس منه سنة أربع من الهجرة ولد الحسين بن علي من فاطمة الزهراء وقيل سنة ثلاث فجيء به إلى جده فسماه حسيناً.

سنة خمس من الهجرة ـ أخباره في غزوة بني المصطلق من خزاعة

وكانت في شعبان سنة خمس من الهجرة على ماء لهم يسمى المريسيع بينه وبين الفرع نحو من يوم ورئيسهم الحارث بن أبي ضرار والد جويرية أم المؤمنين دعا قومه وغيرهم لحرب النبي ﷺ فبلغه ذلك فخرج إليهم واقتتلوا عند المريسيع فنصر الله المسلمين ولم يقتل منهم إلا رجل واحد قتله المسلمون خطأ وقتل من العدو عشرة وأسر الباقون وغنموا النعم. قال المفيد في الإرشاد: كان من بلاء علي عليه السلام ببني المصطلق ما اشتهر عند العلماء وكان الفتح له في هذه الغزاة بعد أن أصيب يومئذ ناس من بني عبد المطلب[1] فقتل أمير المؤمنين عليه السلام رجلين من القوم وهما مالك وابنه وأصاب رسول الله ﷺ منهم سبياً كثيراً وكان ممن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار وكان الذي سبى جويرية أمير المؤمنين عليه السلام فجاء بها إلى النبي ﷺ فأعتقها وتزوجها. وقال ابن هشام في سيرته: قتل علي بن أبي طالب عليه السلام منهم رجلين مالكاً وابنه (اهـ) وفي هذه الغزاة حارب علي عليه السلام كفار الجن بأمر رسول الله ﷺ رواه المفيد مسنداً وقال: روته العامة كما روته الخاصة وكذلك حكى روايته صاحب السيرة الحلبية وقد ذكرنا هذه الرواية مسندة مفصلة بجميع ما يتعلق بها وكذا ما حكاه صاحب السيرة الحلبية فيما مر عند ذكر أدلة إمامته فأغنى عن ذكر ذلك هنا.

حديث الإفك

ومرت الإشارة إليه في الجزء الثاني ونذكره هنا لارتباط أمور منه بسيرة أمير المؤمنين عليه السلام. وقع في هذه الغزاة حديث الإفك وحاصله أن عائشة

---

(١) قوله بعد أن أصيب ناس من بني عبد المطلب ينافي ما مر من أنه لم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد خطأ إلا أن يكون المقتولون من بني عبد المطلب كانوا مع المشركين فليراجع.

أم المؤمنين كانت مع النبي ﷺ في هذه الغزاة فلما رجع وقارب المدينة نادوا ليلة بالرحيل فخرجت عائشة خارج الجيش لقضاء حاجة فلما عادت رأت عقدها قد انقطع فعادت تطلبه فوجدته وأقبل الذين كانوا يرحلونها فاحتملوا الهودج وهم يظنونها فيه لأنها كانت صغيرة السن خفيفة اللحم وساروا ورجعت فوجدت الجيش قد رحل فجلست مكانها ليرجعوا إليها إذا فقدوها وغلبتها عينها فنامت وكان صفوان بن المعطل السلمي الذكواني من وراء الجيش فجاء فرآها فاسترجع فأفاقت وأناخ راحلته فركبتها وسار يقود بها الراحلة حتى أتوا الجيش عند الظهر وهم نزول فأول من أشاع حديث الإفك عبد الله بن أبي بن سلول وممن أشاعه حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وغيرهم وبلغ ذلك رسول الله ﷺ وبلغ ذلك عائشة من أم مسطح لما كانت معها ليلاً فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح فلامتها عائشة فقالت لها: ألم تسمعي ما قال وأخبرتها قال دحلان في سيرته: ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد لما أبطأ عليه الوحي فاستشارهما في فراق أهله فأما أسامة فقال: هم أهلك ولا نعلم إلا خيراً وأما علي: فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك فسأل جاريتها بريرة فحلفت أنها ما رأت عليها أمراً معيباً قط فقال رسول الله ﷺ على المنبر: من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاي في أهلي ـ يعني عبد الله بن أبي ـ وقد ذكروا رجلاً ـ يعني صفوان ـ ما علمت عليه إلا خيراً وما يدخل على أهلي إلا معي. وكادت أن تقع بين الأوس والخزرج فتنة بسبب عبد الله بن أبي، فرقة تطلب أن يؤمروا بقتله وفرقة تدافع عنه فأسكتهم النبي ﷺ ثم نزل عليه الوحي ببراءتها بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ الآيات العشر وأقيم الحد على من قذفها كحسان ومسطح وغيرهما لكنهم لم يذكروا أنه أقيم على عبد الله بن أبي. وفيما أوردوه في هذا الحديث مواقع للنظر «أولاً» استشارته علياً وأسامة في فراق أهله لا يقبله عقل وكيف يفارقها لقول منافق كابن أبي ومن تابعه ولم يستندوا إلى برهان بل كيف يخطر بباله مفارقتها قبل أن يثبت عليها شيء وذلك يؤيد تحققه الأمر فيلصق العار به وبأهله، هذا لا يمكن أن يقع من غبي فكيف بأكمل خلق الله وكيف يشير

عليه علي بذلك وهو غش لا يمكن أن يخفى على من دون علي من الذكاء والفطنة، والذي يلوح أن أعداء علي هم الذين اختلقوا هذا ليلصقوا به ما لا يليق. نعم، الظاهر أنه لما سمع ذلك عن لسان ابن أبي صعد المنبر وشكاه «ثانياً» كيف يقول له سل الجارية تصدقك وكيف يسألها الرسول ﷺ وهذا بحث عن المعائب ومجلبة لشيوع الفاحشة لا يجوز من أي مسلم كان فضلاً عن النبي ﷺ ولو تبرع أحد بهذا الإخبار ولم يقم الميزان الشرعي عليه لوجب عليه الحد فكيف يحمل النبي ﷺ الجارية على أن تتكلم بما يوجب عليها الحد وهو لو اعترف له شخص بذلك يعرض له بالإنكار والرجوع عن هذا الإقرار حتى يعترف بذلك ثلاثاً «ثالثاً» هب أن الجارية أخبرته بشيء هل كان له أن يصدقها؟ كلا، بل كان عليه أن يقيم عليها حد القذف ما لم تقم الميزان الشرعي، فأي فائدة في هذا السؤال؟ كل هذا يدلنا على أن إرادته تطليق زوجته واستشارته في ذلك أمر مكذوب وأنه لم يقع منه غير الشكوى على المنبر ممن آذاه في أهله.
وزاد صاحب السيرة الحلبية نغمة في هذا الطنبور فروى أنه استشار عمر فقال له: من زوجها لك يا رسول الله؟ قال: الله تعالى. قال: أفتظن أن الله دلس عليك فيها؟ فلو صح هذا الخبر لكان عمر يصل بعلمه إلى ما لا يصل إليه الرسول ﷺ ويهتدي إلى ما لا يهتدي. وقد زاد في الطنبور نغمات أيضاً قوله وفي لفظه: فدعا رسول الله ﷺ بريرة فسألها فقام إليها علي فضربها ضرباً شديداً وجعل يقول لها: أصدقي رسول الله فتقول: والله ما أعلم إلا خيراً قال: وضربها كما قال السهيلي ولم تستوجب ضرباً ولا استأذن رسول الله ﷺ في ضربها لأنه اتهمها في أنها خانت الله ورسوله فكتمت من الحديث ما لا يسعها كتمه «اهـ» والعجب ممن يودعون أمثال هذه الأحاديث في كتبهم ولها منها شواهد على كذبها فعلي الذي يقول: والله لو أعطيت الأقاليم السبع بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت كيف يمكن أن يضرب جارية بغير حق ليحملها على الكذب والشهادة بما لم تر وكيف يمكن أن يضربها بغير إذن النبي ﷺ بمحضر منه ومن أعرف منه بحقه وأحق بتعظيمه، وكيف يمكنه

النبي من ضربها بغير حق أليس هذا قدحاً في النبي قبل أن يكون قدحاً في علي؟ وإن كان ضربها ضرباً شديداً فلا بد أن يكون متكرراً فكيف لم يمنعه النبي منه وسكت عنه بل لم يؤنبه على الأقل؟ فمختلق هذا الحديث ليعيب علياً قد خانته فطنته ولم يلتفت إلى أنه يؤدي إلى عيب النبي ﷺ ونسبة الظلم إليه وأبرد من ذلك تعليل السهيلي فإنه اتهمها في أنها خانت الله ورسوله. فهل يسوغ في الشرع العقاب بمجرد التهمة؟ وهنا استغل أخصام الشيعة سوق الأكاذيب فروجوها.
قال صاحب السيرة الحلبية: فمن نسبها إلى الزنا كغلاة الرافضة كان كافراً.
وحكى مثله دحلان في سيرته عن السهيلي ثم قال: حضر بعض الشيعة مجلس الحسن بن زيد الداعي[1] وكان من عظماء أهل طبرستان فنسب الشيعي إلى عائشة شيئاً من القبيح فأمر بضرب عنقه فاعترضه بعض العلوية وقال: هذا من شيعتنا فقال: معاذ الله هذا طعن على رسول الله ﷺ (ونقول) ليس في غلاة الشيعة ولا معتدليهم من ينسب عائشة إلى ذلك كبرت كلمة تخرج من أفواه هؤلاء المفترين وإن كانوا صادقين فيما يقولون فليأتونا باسم من يقول ذلك وفي أي موضع وجدوه أم في أي كتاب رأوه. كلا إنهم لكاذبون مفترون ظالمون مفسدون لا حجة لهم على ما قالوا ولا برهان وما حملهم على ذلك إلا العداوة والعصبية بالباطل ورقة الدين، وهكذا ما حكاه دحلان عن الحسن بن زيد الداعي كذب وبهتان لأنّا نعلم علماً يقيناً أنه ليس في الشيعة من ينسب أم المؤمنين عائشة إلى القبيح وإن من عقيدتهم أن زوجة النبي يجوز أن تكون كافرة كامرأتي نوح ولوط ولا يجوز أن تكون زانية لأن ذلك يخل بمقام النبوة. وإنما يقولون ولا يتحاشون بأنها أخطأت بخروجها على الإمام العادل وحربها له ومخالفتها أمر القرآن لها أن تقر في بيتها. والذي طعن على رسول الله هو من روى أن علياً ضرب الجارية أمامه بغير حق وسكت كما مر.

---

(١) الذي في النسخة المطبوعة الحسن بن يزيد الرفاعي وهو تصحيف قبيح يشبه الكذب الذي في الخبر.

أخباره في وقعة الخندق

وكانت في ذي القعدة أو شوال سنة خمس من الهجرة بعد غزوة أحد بسنتين ومرت مفصلة في الجزء الثاني ونعيد منها هنا ما له تعلق بسيرة أمير المؤمنين علي عليه السلام وإن لزم بعض التكرار وسببها أنه لما أجلى رسول الله ﷺ بني النضير إلى خيبر لنقضهم العهد خرج جماعة من أشرافهم إلى مكة منهم حيي بن أخطب وسلام بن مشكم وكنانة بن أبي الحقيق فألبوا قريشاً وعاهدوهم على قتال رسول الله ﷺ ووعدوهم لذلك موعداً. ثم أتوا غطفان وسليماً ففارقوهم على مثل ذلك، وتجهزت قريش وجمعوا أحابيشهم ومن تبعهم من العرب فكانوا أربعة آلاف (والأحابيش) قوم من العرب خارج مكة وهم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة كانوا حلفاء قريش وسموا الأحابيش لأنهم اجتمعوا عند جبل بأسفل مكة اسمه حبشي وتحالفوا على أنهم مع قريش يد واحدة على غيرهم ما سبح ليل وما وضح نهار وما رسا حبشي مكانه وعقدوا اللواء في دار الندوة فحمله عثمان بن طلحة بن أبي طلحة من بني عبد الدار وهو الذي قتل علي عليه السلام أباه يوم أحد وهو غير عثمان بن أبي طلحة الذي قتل يوم أحد فذاك عمه وقادوا ثلثمائة فرس ومعهم ألف وخمسمائة بعير وقائدهم أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية ووافتهم بنو سليم بمر الظهران سبعمائة وقائدهم سفيان بن عبد شمس حليف حرب بن أمية وهو والد أبي الأعور السلمي الذي كان مع معاوية بصفين، فبينهما صلة قديمة جاهلية لم يغيرها الإسلام، وخرجت معهم بنو أسد يقودهم طلحة بن خويلد وفزارة ألف يقودهم عيينة بن حصن وأشجع أربعمائة وبنو مرة أربعمائة مع قائدين لهم. فكان جميع من ورد الخندق عشرة آلاف وهم الأحزاب وكانوا ثلاثة عساكر ورئيس الكل أبو سفيان. ولما تهيؤوا للخروج أتى ركب من خزاعة في أربع ليال فأخبروا رسول الله ﷺ فأخبر الناس وندبهم، فأشار سلمان بالخندق فحفروه في ستة أيام أو أكثر ففرغوا منه قبل مجيء قريش والمسافة بين مكة والمدينة عشرة أيام بسير الإبل ومسير جيش فيه عشرة آلاف إن لم يزد على عشرة أيام لم

ينقص، فإذا أنقصنا منها أربعة أيام التي سارها ركب خزاعة بقي ستة هذا إن لم تكن قريش تأخرت عن مسير الركب يوماً أو أكثر. ورفع المسلمون النساء والصبيان في الآطام، جمع أطم كأصنام وصنم وهو بناء كالحصن، وهذه الآطام كانت من بين بيوت المدينة وكانت المدينة مشبكة بالبنيان والنخيل من سائر جوانبها إلا جانباً واحداً وهو الذي فيه الخندق ولا يتمكن أحد من الدخول إليها إلا من ذلك الجانب فلذلك جعلوا النساء والذراري في الآطام ومنه يعلم أن الخندق لم يكن على جميع جوانب المدينة بل على بعض جوانبها كما مر في الجزء الثاني وأقبلت قريش بعد حفر الخندق فنزلت بمجتمع الأسيال ونزلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد إلى جانب أحد وخرج رسول الله ﷺ في ثلاثة آلاف فعسكر إلى سفح سلع وهو جبل فوق المدينة فجعل سلعاً خلف ظهره والخندق بينه وبين القوم. وكانت اليهود ثلاثة بطون معاهدين له ﷺ بنو قينقاع وبنو النضير وقريظة فنقض الأولان العهد وبقيت قريظة فدس أبو سفيان حيي بن أخطب إلى كعب بن أسد سيد قريظة لينقضوا العهد فلم يقبل فلم يزل به حتى بلغ رسول الله ﷺ ذلك فكتمه واحتال نعيم بن مسعود بحيلة مرت في الجزء الثاني خذل بها بين قريش وقريظة وعظم البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم قريظة والنضير وغطفان ومن أسفل منهم قريش ومن تبعها حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق وكانوا كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿غُرُورًا﴾ وبقي المشركون محاصرين المدينة قريباً من شهر ولم يكن بينهم إلا الحصار والترامي بالنبل والحصى فلما اشتد البلاء على الناس أرسل رسول الله ﷺ إلى قائدي غطفان فبذل لهما ثلث ثمار المدينة ليرجعا بمن معهما فلم يرضى بذلك سعد بن معاذ وسعد بن عبادة لما أخبرهما أنه من باب الرأي وليس بأمر سماوي.

قتل عمرو بن عبد ود

وجاء فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود وعكرمة بن أبي جهل ونوفل بن عبد الله بن المغيرة وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان وضرار بن

الخطاب الفهري تعنق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق فصاروا إلى مكان ضيق فيه كان قد أغفله المسلمون فأكرهوا خيولهم فطفرت بهم فوق الخندق وجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع وصاروا هم والمسلمون على صعيد واحد. قال ابن هشام والطبري: وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذ عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان (عمرو ومن معه) تعنق نحوهم (نحو المسلمين) وقد كان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد أحداً فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مكانه فلما وقف هو وخيله قال: من يبارز؟ فبرز له علي بن أبي طالب فقال له: يا عمرو إنك كنت تعاهد الله أن لا يدعوك رجل من قريش إلى خصلتين إلا أخذت منه إحداهما قال: أجل قال له علي: فإني أدعوك إلى الله عز وجل وإلى رسوله وإلى الإسلام قال: لا حاجة لي بذلك قال: فإني أدعوك إلى النزال قال: ولم يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك قال علي: ولكني والله أحب أن أقتلك فحمي عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره أو ضرب وجهه ثم أقبل على علي فتنازلا وتجاولا فقتله علي عليه السلام وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت الخندق هاربة (الخبر).

وقال الطبري في تاريخه والمفيد في إرشاده واللفظ مقتبس من كليهما وربما زاد أحدهما على الآخر: انتدبت فوارس من قريش للبراز منهم عمرو بن عبد ود بن أبي قيس أخو بني عامر ابن لؤي بن غالب وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان وضرار بن الخطاب بن مرداس الفهري أخو بني محارب بن فهر قد تلبسوا للقتال ثم مروا بمنازل بني كنانة فقالوا: تهيؤوا يا بني كنانة للحرب ثم أقبلوا تعنق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق ثم تيمموا مكاناً من الخندق فيه ضيق فضربوا خيلهم فاقتحمته وجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع وخرج أمير المؤمنين علي عليه السلام في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموها، قال المفيد فتقدم عمرو بن عبد ود والجماعة الذين خرجوا معه وقد أعلم ليرى مكانه فلما رأى المسلمين وقف هو والخيل التي معه

وقال: هل من مبارز؟ فبرز له أمير المؤمنين فقال له عمرو: ارجع يا ابن الأخ فما أحب أن أقتلك فقال له أمير المؤمنين: قد كنت يا عمرو عاهدت الله أن لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خصلتين إلا اخترت واحدة منها قال: فما ذاك قال: إني أدعوك إلى الله ورسوله والإسلام قال: لا حاجة لي إلى ذلك قال: فإني أدعوك إلى النزال فقال: ارجع فقد كان بيني وبين أبيك خلة وما أحب أن أقتلك قال: لكني والله أحب أن أقتلك ما دمت آتياً للحق فحمي عمرو عند ذلك وقال: أتقتلني ونزل عن فرسه فعقره أو ضرب وجهه حتى نفر وأقبل على علي مصلتاً بسيفه وبدره بالسيف فنشب سيفه في ترس علي عليه السلام فضربه أمير المؤمنين عليه السلام ضربة فقتله فلما رأى عكرمة وهبيرة وضرار عمراً صريعاً ولوا بخيلهم منهزمين حتى اقتحموا الخندق لا يلوون إلى شيء وانصرف أمير المؤمنين إلى مقامه الأول وقد كادت نفوس الذين خرجوا معه إلى الخندق تطير جزعاً وهو يقول:

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ... ونصرت رب محمد بصواب
فضربته فتركته متجدلاً ... كالجذع بين دكادك وروابي
وعففت عن أثوابه ولو أنني ... كنت المقطر بزني أثوابي
لا تحسبن الله خاذل دينه ... ونبيه يا معشر الأحزاب

وفي السيرة الحلبية وغيرها أن عمراً لما عبر هو ومن معه الخندق قال: من يبارز فقام علي وقال: أنا له يا نبي الله قال: اجلس إنه عمرو ثم كرر النداء وجعل يوبخ المسلمين ويقول: أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها أفلا يبرزن إلي رجل وقال:

ولقد بححت من النداء ... ء بجمعكم هل من مبارز
إني كذلك لم أزل ... متسرعاً نحو الهزاهز
إن الشجاعة في الفتى ... والجود من خير الغرائز

فقام علي وهو مقنع في الحديد فقال: أنا له يا رسول الله قال: اجلس إنه عمرو ثم نادى الثانية ففعل مثل ذلك ثم نادى الثالثة فقام علي فقال: أنا له يا

رسول الله فقال: إنه عمرو فقال: وإن كان عمراً وفي رواية أنه قال هذا عمرو بن عبد ود فارس يليل وهو اسم واد كانت له فيه وقعة فقال: وأنا علي بن أبي طالب فأذن له وأعطاه سيفه ذا الفقار وألبسه درعه وعممه بعمامته وقال: اللهم أعنه وقال: إلٰهي أخذت عبيدة مني يوم بدر وحمزة يوم أُحد وهذا علي أخي وابن عمي فلا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين. وقال ابن أبي الحديد: جاء في الحديث المرفوع أن رسول الله ﷺ قال ذلك اليوم حين برز إليه: برز الإيمان كله إلى الشرك كله فبرز إليه علي وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتا	ك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة	والصدق منجي كل فائز
إني لأرجو أن أقيـ	ـم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبـ	ـقى صيتها بعد الهزاهز

فقال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا علي قال: ابن من؟ قال: ابن عبد مناف أنا علي بن أبي طالب فقال: غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أشد منك فانصرف فإني أكره أن أهريق دمك فإن أباك كان لي صديقاً وكنت له نديماً قال علي: لكني والله ما أكره أن أهريق دمك فغضب وفي رواية أنه قال إني لأكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك فارجع وراءك خير لك قال ابن أبي الحديد: كان شيخنا أبو الخير مصدق بن شبيب النحوي يقول إذا مررنا عليه في القراءة بهذا الموضع: والله ما أمره بالرجوع إبقاء عليه بل خوفاً منه، فقد عرف قتلاه ببدر وأحد وعلم أنه إن ناهضه قتله فاستحيا أن يظهر الفشل فأظهر الإبقاء والإرعاء وإنه لكاذب فيهما (اهـ) وهذا ظاهر من كثرة مطاولة عمرو ومحاولته ومدافعته المبارزة واستعماله عبارات العطف والحنان مثل: ولم يا ابن أخي؟ غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أشد منك. إن أباك كان لي صديقاً ونديماً وكان بيني وبينه خلة فما أحب أن أقتلك. إني أكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك. وكل هذا ظاهراً في إرادة التخلص والتملص بحيلة لا يظهر معها العجز وليس المقام مقام صداقة ومنادمة بينه وبين أبيه ولا مقام عطف وحنان فذلك له مقام آخر غير

الحرب فعمرو الذي حارب يوم بدر حتى أثبتته الجارحة ونذر أن لا يمس رأسه دهن حتى يقتل محمداً قد بلغت به العداوة أشدها ولا فرق عنده بين محمد وابن عمه المحامي عنه الذي خرج لقتله وكون المبارز له كريماً لا يمنع من مبارزته وقتله وما زال المبارز يقول لقرنه كفو كريم ويجعل ذلك داعياً لمبارزته وقد قال عتبة يوم بدر لحمزة وعبيدة وعلي لما انتسبوا له أكفاء كرام وبارزهم ولكن عمراً علم أن من قتل نصف المقتولين ببدر وفيهم الأبطال الشجعان وقتل كبش الكتيبة بأحد وأصحاب اللواء وأكثر المقتولين بها لا بد أن يلحقه بهم إذا بارزه فلذلك أراد التخلص منه بصورة غير الهرب فلم يقدر. فقال له علي: يا عمرو إنك كنت تقول لا يدعوني أحد إلى واحدة من ثلاث إلا قبلتها قال: أجل قال: فإني أدعوك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتسلم لرب العالمين، قال: يا ابن أخي أخر عني هذه فقال له: أما إنها خير لك لو أخذتها، قال: وأخرى ترجع إلى بلادك فإن يك محمد صادقاً كنت أسعد الناس به وإن يك كاذباً كان الذي تريد قال: هذا ما لا تتحدث به نساء قريش أبداً كيف وقد قدرت على استيفاء ما نذرت فإنه نذر لما أفلت هارباً يوم بدر وقد جرح أن لا يمس رأسه دهناً حتى يقتل محمداً، قال: فالثالثة قال: البراز قال: إن هذه لخصلة ما كنت أظن أن أحداً من العرب يروعني بها ولم يا ابن أخي؟ فوالله ما أحب أن أقتلك فقال علي ولكني والله أحب أن أقتلك فحمي عمرو فقال له علي: كيف أقاتلك وأنت فارس ولكن انزل معي فاقتحم عن فرسه فعقره أو ضرب وجهه وسل سيفه كأنه شعلة نار وأقبل على علي فتنازلا وتجاولا فاستقبله علي بدرقته فضربه عمرو فيها فقدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه فضربه علي على حبل عاتقه فسقط. وفي الإرشاد: روى محمد بن عمر الواقدي حدثني عبد الله بن جعفر عن أبي عون عن الزهري قال جاء عمرو بن عبد ود وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب ونوفل بن عبد الله بن المغيرة وضرار بن الخطاب في يوم الأحزاب إلى الخندق فجعلوا يطوفون به يطلبون مضيقاً منه فيعبرون حتى انتهوا إلى مكان اكرهوا خيولهم فيه فعبرت وجالت

خيلهم فيما بين الخندق وسلع والمسلمون وقوف لا يقدم منهم أحد عليهم وجعل عمرو بن عبد ود يدعو إلى البراز ويعرض بالمسلمين ويقول:

ولـقـد بـحـحـت مـن الـنـدا ء بـجـمـعـهـم هـل مـن مـبـارز

وفي كل ذلك يقوم علي بن أبي طالب ليبارزه فيأمره رسول الله ﷺ بالجلوس انتظاراً منه ليتحرك غيره والمسلمون كأن على رؤوسهم الطير لمكان عمرو بن عبد ود والخوف منه وممن معه ومن وراءه فلما طال نداء عمرو بالبراز وتتابع قيام أمير المؤمنين عليه السلام قال رسول الله ﷺ: ادن مني يا علي فدنا منه فنزع عمامته من رأسه وعممه بها وأعطاه سيفه وقال له: امض لشأنك ثم قال: اللهم أعنه فسعى نحو عمرو ومعه جابر بن عبد الله الأنصاري لينظر ما يكون منه ومن عمرو فلما انتهى أمير المؤمنين إليه قال: يا عمرو إنك كنت في الجاهلية تقول: لا يدعوني أحد إلى ثلاث إلا قبلتها أو واحدة منها قال: أجل قال: فإني أدعوك إلى شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن تسلم لرب العالمين قال: يا ابن أخ أخر هذه عني فقال له: أما إنها خير لك لو أخذتها ثم قال: فها هنا أخرى قال: ما هي؟ قال: ترجع من حيث جئت قال: لا تحدث نساء قريش بهذا أبداً قال: فها هنا أخرى قال: وما هي؟ قال: تنزل فتقاتلني فضحك عمرو وقال إن هذه الخصلة ما كنت أظن أحداً من العرب يرومني عليها إني لأكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك وقد كان أبوك لي نديماً قال علي: لكني أحب أن أقتلك فانزل إن شئت فأسف عمرو ونزل وضرب وجه فرسه حتى رجع قال جابر: فثارت قترة فما رأيتهما فسمعت التكبير تحتها فعلمت أن علياً قد قتله فانكشف أصحابه «اهـ» وثوران الغبرة بينهما حتى حجبتهما عن الأبصار دليل شدة المنازلة والمجاولة وأنها بلغت أقصى درجات الشدة وإلا فما تبلغ مجاولة رجلين حتى تثير غباراً يغطيهما لا شك أن مقاومة عمرو بلغت أشدها ومجاولة علي بلغت أقصى ما يتصور من الشدة حتى أثار ذلك غباراً حجبهما عن الأبصار. وفي رواية أنه لما قتله كبر المسلمون فلما سمع رسول الله ﷺ التكبير عرف أن علياً قتل عمراً قال جابر: فما شبهت قتل علي عمراً إلا بما قص الله من قصة قتل داود

جالوت، وقال مثل ذلك يحي بن آدم فيما رواه الحاكم في المستدرك واختلفت هذه الروايات في عدد الخلال التي كان عمرو يقول أنه لا يدعى إلى واحدة منها إلا أجاب ففي بعضها اثنتان وفي بعضها ثلاث فيمكن أن يكون الراوي نسي واحدة منها وفي غير ذلك لا تنافي بينها فإنه ليس في إحداها إثبات شيء نفته الأخرى وإنما في إحداها السكوت عن شيء أثبتته الأخرى واتفقت منها روايات ابن هشام والطبري والمفيد على أن علياً عليه السلام لما رأى هؤلاء الستة عبروا الخندق بادر مع نفر من المسلمين إلى الثغرة التي أقحموا خيلهم منها فأخذها عليهم ورابط عندها. وذلك أنه لم يكن في الحسبان أن أحداً من المشركين يستطيع عبور الخندق فلما عبره هؤلاء على حين غفلة بادر علي بمن معه ليمنعوا غيرهم لو حاولوا العبور وليكونوا في مقابل الذين عبروا فيدفعوهم ويقاتلوهم ويمنعوهم من الرجوع إلى عسكرهم. وهذه منقبة انفرد بها علي عليه السلام في هذه الوقعة بمبادرته لحماية الثغرة وأخذ نفر معه يعينونه ويرهبون العدو حين بدههم هذا الأمر الذي لم يكن في الحسبان وعلموا أن هؤلاء الذين اقتحموا الخندق بخيولهم وأقدموا على ما كان يخال أنه ليس بممكن وقابلوا ثلاثة آلاف من عدوهم هم من أشجع الشجعان. ومن الذي يبقى ثابت العصب في مثل هذا الموقف المخيف فيواجه سبعة فرسان من أشجع الشجعان وراءهم جيش فيه عشرة آلاف مقاتل غير علي ومع ذلك فهو راجل أما النفر الذين جاؤوا معه فلم يكن الغرض من مجيئهم معه غير تكثير السواد وإلا فليس فيهم غناء ولا مساعدة فقد سمعت قول المفيد أنه لما عاد إليهم بعد قتله عمراً وجدهم قد كادت نفوسهم تطير جزعاً وخوفاً فدل على أنه لما فارقهم علي وذهب لمبارزة عمرو وتركهم عند الثغرة بجانب الخندق ليحفظوها استولى عليهم الخوف والجزع وكادت نفوسهم تطير جزعاً، وجزعهم هذا الشديد لما فارقهم علي ليبارز عمراً يدل على أنهم بخروجه خرجوا وإليه استندوا وعليه اعتمدوا وأنه لم يكن في خروجهم معه فائدة إلا تكثير السواد. وظاهر الروايات أن علياً ومن معه كانوا رجالة ولكن هذا الراجل صنع ما لم تصنعه ولم تستطعه الفرسان فاستنزل عمراً عن فرسه وقتله.

وحاصل المستفاد من مجموع الروايات أن عمراً لما عبر الخندق مع أصحابه وتقدم نحو عسكر المسلمين بادر علي ومعه جماعة فأخذ عليهم الثغرة التي عبروا منها ورابط عندها فإن أرادوا قتاله قاتلهم وإن أرادوا الرجوع منعهم وإن حاول غيرهم العبور منعه ثم تقدم عمرو وأصحابه إلى جهة عسكر المسلمين وطلب عمرو المبارزة فلم يجبه أحد فلما سمعه علي ورأى أن أحداً لا يخرج إليه ترك مكانه من الثغرة وأبقى فيه أصحابه الذين خرجوا معه إلى الخندق فقام بين يدي النبي ﷺ فقال: أنا له. فإنه لم يكن ليبارزه بغير إذنه وإنه إنما لم يأذن له من أول الأمر رجاء أن يقوم إليه أحد فيبارزه فدافعه عن مبارزته مرة بعد مرة فلما رأى أنه لم يقم إليه أحد بعد تكرير النداء أذن له وإنما فعل ذلك ليخفف عن علي ويدخره لمهام كثيرة عظيمة أو أنه أراد أن يظهر فضله على غيره مع علمه أنه لا يقوم إلى عمرو أحد غيره بما رآه من ظاهر حالهم ثم أذن له في مبارزته فبارزه وقتله وجاء برأسه ثم عاد إلى مقامه الأول من الثغرة لأن الخطر لم يرتفع ولم يؤمن عبور غير عمرو وأصحابه منها فوجد الذين تركهم عند الخندق قد استولى عليهم الخوف والجزع وقد كادت نفوسهم تطير جزعاً لأنهم يخافون من رجوع عمرو ومن معه إليهم ومن هجوم أحد من المشركين عليهم كما فعل عمرو ومن معه فلما عاد علي إليهم وقد قتل عمراً اطمأنت نفوسهم.

ما فعله علي بعد قتله عمرا

ثم إن علياً بعد قتله عمراً قطع رأسه وأقبل به إلى النبي ﷺ ووجهه يتهلل فألقاه بين يديه وعاد مسرعاً إلى مكانه الذي كان فيه من الثغرة وقتل ابنه حسلاً ولحق هبيرة ففاته وقتل نوفلاً في الخندق. وفي الإرشاد بسنده عن الحسن (البصري) أن علياً لما قتل عمرو بن عبد ود أخذ رأسه وحمله فألقاه بين يدي النبي ﷺ فقام أبو بكر وعمر فقبلا رأس علي وقال رسول الله ﷺ: **«اليوم نغزوهم ولا يغزوننا»**. ورواه غير المفيد أيضاً.

ما جرى للفرسان الذين كانوا مع عمرو

وأما الفرسان الذين كانوا مع عمرو فالذين ذكرت أسماؤهم ستة وهم:

منبه بن عثمان بن عبيد العبدري ونوفل بن عبد اللّه المخزومي وهبيرة بن أبي وهب المخزومي زوج أم هانىء بنت أبي طالب مات على كفره وعكرمة بن أبي جهل وضرار بن الخطاب الفهري وحسل بن عمرو بن عبد ود. وضرار هذا ليس أخا عمر بن الخطاب كما يدل عليه كلام الطبري والمفيد السابق وقال صاحب السيرة الحلبية وتبعه زيني دحلان أنه أخو عمر بن الخطاب لاشتراكهما في اسم الأب وهو غلط لأن عمر هو ابن الخطاب بن نفيل بن رياح بن عبد اللّه بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب العدوي كما ذكره أصحاب كتب الصحابة وغيرهم وهذا ضرار بن الخطاب بن مرداس أخو بني محارب بن فهر الفهري كما ذكره الطبري وتبعه المفيد. أما الخمسة الأولون منهم فإنهم لما رأوا ما جرى على عمرو هربوا راجعين لا يلوون على شيء لأنهم علموا أنهم لو بقوا كان نصيبهم نصيب عمرو فإنه كان أشجعهم ومقدمهم واشتغل علي عنهم بأخذه رأس عمرو إلى النبي ﷺ فلما عاد مسرعاً ليلحقهم ويحمي الثغرة وجدهم قد هربوا فبعضهم أسرع فطفر الخندق وسلم وهما عكرمة ألقى رمحه وهرب وضرار وقتل منهم رجلان منبه أصابه سهم فمات منه بمكة ونوفل اقتحم الخندق فتورط فيه فرموه بالحجارة فقال: يا معشر العرب قتلة أحسن من هذه فنزل إليه علي فقتله وفي رواية ضربه بالسيف فقطعه نصفين ولحق علي عليه السلام هبيرة فأعجزه وضرب قربوس سرجه فسقطت درع له كان قد احتقبها وقد لحقه قبل أن يعبر الخندق وهبيرة فارس وعلي راجل فلذلك فاته هرباً ولم يقدر إلا على ضرب قربوس سرجه ولو وقف له لقتله فطفر الخندق وسلم. وفي السيرة الحلبية في رواية: ثم حمل ضرار بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب وهبيرة بن أبي وهب على علي فأقبل علي عليهما فأما ضرار فولى هارباً ولم يثبت وأما هبيرة فثبت ثم ألقى درعه وهرب وكان فارس قريش وشاعرها: وذكر أن ضرار بن الخطاب لما هرب تبعه أخوه عمر بن الخطاب وصار يشتد في أثره فكر ضرار راجعاً وحمل على عمر بالرمح ليطعنه ثم أمسك وقال: يا عمر هذه نعمة مشكورة أثبتها عليك ويد لي عندك غير مجزي بها

فاحفظها. ووقع مع عمر مثل ذلك في أحد فإنه التقى معه فضرب عمر بالقناة ثم رفعها عنه وقال له: ما كنت لأقتلك يا ابن الخطاب «اه» وقوله: أخوه غلط كما عرفت فيكون ضرار هذا قد حمل على عمر مرتين وأمكنه أن يقتله فعفا عنه.
وأما حسل فروى ابن هشام في سيرته عن ابن شهاب الزهري قال: كان مع عمرو ابنه حسل فقتله علي عليه السلام ولعله قتله قبل أن يهرب ولذلك قالوا: إن من قتل من الهاربين اثنان ولو كان معهم لكانوا ثلاثة. ولا شك أن منبهاً وعكرمة وضراراً بعد ما وصلوا من هزيمتهم إلى عسكر المشركين أخبروهم بما جرى لعمرو وبما أوجب هزيمتهم ففت ذلك في أعضادهم.

وقد امتاز علي عن جميع من حضر الخندق بأمور:

الأول: مبادرته لحماية الثغرة التي عبر منها عمرو وأصحابه، والذين كانوا معه لولاه لم يجيئوا ولولا ثباته لم يثبتوا بدليل أنه لما فارقهم ثم رجع إليهم وجدهم قد طارت نفوسهم جزعاً كما مر ومع ذلك فلم يجدوا طائلاً فإنه لما هرب الفرسان الذين كانوا مع عمرو لم يقدروا أن يمنعوهم ولا أن يقتلوهم فمنبه طفر الخندق وأصابه سهم قبل طفره أو بعده ولم يذكروا من الذي رماه فوصل مكة جريحاً ومات بها وضرار وعكرمة طفرا الخندق وسلما وهبيرة لم يلحقه غير علي ونوفل طفر فوق الخندق ولم يقدروا عليه ولو لم يتورط به فرسه لسلم ولعلهم كانوا ممن رماه بالحجارة لما سقط في الخندق فكان ذلك أقصى مجهودهم.

الثاني: وهو أعظمها مبارزته عمراً وقتله حتى قال رسول الله ﷺ: **«إن ضَرْبَتَهُ عمراً تعدل عمل الثقلين»** وكانت هي الموجبة لهرب المشركين.

الثالث: لحاقه بالمنهزمين وهو راجل وهم فرسان لم يمنعه ما به من التعب بمبارزة عمرو ومجاولته التي أثارت غباراً حجبهما عن الأنظار كأنه غبار جيش عرمرم.

الرابع: نزوله إلى نوفل إلى الخندق وقتله بضربة قسمته نصفين من ضرباته المشهورة التي إذا علا بها قد وإذا اعترض قط.

الخامس: لحاقه بهبيرة وعلي راجل وهبيرة فارس فلم يثبت له هبيرة مع أنه فارس وما نجاه إلا الهرب على فرسه ومع ذلك فقد كاد أن يقتله وأسقط منه درعه التي احتقبها.

السادس: قتله حسل بن عمرو ولم يكن في الثلاثة الآلاف الذين حضروا الخندق من يقوم إليه فيقتله حتى جاءه علي فألحقه بأبيه.

السابع: إنه لم يسلب عمراً درعه مع أنها من الدروع الممتازة بين دروع العرب. في إرشاد المفيد روى يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال: لما قتل علي بن أبي طالب عمراً أقبل نحو رسول الله ﷺ ووجهه يتهلل فقال له عمر بن الخطاب: هلا سلبته يا علي درعه فإنه ليس في العرب درع مثلها فقال: إني استحييت أن أكشف سوأة ابن عمي وفي السيرة الحلبية عن السهيلي نحوه. وقال الحاكم في المستدرك: ثم أقبل علي نحو رسول الله ﷺ ووجهه يتهلل فقال عمر بن الخطاب: هلا سلبته درعه فليس للعرب درع خير منها فقال: ضربته فأتقاني بسوأته واستحييت ابن عمي أن أستلبه «اهـ»:

إن الأسـود أسـود الـغـاب هـمـتـهـا　　　يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

وقد كشف عمرو سوأته يوم صفين كما كشفها عمرو يوم الخندق فعمرو صفين نجاه كشفها من القتل وعمرو الخندق نجاه من السلب.

الثامن: ما وجده في نفسه من القوة والثبات حين بارزه بحيث لو كان مكانه جميع أهل المدينة لقدر عليهم ولم يأخذه خوف منه ولا رهبة مع اشتهاره بالشجاعة والفروسية ومع إحجام الناس عن مبارزته الذي يوجب عادة وقوع الهيبة منه في نفس من يريد مبارزته. قال الرازي في تفسيره إنه ﷺ قال لعلي بعد قتله لعمرو بن عبد ود: **«كيف وجدت نفسك معه يا علي»** قال: وجدتها لو كان أهل المدينة كلهم في جانب وأنا في جانب لقدرت عليهم.

التاسع: إن قتله عمراً ونوفلاً كان سبب هزيمة المشركين مع ما أصابهم

من الريح والبرد وسبب خوفهم أن يعاودوا الغزو قال المفيد: وكان قتل علي عليه السلام عمراً ونوفلاً سبب هزيمة المشركين وقال رسول الله ﷺ بعد قتله هؤلاء النفر: **«اليوم نغزوهم ولا يغزوننا»** وذلك قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ في الإرشاد روى يوسف بن كليب عن سفيان بن زيد عن قترة وغيره عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقرأ: وكفى الله المؤمنين للقتال بعلي. وفيه روى علي بن الحكم الأودي: سمعت أبا بكر بن عياش يقول: لقد ضرب علي ضربة ما كان في الإسلام أعز منها. ولقد ضرب علي عليه السلام ضربة ما ضرب في الإسلام أشأم منها يعني ضربة ابن ملجم.

العاشر: أنه توجه اللوم والعتاب يوم الأحزاب إلى المسلمين ولم ينج منه إلا علي قال المفيد في الإرشاد: وفي الأحزاب أنزل الله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ * هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا * وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ - إلى قوله - ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ قال: فتوجه العتب إليهم والتوبيخ والتقريع ولم ينج من ذلك أحد بالاتفاق إلا أمير المؤمنين إذ كان الفتح له وعلى يديه.

الحادي عشر: قول النبي ﷺ برز الإيمان كله إلى الشرك كله كما مر.

قال المفيد: وقد روى هشام بن محمد عن معروف بن خربوذ قال: قال علي بن أبي طالب في يوم الخندق:

أعلي تقتحم الفوارس هكذا	عني وعنهم خبروا أصحابي
اليوم تمنعني الفرار حفيظتي	ومصمم في الرأس ليس بنابي
أرديت عمراً إذ طغى بمهند	صافي الحديد مجرب قصاب
فصدرت حين تركته متجدلا	كالجذع بين دكادك ورواب
وعففت عن أثوابه ولو أنني	كنت المقطر بزني أثوابي

ومرت أبيات أربعة على هذا الوزن وهذه القافية وفيها بعض هذه الأربعة ولعل الجميع من قصيدة واحدة وفرقها الرواة.

وقال النبي ﷺ: قتل علي لعمرو بن عبد ود أفضل من عبادة الثقلين. وروى الحاكم في المستدرك بسنده أن النبي ﷺ قال لمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن عبد ود يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة. وقال ابن تيمية ـ على عادته المعلومة في إنكار ما يثبت فضل علي وأهل بيته ولو كان متواتراً مسلّما ـ في الحديث الأول إنه حديث موضوع قال: وكيف يكون قتل كافر أفضل من عبادة الثقلين الإنس والجن ومنهم الأنبياء بل أن عمرو بن عبد ود هذا لم يعرف له ذكر إلا في هذه الغزوة «اهـ». وفي السيرة الحلبية ما حاصله: إن استدلاله بقوله وكيف يكون الخ فيه نظر لأن قتل هذا كان فيه نصرة للدين وخذلان للكافرين قال: ويرد قوله إنه لم يعرف له ذكر إلا في هذه الغزوة ما روي من أنه قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد أحداً فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مكانه قال: ويرده أيضاً ما مر من أنه نذر أن لا يمس رأسه دهن حتى يقتل محمداً (أقول) ويرده قول ابن إسحق كان عمرو بن عبد ود ثالث قريش (يعني في الشجاعة) رواه الحاكم بسنده وقول أخته لما نعي إليها: من ذا الذي اجترأ عليه؟ فإنه يدل على أنها كانت تظن أنه لا يجترىء عليه أحد لشجاعته وقولها: قتل الأبطال وبارز الأقران. ويرده أنه كان معروفاً بفارس يليل ـ اسم مكان كانت له فيه وقعة مشهورة ـ وورد تسميته بذلك في شعر مسافع الجمحي الذي رثى فيه عمراً بقوله:

عمرو بن عبد كان أول فارس جزع المذاد[1] وكان فارس يليل

وفي كلام النبي ﷺ المتقدم مما دل على أنه كان معروفاً بذلك وإحجام الناس عن مبارزته وهم ثلاثة آلاف فلا يقوم إليه واحد منهم والنبي يستحثهم إلى مبارزته ويضمن لمبارزه الجنة وذلك أقوى دليل على اشتهاره بالشجاعة وعظم

---

(١) جزع عبر (والمذاد) موضع الخندق.

مقامه فيها عند جميع الناس وفيما رثي به عمرو ما يدل على نباهته وشجاعته وأنه ذو مقام عال في قريش مثل قول مسافع المتقدم وبعده:

ولقد تكنفت الأسنة فارساً ... بجنوب سلع غير نكس أميل

فاذهب علي فما ظفرت بمثله ... فخراً فلا لاقيت مثل المعضل

وقول هبيرة بن أبي وهب الذي كان مع عمرو وهرب:

فلا تبعدن يا عمرو حيا وهالكا ... فقد بنت محمود الثنا ماجد الأصل

فمن لطراد الخيل تقرع بالقنا ... وللفخر يوماً عند قرقره البزل

فعنك علي لا أرى مثل موقف ... وقفت على نجد المقدم كالفحل

فما ظفرت كفاك فخراً بمثله ... أمنت به ما عشت من زلة النعل

وقال الذهبي في تلخيص المستدرك بعد نقل الحديث الثاني: قبح الله رافضياً افتراه (وأقول) قبح الله ناصبياً يرد حديث رسول الله ﷺ بالهوى والعداوة لأخيه وابن عمه ويزعم في ميزانه الخارج عن الاعتدال أن النصب قد ارتفع في عصره وليس عجيباً أن يتكلم الذهبي بذلك وهو تلميذ ابن تيمية وابن تيمية تأبى له حاله المعلومة إلا أن يصادم البديهية والذهبي يقوده ما في نفسه إلى سوء القول وإلا فأقل نظرة يلقيها الإنسان على تلك الوقعة فيرى عشرة آلاف محاصرين للمدينة حنقين أشد الحنق على أهلها وهم دون الثلث بينهم عدد كثير من المنافقين وبنو قريظة إلى جنبهم يخافون منهم على ذراريهم ونسائهم وما أصاب المسلمين من الخوف والهلع الذي اضطر النبي ﷺ إلى إرادة مصانعة غطفان بثلث ثمار المدينة وتعظيم الله تعالى ذلك في القرآن الكريم بقوله: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ * هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ ووقوف عمرو ينادي بالمسلمين ويقرعهم ويطلب البراز ولا يجيبه أحد إلا علي فيقتل عمراً وينهزم المشركون بقتله ويرتفع البلاء ويأتي الفرج أقل نظرة يلقيها الإنسان على تلك الحال توصله إلى اليقين بأن ضربة علي يومئذ أفضل من عبادة الجن والإنس

والملائكة وملايين من العوالم أمثالهم لو كانت سواء أجاء الحديث بذلك عن رسول الله ﷺ أم لم يجيء ومتى احتاج النهار إلى دليل ولولا تلك الضربة لما عبد اللّه بل عبدت الأوثان. وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج: فأما الخرجة التي خرجها يوم الخندق إلى عمرو بن عبد ود فإنها أجل من أن يقال: جليلة وأعظم من أن يقال عظيمة وما هي إلا كما قال شيخنا أبو الهذيل وقد سأله سائل أيهما أعظم منزلة عند الله علي أم فلان؟ فقال: يا ابن أخي والله لمبارزة علي عمراً يوم الخندق تعدل أعمال المهاجرين والأنصار وطاعاتهم كلها فضلاً عن فلان وحده «اه».

ما جرى لأخت عمرو بعد قتله

كان لعمرو أخت اسمها عمرة وكنيتها أم كلثوم في إرشاد المفيد روى أحمد بن عبد العزيز حدثنا سليمان بن أيوب عن أبي الحسن المدائني قال: لما قتل علي بن أبي طالب عمرو بن عبد ود نعي إلى أخته فقالت: من ذا الذي اجترأ عليه فقالوا: ابن أبي طالب فقالت: لم يعد موته إن كان على يد كفوٍ كريم لأرقأت دمعتي إن هرقتها عليه قتل الأبطال وبارز الأقران وكانت منيته على يد كفو كريم من قومه ما سمعت بأفخر من هذا يا بني عامر ثم أنشأت تقول:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله	لكنت أبكي عليه آخر الأبد
لكن قاتل عمرو لا يعاب به	من كان يدعى قديماً بيضة البلد

وتتمة الأبيات في غير رواية المفيد:

من هاشم في ذراها وهي صاعدة	إلى السماء تميت الناس بالحسد
قوم أبى اللّه إلا أن يكون لهم	كرامة الدين والدنيا بلا لدد
يا أم كلثوم ابكيه ولا تدعي	بكاء معولة حرّى على ولد

قال المفيد في روايته وقالت أيضاً في قتل أخيها وذكر علي بن أبي طالب:

أسدان في ضيق المجال تصاولا	وكلاهما كفو كريم باسل

فتخالسا مهج النفوس كلاهما ... وسط المذاد[1] مخاتل ومقاتل
وكلاهما حضر القراع حفيظة ... لم يثنه عن ذاك شغل شاغل
فاذهب علي فما ظفرت بمثله ... قول سديد ليس فيه تحامل
ذلت قريش بعد مهلك فارس ... فالذل مهلكها وخزي شامل

ما قيل من الشعر في قتل عمرو بن عبد ود

نذكره لأن له علاقة بسيرة أمير المؤمنين (ع) قال المفيد وفي قتل عمرو بن عبد ود يقول حسان بن ثابت:

أمسى الفتى عمرو بن عبد يبتغي ... بجنوب يثرب غارة لم تنظر
ولقد وجدت سيوفنا مشهورة ... ولقد وجدت جيادنا لم تقصر
ولقد رأيت غداة بدر عصبة ... ضربوك غير ضرب الحسّر
أصبحت لا تدعي ليوم عظيمة ... يا عمرو أو لجسيم أمر منكر

ولما كان حسان معروفاً بالجبن وافتخر في قتل عمرو بسيوف الأنصار التي لم يكن لها في قتله أثر وإنما قتله سيف الهاشميين سيف علي بن أبي طالب وبلغ شعره بني عامر أجابه منهم فتى فيما حكاه المفيد فقال: يرد عليه في افتخاره بالأنصار وشعره يدل على أنه كان مسلماً:

كذبتم وبيت اللّه لا تقتلوننا ... ولكن بسيف الهاشميين فافخروا
بسيف ابن عبد اللّه أحمد في الوغى ... بكف علي نلتم ذاك فاقصروا
ولم تقتلوا عمرو بن عبد ببأسكم ... ولكنه الكفو الهزبر الغضنفر
علي الذي في الفخر طال بناؤه ... فلا تكثروا الدعوى علينا فتحقروا
ببدر خرجتم للبراز فردكم ... شيوخ قريش جهرة وتأخروا
فلما أتاهم حمزة وعبيدة ... وجاء علي بالمهند يخطر

---

(١) المذاد بفتح الميم والذال المعجمة بعدها ألف فدال مهملة قال ابن الأعرابي موضع بالمدينة حيث حفر النبي (ع) الخندق. ـ المؤلف ـ.

فقالوا نعم أكفاء صدق فأقبلوا إليهم سراعاً إذ بغوا وتجبروا
فجال علي جولة هاشمية فدمرهم لما عتوا وتكبروا
فليس لكم فخر علينا بغيرنا وليس لكم فخر يعد فيذكر

وقال مسافع بن عبد مناف بن وهب الجمحي يبكي عمرو بن عبد ود ويذكر قتل علي بن أبي طالب إياه أورده ابن هشام:

عمرو بن عبد كان أول فارس جزع المذاد وكان فارس يليل[1]
ولقد تكنفت الأسنة فارسا بجنوب سلع غير نكس أميل
يسل النزال علي فارس غالب بجنوب سلع ليته لم ينزل
فاذهب علي فما ظفرت بمثله فخراً فلا لاقيت مثل المعضل

وقال هبيرة بن أبي وهب الذي كان مع عمرو وهرب يرثي عمرو بن عبد ود ويذكر قتل علي إياه أورده ابن هشام:

فلا تبعدن يا عمرو حياً وهالكا فقد بنت محمود الثنا ماجد الأصل
فمن لطراد الخيل تقرع بالقنا وللفخر يوماً عند قرقرة البزل
هنالك لو كان ابن عبد لزارها وفرجها حقاً فتى غير ما وغل
فعنك علي لا أرى مثل موقف وقفت على نجد المقدم كالفحل
فما ظفرت كفاك فخراً بمثله أمنت به ما عشت من زلة النعل

وفي وقعة الأحزاب يقول الحاج هاشم الكعبي من قصيدة:

وعشية الأحزاب لما أقبلت كالسيل مفعمة تقود القودا
عدلت عن النهج القويم وأقبلت حلف الضلال كتائباً وجنودا
فأبحت حرمتها وعدت بكبشها في القاع تطعمه السباع حنيدا

وفيها يقول المؤلف من قصيدة:

وفي وقعة الأحزاب والخندق الذي غدا ثاويا فيها بعقوته عمرو

---

(١) جزع قطع وعبر (والمذاد) موضع الخندق (ويليل) واد كانت لعمرو فيه وقعة مشهورة.

تقحمه من بغيه في فوارس ... يميل به في سيره التيه والكبر
أتى معلماً آماله قتل أحمد ... وكان له من قبل في قتله نذر
إذا أنا لم أقتله في حومة الوغى ... فلا مس من رأسي دهان ولا عطر
فنادى ألا هل فيكم من مبارز ... وقد جال في ميدانهم وله خطر
هنالك خير المرسلين دعاهم ... ألا من لعمرو والجنان له أجر
ضمنت لمن أمسى لعمرو مبارزاً ... من الخلد أعلاه إذا ضمه الحشر
فصموا جميعاً لم يجيبوا كأنما ... بآذانهم عما دعاهم له وقر
فقال أبو السبطين إني أنا الذي ... أبارزه فهو القطا وأنا الصقر
هنالك قال المصطفى فيه قولة ... مخلدة عن شأوها يقصر الحزر
لقد برز الإيمان للشرك كله ... وبالخير كل الخير قد قوبل الشر
مضى نحوه يمشي وجاد بضربة ... بها قط منه الساق وانقصم الظهر
وجاء إلى الهادي النبي برأسه ... ومن وجهه تبدو البشاشة والبشر
لضربته في ذلك اليوم قوبلت ... بأعمال كل الخلق ما بقي الدهر
بها ثبت الإسلام واشتد ركنه ... وهدم منها الشرك وانقصم الكفر
بها نزل القرآن يعلن مدحه ... وإذ يمدح القرآن ما يصنع الشعر
بها اللّه رد المشركين بغيظهم ... وكسر ليوم الحشر ما أن له جبر
بها قد كفيت المؤمنين قتالهم ... ولولاك ما الإيمان كان له ذكر

أخباره في غزوة بني قريظة

وكانت في ذي القعدة سنة خمس من الهجرة ومرت مفصلة في الجزء الثاني ونعيد هنا ما له تعلق بسيرة أمير المؤمنين عليه السلام وقد مر في وقعة الخندق أن قريظة نقضت العهد بينها وبين النبي ﷺ بوسوسة حيي بن أخطب الذي هو سيد بني النضير فلما كان الظهر من صبيحة اليوم الذي رجع فيه رسول الله ﷺ وأصحابه من الخندق إلى المدينة نزل عليه جبرائيل فقال: إن الله يأمرك بالمسير إلى بني قريظة فسار إليهم في ثلاثة آلاف وروى ابن إسحاق بسنده

قال: قدم رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب برايته إلى بني قريظة وابتدرها الناس وقال ابن سعد دعا علياً فدفع إليه لواءه. والراية اللواء الأعظم واللواء دونها وقد يراد باللواء الراية وفي إرشاد المفيد أنه ﷺ أرسل علياً في ثلاثين من الخزرج فسار علي حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ فرجع حتى لقيه بالطريق فقال: يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث قال: **«لم؟ أظنك سمعت منهم لي أذى»** قال: نعم قال: **«لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً»**. قال المفيد قال علي: سرت حتى دنوت من سورهم فأشرفوا علي فلما رأوني صاح صائح منهم قد جاءكم قاتل عمرو وقال آخر: قد أقبل إليكم قاتل عمرو وجعل بعضهم يصيح ببعض ويقولون ذلك وألقى الله في قلوبهم الرعب حتى ركزت الراية في أصل الحصن فاستقبلوني في صياصيهم يسبون رسول الله ﷺ فلما سمعت سبهم له كرهت أن يسمع فعملت على الرجوع إليه فإذا به قد طلع وسمع سبهم له «الحديث» وحاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة أو خمسة عشر يوماً حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب وكان حيي بن أخطب قد دخل معهم في حصنهم وفاء لكعب بن أسد بما عاهده عليه قبل وقعة الأحزاب ثم أنهم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فأمر بهم فكتفوا ثم أرجع أمرهم إلى سعد بن معاذ فحكم بأن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذرية والنساء وتكون الديار للمهاجرين دون الأنصار وهو قول السيد الحميري:

فقضى عقارهم لكل مهاجر — دون الأولى نصروا ولم يتريب

ثم انصرف النبي ﷺ إلى المدينة وهم معه ثم خرج إلى موضع السوق فخندق فيه خنادق وخرج علي معه والمسلمون وأمر بهم أن يخرجوا وتقدم إلى علي أن يضرب أعناقهم في الخندق فأخرجوا إرسالاً وقتلوا وفيهم حيي بن أخطب رئيس بني النضير وكعب بن أسد رئيس قريظة وكانوا بين الستمائة والسبعمائة أو بين الثمانمائة والتسعمائة وكان يقتل منهم من أنبت وجيء بحيي بن أخطب فأقيم بين يدي علي عليه السلام فقال: قتلة شريفة بيد شريف

فقال له علي عليه السلام: إن خيار الناس يقتلون شرارهم وشرارهم يقتلون خيارهم فالويل لمن قتله الأخيار الأشراف والسعادة لمن قتله الأراذل الكفار قال: صدقت لا تسلبني حلتي قال: هي أهون علي من ذلك قال: سترتني سترك الله ثم قتله ولم يسلبه.

وامتاز علي (ع) في هذه الغزوة بأمور:

١ ـ إنه صاحب الراية.

٢ ـ شدة محافظته على أن لا يسمع رسول الله ﷺ ما يسوؤه من سبهم.

٣ ـ ما وقع في قلوبهم من الرعب حين رأوه.

٤ ـ إن علياً تولى قتلهم دون غيره.

٥ ـ افتخار حيي بأن قتله على يد علي.

٦ ـ عدم سلبه حييا حلته ووفاؤه بما وعده. وفي هذه الغزوة يقول الحاج هاشم الكعبي:

وبني قريظة والنضير وسلعم ... والواديين وخثعما وزبيدا
مزقت جيب نفاقهم فتركتهم ... أمماً لعارية السيوف غمودا

سنة ست من الهجرة ـ خبره في سرية زيد بن حارثة إلى حسمى

في جمادى الآخرة سنة ست من الهجرة قال ابن الأثير سببها أن رفاعة بن زيد الجذامي قدم على النبي ﷺ في هدنة الحديبية وأسلم فكتب له كتاباً إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام فأسلموا وأقبل دحية الكلبي من الشام فأغار عليه الهنيد بن عوض الجذامي وابنه عوض فبلغ ذلك قوم رفاعة ممن كان أسلم فنفروا إلى الهنيد وابنه وأخذوا منهما ما أخذاه من دحية وردوه عليه فقدم دحية على النبي ﷺ فأخبره خبره فأرسل زيد بن حارثة في جيش فقتلوا الهنيد وابنه وجمعوا ما وجدوا من مال فلما سمع بذلك رهط رفاعة سار بعضهم إلى زيد بن حارثة فقالوا: إنا قوم مسلمون فنادى زيد في الجيش إن الله حرم علينا ما أخذ

من طريق القوم ثم توقف في تسليم السبايا فعادوا إلى رفاعة فقالوا: إنك لجالس ونساء جذام أسارى فسار رفاعة وقومه إلى المدينة وعرض كتاب رسول الله ﷺ فأرسل معهم علي بن أبي طالب إلى زيد بن حارثة فرد على القوم مالهم حتى كانوا ينتزعون لبد المرأة تحت الرحل وأطلق الأسارى «اهـ».

وابن الأثير أرخ هذه السرية كما سمعت في جمادى الآخرة سنة ست وقال إنها وقعت في هدنة الحديبية مع أن هدنة الحديبية كانت غرة ذي القعدة سنة ست فهي متأخرة عن هذه بنحو خمسة أشهر.

سرية علي (ع) إلى بني سعد بن بكر بفدك

في شعبان سنة ٦ من الهجرة.

فدك قرية بينها وبين المدينة ست ليال وإنها الآن خراب وهي بنواحي خيبر وخيبر بين فدك والمدينة بلغ النبي ﷺ أن حياً من بني سعد قد تجمعوا يريدون أن يمدوا يهود خيبر ويعطوهم مقابل ذلك من تمر خيبر وذلك قبل محاصرة النبي ﷺ خيبر فإن أهل خيبر لما رأوا ما جرى لقريظة وبني النضير لما نقضوا العهد خافوا فاتفقوا مع أهل فدك على ذلك فبعث النبي ﷺ علياً من المدينة في مائة رجل فجعل يسير الليل ويكمن النهار حتى انتهى إلى الغَمِج[1] ـ ماء بين فدك وخيبر ـ فوجدوا رجلاً فقالوا: ما أنت قال: باغ ـ أي طالب لشيء ضل مني ـ فقالوا: هل لك علم بجمع بني سعد قال: لا علم لي فشددوا عليه فأقر أنه عين لهم بعثوه إلى خيبر يعرض على يهودها نصرهم على أن يجعلوا لهم من تمرها ما جعلوا لغيرهم قالوا له: فأين القوم قال: تركتهم قد تجمع منهم مائتا رجل قالوا: فسِر بنا حتى تدلنا عليهم قال: على أن تؤمنوني فأمنوه فجاء بهم إلى سرحهم فأغاروا عليه وهرب الرعاء إلى جمعهم فتفرقوا فقال: دعوني فقالوا:

(١) بفتح الغين المعجمة وكسر الميم بعدها جيم في القاموس الغمج من المياه ما لم يكن عذباً وفي طبقات ابن سعد الهمج بدل الغمج وفي تاج العروس الهمج ماء وعيون عليه نخل من المدينة من جهة وادي القرى.

حتى نبلغ معسكرهم فانتهى بهم إليه فلم يروا أحداً فتركوه وساقوا النعم وكانت خمسمائة بعير وألفي شاة فاصطفى علي منها لرسول الله ﷺ ناقة لقوحاً تسمى الحفدة[1] وقسم الباقي على أصحابه كما في السيرة الحلبية وينبغي كون ذلك بعد إخراج خمسها. ثم كانت وقعة خيبر (سنة سبع) من الهجرة فلما فتحت خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فدك فبعثوا إلى رسول الله ﷺ فصالحوه على النصف من فدك فكانت فدك لرسول الله ﷺ خالصة لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب. وفدك هذه هي التي تنازعت فيها الزهراء مع أبي بكر فأخذها أبو بكر بناء على أن الأنبياء لا تورث للرواية التي رواها نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة. وقالت الزهراء إن أباها نحلها إياها في حياته فهي ملك لها فلو سلم أن الأنبياء لا تورث فهذه ليست داخلة في الميراث فطلب منها البينة فأقامت بينة فقال: إنها غير تامة لأنها من رجل وامرأة كما مر في الجزء الثاني في سيرة الزهراء ومر هناك كثير مما يتعلق بفدك. قال ابن الأثير: كان نصف فدك خالصاً لرسول الله ﷺ لأنه لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب يصرف ما يأتيه منها على أبناء السبيل ولم يزل هو والخلفاء الأربعة يصنعون صنيعه بعد وفاته فلما ولي معاوية الخلافة أقطعها مروان بن الحكم فوهبها مروان ابنيه عبد الملك وعبد العزيز ثم صارت لعمر بن عبد العزيز وللوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان فلما ولي الوليد الخلافة وهب نصيبه عمر بن عبد العزيز فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة خطب الناس وأعلمهم أمر فدك وأنه قد ردها إلى ما كانت عليه مع رسول الله ﷺ والخلفاء الأربعة فوليها أولاد فاطمة ثم أخذت منهم فلما كانت سنة ٢١٠ ردها المأمون إليهم «اه» وفي هذا الكلام تناف بين فإنه إذا كان النبي ﷺ يصرف حاصلها على أبناء السبيل والخلفاء الأربعة بعده يصنعون صنيعه فهم كانوا يصرفونه على أبناء السبيل فلماذا وليها في زمن عمر بن عبد العزيز أبناء فاطمة ولماذا ردها المأمون إليهم بعدما أخذت

---

(١) الحفدة السريعة. ـ المؤلف ـ.

منهم فهذا يدل على أنها في زمن الرسول ﷺ كانت في يد فاطمة فلذلك ردها ابن عبد العزيز والمأمون إليهم ولو كان الرسول والخلفاء الأربعة يصرفون حاصلها على أبناء السبيل لكان ابن عبد العزيز والمأمون يفعلان بها كذلك والصواب أن الرسول ﷺ نحلها فاطمة.

خبره في غزوة الحديبية أو صلح الحديبية

(الحديبية) بسكون الياء الأولى وتخفيف الثانية تصغير حدبة وكانت غرة ذي القعدة سنة ست من الهجرة ومرت مفصلة في الجزء الثاني ونذكر منها هنا ما له علاقة بسيرة علي عليه السلام. وخرج النبي ﷺ في ألف وأربعمائة أو ألف وستمائة أو ألف وخمسمائة وخمسة وعشرين، خرج يريد العمرة ولا يريد حرباً ولم يخرج بسلاح إلا السيوف في القرب قال المفيد في الإرشاد: وكان اللواء يومئذ إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام كما كان إليه في المشاهد قبلها وأحرم من ذي الحليفة وساق هو وأصحابه سبعين بدنة وبلغ الخبر قريشاً فأجمع رأيهم على صده وعسكروا وأرسلوا خالد بن الوليد في مائتي فارس إلى كراع الغميم ودخل بسر بن سفيان الخزاعي الكعبي مكة فعرف ما يريدون وجاء حتى لقيه وراء عسفان وقدم رسول الله ﷺ عباد بن بشر أمامه في عشرين فارساً ودنا خالد فقام عباد بإزائه وصلى رسول الله ﷺ بأصحابه الظهر صلاة الخوف وتيامن بأصحابه في طريق تخرجهم على مهبط الحديبية من أسفل مكة من ناحية جدة فرجعت خيل قريش إليهم راكضين ينذرونهم فخرجوا حتى نزلوا مياه الحديبية وترددت الرسل بينهم وبينه فأبوا إلا منعه من دخول مكة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة قال المفيد في الإرشاد وكان من بلاء علي عليه السلام في ذلك اليوم عند صف القوم في الحرب والقتال ما ظهر خبره واستفاض ذكره وذلك بعد البيعة التي أخذها النبي ﷺ على أصحابه والعهود عليهم في الصبر وكان علي عليه السلام المبايع للنساء عن النبي ﷺ فكانت بيعته لهن يومئذ أن طرح ثوباً بينهن وبينه ثم مسحه بيده فكانت مبايعتهن للنبي ﷺ مسح الثوب ورسول الله ﷺ يمسح ثوب علي مما يليه ثم اتفقوا على الصلح والموادعة

فأرسلت قريش سهيل بن عمرو وجماعة فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ليكتب كتاب الصلح فقال: اكتب بسم الله الرحمٰن الرحيم فقال سهيل: لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم فكتبها ثم قال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فقال رسول الله ﷺ: **«اكتب هذا ما صالح عليه»** محمد بن عبد اللّه سهيل بن عمرو فجعل علي يتلكأ ويأبى أن يكتب إلا محمد رسول الله فقال له: **«اكتب فإن لك مثلها تعطيها وأنت مضطهد»** (وفي رواية) ستدعى إلى مثلها فتجيب وأنت على مضض. إشارة إلى ما وقع يوم الحكمين وهذا يدل على أن ذلك وقع قبل أن يكتب علي محمد رسول الله (وفي رواية) أنه جرى ذلك بعدما كتبها وأن رسول الله ﷺ قال لعلي: **«امح رسول الله»** فقال علي: والله لا أمحوه أبداً فقال: **«أرنيه»** فأراه إياه فمحاه بيده وقال: **«أنا والله رسول الله وإن كذبتموني»** وفي إرشاد المفيد فقال له علي: إنه والله لرسول الله على رغم أنفك فقال سهيل: اكتب اسمه يمض الشرط فقال له علي: ويلك يا سهيل كف عن عنادك فكتب علي هذا ما صالح عليه محمد بن عبد اللّه سهيل بن عمرو واصطلحا على وضع الحرب عشر سنين إلى أن قال: وإنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً معك سلاح الراكب السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها وكتب الكتاب نسختين إحداها عند النبي ﷺ والأخرى عند سهيل بن عمرو ونحر رسول الله ﷺ هديه وحلق ونحر أصحابه وحلق عامتهم وقصر الآخرون «قال المفيد» في الإرشاد فكان نظام تدبير هذه الغزاة متعلقاً بعلي عليه السلام وكان ما جرى فيها من البيعة وصف الناس للحرب ثم الهدنة والكتاب كله لأمير المؤمنين (ع) وكان فيما هيأه الله من ذلك حقن الدماء وإصلاح أمر الإسلام «اهـ» وكان صلح الحديبية سبباً لكثرة المسلمين وإن أجحفت بحقهم. وقد يسأل سائل فيقول: ما كان الغرض من عمرة الحديبية والنبي ﷺ يعلم أو يظن ظناً قريباً من العلم أن قريشاً لا تمكنه من دخول مكة

وقد تكون الحكمة فيها التمهيد لعقد الهدنة التي كان فيها تقوية المسلمين بعد الحروب التي مضت عليهم والتي صارت سبباً لفتح مكة بغير حرب فإن قريشاً لما خالفت شروط الهدنة بمعاونتها على خزاعة سراً حق للنبي ﷺ أن يغزو مكة ويفتحها وقريش آمنة غير مستعدة لحربه ولولا الهدنة لكانت دائماً في حذر واستعداد والله أعلم. وقد تكون الحكمة أن يظهر للناس ظلم قريش وجورها بصدها عن بيت الله المعظم عند الجميع وقد نقم عليهم ذلك الحليس بن علقمة كما مر في الجزء الثاني قال المفيد. وقد روى الناس لأمير المؤمنين علي في غزاة الحديبية بعد الذي ذكرنا فضيلتين اختص بهما وانضافا إلى فضائله العظام ومناقبه الجسام فروى إبراهيم بن عمرو عن رجاله عن فائد مولى عبد اللّه بن سالم قال: لما خرج رسول الله ﷺ في غزوة الحديبية نزل الجحفة فلم يجد فيها ماء فبعث سعد بن مالك حتى إذا كان غير بعيد رجع سعد بالروايا وقال: يا رسول الله ما أستطيع أن أمضي لقد وقفت قدماي رعباً من القوم فقال له النبي ﷺ: **«اجلس»** ثم بعث رجلاً آخر فخرج بالروايا حتى إذا كان بالمكان الذي انتهى إليه الأول رجع فقال رسول الله ﷺ: **«لم رجعت»** قال: والذي بعثك بالحق نبياً ما استطعت أن أمضي رعباً فدعا رسول الله ﷺ علياً عليه السلام فأرسله بالروايا وخرج السقاة وهم لا يشكون في رجوعه لما رأوا من جزع من تقدمه فخرج علي بالروايا حتى ورد الحرار واستقى ثم أقبل بها إلى النبي ﷺ ولها زجل فلما دخل كبر النبي ﷺ ودعا له بخير. قال: وفي هذه الغزاة أقبل سهيل بن عمرو إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد إن أرقاءنا لحقوا بك فارددهم علينا فغضب رسول الله ﷺ حتى تبين الغضب في وجهه ثم قال: **«لتنتهن يا معشر قريش أو ليبعثن الله عليكم رجلاً امتحن الله قلبه بالإيمان يضرب رقابكم على الدين»** فقال بعض من حضر: يا رسول الله فلان ذلك الرجل قال: **«لا»** قال: ففلان قال: **«لا ولكنه خاصف النعل في الحجرة»** فسار الناس إلى الحجرة ينظرون من الرجل فإذا هو علي عليه السلام.

قال وقد روى هذا الحديث جماعة عن علي (ع) وقالوا فيه إن علياً قص

هذه القصة ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**». وكان الذي أصلحه علي عليه السلام من نعل النبي ﷺ شسعها فإنه كان انقطع فخصف موضعه وأصلحه «اهـ».

سنة سبع من الهجرة ـ أخباره في غزوة خيبر

وكانت في جمادى الأولى أو المحرم سنة سبع من الهجرة وكان يهود خيبر مظاهرين لغطفان على رسول الله ﷺ وكان المسلمون في هذه الغزاة ألفاً وأربعمائة والخيل مائتي فرس بقيادة أحد الصحابة فانهزم فدعا النبي علياً وأعطاه الراية فكان الفتح على يده. قال ابن هشام قال ابن إسحق: حدثني بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي عن أبيه سفيان عن سلمة بن عمرو الأكوع قال: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق برايته وكانت بيضاء إلى بعض حصون خيبر يقاتل فرجع ولم يك فتح وقد جهد فقال رسول الله ﷺ: «**لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار**» وفي السيرة الحلبية في لفظ كرار غير فرار وفيها عن الامتاع وقد دفع ﷺ لواءه لرجل من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئاً فدفعه إلى آخر من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئاً وخرجت كتائب اليهود يقدمهم ياسر أو ناشر فكشف الأنصار حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ في موقفه فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ وأمسى مهموماً قال ابن هشام: يقول سلمة فدعا رسول الله ﷺ علياً وهو أرمد فتفل في عينيه ثم قال: «**خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك**» قال سلمة فخرج والله يهرول هرولة وأنا لخلفه نتبع أثره حتى ركز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن فاطلع إليه يهودي من رأس الحصن فقال: من أنت قال: أنا علي بن أبي طالب قال: يقول اليهودي علوتم أو غلبتم وما أنزل على موسى أو كما قال: فما رجع حتى فتح الله على يديه ورواه أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء بسنده عن سلمة بن الأكوع مثله وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن سلمة بن عمرو بن الأكوع قال: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر إلى بعض حصون خيبر فقاتل وجهد ولم يكن فتح وبسنده عن أبي ليلى عن علي أنه قال: يا أبا ليلى أما

كنت معنا بخيبر قال: بلى والله كنت معكم قال: فإن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر إلى خيبر فسار بالناس وانهزم حتى رجع هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجه البخاري ومسلم وقال الذهبي في تلخيص المستدرك صحيح ولم يتعقبه. وروى الحاكم في المستدرك أيضاً قال: أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي بمرو حدثنا سعيد بن مسعود حدثنا عبد الله بن موسى حدثنا نعيم بن حكيم عن أبي موسى الحنفي عن علي قال: سار النبي ﷺ إلى خيبر فلما أتاها بعث عمر وبعث معه الناس إلى مدينتهم أو قصرهم فقاتلوهم فلم يلبثوا أن هزموا عمر وأصحابه فجاؤوا يجبنونه ويجبنهم فسار النبي ﷺ «الحديث». هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي في تلخيص المستدرك صحيح ولم يتعقبه. وبسنده عن جابر أن النبي ﷺ دفع الراية يوم خيبر إلى عمر فانطلق فرجع يجبن أصحابه ويجبنونه هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وبسنده عن جابر بن عبد الله: لما كان يوم خيبر بعث رسول الله ﷺ رجلاً فجبن إلى أن قال ثم قال رسول الله ﷺ: **«لأبعثن غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبانه لا يولي الدبر يفتح الله على يديه فتشوف لها الناس»** وعلي يومئذ أرمد فقال له رسول الله ﷺ: **«سر»** فقال: ما أبصر موضعاً فتفل في عينيه وعقد له ودفع إليه الراية فقال: يا رسول الله علام أقاتلهم فقال: **«على أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وإني رسول الله فإذا فعلوا ذلك فقد حقنوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل فلقيهم ففتح الله عليه»**. وفي أسد الغابة بسنده عن بريدة قال: لما كان يوم خيبر أخذ أبو بكر اللواء فلما كان من الغد أخذه عمر وقيل محمد بن مسلمة فقال رسول الله ﷺ: **«لأدفعن لوائي إلى رجل لن يرجع حتى يفتح الله عليه»** فصلى رسول الله ﷺ صلاة الغداة ثم دعا باللواء فدعا علياً وهو يشتكي عينيه فمسحهما ثم دفع إليه اللواء ففتح قال الراوي فسمعت عبد الله بن بريدة يقول: حدثني أبي أنه كان صاحب مرحب يعني علياً وروى الطبري في تاريخه قال: حدثنا ابن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن ميمون أبي عبد الله أن عبد الله بن بريدة حدث عن بريدة الأسلمي قال: لما

كان حين نزل رسول الله ﷺ بحصن أهل خيبر أعطى اللواء عمر بن الخطاب ونهض من نهض معه من الناس فلقوا أهل خيبر فانكشف عمر وأصحابه فرجعوا إلى رسول الله ﷺ يجبنه أصحابه ويجبنهم فقال رسول الله ﷺ: **«لأعطين اللواء غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»** فلما كان من الغد تطاول لها أبو بكر وعمر فدعا علياً عليه السلام وهو أرمد فتفل في عينيه وأعطاه اللواء ونهض معه من الناس من نهض فلقي أهل خيبر فإذا مرحب يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحب ... شاكي السلاح بطل مجرب

اطعن أحياناً وحيناً اضرب ... إذا الليوث أقبلت تلتهب

فاختلف هو وعلي ضربتين فضربه علي على هامته حتى عض السيف منها بأضراسه وسمع أهل العسكر صوت ضربته فما تتام آخر الناس مع عليّ عليه السلام حتى فتح الله لأولهم. وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن عبد اللّه بن بريدة الأسلمي أن رسول الله ﷺ لما نزل بحضرة خيبر قال: **«لأعطين اللواء غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»** فلما كان من الغد تطاول له جماعة من أصحابه فدعا علياً وهو أرمد فتفل في عينيه وأعطاه اللواء ومعه الناس فلقوا أهل خيبر فإذا مرحب بين أيديهم يرتجز وهو يقول:

قد علمت خيبر إني مرحب ... شاكي السلاح بطل مجرب

أطعن أحياناً وحيناً أضرب ... إذا السيوف أقبلت تلتهب

فاختلف هو وعلي بضربتين فضربه علي على رأسه حتى عض السيف بأضراسه وسمع أهل العسكر صوت ضربته فقتله فما أتى آخر الناس حتى فتح لأولهم. وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن أياس بن سلمة عن أبيه قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ خيبر حين بصق في عيني علي فبرىء فأعطاه الراية فبرز مرحب وهو يقول:

قد علمت خيبر إني مرحب ... شاكي السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلتهب

فبرز له علي وهو يقول:

أنا الذي سمتني أمي حيدره كليث غابات كريه المنظره
أوفيكم بالصاع كيل السندره

فضرب مرحباً ففلق رأسه فقتله وكان الفتح. وقال الطبري حدثنا أبو كريب حدثنا يونس بن بكير حدثنا المسيب بن مسلم الأودي حدثنا عبد اللّه بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ ربما أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس وأن أبا بكر أخذ راية رسول الله ﷺ ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً ثم رجع فأخذها عمر فقاتل قتالاً شديداً هو أشد من القتال الأول ثم رجع فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال: «**أما والله لأعطينها غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يأخذها عنوة**» قال: وليس ثم علي عليه السلام فتطاولت لها قريش ورجا كل واحد منهم أن يكون صاحب ذلك فأصبح فجاء علي عليه السلام على بعير له حتى أناخ قريباً من خباء رسول الله ﷺ وهو أرمد وقد عصب عينيه بشقة برد قطري فقال رسول الله ﷺ: «**ما لك**» قال: رمدت بعد فقال: «**ادن مني**» فدنا منه فتفل في عينيه فما اشتكى وجعهما حتى مضى لسبيله ثم أعطاه الراية فنهض بها وعليه حلة أرجوان حمراء قد أخرج خملها فأتى مدينة خيبر وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر وبرد معصفر يمان وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب

فقال علي عليه السلام:

أنا الذي سمتني أمي حيدره أكيلكم بالسيف كيل السندره
ليث بغابات شديد قسوره

فاختلفا ضربتين فبدره علي فضربه فقد الحجر والمغفر ورأسه حتى وقع السيف في الأضراس وأخذ المدينة. وفي السيرة الحلبية أن مرحباً كان رأى تلك الليلة كأن أسداً افترسه فذكره ذلك علي بقوله:

أنا الذي سمتني أمي حيدره ليث بغابات شديد قسوره

لأن حيدره من أسماء الأسد. وفيها أيضاً في رواية أنه ﷺ ألبسه درعه الحديد وشد ذا الفقار في وسطه وأعطاه الراية ووجهه إلى الحصن وخرج إليه أهل الحصن وكان أول من خرج إليه منهم الحارث أخو مرحب وكان معروفاً بالشجاعة فانكشف المسلمون وثبت علي فتضاربا فقتله علي وانهزم اليهود إلى الحصن. وفيها أيضاً جاء أن مرحباً لما رأى أخاه قد قتل خرج سريعاً من الحصن في سلاحه وكان قد لبس درعين وتقلد بسيفين واعتم بعمامتين ولبس فوقهما مغفراً وحجراً قد ثقبه قدر البيضة ومعه رمح لسانه ثلاثة أشبار وهو يرتجز بما مر قال: فيروى أن علياً ضربه فتترس فوقع السيف على الترس فقده وشق المغفر والحجر الذي تحته والعمامتين وفلق هامته حتى أخذ السيف في الأضراس. وفي طبقات ابن سعد: أخبرنا عفان بن مسلم أخبرنا وهيب أخبرنا سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ يوم خيبر: **«لأدفعن الراية إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ويفتح عليه»** قال عمر: فما أحببت الإمارة قبل يومئذ فتطاولت لها واستشرفت رجاء أن يدفعها إلي فلما كان الغد دعا علياً فدفعها إليه فقال قائل: ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك فسار قريباً ثم نادى: يا رسول الله علام أقاتل قال: **«حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»** وفي السيرة النبوية لدحلان يروى أن علياً بلغه مقالة النبي ﷺ يعني قوله: **«لأعطين الراية»** الخ قال: اللهم لا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت «اهـ» فلم يتطاول ولم يستشرف وفي السيرة الحلبية: زاد في رواية وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم تتصدق بها في سبيل الله. وروى ابن سعد بسنده عن سلمة بن الأكوع أن عمه عامراً بارز مرحباً يوم خيبر فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر وذهب عامر يسفل له فوقع السيف على ساق عامر فقطع أكحله فكانت فيها نفسه قال: قال سلمة ثم أن نبي الله أرسلني إلى علي فقال: **«لأعطين الراية اليوم رجلاً**

يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» فجئت به أقوده أرمد فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ثم أعطاه الراية فخرج مرحب يخطر بسيفه ويرتجز بما مر فقال علي عليه السلام وذكر الرجز السابق ثم قال: ففلق رأس مرحب بالسيف وكان الفتح على يديه (وفي السيرة الحلبية) أن محمود بن مسلمة حارب حتى أعياه الحرب فانحاز إلى ظل الحصن فألقى عليه يهودي حجر الرحى ثم مات فقال رسول الله ﷺ لأخيه محمد بن مسلمة: **«لأعطين الراية إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبانه»** قال وفي لفظ **«لأدفعن الراية إلى رجل يحب الله ورسوله لا يولي الدبر يفتح الله عز وجل على يده فيمكنه الله من قاتل أخيك»** وعند ذلك لم يكن من الصحابة أحد له منزلة عند النبي ﷺ إلا يرجو أن يعطاها فبعث إلى علي وكان أرمد شديد الرمد وكان قد تخلف بالمدينة ثم لحق بالقوم فقيل له إنه يشتكي عينيه فقال: **«من يأتيني به»** فذهب إليه سلمة بن الأكوع وأخذ بيده يقوده حتى أتى به النبي ﷺ قد عصب عينيه فعقد له اللواء فقال له علي: يا رسول الله إني أرمد كما ترى لا أبصر موضع قدمي فوضع رأسه في حجره وتفل في كفه وفتح له عينيه فدلكهما فبرئتا حتى كأن لم يكن بهما وجع قال علي: فما اشتكيتهما حتى الساعة ثم قال: **«اللهم اكفه الحر والبرد»** فكان يلبس في الحر الشديد القباء المحشو الثخين ويلبس في البرد الشديد الثوبين الخفيفين. وقد يعارض هذا ما رواه هارون بن عنترة عن أبيه: دخلت على علي بالخورنق وهو يرعد تحت سمل قطيفة فقلت: يا أمير المؤمنين إن الله جعل لك في هذا المال نصيباً وأنت تصنع بنفسك هكذا فقال: والله لا أرزؤكم من مالكم شيئاً وإنها لقطيفتي التي خرجت بها من المدينة. وجمع بينهما صاحب السيرة الحلبية بأن رعدته لعلها لحمى أصابته وفيه ما لا يخفى إذ هو كالصريح في أن رعدته من البرد لعدم وجود ما يستدفىء به وقال الأستاذ العقاد في كتابه عبقرية الإمام: إن لبسه ثياب الشتاء في الصيف وثياب الصيف في الشتاء لأنه من مكانة تركيبه كان لا يبالي الحر والبرد وسئل في ذلك فقال: إن رسول الله ﷺ بعث إلي وأنا أرمد العين يوم خيبر فقلت: يا رسول الله إني أرمد العين فقال: **«اللهم اذهب عنه**

الحر والبرد» فما وجدت حراً ولا برداً منذ يومئذ قال: ولا يفهم من هذا أنه كان معدوم الحس بالحر والبرد فقد كان يرعد للبرد إذا اشتد ولم يتخذ له عدة من دثار يقيه وذكر خبر هارون بن عنترة المتقدم ثم قال: فليس انعدام حس بالصيف والشتاء إنما هي مناعة قوية خصت بها بنيته لم يخص بها معظم الناس «اهـ» ولا يبعد أن يكون ما في الرواية الثانية باطلاً فإن علياً عليه السلام مهما بلغ به الزهد لم يكن ليعجز عن شيء يتقي به البرد من نار أو كساء أو عباءة ونحو ذلك ولو خلقا. وفي الاستيعاب: روى سعد بن أبي وقاص وسهل بن سعد وأبو هريرة وبريدة الأسلمي وأبو سعيد الخدري وعبد اللّه بن عمر وعمران بن حصين وسلمة بن الأكوع كلهم بمعنى واحد عن النبي ﷺ أنه قال في يوم خيبر: **«لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ليس بفرار يفتح الله على يديه»** فدعا بعلي وهو أرمد فتفل في عينيه وأعطاه الراية ففتح عليه قال وهذه كلها آثار ثابتة «اهـ» وروى أبو نعيم الأصفهاني أحمد بن عبد اللّه في حلية الأولياء بسنده عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: **«لأعطين هذه الراية رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»** فبات الناس يدوكون[1] ليلتهم أيهم يعطاها فقال: **«أين علي بن أبي طالب»** فقالوا: يا رسول الله يشتكي عينيه قال: **«فأرسلوا إليه»** فأتي به فبصق في عينيه ودعا له فبرىء كأن لم يكن به وجع وأعطاه الراية فقال: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم، قال رواه سعد بن أبي وقاص وأبو هريرة وسلمة بن الأكوع (أقول) ورواه مسلم في صحيحه بسنده عن سهل بن سعد نحوه ورواه النسائي في الخصائص بسنده عن سهل بن سعد نحوه إلا أنه قال: فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطى (وبسنده) عن

---

(١) في النهاية وقع الناس في دوكة أي في خوض واختلاط.

سعد قال رسول الله ﷺ: **«لأدفعن الراية إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ويفتح الله بيده»** فاستشرف لها أصحابه فدفعها إلى علي (وبسنده) عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى عن أبيه أنه قال لعلي وكان يسير معه: إن الناس قد أنكروا منك شيئاً تخرج في البرد في الملاءتين وتخرج في الحر في الخشن[1] والثوب الغليظ لم تكن معنا بخيبر قال: بلى قال: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر وعقد له لواء فرجع وبعث عمر وعقد له لواء فرجع فقال رسول الله ﷺ: **«لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ليس بفرار»** فأرسل إلي وأنا أرمد فتفل في عيني فقال: **«اللهم اكفه أذى الحر والبرد»** فما وجدت حراً بعد ذلك ولا برداً (وبسنده) عن عبد اللّه بن بريدة سمعت أبي بريدة يقول: حاصرنا خيبر فأخذ الراية أبو بكر فلم يفتح له فأخذها من الغد عمر فانصرف ولم يفتح له وأصاب الناس شدة وجهد فقال رسول الله ﷺ: **«إني دافع لوائي غداً إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح له»** وبتنا طيبة أنفسنا أن الفتح غداً فلما أصبح رسول الله ﷺ صلى الغداة ثم جاء قائماً ورمى اللواء والناس على أقصافهم[2] فما منا إنسان له منزلة عند الرسول ﷺ إلا وهو يرجو أن يكون صاحب اللواء فدعا علي بن أبي طالب وهو أرمد فتفل ومسح في عينيه فدفع إليه اللواء وفتح الله عليه وفي الإصابة ومن خصائص علي قوله ﷺ يوم خيبر: **«لأدفعن الراية إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه»** فلما أصبح رسول الله ﷺ غدوا كلهم يرجو أن يعطاها فقال رسول الله ﷺ: **«أين علي بن أبي طالب»** فقالوا: هو يشتكي عينيه فأتى به فبصق في عينيه فدعا له فبرىء فأعطاه الراية أخرجاه في الصحيحين من حديث سهل بن سعد ومن حديث سلمة بن الأكوع نحوه باختصار وفيه يفتح الله على

---

(١) لعل صوابه في الحيش.

(٢) كذا في النسخة المطبوعة بمصر ولا أضمن صحتها فإن صحت فلعل الأقصاف جمع قصف وهو الازدحام أو جمع قصفة وهي التدافع والتزاحم ولعل الصواب على مصافهم بدل إقصافهم والله أعلم.

يديه. وفي حديث أبي هريرة عند مسلم نحوه وفيه فقال عمر: ما أحببت الإمارة إلا ذلك اليوم وفي حديث بريدة عن أحمد نحو حديث سهل وفي زيادة في أوله وفي آخره قصة مرحب وقتل علي له فضربه علي على هامته ضربة حتى عض السيف منه بيضة رأسه وسمع أهل العسكر صوت ضربته فما قام آخر الناس حتى فتح الله لهم. قال: وفي المسند لعبد اللّه بن أحمد بن حنبل من حديث جابر أن النبي ﷺ لما دفع الراية لعلي يوم خيبر أسرع فجعلوا يقولون له: ارفق حتى انتهى إلى الحصن فاجتذب بابه فألقاه على الأرض ثم اجتمع عليه سبعون رجلاً حتى أعادوه قال: وفي سنده حرام بن عثمان متروك قال: وجاءت قصة الباب من حديث أبي رافع لكن ذكر دون هذا العدد «اهـ» الإصابة (وفي خصائص النسائي) بسنده عن عبد اللّه بن بريدة الأسلمي قال: لما كان يوم خيبر ونزل رسول الله ﷺ بحصن خيبر أعطى اللواء عمر فنهض فيه من نهض من الناس فلقوا أهل خيبر فانكشف عمر وأصحابه فرجعوا إلى رسول الله ﷺ فقال ﷺ: **«لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»** فلما كان من الغد تصادر[1] أبو بكر وعمر فدعا علياً وهو أرمد فتفل في عينيه ونهض معه من الناس فلقي أهل خيبر فإذا مرحب يرتجز:

قد علمت خيبر أني مرحب ... شاكي السلاح بطل مجرب

إذا الليوث أقبلت تلتهب ... أطعن أحياناً وحيناً أضرب

فاختلف هو وعلي ضربتين فضربه علي على هامته حتى مضى السيف منتها منتهى رأسه وسمع أهل العسكر صوت ضربته فما تتام آخر الناس مع علي حتى فتح لأولهم، وروى أبو نعيم في حلية الأولياء بسنده عن سلمة بن الأكوع قال بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق برايته إلى حصون خيبر يقاتل فرجع ولم يكن فتح وقد جهد ثم بعث عمر الغد فقاتل[2] فرجع ولم يكن فتح وقد جهد فقال

(١) لعل المراد بتصادر رفع صدره.

(٢) كذا في النسخة ولعل صوابه يقاتل.

رسول الله ﷺ: **«لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار»** فدعا بعلي عليه السلام وهو أرمد فتفل في عينيه فقال: هذه الراية امض بها حتى يفتح الله على يديك قال سلمة فخرج بها والله يهرول هرولة وأنا خلفه نتبع أثره حتى ركز رايته في رضم من الحجارة تحت الحصن فاطلع إليه يهودي من رأس الحصن فقال: من؟ فقال: علي بن أبي طالب فقال اليهودي: غلبتم وما أُنزل على موسى فما رجع حتى فتح الله على يديه (وروى) النسائي في الخصائص بسنده عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: **«لأدفعن الراية اليوم إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»**. فتطاول القوم فقال: أين علي بن أبي طالب فقالوا: يشتكي عينه فبصق نبي الله في كفيه ومسح بهما عيني علي ودفع إليه الراية ففتح الله على يديه (وبسنده) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: **«لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله عليه»** قال عمر بن الخطاب: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فأعطاه إياها وقال: امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك فسار علي ثم وقف فصاح: يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس قال: **«قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»** (وبسنده) عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله يفتح عليه قال عمر: فما أحببت الإمارة قط إلا يومئذ فاستشرفت لها فدعا علياً فبعثه ثم ذكر نحواً مما في الحديث المتقدم (وبسنده) عن أبي هريرة نحوه. ورواه مسلم في صحيحه نحوه إلا أنه قال: قال عمر بن الخطاب: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ فتساورت لها[1] رجاء أن أدعى لها (وروى) النسائي في الخصائص بسنده عن عمران بن الحصين أن النبي ﷺ قال: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله أو قال: يحبه الله ورسوله فدعا علياً وهو أرمد ففتح الله على يديه (وبسنده) قال جمع الناس الحسن بن علي وعليه عمامة

---

(١) في النهاية فتساورت لها أي رفعت لها شخصي.

سوداء لما قتل أبوه فقال: لقد قتلتم بالأمس رجلاً ما سبقه الأولون ولا يدركه الآخرون وأن رسول الله ﷺ قال: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ثم لا ترد رايته حتى يفتح الله عليه وما ترك ديناراً ولا درهماً تسعمائة درهم أخذها عياله من عطاه كان أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله(١).

ويأتي في رواية الخرائج ما يدل على أن مرحبا هرب مع من هرب إلى الحصن لما حمل عليهم أمير المؤمنين عليه السلام وأن قتله كان بعد فتح الحصن ولم يذكره غيره. وفي السيرة الحلبية قال بعضهم: الأخبار متواترة بأن علياً هوالذي قتل مرحبا وبه جزم مسلم في صحيحه وقال ابن الأثير هو الصحيح الذي عليه أهل السير والحديث وفي الاستيعاب أنه الصحيح الذي عليه أكثر أهل السير والحديث وقال الحاكم في المستدرك إن الأخبار متواترة بأسانيد كثيرة إن قاتل مرحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «اهـ» فلا يلتفت إلى الخبر الشاذ الذي رواه محمد بن إسحق من أن قاتله محمد بن مسلمة ولكن الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه حياة محمد لم يذكر إلا هذا الخبر الشاذ الذي وضعه أعداء علي وحاسدوه وأعرض عن الخبر المتواتر فلم يذكره أصلاً ولا أشار إليه ولا عجب فهذا ديدنه في كتابه من غمط علي حقه في كل مقام ما استطاع وهي شنشنة أخزمية معروفة لكثيرين غيره قال المفيد: ومن ذلك ما كان في يوم خيبر من انهزام من انهزم وقد أهل لجليل المقام بحمل الراية وكان بانهزامه من الفساد ما لا خفاء به على الألباء ثم أعطى صاحبه الراية من بعده وكان من انهزامه مثل الذي سلف من الأول وخيف من ذلك على الإسلام وشأنه ما كان منهما من الانهزام. فأكبر ذلك رسول الله ﷺ وأظهر النكير له والمساءة به ثم قال معلناً لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله كراراً غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه فأعطاها أمير المؤمنين عليه السلام وكان الفتح على يديه ودل فحوى كلامه ﷺ على خروج الفارين من صفة الكر والثبوت

---

(١) الخادم يطلق على المذكر والمؤنث والمراد هنا المؤنث.

للقتال وفي تلافي أمير المؤمنين بخيبر ما فرط من غيره دليل على توحده من الفضل فيه بما لم يشركه فيه من عداه «اهـ».

ما جاء في تترسه بالباب وقلعه باب الحصن

كان اسم الحصن القموص وكان أعظم حصون خيبر وكان منيعاً وكان اليهود قد خندقوا على أنفسهم كأنهم تعلموا ذلك من يوم الأحزاب فإن الخنادق لم تكن معروفة عند العرب وتدل الروايات على أن علياً عليه السلام تترس بباب عظيم كان عند الحصن من خشب أو حديد لما سقط ترسه من يده وأنه قلع باب الحصن ودخله وهو أعظم من الباب الذي تترس به روى ابن هشام عن ابن إسحق والطبري عن ابن حميد عن سلمة عن محمد بن إسحق حدثني عبد الله بن الحسن عن بعض أهله عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال: خرجنا مع علي بن أبي طالب حين بعثه رسول الله ﷺ برايته فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم فضربه رجل من اليهود فطاح ترسه من يده فتناول علي باباً كان عند الحصن فترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده حين فرغ فقد رأيتني في نفر سبعة منهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه وفي السيرة الحلبية فحمل مرحب على علي وضربه فطرح ترسه من يده فتناول علي باباً كان عند الحصن فترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه الحصن ثم ألقاه من يده وراء ظهره ثمانين شبراً قال الراوي فجهدت أنا وسبعة نفر على أن نقلب ذلك الباب فلم نقدر «اهـ» وهذا الباب غير باب الحصن بل هو باب أصغر منه كان ملقى عند الحصن أخذه علي فترس به ويوشك أن يكون وقع هنا اشتباه من صاحب السيرة الحلبية في قوله ثم ألقاه وراء ظهره ثمانين شبراً لأن ذلك وارد في باب الحصن لا في الباب الذي تترس به فإن الروايات الآتية الواردة في قلع الباب تدل على أنه رمى باب الحصن خلفه أربعين ذراعاً والأربعون ذراعاً هي ثمانون شبراً. وقال دحلان في سيرته حمل مرحب على علي وضربه فطرح ترسه من يده فتناول علي ترساً باباً كان عند الحصن فترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى

فتح الله عليه الحصن ثم ألقاه من يده وراء ظهره وكان طول الباب ثمانين شبراً ولم يحركه بعد ذلك سبعون رجلاً إلا بعد جهد «اهـ» وهذا الاختلاف بين نقل السيرة الحلبية وسيرة دحلان يدل على عدم التحرير والضبط فالحلبية تقول ألقاه وراء ظهره ثمانين شبراً ودحلان يقول كان طول الباب ثمانين شبراً والحلبية تقول إن ثمانية نفر لم يقدروا على قلبه ودحلان يقول لم يحركه سبعون إلا بعد جهد ويوشك أن يكون عدد السبعين وارداً في باب الحصن لا في الباب الترس. أما ما جاء في باب الحصن ففي بعض الروايات أن علياً عليه السلام تترس به أيضاً وفي بعضها أنه جعله بعد الفتح جسراً وفي بعضها أنه دحا به خلفه أربعين ذراعاً وفي بعضه أنه كان من حجر قال المفيد: لما قتل علي عليه السلام مرحبا رجع من كان معه وأغلقوا باب الحصن عليهم دونه فصار إلى الباب فعالجه حتى فتحه وأكثر الناس من جانب الخندق فأخذ علي عليه السلام باب الحصن فجعله على الخندق جسراً لهم حتى عبروا فظفروا بالحصن وغنموا بالغنائم فلما انصرفوا من الحصن أخذه بيمناه فدحا به أذرعا من الأرض وكان الباب يغلقه عشرون رجلاً منهم «اهـ».

وهذا يدلنا على أن مرحبا كان قد خرج من الحصن ومعه جماعة ليقاتل وإذا كان الحصن حوله خندق كما مر فلا بد أن يكون مرحب ومن معه عبروا على جسر خشبي صغير عند باب الحصن فوق الخندق كما هو الشأن في الخنادق التي حول الحصون والمدن فلما قتل مرحب وعاد من معه هاربين إلى الحصن عبروا على ذلك الجسر فيمكن أن يكونوا رفعوه لما دخلوا الحصن فأعاده علي ومن معه وعبروا عليه ويمكن أن يكون علي قد أعجلهم عن رفعه فعبر عليه هو ومن معه ومثل هذا الجسر يكون عادة صغيراً لا يكفي إلا لعبور النفر القليل في دفعة واحدة فلذلك لما قلع باب الحصن جعله جسراً على الخندق ليعبر عليه أكثر من معه الذين كانوا خارج الخندق ولم يعبر معه منهم إلا القليل لضيق الطريق. وقال دحلان: عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عن جابر أن علياً حمل الباب يوم خيبر وأنه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون

رجلاً رواه البيهقي وفي رواية للبيهقي أن علياً لما انتهى إلى الحصن المسمى القموص اجتذب أحد أبوابه فألقاه بالأرض فاجتمع عليه بعده سبعون رجلاً فكان جهدهم أن أعادوا الباب مكانه وجمع بين روايتي السبعين والأربعين بأن الأربعين عالجوا حمله فما قدروا فتكاملوا سبعين فحملوه وعن الحافظ بن حجر أنه جمع بين الرواية السابقة لقد رأيتني في سبعة نفر الخ وبين رواية الأربعين أن السبعة عالجوا قلبه والأربعين عالجوا حمله والفرق بينهما ظاهر «اهـ» ولكن رواية السبعة واردة في الباب الترس والأربعين في باب الحصن فلا حاجة إلى الجمع. ثم إن في بعض الروايات أن علياً عليه السلام لما حمل باب الحصن ووضعه على الخندق جسراً للعبور قصر فأمسكه بيده حتى عبر عليه الناس ولم أجد هذه الرواية الآن لأبيِّن محل ذكرها وإليها يشير الحاج هاشم الكعبي بقوله:

وجعلته جسراً فقصر فاغتدت طولى يمينك جسرها الممدودا

وقال الراوندي في الخرائج إن النبي ﷺ دفع الراية إلى علي عليه السلام فأخذها وسار بها المسلمون خلفه حتى وافى باب الحصن فاستقبله حماة اليهود وفي أولهم مرحب يهدر كما يهدر البعير فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ثم دعاهم إلى الذمة فأبوا فحمل عليهم فانهزموا بين يديه ودخلوا الحصن وردوا بابه وكان الباب حجراً منقوراً في صخر والباب من الحجر في ذلك الصخر المنقور كأنه حجر رحى وفي وسطه ثقب لطيف فرمى أمير المؤمنين عليه السلام بقوسه من يده اليسرى وجعل يده اليسرى في ذلك الثقب الذي في وسط الحجر دون اليمنى لأن السيف كان في يده اليمنى ثم جذبه إليه فانهار الصخر المنقور وصار الباب في يده اليسرى فحملت عليه اليهود فجعل ذلك ترساً له وحمل عليهم فضرب مرحبا فقتله وانهزم اليهود من بين يديه فرمى عند ذلك الحجر بيده اليسرى إلى خلفه فمر الحجر الذي هو الباب على رؤوس الناس من المسلمين إلى أن وقع في آخر العسكر قالوا فذرعنا المسافة التي مضى فيها الباب فكانت أربعين ذراعاً ثم اجتمعنا على ذلك الباب لنرفعه من الأرض وكنا أربعين رجلاً حتى تهيأ لنا أن نرفعه قليلاً من الأرض «اهـ». وفي السيرة الحلبية عن الأمتاع أنه ذكر جملة ممن

خرج حديث باب خيبر من الحفاظ رداً على من قال إنه لا أصل له «اهـ».

وقد امتاز أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الغزوة كغيرها من الغزوات بأمور لم يشاركه فيها غيره وهي مستفادة من مجموع ما مر:

١ ـ إنه كان صاحب الراية فيها كسائر الغزوات وإنما أخذها غيره لما كان أرمد فلما عادوا منهزمين واحداً بعد واحد وشفاه الله تعالى من الرمد ببركة الرسول ﷺ كان هو صاحبها.

٢ ـ قول النبي ﷺ لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كراراً غير فرار يفتح الله على يديه.

٣ ـ إنه به كشفت الشدة والهم والجهد عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين لما انكشفت الأنصار حتى انتهوا إليه في موقفه فاشتد ذلك عليه و أمسى مهموماً وأصاب الناس شدة وجهد ثم طابت أنفسهم أن الفتح غدا.

٤ ـ إنه لما خرج بالراية لم يمش الهوينا بل أسرع وهرول هرولة فعل الشجاع الباسل الذي لا يبالي بشيء فجعلوا يقولون له أرفق فلم يقف حتى ركز الراية في أصل الحصن.

٥ ـ شدة خوف اليهود وإيقانهم بأنهم مغلوبون لما سمعوا باسمه.

٦ ـ قتله مرحبا بضربة سمع العسكر صوتها.

٧ ـ قتله مرحبا وفتحه الحصن قبل أن يتتام لحاق الناس به فإنه ما تتام آخر الناس معه حتى فتح الله لأولهم.

٨ ـ إن النبي ﷺ ألبسه درعه وعممه بيده وألبسه ثيابه وشد ذا الفقار في وسطه بيده وأركبه بغلته.

٩ ـ قتله الحارث أخا مرحب وكان معروفاً بالشجاعة.

١٠ ـ إنه لم بلغه قول النبي ﷺ لأعطين الراية قال اللهم لا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت فلم يتطاول ولم يتصادر ولم يتساور ولم يستشرف

ولم يظهر حب الإمارة. وكيف يتطاول لها ويستشرف ويتصادر ويتساور من فر بها بالأمس.

١١ ـ ثباته حين خروج الحارث وانهزام المسلمين.

١٢ ـ أمر النبي ﷺ له أن يخبرهم بما يجب عليهم من حق الله وقوله له لأن يهدي الله بك الخ.

١٣ ـ دعاء النبي ﷺ له أن يكفيه الحر والبرد فاستجاب الله له ذلك.

١٤ ـ تترسه بباب لم يستطع قلبه ثمانية نفر.

١٥ ـ قلعه باب الحصن وإلقاؤه على الإرض ووضعه جسراً على الخندق واجتماع سبعين حتى أعادوه.

وقد أكثر الشعراء من ذكر وقعة خيبر فقال الكميت:

سقى جرع الموت ابن عثمان بعدما ... تعاورها منه وليد ومرحب

ابن عثمان هو طلحة بن أبي طلحة العبدري صاحب اللواء قتله يوم أحد والوليد هو ابن عتبة قتله يوم بدر. واستأذن حسان بن ثابت رسول الله ﷺ أن يقول في ذلك شعراً فأذن له فقال أورده المفيد:

وكان علي أرمد العين يبتغي ... دواء فلما لم يحس مداويا
شاه رسول الله منه بتفلة ... فبورك مرقياً وبورك راقيا
وقال سأعطي الراية اليوم صارما ... كميا محبا للرسول مواليا
يحب إلهي والإله يحبه ... به يفتح الله الحصون الأوابيا
فأصفى بها دون البرية كلها ... علياً وسماه الوزير المؤاخيا

قال المفيد وفي حمل أمير المؤمنين عليه السلام الباب يقول الشاعر:

إن امرأ حمل الرتاج بخيبر ... يوم اليهود بقدرة لمؤيد
حمل الرتاج رتاج باب قموصها ... والمسلمون وأهل خيبر حشد
فرمى به ولقد تكلف رده ... سبعون شخصاً كلهم متشدد

ردوه بعد تكلف ومشقة ... ومقال بعضهم لبعض اردوا

قال المفيد وفيه أيضاً قال شاعر من شعراء الشيعة على ما رواه أبو محمد الحسن بن محمد بن جمهور قال قرأت على أبي عثمان المازني:

بعث النبي براية منصورة ... ذاك ابن حنتمة الدلام الأدلما
فمضى بها حتى إذا برزوا له ... دون القموص ثنى وهاب وأحجما
فأتى النبي براية مردودة ... ألا تخوف عارها فتذمما
فنكى (فبلى) النبي له وأنبه بها ... ودعا امرأ حسن البصيرة مقدما
فغدا بها في فيلق ودعا له ... أن لا يصد بها وأن لا يهزما
فزوى اليهود إلى القموص وقد كسا ... كبش الكتيبة ذا غرار مخذما
وثنى بناس بعدهم فقراهم ... طلس الذباب وكل نسر قشعما
ساط الإله بحب آل محمد ... وبحب من والاهم مني الدما

وقال السيد الحميري في القصيدة المذهبة:

وله بخيبر إذ دعاه لراية ... ردت عليه هنالك أكرم منقب
إذ جاء حاملها فأقبل متعباً ... يهوي بها العدوى أو كالمنعب
يهوي بها وفتى اليهود يشله ... كالثور ولى من لواحق أكلب
غضب النبي لها فأنبه بها ... ودعا أخا ثقة لكهل منجب
رجل كلا طرفيه من سام وما ... حام له باب ولا بأبي أب
من لا يفر ولا يرى في نجدة ... إلا وصارمه خضيب المضرب
فمضى بها قبل اليهود مصمما ... يرجو الشهادة لا كمشي الأنكب
تهتز في يمنى يدي متعرض ... للموت أروح في الكريهة محرب
في فيلق فيه السوابغ والقنا ... والبيض تلمع كالحريق الملهب
والمشرفية في الأكف كأنها ... لمع البروق بعارض متحلب
وذوو البصائر فوق كل مقلص ... نهد المرا كل ذي سبيب سلهب
ومضى فأقبل مرحب متذمراً ... بالسيف يخطر كالهزبر المغضب

فتخالسا مهج النفوس فأقلعا عن جري أحمر سائل من مرحب
فهوى بمختلف القنا متجدلاً ودم الجبين بخده المترب
أجلى فوارسه وأجلى رجله عن مقعص بدمائه متخضب

وقال الحاج هاشم الكعبي:

ولخيبر خبر يصم حديثه سمع العدى ويفجر الجلمودا
يوم به كنت الفتى الفتاك وال‍ ‍كرار والمحبوب والصنديدا
من بعد ما ولى الجبان براية ال‍ إيمان تلتحف الهوان برودا
ورأتك فانتشرت لقربك بهجة فعل الودود يعاين المودودا
فنصرتها ونضرتها فكأنها غصن يرنحه الصبا أملودا
فغدوت ترقل والقلوب خوافق والنصر يرمي نحوك الأقليدا
فلقيتها فعقلت فارسها ولا عجب إذا افترس الهزبر السيدا
ويل أمه أيظنك النكس الذي ولى غداة الطعن يلوي جيدا
وتبعتها فحللت عقدة تاجها بيد سمت ورتاجها الموصودا
وجعلته جسراً فقصر فاغتدت طولى يمينك جسرها الممدودا
وأبحت حصنهم المشيد فلم يكن حصن لهم من بعد ذاك مشيدا

وقال الأزري في هائيته:

وله يوم خيبر فتكات كبرت منظراً على من رآها
يوم قال النبي إني لأعطي رايتي ليثها وحامي حماها
فاستطالت أعناق كل فريق ليروا أي ماجد يعطاها
فدعا أين وارث العلم والحل‍ ‍م مجير الأيام من بأساها
أين ذو النجدة الذي لو دعته في الثريا مروعة لباها
فأتاه الوصي أرمد عين فسقاها من ريقه فشفاها
ومضى يطلب الصفوف فولت عنه علماً بأنه أمضاها
ويرى مرحباً بكف اقتدار أقوياء الأقدار من ضعفاها

ودحا بابها بقوة بأس لو حمتها الأفلاك منه دحاها

وقال بعض الظرفاء متغزلاً أورده دحلان:

وشادن أبصرته مقبلاً فقلت من وجدي به مرحبا
قد فؤادي في الهوي قدة قد علي في الوغي مرحبا

وقال المؤلف من قصيدة:

وفي خيبر فروا براية أحمد يجبن بعض بعضهم ما لهم صبر
فقال سأعطي رايتي من يجوزها بحق ومن من دأبه الكر لا الفر
يحب إلٰهي والإلٰه يحبه فتي في يديه النجح والفتح والنصر
تطاولت الأعناق من ذا يحوزها فمن حازها يعلو له الشأن والقدر
فأين علي ساعدي قيل أرمد فكان دواه الريق وانمصح الضر
إلٰهي عنه الحر والبرد أقصه فما ضره من بعد برد ولا حر
فسار بها نحو اليهود مهرولاً فنالتهم البؤسى وعمهم الذعر
تنادوا أخو عمرو أتاكم أتاكم ففروا سراعاً راجعين وما قروا
وعاجل بالسيف المهند مرحبا وقد قد منه الهمام والبيضة الصخر

غزوة وادي القرى

في جمادى الآخرة سنة سبع من الهجرة ومرت في الجزء الثاني وهو واد بين الشام والمدينة كانت قديماً منازل ثمود وعاد فينبغي أن تكون بنواحي مدائن صالح وأهله يهود توجه إليه النبي ﷺ بعد فراغه من خيبر وكان معه علي عليه السلام ولا بد أن تكون معه رايته بعموم قول جملة من المؤرخين أنه كان صاحب رايته في المواقف كلها وقد ذكر المؤرخون أنه برز رجل منهم فقتله الزبير وآخر فقتله علي وثالث فقتله أبو دجانة وفتحت عنوة.

خبره في عمرة القضاء

في ذي القعدة سنة سبع من الهجرة.

سميت بذلك لأنها كانت قضاء للعمرة التي صدت قريش فيها النبي ﷺ عن العمرة عام الحديبية سنة ست من الهجرة فإنه جاء قاصداً العمرة لا يريد حرباً فصدته قريش ومنعته من ذلك ثم جرت المهادنة والصلح بينهم وبينه على ترك الحرب عشر سنين وأن يرجع عنهم في تلك السنة فإذا كانت السنة الآتية خرجوا عن مكة ودخلها بأصحابه فاعتمر وأقام بها ثلاثاً معه سلاح الراكب السيوف في الأغماد كما مر تفصيله في الجزء الثاني فلما كانت هذه السنة جاء لقضاء العمرة التي صد عنها في السنة الماضية حسب المعاهدة بينه وبين قريش. وكان معه في هذه العمرة علي والزهراء عليهما السلام ولم يكن فيها حرب حتى يكون لليث الحروب فيها طعن أو ضرب. وفي السيرة النبوية لدحلان في البخاري من حديث البراء فلما دخلها ومضى الأجل أتوا علياً فقالوا قل لصاحبك: اخرج عنا فقد مضى الأجل فخرج النبي ﷺ فتبعته ابنة حمزة بن عبد المطلب واسمها أمامة أو عمارة أو سلمى أو غير ذلك تنادي يا عم يا عم فتناولها علي وقال لفاطمة وهي في هودجها دونك ابنة عمك وقال علي للنبي ﷺ علام نترك ابنة عمنا يتيمة بين ظهراني المشركين فلم ينهه فخرج بها فلما قدموا المدينة اختصم فيها علي وجعفر وزيد بن حارثة أيهم تكون عنده فقال علي أنا أخذتها وأخرجتها من بين ظهراني المشركين وقال جعفر خالتها أسماء بنت عميس تحتي وقال زيد هي ابنة أخي لأن النبي ﷺ آخى بينه وبين حمزة فقضى بها النبي لجعفر وقال الخالة بمنزلة الأم وقال لعلي أنت مني وأنا منك وفي رواية أنت أخي وصاحبي. وفي السيرة الحلبية عن الإمتاع كلم علي بن أبي طالب رسول الله ﷺ في عمارة بنت حمزة وكانت مع أمها سلمى بنت عميس بمكة فقال علام نترك بنت عمنا يتيمة بين أظهر المشركين ويمكن الجمع بين هذا وما مر بأن علياً كلمه في شأنها فلم يأب فأرسل إليها أن تتبعهم حينما يريدون الرحيل فتبعتهم تنادي يا عم يا عم فتناولها علي ووضعها في هودج فاطمة. وأما اختصام علي وجعفر وزيد فيها فلم يكن اختصاماً ونزاعاً وإنما رغب كل واحد أن تكون عنده طلباً للأجر والفخر ورجا من الآخرين أن يسمحا له فحجة علي أنه هو أخذها وأتى بها المدينة ومع

ذلك هي ابنة عمه وزوجته ابنة عمها وحجة جعفر أنها ابنة عمه وزوجته خالتها وحجة زيد ضعيفة لأن هذه المؤاخاة إنما كانت لتأليف القلوب وشد عرى الإيمان ولا مدخل لها في حضانة أمامة مع كون زوجة زيد التي تريد أن تتولى تربيتها أجنبية عنها لا تألفها أمامة ولا تحنو هي على أمامة حنو خالتها وابنة عمها فقضى بها النبي ﷺ لجعفر وقال الخالة أم فعلي وجعفر يفوقان في حنوهما على أمامة كل أحد ويصعب التفضيل بينهما في ذلك لكن المربية هي المرأة لا الرجل والزهراء وإن لم تقصر عن أسماء في الحنو والشفقة على أمامة بل تزيد بما أوتيته من خلق سام ولكن أمامة ـ بسائق الطبيعة البشرية ـ تأنس بخالتها ما لا تأنس بابنة عمها. واتبع ذلك بقوله لعلي أنت مني وأنا منك أو أنت أخي وصاحبي ليدل على أن إعطاءها لجعفر ليس لفضله على علي وقد كانت عمتها صفية موجودة إلا أن أحداً من ذويها لم يطلبها ومع ذلك فالعمة إن فرض أنها كالخالة في الحنو لكن ليس عند صفية مثل جعفر. وما قد يقال كيف رخص النبي ﷺ في أخذها وقد كان في صلح الحديبية أن يرد كل من جاءه مسلماً من قريش. يمكن الجواب عنه أن ذلك لا يتناول الأطفال أو لا يتناول النساء أو بغير ذلك وهذا يدل على أن حمزة رضوان الله عليه لما هاجر لم تكن هاجرت معه زوجته وابنته.

سنة ثمان من الهجرة ـ غزوة فتح مكة

في شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة كانت هدنة بين رسول الله ﷺ وبين قريش عام الحديبية في ذي القعدة سنة ست من الهجرة عشر سنين ودخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ ودخلت بنو بكر في عقد قريش وكان لبني بكر ثأر على خزاعة في الجاهلية فاتفقوا مع جماعة من قريش وعدوا على خزاعة فقتلوا منهم عشرين رجلاً ليلاً على ماء يدعى الوتير وجاء أربعون من خزاعة فأخبروا رسول الله ﷺ بذلك فقال: لا نصرت إن لم أنصر خزاعة مما أنصر منه نفسي وندمت قريش على ما صنعت وعلمت أنه نقض للعهد فأرسلوا أبا سفيان إلى المدينة فقال للنبي ﷺ: اشدد العهد وامدد لنا في المدة قال: هل كان فيكم من حدث قال: معاذ الله قال: نحن على مدتنا وصلحنا ثم استشفع بأبي بكر

فقال: ما أنا بفاعل ثم بعمر فكان أشد ثم دخل على علي بن أبي طالب وعنده فاطمة وعندها ابنها الحسن غلام يدب فقال: يا علي أنت أمس القوم بي رحماً وقد جئت في حاجة فلا أرجعن خائباً اشفع لنا عند محمد فقال: لقد عزم رسول الله على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه فطلب إلى فاطمة أن تأمر بنيها الحسن فيجير بين الناس فقالت: ما بلغ ببنيي أن يجير بين الناس وما يجير على رسول الله أحد فقال: يا أبا الحسن إني أرى الأمور قد اشتدت علي فانصحني فقال: ما أعلم شيئاً يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فاجر بين الناس قال: أو ترى ذلك مغنياً عني شيئاً؟ قال: لا أظن ولكن لا أجد لك غير ذلك فقام في المسجد وقال: أيها الناس إني قد أجرت بين الناس وانطلق فسألته قريش فقال: كلمت محمداً فوالله ما رد علي شيئاً ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجد عنده خيراً ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أعدى القوم ثم جئت علي بن أبي طالب فوجدته ألين وقد أشار علي بشيء صنعته ما أدري يغنيني شيئاً أم لا. أمرني أن أجير بين الناس قالوا: فهل أجاز ذلك محمد قال: لا قالوا: ما زاد علي أن لعب بك.

هذه رواية الطبري وقال المفيد إن عمر دفعه بغلظة كادت أن تفسد الرأي على النبي ﷺ وقال: إنه كان عند علي فاطمة والحسن والحسين وأنه طلب منها أن يجير إبناها بين الناس فقالت: ما بلغ بهما أن يجيرا بين الناس ثم قال المفيد: وكان الذي فعله أمير المؤمنين بأبي سفيان من أصوب رأي لتمام أمر المسلمين وأصح تدبير وتم به لرسول الله ﷺ في القوم ما تم ألا ترى أنه صدق أبا سفيان عن الحال ثم لان له بعض اللين حتى خرج عن المدينة وهو يظن أنه على شيء فانقطع بخروجه على تلك الحال مواد كيده التي يتشعث بها الأمر على النبي ﷺ وذلك أنه لو خرج آيساً كما آيسه الرجلان لتجدد للقوم من الرأي في حربه عليه السلام والتحرز منه ما لم يخطر لهم ببال إذا جاءهم أبو سفيان وأخبرهم بذلك وإن أقام بالمدينة على التمحل لتمام مراده بالاستشفاع إلى النبي فيتجدد بذلك أمر يصد النبي عن قصد قريش أو يثبطه عنهم تثبيطاً يفوته معه المراد وكان التوفيق من الله تعالى مقارناً لرأي أمير المؤمنين (ع) فيما رآه من تدبير الأمر مع أبي سفيان حتى انتظم بذلك للنبي ﷺ من فتح مكة ما أراد «اهـ» وقال المفيد

أيضاً وكان النبي ﷺ قد بنى الأمر في مسيره إليها على الاستسرار بذلك فكتب حاطب بن أبي بلتعة وكان من أهل مكة وقد شهد بدراً إلى أهل مكة يخبرهم بعزيمة رسول الله ﷺ على فتحها وأعطى الكتاب امرأة سوداء كانت وردت المدينة تستميح بها الناس وتستبرهم وجعل لها جعلاً على أن توصله إلى قوم من أهل مكة سماهم لها وأمرها أن تأخذ على غير الطريق فنزل الوحي على رسول الله ﷺ بذلك فاستدعى أمير المؤمنين عليه السلام وقال له: **«إن بعض أصحابي قد كتب إلى أهل مكة يخبرهم بخبرنا والكتاب مع امرأة سوداء قد أخذت على غير الطريق فخذ سيفك والحقها وانتزع الكتاب منها وسلها وصر به إلي»** ثم استدعى الزبير بن العوام وقال له: **«امض مع علي بن أبي طالب في هذا الوجه»** فمضيا وأخذا على غير الطريق فأدركا المرأة وسبق إليها الزبير فسألها عن الكتاب الذي معها فأنكرته وحلفت أنه لا شيء معها وبكت فقال الزبير: ما أرى يا أبا الحسن معها كتاباً فارجع بنا إلى رسول الله ﷺ لنخبره ببراءة ساحتها فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: يخبرني رسول الله أن معها كتاباً ويأمرني بأخذه منها وتقول أنت أنه لا كتاب معها ثم اخترط السيف وتقدم إليها فقال: أما والله إن لم تخرجي الكتاب لأكشفنك ثم لأضربن عنقك فقالت له: إن كان لا بد من ذلك فأعرض يا ابن أبي طالب بوجهك عني فأعرض بوجهه عنها فكشفت قناعها وأخرجت الكتاب من عقيصتها فأخذه أمير المؤمنين وصار به إلى النبي ﷺ فنادى الصلاة جامعة فاجتمعوا ثم صعد المنبر وأخذ الكتاب بيده وقال: إن رجلاً منكم كتب إلى أهل مكة يخبرهم بخبرنا فليقم صاحب الكتاب وإلا فضحه الوحي فلم يقم أحد فأعاد مقالته ثانية فقام حاطب وهو يرعد كالسعفة في يوم الريح العاصف فقال: أنا يا رسول الله صاحب الكتاب وما أحدثت نفاقاً بعد إسلامي ولا شكاً بعد يقيني فال: فما حملك على ذلك؟ قال إن لي أهلاً بمكة وليس لي بها عشيرة فأشفقت أن تكون الدائرة لهم علينا فيكون كتابي هذا كفالهم عن أهلي ويداً لي عندهم فقال عمر: يا رسول الله مرني بقتله فإنه قد نافق فلم يقبل رسول الله وقال: **«إنه من أهل بدر أخرجوه من المسجد»** فجعل الناس يدفعون في ظهره حتى أخرجوه وهو يلتفت إلى النبي ﷺ ليرق عليه فأمر

رسول الله ﷺ برده فقال له: **«قد عفوت عنك وعن جرمك فاستغفر ربك ولا تعد لمثل ما جنيت»** قال المفيد وهذه المنقبة لاحقة بما سلف من مناقبه وفيها أنه به تم لرسول الله ﷺ التدبير في دخول مكة وكفي مؤونة القوم وما كان يكرهه من معرفتهم بقصده إليهم حتى فجأهم بغتة ولم يثق في استخراج الكتاب من المرأة إلا بأمير المؤمنين ولا استنصح في ذلك سواه ولا عول على غيره وكان به (ع) كفايته المهم وبلوغه المراد وانتظام تدبيره وصلاح أمر المسلمين ولم يكن في إنفاذ الزبير معه فضل يعتد به لأنه لم يكف مهما ولا أغنى بمضيه شيئاً وإنما أنفذه رسول الله ﷺ لأنه في عداد بني هاشم من جهة أمه صفية بنت عبد المطلب وكانت للزبير شجاعة وفيه إقدام وكان تابعاً لأمير المؤمنين (ع) ووقع منه ما لم يوافق صواب الرأي فتداركه أمير المؤمنين (ع) وفيما شرحنا في هذه القصة بيان اختصاص أمير المؤمنين (ع) من المنقبة والفضيلة بما لم يشركه فيه غيره ولا داناه سواه بفضل يقاربه فضلاً عن أن يكافئه والله المحمود «اهـ» وكان ممن لقي النبي ﷺ في الطريق ابن عمه وأخوه من الرضاعة أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب عبد الله بن أمية المخزومي أخو أم سلمة لأبيها فاستأذنا عليه فأعرض عنهما. فتوسطت أمرهما أم سلمة رضوان الله عليها بأسلوبها الرقيق البديع فقالت: يا رسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك فقال: **«لا حاجة لي بهما أما ابن عمي فهتك عرضي (وكان يهجو رسول الله ﷺ) وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال يعني قوله: والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلماً إلى السماء فتعرج فيه ثم تأتي بصك وأربعة من الملائكة يشهدون أن الله أرسلك»**. (والنبي ﷺ إنما أراد بهذا تأديبهما وتقويمهما وإلا فهو أرأف وأتقى من أن يرد من جاءه مسلماً) فعادت أم سلمة إلى استعطافه ولم يمنعها ذلك من معاودة الكلام فقالت له: لا يكن ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك فقال أبو سفيان والله ليأذنن لي أو لآخذن بيد ابني هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً فرق لهما النبي ﷺ فدخلا عليه وأسلما. وهنا أخذت علياً عليه السلام عاطفة الخير والدين والرحم

فقال لأبي سفيان ائت من قبل وجهه فقل له ما قال أخوة يوسف تالله لقد آثرك الله علينا فقال له ﷺ: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ الآية وإنما أمره أن يأتيه من قبل وجهه ليرى ذله وانكساره فيزداد عطفه عليه ودخل رسول الله ﷺ مكة من أعلاها. قال المفيد في موضعين من إرشاده حاصل ما فيهما أن النبي ﷺ أعطى الراية يوم الفتح سعد بن عبادة وأمره أن يدخل مكة أمامه فغلظ سعد على القوم وأظهر ما في نفسه من الحنق عليهم ودخل وهو يقول:

اليـــوم يـــوم الـمـــلـــحـمـــة   الـيـــوم تـــسـبـــى الـــحـــرمـــة

فسمعها العباس فقال للنبي ﷺ: ألم تسمع يا رسول الله ما يقول سعد بن عبادة وإني لا آمن أن يكون له في قريش صولة فقال النبي ﷺ لعلي: **«أدرك سعداً فخذ الراية منه وكن أنت الذي تدخل بها مكة»** فأدركه علي عليه السلام فأخذها منه ولم يمتنع عليه سعد من دفعها ونحوه ذكر الطبري إلا أنه قال بدل العباس رجل من المهاجرين قال المفيد: فاستدرك رسول الله ﷺ بأمير المؤمنين ما كاد يفوت من صواب التدبير بتهجم سعد وإقدامه على أهل مكة ولم ير رسول الله ﷺ أحداً من المهاجرين والأنصار يصلح لأخذ الراية من سيد الأنصار سوى أمير المؤمنين وعلم أنه لو رام ذلك غيره لامتنع سعد عليه وكان في امتناعه فساد التدبير واختلاف الكلمة بين الأنصار والمهاجرين وعلم أن الأنصار لا ترضى أن يأخذ أحد من الناس من سيدها سعد الراية ويعزله عن ذلك إلا من كان في شبه حال النبي ﷺ من جلالة القدر ورفيع المكانة وفرض الطاعة ومن لا يشين سعداً الانصراف به عن تلك الولاية ولو كان بحضرة النبي ﷺ من يصلح لذلك سوى أمير المؤمنين لعدل بالأمر إليه وفي هذا من الفضل الذي تخصص به أمير المؤمنين (ع) ما لم يشركه فيه أحد وما كشف عن اصطفائه لجسيم الأمور «اهـ» باختصار (أقول) ولو فرض أن سعداً لا يمتنع عن تسليم الراية لغير علي إطاعة لرسول الله ﷺ إلا أنه لا بد أن يقع في نفسه حزازة لا تقع بتسليمها لعلي. وأمر رسول الله ﷺ بقتل جماعة رجال ونساء ولو كانوا تحت أستار الكعبة لخبثهم وسوء أفعالهم فبعضهم استؤمن له فعفا عنه وبعضهم قتل. منهم

قينتان كانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ وبمراثي أهل بدر قتل علي عليه السلام إحداهما (ومنهم) الحويرث بن نفيل بن كعب كان يؤذي رسول الله ﷺ بمكة قتله علي (ع) قال المفيد: ولما دخل رسول الله ﷺ المسجد وجد فيه ثلثمائة وستين صنماً فقال لعلي (ع): «**أعطني يا علي كفاً من الحصى**» فناوله فرماها به وهو يقول: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ثم أمر بها فأخرجت من المسجد وطرحت وكسرت «اهـ». وأرسل بلالاً إلى عثمان بن طلحة أن يأتي بمفتاح الكعبة فجاء به وفي رواية أنه صعد به إلى سطح الكعبة وامتنع من دفعه فصعد إليه علي بن أبي طالب ولوى يده وأخذه منه قال المفيد: وبلغ علياً (ع) أن أخته أمه هانىء قد آوت أناساً من بني مخزوم (أقرباء زوجها هبيرة بن أبي وهب المخزومي) منهم الحارث بن هشام وقيس بن السائب فقصد نحو دارها مقنعاً بالحديد فقال: أخرجوا من آويتم قال: فجعلوا يذرقون والله كما يذرق الحبارى خوفاً منه فخرجت إليه أم هانىء وهي لا تعرفه (لأنه مقنع بالحديد) فقالت: يا عبد اللّه أنا أم هانىء ابنة عم رسول الله وأخت علي بن أبي طالب انصرف عن داري فقال: أخرجوهم فقالت: والله لأشكونك إلى رسول الله ﷺ فنزع المغفر عن رأسه فعرفته فجاءت تشتد حتى التزمته قالت: فديتك حلفت لأشكونك إلى رسول الله فقال لها: اذهبي فبري قسمك قالت: فجئت إلى النبي ﷺ وهو في قبة يغتسل وفاطمة تستره فلما سمع كلامي قال: مرحباً بك يا أم هانىء وأهلاً فقلت بأبي أنت أشكو إليك اليوم ما لقيت من علي بن أبي طالب فقال رسول الله: «**قد أجرتُ من أجرتِ**» فقالت فاطمة: إنما جئت يا أم هانىء تشكين علياً في أنه أخاف أعداء الله وأعداء رسوله فقال رسول الله ﷺ: «**لقد شكر الله لعلي سعيه وأجرت من أجارت أم هانىء لمكانها من علي بن أبي طالب**» فجمع بمكارم أخلاقه بين حفظ شأن علي وإكرام أم هانىء لأجله.

قال المفيد: وفيما ذكرناه من أعمال أمير المؤمنين (ع) في قتل من قتل من أعداء الله بمكة وإخافة من أخاف ومعونة رسول الله ﷺ على تطهير المسجد

من الأصنام وشدة بأسه في الله وقطع الأرحام في طاعة الله أدل دليل على تخصيصه من الفضل بما لم يكن لأحد منهم سهم فيه (اهـ).

يـوم الغميصـــاء

في شوال سنة ثمان من الهجرة مع بني خزيمة أو جذيمة بن عامر في معجم البلدان الغميصاء موضع في بادية العرب قرب مكة كان يسكنه بنو جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة الذين أوقع بهم خالد بن الوليد عام الفتح فقال رسول الله ﷺ: **«اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد»** ووداهم رسول الله ﷺ على يد علي بن أبي طالب «اهـ» إن النبي ﷺ بعد فتح مكة أنفذ خالد بن الوليد إلى بني خزيمة بن عامر وكانوا بالغميصاء يدعوهم إلى الله عز وجل وإلى الإسلام ولم يرسله محارباً وأرسل معه عبد الرحمن بن عوف وكان بنو خزيمة مسلمين ولم يعلم رسول الله ﷺ بإسلامهم وكانوا قد قتلوا في الجاهلية الفاكه بن المغيرة عم خالد بن الوليد وعوفا أبا عبد الرحمن بن عوف فلما رأوا خالداً أخذوا السلاح فقال: ما أنتم قالوا: مسلمون قال: فما بال السلاح قالوا: خفنا أن تكونوا بعض من بيننا وبينهم عداوة من العرب فقال: ضعوا السلاح فقال أحدهم: يا بني خزيمة إنه خالد والله ما بعد وضع السلاح إلا الأسار وما بعد الأسار إلا ضرب الأعناق وأبى أن يضع سلاحه فما زالوا به حتى نزعوا سلاحه ونزعوا سلاحهم فأمر بهم خالد فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل فقال له عبد الرحمن بن عوف: عملت بأمر الجاهلية في الإسلام حتى كان بينهما شر فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رفع يديه إلى السماء وقال: **«اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد»** ثم دعا علي بن أبي طالب (ع) فقال: **«يا علي اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك»** فخرج حتى جاءهم ومعه مال قد بعثه رسول الله ﷺ به فودى لهم الدماء وما أصيب من الأموال حتى أنه ليدي ميلغة الكلب حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه بقيت معه بقية من المال فقال لهم: هل بقي لكم دم أو مال لم يؤد إليكم قالوا: لا قال: فإني أعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله ﷺ مما لا يعلم ولا تعلمون ففعل ثم رجع إلى

رسول الله ﷺ فأخبره الخبر فقال: أصبت وأحسنت ثم قام فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتى أنه ليرى بياض ما تحت منكبيه وهو يقول: «**اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد**» ثلاث مرات قال المفيد في الإرشاد ومن مناقبه عليه السلام أن الله تعالى خصه بتلافي فارط من خالف نبيه في أوامره وإصلاح ما أفسده حتى انتظمت به أسباب الصلاح وذلك لما أنفذ خالد بن الوليد إلى بني خزيمة فخالف أمره وقتل القوم وهم على الإسلام وعمل في ذلك على حمية الجاهلية فشان بذلك الإسلام ونفر عنه ففزع ﷺ في تلافي فارطه وإصلاح ما أفسده ودفع المعرة عن شرعه بذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأنفذه لعطف القوم وسل سخائمهم والرفق بهم في تثبيتهم على الإيمان وأمره أن يدي القتلى ويرضي بذلك أولياء دمائهم الأحياء فبلغ أمير المؤمنين من ذلك مبلغ الرضا وزاد على الواجب فيما تبرع به عليهم من عطيته ما كان بقي في يده من الأموال وقال لهم: قد أديت ديات القتلى وأعطيتكم بعد ذلك من المال ما تعودون به على مخلفيكم ليرضى الله عن رسوله وترضون بفضله عليكم وأظهر رسول الله ﷺ بالمدينة ما اتصل بهم من البراءة من صنيع خالد فاجتمع براءة رسول الله ﷺ مما جناه خالد واستعطاف أمير المؤمنين (ع) القوم بما صنعه بهم فتم بذلك الصلاح وانقطعت به مواد الفساد ولم يتول ذلك أحد غير أمير المؤمنين (ع) ولا قام به من الجماعة سواه ولا رضي رسول الله ﷺ لتكليفه أحداً ممن عداه وهذه منقبة يزيد شرفها على كل فضل يدعى لغيره حقاً كان أو باطلاً وهي خاصة له لم يشركه فيها أحد منهم ولا حصل لغيره عدل لها من الأعمال «اهـ».

بعث علي عليه السلام إلى اليمن

سنة ثمان من الهجرة. اعلم أن أكثر المؤرخين وأهل السير ذكروا أن بعث علي عليه السلام إلى اليمن كان مرتين سنة ثمان وسنة عشر وممن صرح به ابن هشام في سيرته فقال: وغزوة علي بن أبي طالب إلى اليمن غزاها مرتين. وقال ابن سعد في الطبقات الكبير: ثم سرية علي بن أبي طالب إلى اليمن يقال مرتين: إحداهما سنة عشر فذكرها وحدها ولم يذكر غزوة سنة ثمان وصرح به

دحلان في سيرته والذي يلوح لي أن ذلك كان ثلاث مرات سنة ثمان وما بينها وبين سنة تسع وسنة عشر.

بعثه إلى اليمن في آخر سنة ثمان من الهجرة

وذلك بعد فتح مكة بعثه إلى همدان ليدعوهم إلى الإسلام فأسلمت همدان كلها في يوم واحد قال المفيد في الإرشاد: ومن ذلك ما أجمع عليه أهل السيرة أن النبي ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام وأنفذ معه جماعة من المسلمين فيهم البراء بن عازب رحمه الله وأقام خالد على القوم ستة أشهر يدعوهم فلم يجبه أحد منهم فساء ذلك رسول الله ﷺ فدعا أمير المؤمنين وأمره أن يقفل خالداً ومن معه وقال له: «**إن أراد أحد ممن مع خالد أن يعقب معك فاتركه**» قال البراء: فكنت ممن عقب معه فلما انتهينا إلى أوائل أهل اليمن وبلغ القوم الخبر تجمعوا له فصلى بنا علي الفجر ثم تقدم بين أيدينا فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ على القوم كتاب رسول الله ﷺ فأسلمت همدان كلها في يوم واحد وكتب بذلك أمير المؤمنين إلى رسول الله ﷺ فلما قرأ كتابه استبشر وابتهج وخر ساجداً شكراً لله تعالى ثم رفع رأسه وجلس وقال: السلام على همدان ثم تتابع بعد إسلام همدان أهل اليمن على الإسلام «اهـ» وقال ابن الأثير أنه قال: السلام على همدان ثلاثاً وفي السيرة الحلبية كان رسول الله ﷺ أرسل خالد بن الوليد إلى اليمن لهمدان يدعوهم إلى الإسلام قال البراء: فكنت ممن خرج مع خالد فأقمنا ستة أشهر ندعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوا ثم أن رسول الله ﷺ بعث علي بن أبي طالب وأمره أن يقفل خالداً ويكون مكانه فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا وصلى بنا علي ثم صفنا صفاً واحداً ثم تقدم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ بإسلامهم فأسلمت همدان جميعاً «الحديث». وفي سيرة دحلان عن البخاري عن البراء: بعثنا رسول الله ﷺ مع خالد إلى اليمن ثم بعث علياً بعد ذلك مكانه فقال: مر أصحاب خالد من شاء أن يعقب معك فليعقب ومن شاء فليقبل فكنت فيمن عقب معه فغنمت أواقي ذات عدد زاد الإسماعيلي فلما دنونا

من القوم خرجوا إلينا فصلى بنا علي وصفنا صفاً واحداً ثم تقدم بين أيدينا فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فأسلمت همدان جميعاً فكتب علي إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم فلما قرأ الكتاب خر ساجداً ثم رفع رأسه وقال: السلام على همدان. وكان البعث بعد رجوعهم من الطائف وقسمة الغنائم بالجعرانة ومن ذلك اليوم صارت همدان من أنصار علي عليه السلام وشيعته وأخلصت في ذلك.
ولما رد أربد الفزاري على علي قبل حرب صفين وهرب لحقته همدان إلى سوق البراذين فقتلوه وطأ بأرجلهم وضربا بأيديهم ونعال سيوفهم فقال فيه الشاعر:

أعوذ بربي أن تكون منيتي ... كما مات في سوق البراذين أربد
تعاوره همدان خفق نعالهم ... إذا رفعت عنه يد وضعت يد

وقال لهم أمير المؤمنين (ع) يوم صفين: يا معشر همدان أنتم درعي ورمحي وقال فيهم أيضاً:

ولو كنت بواباً على باب جنة ... لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

قال المفيد: وهذه منقبة لأمير المؤمنين (ع) ليس لأحد من الصحابة مثلها ولا مقاربها وذلك أنه لما وقف الأمر فيما بعث له خالد وخيف الفساد به لم يوجد من يتلافى ذلك سوى أمير المؤمنين (ع) فندب له فقام به أحسن قيام وجرى على عادة الله عنده في التوفيق لما يلائم إيثار النبي ﷺ وكان يمنه ورفقه وحسن تدبيره وخلوص نيته في طاعة الله عز وجل هداية من اهتدى بهديه من الناس وإجابة من أجاب إلى الإسلام وعمارة الدين وقوة الإيمان وبلوغ النبي ﷺ ما آثره من المراد وانتظام الأمر فيه على ما قرت به عينه وظهر استبشاره به وسروره بتمامه لكافة أهل الإسلام وقد ثبت أن الطاعة تتعاظم تعاظم النفع بها كما تعظم المعصية بتعاظم الضرر بها ولذلك ضار الأنبياء عليهم السلام أعظم الخلق ثواباً لتعاظم النفع بدعوتهم على سائر المنافع بأعمال من سواهم من الناس «اهـ» وقد وقع هنا اشتباه من بعض الرواة والمؤرخين فنسبوا ما وقع في سنة عشر إلى هذه السنة وبالعكس قال دحلان في سيرته: جاء في بعض

الروايات أن النبي ﷺ بعث علياً في رمضان سنة عشر فأسلمت همدان كلها في يوم واحد فكتب بذلك إلى النبي ﷺ فخر ساجداً ثم جلس فقال: السلام على همدان. قال دحلان قوله في التاريخ سنة عشر وهم لأن بعث علي إلى همدان لم يكن سنة عشر إنما كان سنة عشر بعثه إلى بني مذحج وأما بعثه إلى همدان فكان سنة ثمان بعد فتح مكة فيكون بعث علي إلى اليمن حصل مرتين وقال بعد إيراد حديث البخاري المتقدم فهذا صريح في أن البعث الأول كان في أواخر سنة ثمان وأنه إلى همدان وأما الثاني فكان في رمضان سنة عشر إلى مذحج «اه» وممن ذكر أن بعث علي إلى اليمن وإسلام همدان كان سنة عشر ابن الأثير في تاريخه.

بعثه قاضياً إلى اليمن بين سنة ثمان وتسع

في سيرة دحلان روى أبو داود وغيره من حديث علي قال: بعثني النبي ﷺ إلى اليمن فقلت: يا رسول الله تبعثني إلى قوم أسن مني وأنا حديث السن لا أبصر القضاء فوضع يده على صدري فقال: **«اللهم ثبت لسانه واهد قلبه»** وقال: **«يا علي إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر فإنك إذا فعلت ذلك تبين لك القضاء»** قال علي: والله ما شككت في قضاء بين اثنين وهذا يدل على أن بعثه كان للقضاء لا للغزو والحرب والفتح لقوله: تبعثني إلى قوم وأنا حديث السن لا أبصر القضاء فإن هذا صريح في أنه بعثه للقضاء وإلا فلا معنى لهذا القول وأصرح من ذلك ما ذكره المفيد في الإرشاد حيث قال: لما أراد رسول الله ﷺ تقليده قضاء اليمن وإنفاذه إليهم ليعلمهم الأحكام ويبين لهم الحلال والحرام ويحكم فيهم بأحكام القرآن قال له أمير المؤمنين: تندبني يا رسول الله للقضاء وأنا شاب لا علم لي بكل القضاء فقال له: **«ادن مني»** فدنا منه فضرب على صدره بيده وقال: **«اللهم أهد قلبه وثبت لسانه»** قال أمير المؤمنين عليه السلام: فما شككت في قضاء بين اثنين بعد ذلك المقام ولما استقرت به الدار باليمن ونظر فيما ندبه إليه رسول الله ﷺ من القضاء والحكم بين المسلمين رفع إليه رجلان الخ فهذا صريح في أن بعثه كان للقضاء والحكم

وقد رويت عنه قضايا كثيرة قضاها باليمن وذلك يدل على بقائه باليمن مدة طويلة كان يتعاطى فيها القضاء لا أنه جاء غازياً ولم يذكروا تاريخ هذا البعث ويمكن كونه بين سنة ثمان وتسع فإنه بعد فتحها يناسب أن يبعث إليها من يعلمهم أحكام الإسلام ويقضي بينهم أما سنة عشر فقد خرج إليها غازياً ومحارباً ثم عاد إليها في حجة الوداع ثم حصلت وفاة النبي ﷺ وسيأتي الكلام على بعثه إلى اليمن سنة عشر من الهجرة في أخبار تلك السنة.

قضاياه وأحكامه ومسائله العجيبة

لأمير المؤمنين عليه السلام قضايا وأحكام وأجوبة مسائل عجيبة منها ما وقع في حياة الرسول ﷺ ومنها في عهد الخلفاء الثلاثة ومنها في خلافته هو وقد ألفت في ذلك عدة كتب سوى ما ذكر في مضامين الكتب وهذا ما وصل إلينا من أسمائها أو اطلعنا عليه منها:

١ ـ كتاب ضخم ذكره البهائي في أربعينه وقال: إنه اطلع عليه بخراسان.

٢ ـ كتاب محمد بن قيس البجلي من أصحاب الصادقين عليهما السلام رواه عنه النجاشي والشيخ الطوسي بسنديهما.

٣ ـ كتاب المعلى بن محمد البصري ذكره النجاشي.

٤ ـ كتاب الترمذي صاحب الصحيح.

٥ ـ عجائب أحكامه رواية محمد بن علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن جده عندنا منه نسخة كتبت بين سنة ٤١٠ و٤٢٠ في ضمن مجموعة ومرت الإشارة إليه عند ذكر مناقبه وفضائله عند ذكر علمه كما مر هناك أيضاً جملة من قضاياه وأحكامه.

٦ ـ ما اشتمل عليه كتاب الإرشاد للشيخ المفيد من قضاياه وأحكامه في زمن النبي ﷺ وزمن الخلفاء الثلاثة وزمن خلافته.

٧ ـ ما اشتمل عليه كتاب المناقب لابن شهراشوب.

٨ ـ عجائب أحكامه الذي جمعناه وأدرجنا فيه كتاب علي بن إبراهيم المقدم ذكره موزعاً وهو مطبوع.

وقد اشتملت كتب السير والتواريخ والكتب المؤلفة في الصحابة وغيرها على الكثير من ذلك قال المفيد في الإرشاد: فأما الأخبار التي جاءت بالباهر من قضاياه في الدين وأحكامه التي افتقر إليه في علمها كافة المؤمنين بعد الذي أثبتناه من جملة الوارد في تقدمه في العلم وتبريزه على الجماعة بالمعرفة والفهم ونزع علماء الصحابة إليه فيما أعضل من ذلك والتجائهم إليه فيه وتسليمهم له القضاء به فهي أكثر من أن تحصى وأجل من أن تتعاطى فمن ذلك ما رواه نقلة الآثار من العامة والخاصة في قضاياه ورسول الله ﷺ حي فصوبه فيها وحكم له بالحق فيما قضاه ودعا له بخير وأثنى عليه وأبانه بالفضل في ذلك من الكافة ودل به على استحقاقه الأمر من بعده ووجوب تقدمه على من سواه في مقام الإمامة كما تضمن ذلك القرآن حيث يقول الله عز وجل: ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ وقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ وقوله عز وجل في قصة آدم وقد قالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ * قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ فنبه الله جل جلاله الملائكة على أن آدم أحق بالخلافة منهم لأنه أعلم منهم بالأسماء وأفضلهم في علم الأنباء وقال تقدست أسماؤه في قصة طالوت: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ

عَلِيمٌ﴾ فجعل جهة حقه في التقدم عليهم ما زاده الله من البسطة في العلم والجسم واصطفاؤه إياه على كافتهم بذلك وكانت هذه الآيات موافقة لدلائل العقول في أن الأعلم هو أحق بالتقدم في محل الإمامة ممن لا يساويه في العلم ودلت على وجوب تقدم أمير المؤمنين على كافة المسلمين في خلافة الرسول وإمامة الأمة لتقديمه في العلم والحكمة (اهـ) ونحن ذاكرون بعون الله باختصار جملة من قضاياه وأحكامه وأجوبة مسائله في عهد الرسالة والخلفاء الأربعة موزعة على السنين.

قضاياه وأحكامه في عهد الرسول ﷺ وهو باليمن

١ ـ ما رواه المفيد في جارية وطأها شريكان في طهر واحد جهلا بالتحريم فأقرع بينهما وألحق الولد بمن خرجت القرعة باسمه وألزمه نصف قيمته لشريكه إن لو كان عبداً وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأمضاه وأقر الحكم به في الإسلام وقال: الحمد لله الذي جعل فينا أهل البيت من يقضي على سنن داود (ع) وسبيله في القضاء يعني به القضاء بالإلهام «اهـ». وحكى ابن شهراشوب في المناقب عن سنن أبي داود وابن ماجه وابن بطة في الإبانة وأحمد في فضائل الصحابة وابن مردويه بطرق كثيرة عن زيد بن أرقم أن علياً أتاه وهو باليمن ثلاثة يختصمون في ولد كلهم يزعم أنه وقع على أمه في طهر واحد في الجاهلية فأقرع بينهم وألزم من خرجت له القرعة ثلثي الدية لصاحبه فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: **«الحمد لله الذي جعل فينا أهل البيت من يقضي على سنن داود»**.

٢ ـ ما رواه المفيد وحكاه ابن شهراشوب عن أحمد في مسنده وأحمد بن منيع في أماليه بسندهما إلى حماد بن سلمة عن سماك عن حبيش بن المعتمر قال: ورواه محمد بن قيس عن أبي جعفر عليه السلام أنه رفع إليه وهو باليمن خبر زبية حفرت للأسد فوقع فيها فوقف على شفير الزبية رجل فزلت قدمه فتعلق بآخر وتعلق الآخر بثالث وتعلق الثالث برابع فافترسهم الأسد فقضى أن الأول فريسة الأسد وعلى أهله ثلث الدية للثاني وعلى أهل الثاني ثلثا الدية للثالث

وعلى أهل الثالث الدية الكاملة للرابع فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: لقد قضى أبو الحسن فيهم بقضاء الله عز وجل فوق عرشه. وروى إبراهيم بن هاشم في كتاب عجائب أحكام أمير المؤمنين (ع) بسنده عن الصادق عليه السلام أن الزبية لما وقع فيها الأسد أصبح الناس ينظرون إليه ويتزاحمون ويتدافعون حول الزبية فسقط فيها رجل وتغلق بالذي يليه وتعلق الآخر بالآخر حتى وقع فيها أربعة فقتلهم الأسد فأمرهم أمير المؤمنين عليه السلام أن يجمعوا دية تامة من القبائل الذين شهدوا الزبية ونصف دية وثلث دية وربع دية فأعطى أهل الأول ربع الدية من أجل أنه هلك فوقه ثلاثة وأعطى أهل الثاني ثلث الدية من أجل أنه هلك فوقه اثنان وأعطى أهل الثالث النصف من أجل أنه هلك فوقه واحد وأعطى أهل الرابع الدية تامة لأنه لم يهلك فوقه أحد فأخبروا رسول الله ﷺ فقال: هو كما قضى والظاهر أنهما واقعتان ففي الرواية الأولى أن الأول زلت قدمه فوقع ولم يرمه أحد وفي الرواية الثانية أن المجتمعين تزاحموا وتدافعوا فيكون سقوط الأول بسببهم ولذلك اختلف الحكم فيهما.

٣ ـ ما ذكره المفيد في الإرشاد أنه رفع إليه خبر جارية حملت جارية على عاتقها عبثاً ولعباً فقرصت أخرى الحاملة فقمصت لقرصتها فوقعت الراكبة فاندقت عنقها وهلكت فقضى على القارصة بثلث الدية وعلى القامصة بثلثها وأسقط الثلث الباقي لركوب الواقصة عبثاً القامصة وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأمضاه وشهد له بالصواب وحكاه ابن شهراشوب في المناقب عن أبي عبيد في غريب الحديث وابن مهدي في نزهة الأبصار عن الأصبغ بن نباتة عن علي عليه السلام وحكاه ابن الأثير في النهاية عن علي (ع) وأرسله الزمخشري في الفائق عن النبي ﷺ واعترض عليه صاحب النهاية بأنه كلام علي ولعل الزمخشري أسنده إلى النبي ﷺ باعتبار أنه أمضاه.

٤ ـ ما ذكره المفيد وابن شهراشوب بعد خبر القارصة والقامصة والواقصة وظاهرهما أنه باليمن في قوم وقع عليهم حائط فقتلهم وفيهم امرأة حرة لها ولد من حر ومملوكة لها ولد من مملوك فأقرع بينهما وحكم بالحرية لمن خرج عليه

سهمها وبالرقية لمن خرج عليه سهمها ثم أعتقه وجعل مولاه مولاه وحكم في ميراثهما بالحكم في الحر ومولاه فأمضى ذلك رسول الله ﷺ.

٥ ـ ما نقل عن كتاب قصص الأنبياء عن الصدوق بسنده عن الباقر عليه السلام أنه انفلت فرس لرجل من أهل اليمن فنفح رجلاً فقتله فأقام صاحب الفرس البينة أن الفرس انفلت من داره فأبطل علي (ع) دم الرجل وأمضاه النبي ﷺ (اه) ملخصاً أي أنه انفلت قهر أو لم يفلته صاحبه.

قضاياه في حياة الرسول ﷺ في غير اليمن

٦ ـ ما رواه المفيد في الإرشاد وإبراهيم بن هاشم في عجائب أحكامه مرسلاً ورواه ابن شهراشوب في المناقب عن مصعب بن سلام عن الصادق عليه السلام أنه اختصم رجلان إلى النبي ﷺ في بقرة قتلت حماراً فسأل عنها أبا بكر وعمر فقالا: بهيمة قتلت بهيمة لا شيء على ربها وقال علي بن أبي طالب إن كانت البقرة دخلت على الحمار في منامه فعلى ربها قيمة الحمار لصاحبه وإن كان الحمار دخل على البقرة في منامها فقتلته فلا غرم على صاحبها فقال رسول الله ﷺ: **«لقد قضى بينكما علي بقضاء الله»** ثم قال: **«الحمد لله الذي جعل فينا أهل البيت من يقضي على سنن داود في القضاء»** وفي رواية: **«الحمد لله الذي جعل منا من يقضي بقضاء النبيين»**. قال المفيد: روى بعض العامة أن هذه القضية كانت منه بين الرجلين في اليمن وروى بعضهم حسبما قدمناه «اه» ويمكن تعدد الواقعة.

٧ ـ ما روي في المناقب أن رجلاً أوطأ بعيره أدحي نعام فكسر بيضها فسأل علياً فقال له: عليك بكل بيضة جنين ناقة أو ضراب ناقة فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: **«قد قال علي بما سمعت ولكن هلم إلى الرخصة عليك بكل بيضة صوم يوم أو طعام مسكين»** (اه) (أقول) فاعل ذلك كان حاجا والنبي ﷺ أمضى فيه حكم علي (ع) ولكنه أفتى السائل بما هو رخصة وكأنه علم أنه غير قادر.

خبره في سرية ذات السلاسل سنة تسع من الهجرة

ويقال: سرية ذات السلسلة ويقال: سرية وادي الرمل (السلاسل) اسم ماء كما في مناقب ابن شهراشوب وقيل: سميت ذات السلاسل لأنه كان به رمل بعضه على بعض كالبلسلة وفي مجمع البيان سميت ذات السلاسل لأن المشركين ربطوا بعضهم بالسلاسل لئلا يفروا وقال المفيد: سميت ذات السلاسل لأنه أسر منهم وقتل وسبى وشد أسراهم في الحبال مكتفين كأنهم في السلاسل.

وهذه السرية ذكرها المفيد في الإرشاد وذكرها جماعة غيره كما ستعرف إلا أن المفيد ذكرها في موضعين مع أنها سرية واحدة، **أحدهما**: بعد غزوة قريظة وقبل غزوة بني المصطلق مع أن غزوة بني المصطلق قبل غزوة قريظة ولكنه عكس ترتيبهما وذكرها في هذا الموضع إنما يوجد في بعض النسخ دون بعض، **ثانيهما**: بعد غزوة زبيد التي كانت بعد الرجوع من تبوك وغزوة تبوك كانت سنة تسع من الهجرة وكيف كان فلا يحتمل من ذكرها بين غزوة قريظة وغزوة بني المصطلق اللتين كانتا سنة خمس إنها كانت سنة خمس لأن فيها ذكر عمرو بن العاص وعمرو أسلم في صفر سنة ثمان وقيل: بين الحديبية وكانت سنة ست وخيبر وكانت سنة سبع. قال المفيد في الموضع الأول: وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام في غزوة وادي الرمل ويقال: إنها كانت تسمى بغزوة ذات السلسلة ما حفظه العلماء ودونه الفضلاء ونقله أصحاب الآثار ورواه نقلة الأخبار مما ينضاف إلى مناقبه في الغزوات ويماثل فضائله في الجهاد وما توحد به في معناه من كافة العباد وذلك أن أصحاب السير ذكروا أن النبي ﷺ جاءه أعرابي فجثا بين يديه وقال: جئت لأنصحك قال: وما نصيحتك قال قوم من العرب: قد عملوا على أن يبيتوك بالمدينة ووصفهم له فأمر أمير المؤمنين أن ينادي بالصلاة جامعة فاجتمع المسلمون فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: **«أيها الناس إن هذا عدو الله وعدوكم قد أقبل عليكم يزعم أنه يبيتكم بالمدينة فمن للوادي»** فقام رجل من المهاجرين فقال: أنا له يا رسول الله فناوله اللواء

وضم إليه سبعمائة رجل وقال له: **«امض على اسم الله فمضى فوافى القوم ضحوة»** فقالوا: من الرجل قال: أنا رسول لرسول الله إما أن تقولوا لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أو لأضربنكم بالسيف فقالوا له: ارجع إلى صاحبك فإنا في جمع لا تقوم له فرجع الرجل فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال النبي ﷺ: **«من للوادي»** فقام رجل من المهاجرين فقال: أنا له يا رسول الله فدفع إليه الراية ومضى ثم عاد لمثل ما عاد صاحبه الأول فقال رسول الله ﷺ: **«أين علي بن أبي طالب»** فقام أمير المؤمنين فقال: أنا ذا يا رسول الله قال: **«امض إلى الوادي»** فقال: نعم وكانت له عصابة لا يتعصب بها حتى يبعثه النبي ﷺ في وجه شديد فمضى إلى منزل فاطمة عليها السلام فالتمس العصابة منها فقالت: أين تريد وأين بعثك أبي قال: إلى وادي الرمل فبكت إشفاقاً عليه فدخل النبي ﷺ وهي على تلك الحال فقال لها: **«ما لك تبكين أتخافين أن يقتل بعلك كلا إن شاء الله»** فقال له علي: لا تنفس علي بالجنة يا رسول الله ثم خرج ومعه لواء النبي ﷺ فمضى حتى وافى القوم بسحر فأقام حتى أصبح ثم صلى بأصحابه الغداة وصفهم صفوفاً واتكى على سيفه مقبلاً على العدو فقال: يا هؤلاء إني رسول رسول الله إليكم أن تقولوا: لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وإلا أضربكم بالسيف قالوا له: ارجع كما رجع صاحباك قال: أنا لا أرجع لا والله حتى تسلموا أو أضربكم بسيفي هذا أنا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب فاضطرب القوم لما عرفوه ثم اجترأوا على مواقعته فواقعهم وقتل منهم ستة أو سبعة وانهزم المشركون وظفر المسلمون وحازوا الغنائم وتوجه إلى النبي ﷺ. فروي عن أم سلمة قالت: كان نبي الله قائلاً في بيتي إذ انتبه فزعاً من منامه فقلت له: الله جارك قال: صدقت الله جاري لكن هذا جبرئيل يخبرني أن علياً قادم ثم خرج إلى الناس فأمرهم أن يستقبلوا علياً فقام المسلمون له صفين مع رسول الله ﷺ فلما بصر بالنبي ترجل عن فرسه وأهوى إلى قدميه يقبلهما فقال له: اركب فإن الله تعالى ورسوله عنك راضيان فبكى أمير المؤمنين فرحاً وانصرف إلى منزله وتسلم المسلمون الغنائم فقال النبي ﷺ

لبعض من كان معه في الجيش: «**كيف رأيتم أميركم**» قالوا: لم ننكر منه شيئاً إلا أنه لم يؤم بنا في صلاة إلا قرأ فيها بـ: قل هو الله أحد. فقال النبي ﷺ: «**سأسأله عن ذلك**» فلما جاءه قال له: «**لم لم تقرأ بهم في فرائضك إلا بسورة الإخلاص**» فقال: يا رسول الله أحببتها فقال له النبي: «**فإن الله قد أحبك كما أحببتها**» ثم قال له: «**يا علي لولا أني أشفق أن تقول فيك طوائف ما قالت النصارى في عيسى ابن مريم لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمر بملأ منهم إلا أخذوا التراب من تحت قدميك**» قال المفيد وقد ذكر كثير من أصحاب السير أن في هذه الغزوة أنزل على النبي ﷺ والعاديات ضبحاً الخ فتضمنت ذكر الحال فيما فعله أمير المؤمنين (ع) فيها (اهـ).

وقال المفيد في الموضع الثاني بعدما ذكر غزوة زبيد: ثم كانت غزوة السلسلة وذلك أن أعرابياً أتى إلى عند النبي ﷺ فجثا بين يديه وقال له: جئتك لأنصح لك قال: وما نصيحتك قال: قوم من العرب قد اجتمعوا بوادي الرمل وعملوا على أن يبيتوك بالمدينة ووصفهم له فأمر النبي ﷺ أن ينادى الصلاة جامعة فاجتمع المسلمون وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أيها الناس إن هذا عدو الله وعدوكم قد عمل على أن يبيتكم فمن له**» فقام جماعة من أهل الصفة فقالوا: نحن نخرج إليهم فول علينا من شئت فأقرع بينهم فخرجت القرعة على ثمانين رجلاً منهم ومن غيرهم فاستدعى أبا بكر فقال له: خذ اللواء وامض إلى بني سليم فإنهم قريب من الحرة فمضى ومعه القوم حتى قارب أرضهم وكانت كثيرة الحجارة والشجر وهم ببطن الوادي والمنحدر إليه صعب فلما صار إلى الوادي وأراد الانحدار خرجوا إليه فهزموه وقتلوا من المسلمين جمعاً كثيراً وانهزم من القوم فلما ورد على النبي ﷺ عقد لعمر بن الخطاب وبعثه إليهم فكمنوا له تحت الحجارة والشجر فلما ذهب ليهبط خرجوا إليه فهزموه فساء رسول الله ﷺ ذلك فقال له عمرو بن العاص: ابعثني يا رسول الله إليهم فإن الحرب خدعة فلعلي أخدعهم فأنفذه مع جماعة ووصاه فلما صار إلى الوادي خرجوا إليه فهزموه وقتلوا من أصحابه جماعة. ومكث رسول الله ﷺ

أياماً يدعو عليهم ثم دعا أمير المؤمنين فعقد له ثم قال: **«أرسلته كراراً غير فرار»** ثم رفع يديه إلى السماء وقال: **«اللهم إن كنت تعلم أني رسولك فاحفظني فيه وافعل به وافعل»** فدعا له ما شاء الله. وخرج علي وخرج رسول الله ﷺ لتشييعه وبلغ معه إلى مسجد الأحزاب وعلي على فرس أشقر مهلوب عليه بردان يمانيان وفي يده قناة خطية فشيعه ودعا له وأنفذ معه فيمن أنفذ أبا بكر وعمر وعمرو بن العاص فسار بهم نحو العراق متنكباً للطريق حتى ظنوا أنه يريد بهم غير ذلك الوجه ثم أخذ بهم على محجة غامضة فسار بهم حتى استقبل الوادي من فمه وكان يسير الليل ويكمن النهار فلما قرب من الوادي أمر أصحابه أن يعكموا الخيل ووقفهم مكاناً وقال: لا تبرحوا وانتبذ أمامهم فأقام ناحية منهم فلما رأى عمرو بن العاص ما صنع لم يشك أن الفتح يكون له فقال لأبي بكر: أنا أعلم بهذه البلاد من علي وفيها ما هو أشد علينا من بني سليم وهي الضباع والذئاب فإن خرجت علينا خفت أن تقطعنا فكلمه يخل عنا نعلو الوادي فانطلق فكلمه فأطال فلم يجبه علي حرفاً واحداً فرجع إليهم فقال: لا والله ما أجابني حرفاً واحداً فقال عمرو بن العاص لعمر: أنت أقوى عليه فانطلق عمر فخاطبه فصنع به مثلما صنع بأبي بكر فرجع فأخبرهم فقال عمرو بن العاص: إنه لا ينبغي أن نضيع أنفسنا انطلقوا بنا نعل الوادي فقال له المسلمون: لا والله ما نفعل أمرنا رسول الله ﷺ أن نسمع لعلي ونطيع فنترك أمره ونطيع لك ونسمع فلم يزالوا كذلك حتى أحس علي بالفجر فكبس القوم وهم غارون فأمكنه الله تعالى منهم ونزلت على النبي ﷺ والعاديات ضبحاً إلى آخرها فبشر أصحابه بالفتح وأمرهم أن يستقبلوا أمير المؤمنين فاستقبلوه والنبي يقدمهم فقاموا له صفين فلما بصر بالنبي ﷺ ترجل عن فرسه فقال له النبي: **«اركب فإن الله ورسوله عنك راضيان فبكى أمير المؤمنين فرحاً فقال له النبي يا علي لولا أنني أشفق أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في المسيح عيسى ابن مريم لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمر بملأ من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك»** «اهـ». وقال الطبرسي في مجمع البيان قيل: نزلت السورة لما بعث النبي ﷺ علياً إلى ذات

السلاسل فأوقع بهم بعد أن بعث مراراً غيره من الصحابة فرجعوا وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل. وذكر هذه الغزوة بهذا النحو الراوندي في الخرايج وعلي بن إبراهيم في تفيسره وغيرهما وفي مناقب ابن شهراشوب عند ذكر غزوة السلاسل عن أبي القاسم بن شبل الوكيل وأبي الفتح الحفار بإسنادهما عن الصادق عليه السلام ومقاتل والزجاج ووكيع والثوري والسدي وأبي صالح وابن عباس أنه أنفذ النبي ﷺ بعض المهاجرين في سبعمائة رجل فلما صار إلى الوادي وأراد الانحدار خرجوا إليه فهزموه وقتلوا من المسلمين جمعاً كثيراً فبعث آخر فرجع منهزماً فقال عمرو بن العاص: ابعثني يا رسول الله فإن الحرب خدعة ولعلي أخدعهم فبعثه فرجع منهزماً وفي رواية أنفذ خالداً فعاد كذلك فساء ذلك النبي ﷺ فدعا علياً وقال: أرسلته كراراً غير فرار فشيعه إلى مسجد الأحزاب إلى آخر ما تقدم. ثم قال ومن روايات أهل البيت عليهم السلام قالوا: فلما أحس الفجر قال: اركبوا بارك الله فيكم وطلع الجبل حتى إذا انحدر على القوم وأشرف عليهم قال لهم: اتركوا أكمة دوابكم فشمت الخيل ريح الإناث فصهلت فسمع القوم صهيل خيلهم فولوا هاربين. قال: وفي رواية مقاتل والزجاج أنه كبس القوم وهم غارون فقال: يا هؤلاء أنا رسول رسول الله إليكم أن تقولوا لا إله إلا الله وأل محمداً رسول الله وإلا ضربتكم بالسيف فقالوا: انصرف عنا كما انصرف الثلاثة فإنك لا تقاومنا فقال: إنني لا أنصرف أنا علي بن أبي طالب فاضطربوا وخرج إليه الأشداء السبعة وناصحوه وطلبوا الصلح فقال: إما الإسلام وإما المقاومة فبرزوا إليه واحداً بعد واحد وكان أشدهم آخرهم وهو سعد بن مالك العجلي وهو صاحب الحصن فقتلهم فانهزموا ودخل بعضهم في الحصن وبعضهم استأمنوا وبعضهم أسلموا وأتوه بمفاتيح الخزائن وفي ذلك يقول السيد الحميري:

وفي ذات السلاسل من سليم	غداة أتاهم الموت المبير
وقد هزموا أبا حفص وعمراً	وصاحبه مراراً فاستطيروا
وقد قتلوا من الأنصار رهطاً	فحل النذر أو وجبت نذور

أزار الموت مشيخة ضخاماً جحاجحة تسد بها الثغور

ولم تذكر هذه الغزوة بهذه الكيفية في السيرة الهاشمية وطبقات ابن سعد وما تأخر عنها ولكنهم ذكروا سرية عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل وهي وراء وادي القرى بينها وبين المدينة عشرة أميال في جمادى الآخرة سنة ثمان من الهجرة بلغه أن جمعاً من قضاعة تجمعوا يريدون الدنو إلى أطرافه فبعثه في ثلثمائة فبلغه كثرتهم فبعث يستمده فأرسل أبا عبيدة في مائتين ولكن الروايات المتقدمة من طريق أهل البيت وغيرهم دلت على أن سرية ذات السلاسل هي غير هذه والله أعلم.

سرية علي بن أبي طالب عليه السلام إلى طيء

في ربيع الآخر كما في طبقات ابن سعد أو الأول كما في سيرة دحلان سنة تسع من الهجرة. وبلاد طيء هي بلاد نجد وفيها جبلا طيء المعروفان أجأ وسلمى. في طبقات ابن سعد: سرية علي بن أبي طالب إلى الفلس وهو صنم لطيء ليهدمه. قالوا: بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في خمسين ومائة رجل من الأنصار على مائة بعير وخمسين فرساً ومعه راية سوداء ولواء أبيض إلى الفلس يهدمه فشنوا الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر فهدموا الفلس وخربوه وملؤوا أيديهم من السبي والنعم والشاء وفي السبي أخت عدي بن حاتم وهرب عدي إلى الشام ووجد في خزانة الفلس ثلاثة أسياف رسوب والمخذم واليماني وثلاثة أدراع فلما نزلوا ركك اقتسموا الغنائم وعزل للنبي ﷺ سيفا رسوب والمخذم ثم صار له بعد السيف الآخر وعزل الخمس وعزل آل حاتم فلم يقسموا حتى قدم بهم المدينة «اهـ» وقال دحلان: في رواية كانوا مع علي مائتي رجل. ويمكن كون تمام المائتين من غير الأنصار والراوي إنما ذكر الذين من الأنصار خاصة أو أنه جعلهم مائة وخمسين باعتبار أنه كان معهم مائة بعير وخمسون فرساً فظن أنهم كانوا بذلك العدد ولكنهم كانوا يعتقبون الإبل فكان الركب زائداً عن الركاب والله أعلم قال: فأغار على أحياء من العرب وشن الغارة

على محلة آل حاتم مع الفجر وحرق الصنم بعد هدمه وغنم سبياً ونعماً وشاء وفضة وقدم بذلك المدينة وفي السيرة الحلبية وجد ثلاثة أسياف معروفة عند العرب وذكرها.

«والفلس» بضم الفاء وسكون اللام كما في السيرة الحلبية ولكن في القاموس الفلس بالكسر صنم لطيء. وفي تاج العروس عن ابن دريد الفلس بالكسر صنم لطيء في الجاهلية فبعث النبي ﷺ علي بن أبي طالب فهدمه وأخذ السيفين اللذين كان الحارث بن أبي شمر أهداهما إليه وهما مخذم ورسوب «اهـ» والحارث هذا كان غسانياً من نصارى الشام وكانت طيء على النصرانية فلذلك أهدى السيفين إلى صنمهم ولذلك هرب عدي إليهم لأنهم على دينه ثم أن ظاهر الطبقات أن الفلس اسم الصنم وهو صريح القاموس والسيرة الحلبية. وفي سيرة دحلان أن الفلس اسم الموضع الذي فيه الصنم. ثم أن ابن سعد قال: كما سمعت فهدموا الفلس وخربوه ودحلان قال: وحرق الصنم بعد هدمه ولا يبعد كون الصواب ما في الطبقات وأن يكون دحلان صحف خرب بحرق فإن الصنم يكون من الحجارة ونحوها فهو يخرب ولا يحرق وابن سعد قال: إن الغنائم قسمت في الطريق وأبقي آل حاتم فقط إلى المدينة وظاهر دحلان أنه جيء بجميع الغنائم إلى المدينة. وعزل آل حاتم وعدم قسمتهم حتى قدم بهم المدينة هو تكريم لهم لمكان حاتم وما اشتهر عنه من مكارم الأخلاق ورجاء للعفو عنهم.

خبر سفانة بنت حاتم الطائي

وأخت عدي بن حاتم التي كانت في السبي اسمها سفانة بفتح السين المهملة وتشديد الفاء وهي في اللغة الدرة. وقد عطف عليها علي عليه السلام وأشار إليها بأن تكلم رسول الله ﷺ فكلمته فعفا عنها وأكرمها بسبب إشارة علي إليها بذلك. وخبرها من الأخبار الطريفة الدالة على نبلها وكمال عقلها وفصاحة لسانها ويمكن للمرء أن يستفيد منه فوائد ويتعلم منه رأياً وأخلاقاً وأفعالاً كريمة

فلا بأس بأن نذكره هنا بأوسع مما مر في السيرة النبوية ومع ذلك فله مساس بسيرة أمير المؤمنين التي نحن بصددها. قال ابن هشام في سيرته فيما حكاه عن ابن إسحق: فقدم بابنة حاتم على رسول الله ﷺ في سبايا من طيء وقد بلغه هرب عدي بن حاتم إلى الشام فجعلت بنت حاتم في حظيرة بباب المسجد كانت السبايا تحبس فيها فمر بها رسول الله ﷺ فقامت إليه وكانت امرأة جزلة (أي ذات وقار وعقل) فقالت: يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علي من الله عليك قال: **«ومن وافدك»** قالت عدي بن حاتم قال: **«الفار من الله ورسوله»**. قالت ثم مضى وتركني حتى إذا كان من الغد مر بي فقلت له: مثل ذلك وقال لي مثل ما قال بالأمس حتى إذا كان بعد الغد مر بي وقد يئست منه فأشار إلي رجل من خلفه أن قومي فكلميه فقمت إليه وقلت له مثل ذلك فقال: **«قد فعلت فلا تعجلي حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة يبلغك إلى بلادك فآذنيني»**، وسألت عن الرجل الذي أشار إلي أن أكلمه فقيل هو علي بن أبي طالب فأقمت حتى قدم رهط من طيء وإنما أريد أن آتي أخي بالشام فأخبرته أن لي فيهم ثقة وبلاغاً فكساني وحملني وأعطاني نفقة فخرجت حتى قدمت الشام على أخي. وكان أخوها بدومة الجندل (الجوف) وفي السيرة الحلبية في رواية أنها قالت: يا محمد إن رأيت أن تخلي عنا ولا تشمت بنا أحياء العرب فإني ابنة سيد قومي وإن أبي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويكسو العاري ويقري الضيف ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط أنا ابنة حاتم طيء فقال لها: **«يا جارية هذه صفة المؤمن حقاً، لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق»**. وفي رواية قالت له: يا محمد إن رأيت أن تمن علي ولا تفضحني في قومي فإني بنت سيدهم إن أبي كان يطعم الطعام ويحفظ الجوار ويرعى الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويكسو العريان ولم يرد طالب حاجة قط أنا بنت حاتم الطائي فقال لها: **«هذه مكارم الأخلاق حقاً، لو كان أبوك مسلماً لترحمت عليه خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، وإن الله يحب مكارم الأخلاق»**. ويمكن أن تكون قالت

ذلك كله كل قول في مرة من المرات الثلاث وفي شرح رسالة ابن زيدون وغيرها: حكي عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال يوماً: سبحان الله ما أزهد كثيراً من الناس في خير عجباً لرجل يجيئه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً فلو كان لا يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً لكان ينبغي له أن يسارع إلى مكارم الأخلاق فإنها تدل على سبيل النجاح فقام إليه رجل وقال: يا أمير المؤمنين أسمعته من النبي ﷺ قال: نعم لما أتي بسبايا طيء وقفت جارية عيطاء لعساء فلما رأيتها أعجبت بها وقلت: لأطلبنها من النبي ﷺ فلما تكلمت أنسيت جمالها بفصاحتها قالت: يا محمد إن رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فإني ابنة سيد قومي وإن أبي كان يفك العاني ويشبع الجائع ويكسو العاري ويحفظ الجار ويحمي الذمار ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشي السلام ويعين على نوائب الدهر ولم يرد طالب حاجة قط أنا ابنة حاتم الطائي فقال النبي ﷺ: **«يا جارية هذه صفة المؤمن حقاً ولو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق»**. وقال فيها: **«ارحموا عزيزاً ذل وغنياً افتقر وعالماً ضاع بين جهال»** فأطلقها ومن عليها بقومها فاستأذنته في الدعاء له فأذن لها وقال لأصحابه: اسمعوا وعوا وذكر الدعاء، وذكره دحلان في سيرته بأطول من ذلك فنحن ننقله منها قالت: شكرتك يد افتقرت بعد غنى ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر وأصاب الله بمعروفك مواضعه (ببرك مواقعه) ولا جعل لك إلى لئيم حاجة ولا سلب نعمة من كريم إلا وجعلك سبباً لردها عليه.

وبعض ما ذكره شارح رسالة ابن زيدون قد انفرد به مثل قوله: لما أتي بسبايا طيء وقفت جارية إلى قوله: بفصاحتها، وللتأمل في صحته مجال **أولاً**: إنه هو الذي جاء بسبايا طيء ومعهن سفانة فلا بد أن يكون رآها مراراً فكيف يقول فلما رأيتها أعجبت بها ولا يصح أن يريد لما رأيتها عند سبيها لأن ظاهر السوق إن ذلك كان لما وقفت أمام النبي ﷺ وكلمته، **ثانياً**: إن مقام علي عليه السلام أرفع من أن يتطلع إلى جارية مسبية فيعجب بجمالها ثم يقول: فلما تكلمت أنسيت جمالها بفصاحتها، **ثالثاً**: إن طلبها من النبي إنما هو للتسري بها لما رأى من

جمالها ولم يكن ليتسرى في حياة الزهراء عليها السلام ولا ينافيه اصطفاؤه جارية في خبر سريته لليمن فلعل ذلك كان للخدمة، رابعاً: إن هذا الذي نقله شارح الرسالة لم يذكره ابن سعد في طبقاته ولا ابن هشام في سيرته ولا صاحب السيرة الحلبية ولا دحلان في سيرته ولا غيرهم ممن رأينا كلامه وذلك يوجب الريب في صحته.

وأسلمت سفانة وحسن إسلامها وقدمت على أخيها عدي بدومة الجندل. قال عدي بن حاتم: فأقامت عندي فقلت لها: وكانت امرأة حازمة ماذا ترين في أمر هذا الرجل قالت: أرى والله أن تلحق به سريعاً فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله وإن يكن ملكاً فلن تذل في عز اليمن وأنت أنت فقلت والله إن هذا لهو الرأي فقدم عدي على النبي ﷺ بالمدينة وأسلم وحسن إسلامه وكان من خواص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وشهد معه مشاهده كلها.

مسائل غامضة سئل عنها علي أمير المؤمنين عليه السلام

وقد أدرجها ابن شهراشوب في المناقب وإبراهيم بن هاشم في كتاب عجائب أحكامه في ضمن قضاياه وأحكامه العجيبة والأولى أفرادها عنها وهذه كقضاياه منها ما وقع في حياة الرسول ﷺ ومنها في إمارة الخلفاء الثلاثة ومنها في إمارته ونحن نذكر كلاً منها في محله كما فعلنا في قضاياه وأحكامه.

ما سئل عنه في حياة الرسول ﷺ من المسائل الغامضة

في مناقب ابن شهراشوب: جابر وابن عباس أن أبي بن كعب قرأ عند النبي ﷺ وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فقال النبي ﷺ لقوم عنده وفيهم أبو بكر وأبو عبيدة وعمر وعثمان وعبد الرحمن: **«قولوا الآن ما أول نعمة غرسكم الله بها وبلاكم بها»** فخاضوا في المعاش والرياش والذرية والأزواج فلما أمسكوا قال: **«يا أبا الحسن قل»** فقال: إن الله خلقني ولم أكن شيئاً مذكوراً وأنه أحسن بي فجعلني حياً لا مواتاً وإن أنشأني فله الحمد في أحسن صورة وأعدل تركيب وأنه جعلني متفكراً واعياً لا أبله ساهياً وأنه جعل لي شواعر أدرك بها ما ابتغيت

وجعل في سراجاً منيراً وأنه هداني لدينه ولم يضلني عن سبيله وإنه جعل لي مرداً في حياة لا انقطاع لها وإنه جعلني مالكاً لا مملوكاً وإنه سخر لي سماءه وأرضه وما فيهما وما بينهما من خلقه وإنه جعلنا ذكراناً قواماً على حلائلنا لا أناثاً. وكان رسول الله ﷺ يقول في كل كلمة: «**صدقت**». ثم قال: «**فما بعد هذا**» فقال علي: وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «**ليهنئك الحكمة ليهنئك العلم يا أبا الحسن أنت وارث علمي والمبين لأمتي ما اختلفت فيه من بعدي**» «الخبر».

أخباره في غزوة تبوك

وكانت في رجب سنة تسع من الهجرة.

ومرت مفصلة في الجزء الثاني ونعيد منها هنا ما له تعلق بأمير المؤمنين عليه السلام وإن لزم بعض التكرار. كان سببها كما مر هناك أنه بلغه أن الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالشام وإن هرقل رزق أصحابه لسنة وأجلبت معه قبائل العرب وقدموا مقدماتهم إلى البلقاء ومر قول المفيد: فأوحى الله عز اسمه إلى نبيه ﷺ أن يسير إليها بنفسه ويستنفر الناس للخروج معه وأعلمه أنه لا يحتاج فيها إلى حرب ولا يمنى بقتال عدو وأن الأمور تنقاد له بغير سيف وتعبده بامتحان أصحابه بالخروج معه واختبارهم ليتميزوا بذلك وتظهر به سرائرهم فأبطأ أكثرهم ونهض بعضهم على استثقال للنهوض وتخلف آخرون. قال الطبري: قال ابن إسحق خلف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب على أهله وأمره بالإقامة فيهم وخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري وقال ابن هشام استعمل على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري وخلف علي بن أبي طالب على أهله وأمره بالإقامة فيهم. وقال المفيد لما أراد النبي ﷺ الخروج استخلف أمير المؤمنين عليه السلام في أهله وولده وأزواجه ومهاجره وقال له: «**يا علي إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك**» وذلك أنه عليه السلام علم من خبث نيات الأعراب وكثير من أهل مكة ومن حولها ممن غزاهم وسفك دماءهم فأشفق أن يطلبوا المدينة

عند نأيه عنها وحصوله ببلاد الروم أو نحوها فمتى لم يكن فيها من يقوم مقامه لم يؤمن من معرتهم وإيقاع الفساد في دار هجرته والتخطي إلى ما يشين أهله ومخلفيه وعلم أنه لا يقوم مقامه في إرهاب العدو وحراسة دار الهجرة وحياطة من فيها إلا أمير المؤمنين فاستخلفه ظاهراً ونص عليه بالإمامة من بعده نصاً جلياً ولو علم الله عز وجل أن لنبيه في هذه الغزاة حاجة إلى الحرب والأنصار لما أذن له في تخليف أمير المؤمنين عنه بل علم أن المصلحة في استخلافه وأن إقامته في دار هجرته مقامه أفضل الأعمال «اهـ» ولم يذكر المفيد استخلاف أحد غيره وهو الظاهر الموافق للاعتبار فإنه لم يكن ليشرك معه أحداً في الولاية على المدينة مع ظهور شجاعته وكفاءته وحسن تدبيره. وإذا كان يخلف عليها في أكثر غزواته كما مر ابن أم مكتوم وهو مكفوف البصر ويكتفي به أفلا يكون علي عليه السلام فيه الكفاءة للاستخلاف عليها مع اضطراب الرواية فيمن استخلفه غيره فقيل محمد بن مسلمة وقيل: سباع بن عرفطة كما مر وقيل: ابن أم مكتوم حكاه في السيرة الحلبية. وحكى عن ابن عبد البر أنه قال: الأثبت أنه علي بن أبي طالب (أقول) وإنما لم يستصحبه لما أخبره الله تعالى بأنه لا يلقى حرباً فكان بقاؤه في المدينة أهم للخوف عليها من المنافقين والعرب الموتورين وهذا أمر واضح جلي. قال ابن هشام: فأرجف به المنافقون وقالوا: ما خلفه إلا استثقالاً له وتخففاً منه فلما قالوا ذلك أخذ علي سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف فقال: يا نبي الله زعم المنافقون أنك إنما خلفتني لأنك استثقلتني وتخففت مني فقال: **«كذبوا ولكن خلفتك لما تركت ورائي فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»** فرجع علي إلى المدينة (اهـ) وقال المفيد: تظاهرت الرواية بأن أهل النفاق لما علموا باستخلاف رسول الله ﷺ علياً عليه السلام على المدينة حسدوه لذلك وعظم عليهم مقامه فيها وعلموا أنها تنحرس به ولا يكون فيها للعدو مطمع فساءهم ذلك وكانوا يؤثرون خروجه معه لما يرجونه من وقوع الفساد والاختلاط عند نأيه عن المدينة وخلوها من مرهوب مخوف

يحرسها وغبطوه على الرفاهية والدعة بمقامه في أهله وتكلف من خرج منهم المشاق بالسفر فأرجفوا به وقالوا: لم يستخلفه إكراماً وإجلالاً ومودة وإنما خلفه استثقالاً له فبهتوه بهذا الإرجاف وهم يعلمون ضده فلما بلغه ذلك أراد تكذيبهم فلحق بالنبي ﷺ فأخبره قولهم فقال له النبي: «**ارجع يا أخي إلى مكانك فإن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك فأنت خليفتي في أهل بيتي ودار هجرتي وقومي أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي**» ولو علم الله لنبيه في هذه الغزوة حاجة إلى الحرب والأنصار لما أذن له في تخليف أمير المؤمنين عنه بل علم أن المصلحة في استخلافه وبقائه في دار هجرته «اهـ».

بعث سورة براءة مع علي عليه السلام في ذي الحجة سنة تسع من الهجرة

قال الشيخ الطوسي في المصباح: في أول يوم من ذي الحجة سنة ٩ من الهجرة بعث النبي ﷺ سورة براءة حين أنزلت عليه مع أبي بكر ثم نزل عليه أنه لا يؤديها عنك إلا أنت أو رجل منك فأنفذ علياً حتى لحق أبا بكر فأخذها منه. وروى الطبري في تفسيره بسنده عن زيد بن يثيغ قال: نزلت براءة فبعث بها رسول الله أبا بكر ثم أرسل علياً فأخذها منه فلما رجع قال: هل نزل في شيء قال: لا ولكن أمرت أن أبلغها أنا أو رجل من أهل بيتي فانطلق علي إلى مكة فقام فيهم بأربع: أن لا يدخل مكة مشرك بعد عامه هذا. ولا يطوف بالبيت عريان. ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة. ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعهده إلى مدته «اهـ» وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر وأمره أن ينادي بهذه الكلمات فأتبعه علياً فبينا أبو بكر ببعض الطريق إذ سمع رغاء ناقة رسول الله ﷺ فخرج فزعاً فظن أنه رسول الله ﷺ فإذا هو علي (إلى أن قال) فنادى علي (إن الله بريء من المشركين ورسوله فسيحوا في الأرض أربعة أشهر) لا يحجن بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان ولا يدخلن الجنة إلا مؤمن (وبسنده) عن زيد بن يثيغ: سألنا علياً

بأي شيء بعثت في الحجة قال بعثت بأربع: لا يدخلن الجنة إلا نفس مؤمنة. ولا يطوف بالبيت عريان ولا يجتمع مؤمن وكافر في المسجد الحرام بعد عامهم هذا ومن كان بينه وبين النبي ﷺ عهد فعهده إلى مدته ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر. وروى النسائي في الخصائص بسنده عن سعد: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر ببراءة حتى إذا كان ببعض الطريق أرسل علياً فأخذها منه فوجد أبو بكر في نفسه فقال رسول الله ﷺ: **«لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني»**. وفي رواية أخرى للنسائي: **«لا ينبغي أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي»** (وبسنده) عن زيد بن يثيغ: بعث رسول الله ﷺ ببراءة إلى أهل مكة مع أبي بكر ثم اتبعه بعلي فلحقه فأخذ الكتاب منه فانصرف أبو بكر وهو كئيب فقال: انزل في شيء قال: «لا إلا أني أمرت أن أبلغه أنا أو رجل من أهل بيتي» «اهـ» ولحقه علي بذي الحليفة على ناقة رسول الله ﷺ العضباء وذو الحليفة ميقات أهل المدينة بينه وبينها ستة أميال وقيل: لحقه بالعرج موضع بين مكة والمدينة وقيل: بالروحاء من عمل الفرع. والأقرب إلى الاعتبار أن يكون لحقه بذي الحليفة. قال المجلسي: أجمع المفسرون ونقلة الأخبار أنه لما نزلت براءة دفعها رسول الله ﷺ إلى أبي بكر ثم أخذها منه ودفعها إلى علي بن أبي طالب واختلفوا فقيل: أخذها منه فقرأها على الناس وكان أبو بكر أميراً على الموسم وروى أصحابنا أنه ولى علياً الموسم أيضاً وقال المفيد في الإرشاد: ومن ذلك ما جاء في قصة براءة. وقد دفعها النبي ﷺ فقال له: إن الله يقرئك السلام ويقول لك: لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك فاستدعى علياً وقال له: **«اركب ناقتي العضباء والحق أبا بكر فخذ براءة من يده وامض بها إلى مكة وانبذ بها عهد المشركين إليهم وخير أبا بكر بين أن يسير مع ركابك أو يرجع إلي»** فركب أمير المؤمنين ناقة رسول الله ﷺ العضباء وسار حتى لحق بأبي بكر فلما رآه فزع من لحوقه به واستقبله فقال: فيم جئت يا أبا الحسن أسائر أنت أم لغير ذلك فقال: إن رسول الله أمرني أن ألحقك فأقبض منك الآيات من براءة وأنبذ بها عهد المشركين إليهم وأمرني أن أخيّرك بين أن تسير معي أو ترجع إليه فقال: بل

أرجع إليه وعاد إلى النبي ﷺ فلما دخل عليه قال: يا رسول الله إنك أهلتني لأمر طالت الأعناق إلي فيه فلما توجهت له رددتني عنه مالي أنزل في قرآن فقال: لا ولكن الأمين جبرئيل هبط إلي عن الله عز وجل بأنه لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك وعلي مني ولا يؤدي عني إلا علي في حديث مشهور. وكان نبذ العهد مختصاً بمن عقده أو بمن يقوم مقامه في فرض الطاعة وجلالة القدر وعلو الرتبة وشرف المقام. ومن لا يرتاب بفعاله ولا يعترض عليه في مقامه. ومن هو كنفس العاقد وأمره أمره فإذا حكم بحكم مضى واستقر وأمن الاعتراض فيه. وكان بنبذ العهد قوة الإسلام وكمال الدين وإصلاح أمر المسلمين وفتح مكة واتساق أمر الصلاح فأحب الله تعالى أن يجعل ذلك في يد من ينوه باسمه ويعلي ذكره وينبه على فضله ويدل على علو قدره ويبينه به ممن سواه وكان ذلك أمير المؤمنين عليه السلام ولم يكن لأحد من القوم فضل يقارب الفضل الذي وصفناه ولا يشرك فيه أحد منهم على ما بيناه (اهـ).

أخباره في وفد نجران سنة عشر من الهجرة

(ونجران) ببلاد اليمن كان أهلها نصارى ذكر المؤرخون هذا الوفد وذكروا سنة قدومه ولم يذكروا الشهر قال ابن الأثير في حوادث سنة عشر: ذكر وفد نجران مع السيد والعاقب (ثم قال) وأما نصارى نجران فإنهم أرسلوا العاقب والسيد في نفر إلى رسول الله ﷺ وأرادوا مباهلته فخرج ومعه علي وفاطمة والحسن والحسين فلما رأوهم قالوا: هذه وجوه لو أقسمت على الله أن يزيل الجبال لأزالها ولم يباهلوه وصالحوه على ألفي حلة ثمن كل حلة أربعون درهماً وعلى أن يضيفوا رسله وجعل لهم ذمة الله تعالى وعهده أن لا يفتنوا عن دينهم ولا يعشروا وشرط عليهم أن لا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به (اهـ).

وفي وفد نجران نزلت آية المباهلة وهي قوله تعالى في سورة آل عمران:
﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ * ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ

أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ قال الرازي في تفسيره: أجمع المفسرون على أن هذه الآية نزلت عند حضور وفد نجران عند الرسول ﷺ وقال الواحدي في أسباب النزول: قال المفسرون قدم وفد نجران وكانوا ستين راكباً على رسول الله ﷺ وفيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم وفي الأربعة عشر ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم فالعاقب أمير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون إلا عن رأيه واسمه عبد المسيح والسيد إمامهم وصاحب رحلهم واسمه الأيهم وأبو حارثة بن علقمة أسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم وكان قد شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم وكانت ملوك الروم قد شرفوه ومولوه وبنوا له الكنائس لعلمه واجتهاده فقدموا على رسول الله ﷺ ودخلوا مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات جبات وأردية في جمال رجال الحارث بن كعب يقول بعض من رآهم من أصحاب رسول الله ﷺ: ما رأينا وفداً مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا فصلوا في مسجد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «**دعوهم فصلوا إلى المشرق**» فكلم السيد والعاقب رسول الله ﷺ فقال لهما: **أسلما**» فقالا: قد أسلمنا قبلك قال: «**منعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير**» قالا: إن لم يكن عيسى ولد الله فمن أبوه وخاصموه جميعاً في عيسى (ثم) روي أنهما قالا للنبي ﷺ ما تقول في عيسى فسكت ونزل القرآن وفيه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ إلى قوله: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ فدعاهما رسول الله ﷺ إلى الملاعنة «اهـ». وقال ابن طاووس فيما رواه في كتاب الإقبال أن أبا حارثة اسمه حصين بن علقمة وهو من بكر بن وائل والعاقب اسمه عبد المسيح بن شرحبيل والسيد اسمه الأهتم (أو الأيهم) بن النعمان، فإذا كان الله تعالى قد خلق آدم وأبدعه من التراب بغير أم ولا أب فخلق عيسى عليه السلام من أم بدون أب أقل غرابة، وعن عائشة (رض) أن رسول الله ﷺ خرج (يعني إلى المباهلة) وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم فاطمة ثم علي

قال: **«إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت»** (ومثله) في تفسيري النيسابوري والرازي وزادا ويطهركم تطهيراً ثم قالا وهذه الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث «انتهى» وقال في الكشاف: وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام وفيه برهان واضح على صحة نبوته ﷺ لأنه لم يرو أحد من موافق ولا مخالف أنهم أجابوا إلى ذلك «انتهى» وقال الرازي: قالوا: يا أبا القاسم رأينا أن لا نباهلك فقال: **«فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا»** فأبوا قال: **«فإني أناجزكم القتال»** فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تردنا عن ديننا على أن نؤدي إليك الخ ما مر وقال الواحدي في أسباب النزول: قال الشعبي أبناءنا الحسن والحسين ونساءنا فاطمة وأنفسنا علي بن أبي طالب رضي الله عنهم (اهـ).

(وفي مجمع البيان): لما دعاهم رسول الله ﷺ إلى المباهلة استنظروه إلى صبيحة غد فلما رجعوا إلى رحالهم قال لهم الأسقف: انظروا محمداً في غد فإن غدا بولده وأهله فاحذروا مباهلته وإن غدا بأصحابه فباهلوه فإنه ليس على شيء فلما كان الغد جاء النبي ﷺ آخذاً بيد علي بن أبي طالب والحسن والحسين بين يديه يمشيان وفاطمة تمشي خلفه وخرج النصارى وتقدمهم أسقفهم فلما رأى النبي ﷺ قد أقبل بمن معه سأل عنهم فقيل: هذا ابن عمه وزوج ابنته وأحب الخلق إليه وهذان ابنا بنته من علي وهما من أحب الخلق إليه وهذه الجارية بنته فاطمة أعز الناس عليه وأقربهم إلى قلبه (ثم قال) وأنفسنا يعني علياً خاصة ولا يجوز أن يكون المعني به النبي ﷺ لأنه هو الداعي ولا يجوز أن يدعو الإنسان نفسه وإنما يصح أن يدعو غيره وإذا كان قوله وأنفسنا لا بد أن يكون إشارة إلى غير الرسول وجب أن يكون إشارة إلى علي لأنه لا أحد يدعي دخول غير أمير المؤمنين علي وزوجته وولديه في المباهلة وهذا يدل على غاية الفضل وعلو الدرجة في البلوغ منه إلى حيث لا يبلغه أحد إذ جعله الله نفس الرسول وهذا ما لا يدانيه فيه أحد ولا يقاربه ومما يعضده من الروايات ما صح عن النبي ﷺ أنه سئل عن بعض أصحابه فقال له قائل: فعلي فقال: إنما سألتني عن الناس ولم

تسألني عن نفسي وقوله ﷺ لبريدة الأسلمي: **«يا بريدة لا تبغض علياً فإنه مني وأنا منه»**.

وعاد وفد نجران بعد أن صالحهم الرسول على ألفي حلة من حلل الأواقي[1] قيمة كل حلة أربعون درهماً جياداً فما زاد أو نقص كان بحساب ذلك وكتب لهم كتاباً على ما صالحهم عليه وكان الكتاب:

بسم الله الرحمٰن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لنجران وحاشيتها في كل صفراء وبيضاء وثمرة ورقيق لا يؤخذ منهم شيء غير ألفي حلة من حلل الأواقي ثمن كل حلة أربعون درهماً فما زاد أو نقص فبحساب ذلك يؤدون ألفاً منها في صفر وألفاً منها في رجب وعليهم أربعون ديناراً مثواة رسولي فما فوق ذلك وعليهم في كل حدث يكون باليمن من كل ذي عدن عارية مضمونة ثلاثون درعاً وثلاثون فرساً وثلاثون جملاً لهم بذلك جوار الله وذمة محمد بن عبد اللّه فمن أكل الربا منهم بعد عامهم هذا فذمتي منه بريئة وأخذ القوم الكتاب وانصرفوا «اهـ».

ثم أنه يستفاد من الآية الشريفة أمور:

الأول: إن الحسن والحسين ابنا رسول الله ﷺ وإن ابن البنت ابن حقيقة ويؤيده قوله ﷺ: **«ابناي هذان إمامان إن قاما وإن قعدا»**. وفي تفسير الرازي: هذه الآية دالة على أن الحسن والحسين عليهما السلام كانا ابني رسول الله ﷺ، وعد أن يدعو أبناءه فدعاهما فوجب أن يكونا ابنيه قال: ومما يؤكد هذا قوله تعالى في سورة الأنعام: ومن ذريته داود وسليمان إلى قوله وزكريا ويحيى وعيسى، ومعلوم أن عيسى عليه السلام إنما انتسب إلى إبراهيم عليه السلام بالأم لا بالأب فثبت أن ابن البنت قد يسمى ابناً.

الثاني: إن علياً أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ لما سمعت واعترف به الفخر الرازي في تفسيره.

---

(١) أي التي قيمة كل واحدة منها أربعون درهماً لأن الأوقية هي أربعون درهماً.

الثالث: فضل أصحاب الكساء عموماً كما اعترف به الزمخشري.

الرابع: إنهم المرادون بأهل البيت في آية التطهير. واحتمال إرادة أزواج النبي ﷺ وحدهم بقرينة ما قبل الآية وما بعدها ينفيه تذكير الضمير والأخبار الدالة على أن المراد بأهل البيت أصحاب الكساء كالخبر السابق وغيره. واحتمال دخول النساء فيهم وتذكير الضمير للتغليب ينافيه أصالة الحقيقة. وما رواه الإمامان مسلم وابن حنبل من إنكار زيد بن أرقم على حصين بن سبرة لما قال له: أليس نساؤه من أهل بيته فقال: نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده كما بيناه في (إقناع اللائم) عند ذكر حديث الثقلين وما رواه الترمذي وصححه الحاكم على شرط البخاري من أنه ﷺ جلل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء وقال: **«اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»** الحديث وهو يدل على انحصار أهل البيت في ذلك الوقت في الخمسة وفي دلالة الآية على عصمتهم من الذنوب ما لا يخفى. قال الشهيد أعلى الله درجته في مقدمات الذكرى (لا يقال) صدر الآية وعجزها في النساء فتكون فيهن (قلنا) يأباه الضمير وهذا النقل الصحيح والخروج من حكم إلى آخر في القرآن الكريم كثير جداً «اهـ» ومر في أدلة إمامته ما يرتبط بالمقام.

بعث علي عليه السلام إلى اليمن

في شهر رمضان سنة عشر من الهجرة.

ليخمس ركازها والركاز الذهب والفضة ويقبض ما وقع عليه الصلح مع وفد نجران من الحلل والعين وغير ذلك، وليدعو مذحج وزبيد كأمير بطن من مذحج كمجلس أبو قبيلة من اليمن.

ومر أن بعث علي إلى اليمن كان مرتين واستظهرنا سابقاً أنه كان ثلاث مرات **إحداها**: سنة ثمان، **والثانية**: بين ثمان وتسع، **والثالثة**: هذه.

قال ابن سعد في الطبقات الكبير: ثم سرية علي بن أبي طالب إلى اليمن يقال مرتين إحداهما في شهر رمضان سنة عشر من مهاجر رسول الله ﷺ قالوا

بعث رسول الله ﷺ علياً إلى اليمن وعقد له لواء وعممه بيده وقال: «**امض ولا تلتفت فإذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك**» فخرج في ثلثمائة فارس وكانت أول خيل دخلت إلى تلك البلاد وهي بلاد مذحج ففرق أصحابه فاتوا بنهب وغنائم ونساء و أطفال ونعم وشاء وغير ذلك وجعل على الغنائم بريدة بن الخصيب الأسلمي فجمع إليه ما أصابوا ثم لقي جمعهم فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ورموا بالنبل والحجارة فصف أصحابه ودفع لواءه إلى مسعود بن سنان السلمي ثم حمل عليهم علي بأصحابه فقتل منهم عشرين رجلاً فتفرقوا وانهزموا فكف عن طلبهم ثم دعاهم إلى الإسلام فأسرعوا وأجابوا وبايعه نفر من رؤسائهم على الإسلام وقالوا: نحن على من ورائنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله وجمع علي الغنائم فجزأها على خمسة أجزاء فكتب في سهم منها الله وأقرع فخرج أول السهام سهم الخمس وقسم علي على أصحابه بقية المغنم ثم قفل فوافى النبي ﷺ بمكة قد قدمها للحج سنة عشر «اهـ» وهي حجة الوداع وسيأتي تمام خبره «انش» عند ذكر حجة الوداع. وفي سيرة دحلان: فقال علي: يا رسول الله ما أصنع؟ قال: «**إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك وادعهم إلى قول لا إله إلا الله فإن قالوا نعم فمرهم بالصلاة فإن أجابوا فلا تبغ منهم غير ذلك والله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت**» (إلى أن قال) وخرج منهم رجل من مذحج يدعو إلى المبارزة فبرز إليه الأسود بن خزاعي فقتله الأسود وأخذ سلبه وروى الكليني في الكافي بسنده عن الصادق (ع) قال: قال أمير المؤمنين (ع) بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن وقال لي: «**يا علي لا تقاتلن أحداً حتى تدعوه وأيم الله لأن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت ولك ولاؤه يا علي**» وروى الشيخ في الأمالي بسنده عن الرضا عن آبائه عليهم السلام أن رسول الله ﷺ بعث علياً إلى اليمن فقال له وهو يوصيه: «**يا علي أوصيك بالدعاء فإن معه الإجابة وبالشكر فإن معه المزيد وأنهاك عن المكر فإنه لا يحيق المكر السيء إلا بأهله وأنهاك عن البغي فإنه من بغي عليه لينصرنه الله**». قال ابن هشام في سيرته قال أبو عمرو

المدني بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب إلى اليمن وبعث خالد بن الوليد في جند آخر وقال: إن التقيتما فالأمير علي بن أبي طالب «اهـ». والظاهر أن هذا البعث هو الذي كان سنة عشر يدل عليه ما ذكره المفيد في موضع من إرشاده حيث قال: ولما عاد رسول الله ﷺ من تبوك إلى المدينة قدم عليه عمرو بن معد يكرب (الزبيدي) فآمن بالله ورسوله وآمن من معه من قومه ورجعوا إلى قومهم ثم أن عمراً نظر إلى أبي كعب بن عثعث الخثعمي فأخذ برقبته ثم جاء به إلى النبي ﷺ فقال: أعدني على هذا الفاجر الذي قتل والدي فقال رسول الله ﷺ: **«هدر الإسلام ما كان في الجاهلية»** فانصرف عمرو مرتداً فأغار على قوم من بني الحارث بن كعب ومضى إلى قومه فاستدعى رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأمره على المهاجرين وأنفذه إلى بني زبيد وأرسل خالد بن الوليد وأمره أن يقصد جعفي فإذا التقيا فأمير الناس أمير المؤمنين فسار أمير المؤمنين واستعمل على مقدمته خالد بن سعيد بن العاص واستعمل خالد على مقدمته أبا موسى الأشعري فأما جعفي فإنها لما سمعت بالجيش افترقت فرقتين فذهبت فرقة إلى اليمن وانضمت الفرقة الأخرى إلى بني زبيد فبلغ ذلك أمير المؤمنين (ع) فكتب إلى خالد بن الوليد أن قف حيث أدركك رسولي فلم يقف فكتب إلى خالد بن سعيد بن العاص: تعرض له حتى تحبسه، فاعترض له حتى حبسه وأدركه أمير المؤمنين فعنفه على خلافه ثم سار علي حتى لقي بني زبيد بواد يقال له كثير فلما رآه بنو زبيد قالوا لعمرو: كيف أنت يا أبا ثور إذا لقيك هذا الغلام القرشي فأخذ منك الإتاوة قال: سيعلم إن لقيني وخرج عمرو فقال: من يبارز فنهض إليه أمير المؤمنين وقام إليه خالد بن سعيد وقال له: دعني يا أبا الحسن بأبي أنت وأمي أبارزه فقال له أمير المؤمنين: إن كنت ترى أن لي عليك طاعة فقف في مكانك ثم برز إليه أمير المؤمنين فصاح به صيحة فانهزم عمرو وقتل أخاه وابن أخيه وأخذت امرأته ركانة بنت سلامة وسبي منهم نسوان وانصرف أمير المؤمنين (ع) وخلف على بني زبيد خالد بن سعيد لقبض صدقاتهم ويؤمن من عاد إليه من هرابهم مسلماً فرجع عمرو بن معد يكرب

واستأذن على خالد بن سعيد فأذن له فعاد إلى الإسلام فكلمه في امرأته وولده فوهبهم له وقد كان عمرو لما وقف بباب خالد بن سعيد وجد جزوراً قد نحرت فجمع قوائمها ثم ضربها بسيفه فقطعها جميعاً وكان يسمى سيفه الصمصامة فلما وهب خالد بن سعيد لعمرو امرأته وولده وهب له عمرو الصمصامة.

قال المفيد في موضع آخر من الإرشاد: كان رسول الله قد أنفذ علياً إلى اليمن ليخمس ركازها ويقبض ما وافق عليه أهل نجران من الحلل والعين وغير ذلك فتوجه لما ندبه إليه رسول الله ﷺ فأنجزه ممتثلاً أمره فيه مسرعاً إلى طاعته ولم يأتمن رسول الله ﷺ أحداً غيره على ما ائتمنه عليه من ذلك ولا رأى في القوم من يصلح للقيام به سواه فأقامه مقام نفسه في ذلك واستنابه فيه مطمئناً إليه ساكناً إلى نهوضه بأعباء ما كلفه فيه «اهـ» وقال ابن الأثير في حوادث سنة عشر: ذكر: بعث رسول الله ﷺ أمراءه على الصدقات. ثم قال: وبعث علي بن أبي طالب إلى نجران ليجمع صدقاتهم وجزيتهم ويعود ففعل وعاد ولقي رسول الله ﷺ بمكة في حجة الوداع ثم ذكر استخلافه رجلاً على الجيش كما يأتي والظاهر أن كلماتهم هذه كلها المتقدمة لبيان واقعة واحدة وأنه غزا بني زبيد الذين هم بطن من مذحج في تلك السفرة وقبض ما صولح عليه أهل نجران وجمع الزكاة ثم قفل فاجتمع بالنبي ﷺ في حجة الوداع. وغزوة زبيد المذكورة في كلام المفيد وإن أمكن أن تكون سفرة وحدها غير السفرة لقبض ما صولح عليه أهل نجران إلا أنه لما ذكر بعث خالد معه علم أنهما سفرة واحدة لأن ابن سعد ذكر أنه في شهر رمضان سنة عشر بعثه إلى اليمن إلى بلاد مذحج فقتل وسبى وغنم ثم أسلموا ومعه بريدة ثم قال: فوافى النبي بمكة سنة عشر فعلم أنهما واقعة واحدة. وروى الكليني في الكافي بسنده عن سليمان الجعفري عن أبي الحسن عليه السلام قال: سمعته يقول: أهدى أمير المؤمنين عليه السلام إلى رسول الله ﷺ أربعة أفراس من اليمن فقال: سمها فقال: هي ألوان مختلفة فقال: ففيها أشقر قال: نعم قال: فأمسكه علي قال وفيها كميتان أوضحان قال: فأعطهما ابنيك قال: والرابع أدهم بهيم قال: بعه واستخلف به نفقة لعيالك إنما

يمن الخيل في ذوات الأوضاح «اهـ» ولا يعلم أن ذلك في أي سفرة من أسفاره إلى اليمن.

أخباره في حجة الوداع

وكانت سنة عشر من الهجرة.

وقال المفيد في الإرشاد: ثم تلا وفد نجران من القصص المنبئة عن فضل أمير المؤمنين وتخصصه من المناقب بما بان به من كافة العباد حجة الوداع وما جرى فيها من الأقاصيص وكان لأمير المؤمنين فيها من جليل المقامات فمن ذلك أن رسول الله ﷺ كان قد أنفذه إلى اليمن ليخمس ركازها ويقبض ما وافق عليه أهل نجران من الحلل وغيرها فتوجه لما ندبه إليه (إلى أن قال): ثم أراد رسول الله ﷺ التوجه إلى الحج وأداء ما فرض الله تعالى عليه فأذن في الناس بالحج وبلغت دعوته إلى أقاصي بلاد أهل الإسلام فتجهز الناس للخروج معه وحضر المدينة من ضواحيها ومن حولها خلق كثير وتهيأوا للخروج معه فخرج بهم لخمس بقين من ذي القعدة «اهـ» وفي السيرة الحلبية خرج معه أربعون ألفاً وقيل: سبعون وقيل: تسعون وقيل: مائة ألف وأربعة عشر ألفاً وقيل: مائة وعشرون ألفاً وقيل: أكثر من ذلك هذا عدا من حج معه من أهل مكة واليمن. وفي سيرة دحلان خرج معه تسعون ألفاً ويقال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ويقال أكثر من ذلك «اهـ» ويمكن الجمع بأن الذين خرجوا من المدينة وضواحيها كانوا أربعين ألفاً ومع الذين انضموا إليهم مما قرب منها كانوا سبعين أو تسعين والكل ممن قرب وبعد كانوا مائة وأربعة وعشرين ألفاً والله أعلم. قال ابن سعد وأخرج معه نساءه التسع في الهوادج وابنته فاطمة وأشعر هديه وقلده. قال المفيد: وكاتب أمير المؤمنين بالتوجه إلى الحج من اليمن ولم يذكر له نوع الحج الذي عزم عليه وخرج قارناً للحج بسياق الهدي وأحرم من ذي الحليفة وأحرم الناس معه ولبى من عند الميل الذي بالبيداء فاتصل ما بين الحرمين بالتلبية وخرج أمير المؤمنين عليه السلام بمن معه من المعسكر الذي كان صحبه إلى اليمن ومعه

الحلل التي كان أخذها من أهل نجران فلما قارب رسول الله ﷺ مكة من طريق المدينة قاربها أمير المؤمنين عليه السلام من طريق اليمن وتقدم الجيش للقاء النبي ﷺ وخلف عليهم رجلاً منهم فأدرك النبي ﷺ وقد أشرف على مكة فسلم عليه وخبره بما صنع وبقبض ما قبض وأنه سارع للقائه أمام الجيش فسر رسول الله ﷺ بذلك وابتهج بلقائه وقال: «**بم أهللت يا علي**» فقال: يا رسول الله إنك لم تكتب إلي إهلالك ولا عرفته فعقدت نيتي بنيتك فقلت: اللهم إهلالاً كإهلال نبيك وسقت معي من البدن أربعاً وثلاثين بدنة فقال رسول الله: «**الله أكبر قد سقت أنا ستاً وستين وأنت شريكي في حجي ومناسكي وهديي فأقم على إحرامك وعد إلى جيشك فعجل بهم حتى نجتمع بمكة إن شاء الله**» وفي سيرة ابن هشام قال رسول الله ﷺ لعلي: «**هل معك من هدي**» قال: لا فأشركه في هديه وثبت على إحرامه حتى فرغا من الحج ونحر رسول الله ﷺ الهدي عنهما. وفي السيرة الحلبية يمكن الجمع بين هذا وبين أنه قدم من اليمن ومعه هدي بأن الهدي كان قد تأخر مجيئه فأشركه في هديه ثم نقل أن الهدي الذي جاء به علي عليه السلام من اليمن كان سبعاً وثلاثين والذي جاء به رسول الله ﷺ كان ثلاثاً وستين. قال المفيد: فودعه أمير المؤمنين وعاد إلى جيشه فلقيهم عن قريب فوجدهم قد لبسوا الحلل التي كانت معهم فأنكر ذلك عليهم وقال للذي كان استخلفه عليهم: ويلك ما دعاك إلى أن تعطيهم الحلل من قبل أن تدفعها إلى رسول الله ولم أكن أذنت لك في ذلك فقال: سألوني أن يتجملوا بها ويحرموا فيها ثم يردوها علي فانتزعها أمير المؤمنين من القوم وشدها في الأعدال فاضطغنوا ذلك عليه فلما دخلوا مكة كثرت شكايتهم منه فأمر رسول الله ﷺ فنادى في الناس: «**ارفعوا ألسنتكم عن علي بن أبي طالب فإنه خشن في ذات الله عز وجل غير مداهن في دينه**» فكف القوم عن ذكره وعلموا مكانه من النبي ﷺ وسخطه على من رام الغميزة فيه، وفي رواية ابن إسحق فأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم قال أبو سعيد الخدري: اشتكى الناس علياً فقام رسول الله ﷺ فينا خطيباً فسمعته يقول: «**أيها الناس لا تشكن علياً فوالله إنه لأخشن في ذات الله أو**

سبيل الله من أن يشكى» قال المفيد: وأقام أمير المؤمنين على إحرامه تأسيا برسول الله ﷺ وكان قد خرج مع النبي ﷺ كثير من المسلمين بغير سياق هدي فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ فقال رسول الله ﷺ: **«دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة»** وشبك إحدى أصابع يديه على الأخرى ثم قال: **«لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي»** ثم أمر مناديه أن ينادي من لم يسق منكم هدياً فليحل وليجعلها عمرة ومن ساق منكم هدياً فليقم على إحرامه فأطاع ذلك بعض الناس وخالف بعض وجرت خطوب بينهم فيه وقال منهم قائلون: رسول الله أشعث أغبر ونحن نلبس الثياب ونقرب النساء وندهن وقال بعضهم: أما تستحون أن تخرجوا ورؤوسكم تقطر من الغسل ورسول الله على إحرامه (وهذا اعتذار بارد فإطاعة أمر رسول الله الذي هو أمر الله أولى من إظهار حب المواساة له في البقاء على الإحرام) فأنكر رسول الله ﷺ على من خالف في ذلك وقال: لولا أني سقت الهدي لأحللت وجعلتها عمرة فمن لم يسق هدياً فليحل فرجع قوم وأقام آخرون على الخلاف وكان فيمن أقام على الخلاف بعض أكابرهم فاستدعاه رسول الله ﷺ وقال: **«ما لي أراك محرماً أسقت هدياً»** قال: لم أسق قال: **«فلم لا تحل وقد أمرت من لم يسق بالإحلال»** فقال: والله يا رسول الله لا أحللت وأنت محرم فقال له النبي ﷺ: **«إنك لم تؤمن بها حتى تموت»** فلذلك أقام على إنكار متعة الحج حتى رقى المنبر في إمارته فنهى عنها نهياً مجدداً وتوعد عليها بالعقاب «اهـ» وروى مسلم في صحيحه بسنده عن عائشة قدم رسول الله ﷺ لأربع مضين من ذي الحجة أو خمس فدخل علي وهو غضبان فقلت: من أغضبك يا رسول الله أدخله الله النار. قال: **«أو ما شعرت إني أمرت الناس بأمر فإذا هم يترددون لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي معي حتى أشتريه ثم أحل كما أحلوا»**، قال النووي في الشرح: أما غضبه فلانتهاك حرمة الشرع وترددهم في قبول حكمه وقد قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ فغضب لما ذكرنا من انتهاك حرمة الشرع والحزن عليهم في

نقص إيمانهم وفيها دلالة لاستحباب الغضب عند انتهاك حرمة الدين وفيه جواز الدعاء على المخالف لحكم الشرع «اهـ» أي حتى بإدخال النار الذي لا أفظع منه والذي ربما زاد على اللعن الذي هو الطرد والإبعاد من رحمة الله، وفهم ما جاء في هذه الأحاديث على وجهه يتوقف على بيان أقسام الحج وكيف اختلف حج من ساق الهدي على من لم يسقه (فنقول) الحج على ثلاثة أقسام أفراد وقران وتمتع والثالث فرض من بعد عن مكة ثمانية وأربعين ميلاً والأولان فرض أهل مكة ومن بعد عنها بأقل من ذلك، والمفرد يأتي بالحج أولاً ثم بعمرة مفردة ويعقد إحرامه بالتلبية وسمي افراداً لانفراده عن العمرة وعدم ارتباطه بها فهما نسكان مستقلان وكذلك القارن يأتي بالحج أولاً ثم بالعمرة وهما نسكان مستقلان إلا أنه يسوق الهدي معه عند الإحرام ويعقد إحرامه بسياق الهدي وسمي قراناً لاقترانه بسياق الهدي والمتمتع يأتي أولاً بعمرة التمتع ثم يأتي بالحج ويعقد إحرامه بالتلبية ويكون النسك مركباً من العمرة والحج وهذا معنى قوله عليه السلام: دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة وتشبيكه بين أصابعه وسمي تمتعاً لأنه بعد إحلاله من إحرام العمرة يتمتع أي ينتفع بما كان محرم عليه حال الإحرام والنبي حين أحرم في حجة الوداع أحرم بحج القرآن لأنه ساق الهدي وكذلك علي عليه السلام أحرم كإحرام رسول الله ﷺ وساق الهدي فكان حجه حج قرآن وأكثر الذين كانوا مع النبي ﷺ لم يسوقوا الهدي وأحرموا بالحج فكان حجهم حج أفراد ولم يكن حج التمتع مفروضاً يومئذ بل كان الحج قسمين فقط أفراد وقران فلما نزل فرض حج التمتع لمن لم يسق الهدي بقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ - إلى قوله - ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾ «الآية» أمر رسول الله ﷺ من ساق الهدي أن يبقى على إحرامه ويجعل حجه حج قران ومن لم يسق الهدي أن يجعلها عمرة تمتع فيحل من إحرامه ثم يحرم للحج من مكة يوم التروية لأن حجه صار حج تمتع وصار ذلك فرض البعيدين عن مكة بالمسافة السابقة إلى آخر الدهر وقال: إن العمرة دخلت في الحج كدخول أصابعه بعضها في بعض وسئل أن ذلك لعامهم هذا أو لأبد الأبد فقال: بل لأبد الأبد ومن ذلك فهم إن فرضهم مركب من عملين العمرة

والحج مرتبط أحدهما بالآخر أما من ساق الهدي فحجه حج قران في ذلك العام فقط أما بعده فسيكون حج البعيد حج تمتع لا حج أفراد ولا قران ويظهر أن جماعة لم يرق لهم أن يكون حج علي كحج النبي وحجهم مخالف لذلك فترددوا في الإحلال من الإحرام أو امتنعوا حسداً لعلي (وقديماً كان في الناس الحسد) واعتذروا بما سمعت مما لم يكن بعذر مقبول. وفي قول النبي ﷺ: «**لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي**» إيماء إلى أن حج التمتع أفضل. قال ابن سعد: أنه بعدما رمى جمرة العقبة بمنى يوم العيد نحر الهدي. قال صاحب السيرة الحلبية فنحر من البدن ثلاثاً وستين بيده الشريفة وهي التي جاء بها من المدينة وأمر علياً فنحر الباقي وهو تمام المائة (وكأنه الذي جاء به من اليمن) قال: وجاء عن ابن عباس أنه أهدى في حجة الوداع مائة بدنة نحر منها ثلاثين وأمر علياً فنحر الباقي وقال له: أقسم لحومها وجلودها وجلالها بين الناس ولا تعط جزاراً منها شيئاً وخذ لنا من بعير جذبة من لحم واجعلها في قدر حتى نأكل من لحمها ونحسو من مرقها ففعل «اهـ».

حديث الغدير

قال المفيد: لما قضى رسول الله ﷺ نسكه وأشرك علياً في هديه قفل إلى المدينة وهو معه والمسلمون حتى انتهى إلى الموضع المعروف بغدير خم (وهو مكان قريب من الجحفة بناحية رابغ وذلك يوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة عشر من الهجرة) وليس بموضع إذ ذاك يصلح للنزول لعدم الماء فيه والمرعى فنزل في الموضع ونزل المسلمون معه وكان سبب نزوله في هذا المكان نزول القرآن عليه بنصبه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خليفة في الأمة من بعده وقد كان تقدم الوحي إليه في ذلك من غير توقيت له فأخره لحضور وقت يأمن فيه الاختلاف منهم عليه وعلم الله عز وجل أنه إن تجاوز غدير خم انفصل عنه كثير من الناس إلى بلدانهم وأماكنهم وبواديهم فأراد أن يجمعهم لسماع النص على أمير المؤمنين وتأكيد الحجة عليهم فيه فأنزل الله عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ يعني في استخلاف علي والنص بالإمامة عليه ﴿وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا

بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ فأكد الفرض عليه بذلك وخوفه من تأخير الأمر فيه وضمن له العصمة ومنع الناس منه فنزل بذلك المكان ونزل المسلمون حوله وكان يوماً قائظاً شديد الحر فأمر بدوحات هناك فقم ما تحتها وأمر بجمع الرحال ووضع بعضها فوق بعض ثم أمر مناديه فنادى في الناس الصلاة جامعة فاجتمعوا من رحالهم وإن أكثرهم ليلف رداءه على قدميه من شدة الحر فلما اجتمعوا صعد على تلك الرحال حتى صار في ذروتها وأصعد علياً معه حتى قام عن يمينه ثم خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ووعظ فأبلغ في الموعظة ونعى إلى الأمة نفسه وقال: «**إني قد دعيت ويوشك أن أجيب وقد حان مني خفوق من بين أظهركم وإني مخلف فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض**» ثم نادى بأعلى صوته: «**ألست أولى بكم منكم بأنفسكم**» قالوا: اللهم بلى فقال لهم على النسق وقد أخذ بضبعي أمير المؤمنين عليه السلام فرفعهما حتى بان بياض إبطيهما(١) «**فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله**» ثم نزل فصلى ركعتين ثم زالت الشمس فصلى بهم صلاة الظهر وجلس في خيمته وأمر علياً أن يجلس في خيمة له بإزائه وأمر المسلمين أن يدخلوا عليه فوجاً فوجاً فيهنئوه بالمقام ويسلموا عليه بإمرة المؤمنين ففعل الناس ذلك كلهم ثم أمر أزواجه وسائر نساء المؤمنين ممن معه أن يدخلن عليه ويسلمن عليه بإمرة المؤمنين ففعلن وكان فيمن أطنب في تهنئته بالمقام وأظهر له المسرة عمر بن الخطاب وقال فيما قال: بخ بخ لك يا علي أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة واستأذن حسان بن ثابت رسول الله ﷺ أن يقول في ذلك ما يرضاه الله فقال:

---

(١) لأن كلاً منهما كان في إزار ورداء كما هو عادة العرب في ذلك العصر في كثير من حالاتهم لا سيما في حر الحجاز فلما أخذ النبي (ع) بعضدي علي ورفعهما ليراه الناس جميعاً ويعرفوه توكيداً للحجة ومبالغة في التبليغ انحسر الرداء عن إبطيهما وبان بياض إبطيهما من تحت الرداء - المؤلف -.

ينـاديـهـم يـوم الـغـديـر نـبـيـهـم بـخـم واسـمـع بـالـنـبـي مـناديـا

الأبيات الستة المتقدمة في الجزء الثاني فقال له رسول الله ﷺ: **«لا تزال يا حسان مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك»** قال: وإنما اشترط في الدعاء له لعلمه بعاقبة أمره في الخلاف ولو علم سلامته في مستقبل الأحوال لدعا له على الإطلاق. ومثل ذلك ما اشترط الله تعالى في مدح أزواج النبي ﷺ فقال: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ﴾ ولم يجعلهن في ذلك حسبما جعل أهل البيت النبي حيث بذلوا قوتهم لليتيم والمسكين والأسير فأنزل الله سبحانه في علي وفاطمة والحسن والحسين: ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ﴾ مع الخصاصة التي كانت بهم فقال تعالى: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا * فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا * وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا﴾ فقطع لهم بالجزاء ولم يشترط لهم كما اشترط لغيرهم لعلمه باختلاف الأحوال «اهـ».

نزول اليوم أكملت لكم دينكم يوم الغدير واستحباب صومه

في الدر المنثور للسيوطي: أخرج ابن مردويه وابن عساكر بسند ضعيف عن أبي سعيد الخدري قال لما نصب رسول الله ﷺ علياً يوم غدير خم فنادى له بالولاية هبط جبرئيل عليه بهذه الآية: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾. وأخرج ابن مردويه والخطيب وابن عساكر بسند ضعيف عن أبي هريرة قال لما كان يوم غدير خم وهو ثمانية عشر من ذي الحجة قال النبي ﷺ: **«من كنت مولاه فعلي مولاه»** فأنزل الله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ «اهـ» وقال ابن كثير فأما الحديث الذي رواه ضمرة عن ابن شوذب عن مطر الوراق عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال لما أخذ رسول الله ﷺ بيد علي قال: **«من كنت مولاه فعلي مولاه»** فأنزل الله عز وجل: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾. قال أبو هريرة وهو يوم غدير خم من صام يوم ثمانية عشر من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً فإنه

حديث منكر جداً لمخالفته لما ثبت في الصحيحين أن هذه الآية نزلت في يوم الجمعة يوم عرفة وكذا قوله إن صيامه يعدل صيام ستين شهراً لا يصح لأنه قد ثبت ما معناه في الصحيح أن صيام شهر رمضان بعشرة أشهر فكيف يكون صيام يوم واحد يعدل ستين شهراً هذا باطل ثم نقل عن الذهبي أنه قال هذا حديث منكر جداً ورواه حبشون الخلال وأحمد بن عبد الله بن أحمد النيري وهما صدوقان عن علي بن سعيد الرملي عن ضمرة قال أي الذهبي ويروى هذا الحديث من حديث عمر بن الخطاب ومالك بن الحويرث وأنس بن مالك وأبي سعيد وغيرهم بأسانيد واهية قال أي الذهبي وصدر الحديث متواتر أتيقن أن رسول الله قاله وأما اللهم وال من والاه فزيادة قوية الإسناد وأما هذا الصوم فلا والله ما نزلت هذه إلا يوم عرفة قبل غدير خم بأيام والله تعالى أعلم «اهـ» ونقول أما رد ابن كثيرالحديث القائل بأن اليوم أكملت لكم دينكم نزلت في يوم الغدير بمخالفته لرواية الصحيحين فالأحاديث إنما ترد بمخالفتها لكتاب الله لا بمخالفة بعضها بعضاً وما في الصحيحين أخبار آحاد وما يعارضها لعله أن يكون أقوى سنداً منها وإن ظن أنها أقوى سنداً منه وتصحيح الأسانيد إنما هو من أهل الجرح والتعديل الذين تدخل أقوالهم الأهواء والعصبيات وأهمها اختلاف المذاهب وتبنى على الظنون والحدس وأما قوله إنه ثبت في الصحيح أن صيام شهر رمضان بعشرة أشهر فكيف يكون صيام يوم واحد يعدل ستين شهراً فهو إنكار لكرم الله تعالى وتبخيل لأكرم الأكرمين وهل يمنع العقل أن يعطي الله صائم يوم الغدير أجر من صام ستين شهراً وأكثر من أجر صائم شهر رمضان ولو كان شهر رمضان أفضل ولو أن أميراً أعطى بعض رعيته ثواباً على معروف لم يعطه لبعض وزرائه هل يكون ملوماً أو فاعلاً ما لا يحسن وأما حلف الذهبي بالله أنه ما نزلت الآية إلا يوم عرفة فتتوقف جرأته على ذلك على أن يكون حضر يوم عرفة ويوم الغدير. والخبر القائل إن آية: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ نزلت يوم الغدير هو الموافق لروايات أئمة أهل البيت عليهم السلام بأسانيدهم الصحيحة ويوشك أن يكون تضعيف سنده لعدم احتمال النفوس مضمونه ويكفي لصحته موافقته

لروايات أهل البيت الصحيحة وقلّ أكثر شعراء الشيعة قديماً وحديثاً في ذكر غدير خم قال الكميت بن زيد الأسدي من أبيات:

ويوم الدوح دوح غدير خم ... أبان له الولاية لو أطيعا
ولكن الرجال تبايعوها ... فلم أر مثلها خطراً أضيعا

وقال السيد الحميري من قصيدة:

وأوجب يوماً بالغدير ولاءه ... على كل بر من فصيح وأعجم
لدى دوح خم آخذاً بيمينه ... ينادي مبيناً باسمه لم يجمجم
أما والذي يهوي إلى ركن بيته ... بشعث النواصي كل وجناء عيهم
يوافين بالركبان من كل بلدة ... لقد ضل يوم الدوح من لم يسلم

وقال السيد الحميري أيضاً من قصيدة:

ثم أتته عزمة بتلة ... من ربه ليس لها مفزع
بلغ وإلا لم تكن مبلغاً ... والله منهم عاصم يمنع
فقام للناس النبي الذي ... كان بما قيل له يصدع
يخطب مأموراً وفي كفه ... كف علي لهم تلمع
رافعها أكرم بكف الذي ... يرفع والكف التي ترفع
من كنت مولاه فهذا له ... مولى فلم يرضوا ولم يقنعوا

وقال السيد الحميري أيضاً من قصيدة:

أوصى النبي له بخير وصية ... يوم الغدير بابين الإفصاح
من كنت مولاه فهذا فاعلموا ... مولاه قول إشاعة وصراح

وقال السيد الحميري أيضاً في القصيدة المذهبة:

وبخم إذ قال الإله بعزمه ... قم يا محمد في البرية فاخطب
وانصب أبا حسن لقومك إنه ... هاد وما بلغت إن لم تنصب
فدعاه ثم دعاهم فأقامه ... لهم فبين مصدق ومكذب
جعل الولاية بعده لمهذب ... ما كان يجعلها لغير مهذب

وقال السيد الحميري أيضاً:

وقـال مـحـمـد بـغـديـر خـم عـن الـرحـمٰـن يـنـطـق بـاعـتـزام
إلا مـن كـنـت مـولاه فـهـذا أخـي مـولاه فـاسـتـمـعـوا كـلامـي

وقال السيد الحميري أيضاً:

قـام الـنـبـي يـوم خـم خـاطـبـاً بـجـانـب الـدوحـات أو حـيـالـهـا
فـقـال مـن كـنـت لـه مـولـى فـذا مـولاه رب اشـهـد مـراراً قـالـهـا

وقال السيد الحميري أيضاً:

وقـام مـحـمـد بـغـديـر خـم فـنـادى مـعـلـنـا صـوتـاً بـديـا
إلا مـن كـنـت مـولاه فـهـذا لـه مـولـى وكـان بـه حـفـيـا
الـٰهـي عـاد مـن عـادى عـلـيـاً وكـن لـولـيـه مـولـى ولـيـا

وقال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي من قصيدة:

ويوم الغدير استوضح الحق أهله بفيحاء لا فيها حجاب ولا ستر
أقـام رسـول الله يـدعـوهـم بـهـا لـيـقـربـهـم عـرف ويـنـآهـم نـكـر
يـمـد بـضـبـعـيـه ويـعـلـم أنـه ولـي ومـولاكـم فـهـل لـكـم خـبـر

وقال الأمير أبو فراس الحارث بن سعيد الحمداني في قصيدته الشافية:

قـام الـنـبـي بـهـا يـوم الـغـديـر لـهـم والله يـشـهـد والأمـلاك والأمـم
حتى إذا أصبحت في غير صاحبها بـاتـت تـنـازعـهـا الـذؤبـان والـرخـم
تـالله مـا جـهـل الأقـوام مـوضـعـهـا لـكـنـهـم ستروا وجه الـذي عـلـمـوا

وقال المؤلف من قصيدة:

بيوم الغدير استوضح الحق وانجلى ولـم يـبـق بـيـن الـنـاس مـن دونـه سـتـر
بـه تـمـت الـنـعـمـى وأكـمـل ديـنـه إلـٰه الـسـمـا والـمـؤمـنـون بـه سـروا
دعـاهـم رسـول الله فـيـه لـبـيـعـة هي الفوز وهي الذخر ما فوقه ذخر
يقـول لـه الـرحـمٰـن بـلـغ رسـالـتـي إليهم ولا يمنعك خوف ولا حذر
وإن أنت لم تفعل فلست مبلغاً رسـالـة رب بـالـعـبـاد هـو الـبـر

لك الله من شر البرية عاصم ... ومن كل من أمسى وفي صدره وغر
وقد عاد من حج الوداع وجمعهم ... كثير حقيق أن يضيق به البر
فبادرهم من قبل أن يتفرقوا ... ومنزلهم في ذلك المنزل الوعر
أقام علياً جنبه فوق منبر ... من الصخر والأحداج إذ أرضهم جمر
تظلله الدوحات من حر شمسه ... وتستره أوراق دوحاته الخضر
يمد بضبعيه وإبطاهما بدا ... بياضهما كي يرفع الشك والنكر
فقام خطيباً فيهم ومنادياً ... نداء وعاه منهم العبد والحر
أما أنا أولى منكم بنفوسكم ... فقالوا بلى أمر به نطق الذكر
فقال ألا من كنت مولاه فيكم ... فهذا له مولى وحق له النصر
بكم أنا أولى وهو أولى بكم فما ... لكم بعد هذا في خلاف له عذر
وهل رتبة تحوي الإمامة تعتلي ... على هذه إن صح من ناظر فكر
وهل كان هذا الاهتمام لتافه ... به فاه زيد إن هذا هو الهذر
فقالوا بخ أصبحت مولى الورى وفي ... قلوبهم نكر وفي قولهم ختر
وأفرده في خيمة وبيعة ... له جاءهم من أحمد المصطفى الأمر
فبايعه فيها الرجال مع النسا ... وأزواجه ما شاب بيعتهم سر
وأمسى أمير المؤمنين عليهم ... اطاعته فرض هي وعصيانه وزر
بمدحته حسان قد قام معلناً ... بشعر يحاكي الدر أو دونه الدر

سنة إحدى عشرة من الهجرة وفاة النبي ﷺ

كانت وفاة النبي ﷺ في صفر وقيل في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة. ومن الغريب قول المفيد في الإرشاد وتبعه الطبرسي في أعلام الورى أنه توفي سنة عشر.

جيش أسامة وبدء المرض برسول الله ﷺ

قال ابن إسحق: ثم قفل رسول الله ﷺ (يعني من حجة الوداع) فأقام بالمدينة بقية ذي الحجة والمحرم وصفر وضرب على الناس بعثاً إلى الشام وأمر عليهم أسامة بن زيد بن حارثة مولاه «اهـ».

وقال ابن سعد في الطبقات أمر النبي ﷺ يوم الاثنين الناس بالتهيؤ لغزو الروم فلما كان يوم الأربعاء بدىء به المرض فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواء بيده فخرج وعسكر بالجرف فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأولين والأنصار إلا انتدب في تلك الغزوة فيهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وغيرهم(إلى أن قال) وثقل رسول الله ﷺ فجعل يقول أنفذوا بعث أسامة. وروى ابن هشام في سيرته أن رسول الله ﷺ استبطأ الناس في بعث أسامة وهو في وجعه فخرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر وقال: **«إنفذوا بعث أسامة»** ثم نزل وانكمش الناس في جهازهم وقال ابن سعد في روايته فخرج عاصباً رأسه فقال: **«أيها الناس إنفذوا بعث أسامة»** ثلاث مرات.

تأكيد الوصاية بالثقلين

وروى ابن سعد بسنده عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: **«إني أوشك أن أدعى فأجيب وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما»**.

وقال المفيد في إرشاده: ثم كان مما أكد النبي ﷺ لعلي من الفضل وتخصصه منه بجليل رتبته ما تلا حجة الوداع من الأمور المتجددة لرسول الله ﷺ والأحداث التي اتفقت بقضاء الله وقدره وذلك أنه تحقق من دنو أجله ما كان قدم الذكر به لأمته فجعل يقوم مقاماً بعد مقام في المسلمين يحذرهم الفتنة بعده والخلاف عليه ويؤكد وصاتهم بالتمسك بسنته والاجتماع عليها والوفاق ويحثهم على الاقتداء بعترته والطاعة لهم والنصرة والحراسة والاعتصام بهم في الدين ويزجرهم عن الاختلاف والارتداد وكان فيما ذكره من ذلك ما جاءت به الرواية على اتفاق واجتماع من قوله: «**يا أيها الناس إني فرطكم وأنتم واردون علي الحوض ألا وأني سائلكم عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما**

فإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يلقياني وسألت ربي ذلك فأعطانيه ألا وأني قد تركتهما فيكم كتاب الله وعترتي أهل بيتي ولا تسبقوهم فتفرقوا ولا تقصروا عنهم فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم أيها الناس لا ألفينكم بعدي ترجعون كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض فتلقوني في كتيبة كمجر السيل الجرار ألا وإن علي بن أبي طالب أخي ووصيي يقاتل بعدي على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله»، وكان يقوم مجلساً بعد مجلس بمثل هذا الكلام ونحوه «اهـ».

سر الاهتمام بتنفيذ جيش أسامة

قال المفيد: ثم إنه عقد لأسامة بن حارثة الأمرة وأمره وندبه أن يخرج بجمهور الأمة إلى حيث أصيب أبوه من بلاد الروم واجتمع رأيه على إخراج جماعة من مقدمي المهاجرين والأنصار في معسكره حتى لا يبقى في المدينة عند وفاته من يخلف في الرياسة ويطمع في التقدم على الناس بالإمارة ويستتب الأمر لمن استخلفه من بعده ولا ينازعه في حقه منازع فعقد له الأمرة وجد في إخراجهم وأمر أسامة بالبروز عن المدينة بعسكره إلى الجرف وحث الناس على الخروج إليه والمسير معه وحذرهم من التلوم والابطاء فبينا هو في ذلك إذ عرضت له الشكاة التي توفي فيها «اهـ».

وإذا أنعمنا النظر في مجاري هذه الحوادث وتأملناها بإنصاف مجرد عن شوائب العقائد أمكننا أن نقول إن النبي ﷺ مع ما تحققه من دنو أجله وأومأ إليه بما أعلنه للملأ في خطبته التي خطبها في حجة الوداع بقوله فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا وقوله في بعض خطبه قد حان مني خفوق من بين أظهركم وتأكيده الوصاية بالثقلين وقوله قد كان جبرئيل يعرض علي القرآن في كل سنة مرة وقد عرضه علي العام مرتين ولا أراه إلا لحضور أجلي، واعتكافه في ذلك العام عشرين يوماً وقد كان يعتكف عشرة أيام كما رواه ابن سعد في الطبقات وغير ذلك من التصريح والتلويح بأنه عالم بدنو أجله ومع عروض

المرض له واشتداده عليه وهو مع ذلك كله يجتهد في تجهيز جيش أسامة ويحث عليه ويكرر الحث مراراً أنفذوا بعث أسامة ويخرج مرة بعد مرة وهو مريض عاصب رأسه ويخطبهم ويقول أنفذوا بعث أسامة يكررها كل مرة ثلاث مرات وقد عقد لأسامة لواءه بعد عروض المرض له فقد عرفت عن ابن سعد أنه بديء المرض يوم الأربعاء وعقد لأسامة يوم الخميس ولا يبقى أحد من وجوه المهاجرين والأنصار إلا وينتدب للخروج تحت أمرة أسامة وهو غلام لا يشغله ما هو فيه من شدة المرض وتحقق دنو الأجل عن الاشتداد في تجهيز جيش أسامة وقد كان مقتضى ظاهر الحال وسداد الرأي أن لا يبعث جيشاً فيه أكابر الصحابة وجمهور المسلمين في مثل تلك الحال التي يتخوف على نفسه فيها الموت لأن تدارك ما يخاف وقوعه عند وفاته وأحكام أمر الخلافة في حياته أهم من تسيير جيش لغزو الروم بل لا يجوز في مثل تلك الحال إرسال الجيوش من المدينة ويلزم تعزيز القوة فيها استعداداً لما يخاف طروءه من الفتن بوفاته التي أشار إليها بقوله أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، لا سيما أنه قد بلغه ارتداد جماعة من العرب في عدة أماكن وادعاء بعضهم النبوة لما بلغهم مرضه كما نص عليه الطبري في تاريخه مع تأييده بالوحي وامتيازه عن سائر الخلق بجودة الرأي.

وعدم تمام ما حث عليه من تجهيز جيش أسامة وبقاء أسامة معسكراً بالجرف إلى ما بعد وفاته كل ذلك يدلنا على أن تجهيز هذا الجيش لم يكن من الأمور العادية يقصد به الغزو والفتح بل قصد به ما أشار إليه المفيد في كلامه السابق وأنه كان لأمر أهم مما يتراءى خوف وقوعه بل لو قطعنا النظر عن ذلك كله لوجدنا أن ظاهر الأمر يقتضي أن يشتغل في مثل تلك الحال بنفسه وبما عراه من المرض الشديد لا بتسيير الجيوش لغزو ليس فيه ما يقتضي الفور والعجلة مثل مهاجمة عدو أو طروء حادث لا يحسن التأخر عنه.

ويدلنا على ذلك أيضاً أخباره عن فتن تقع بعده وتهويله في ذلك، روى ابن سعد في الطبقات بسنده عن أبي مويهبة مولى رسول الله أن رسول الله ﷺ قال من جوف الليل: **«إني قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع فانطلق معي»**

فخرجت معه حتى جاء البقيع فاستغفر لأهله طويلاً ثم قال: «**ليهنئكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضاً يتبع آخرها أولها الآخرة شر من الأولى**». وروى الطبري في تاريخه بسنده عن أبي مويهبة مولى رسول الله ﷺ قال بعثني رسول الله ﷺ من جوف الليل فقال لي يا أبا مويهبة إني قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع فانطلق معي فانطلقت معه فلما وقف بين أظهرهم قال: «**السلام عليكم أهل المقابر ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها الآخرة شر من الأولى**» (الحديث) فما هي هذه الفتن يا ترى التي هول بها وعظم أمرها ووصفها بأنها كقطع الليل المظلم وأنها متتابعة بلا انقطاع لا تنتقل إلى خير بل إلى ما هو شر من الأول وكيف تجتمع هذه الرواية مع ما يروونه عنه: خير القرون قرني ثم الذي يليه. وقال المفيد: لما أحس بالمرض أخذ بيد علي واتبعه جماعة وتوجه إلى البقيع فقال: «**إني قد أمرت بالاستغفار لأهل البقيع**» فانطلقوا معه حتى وقف بين أظهرهم وقال: «**السلام عليكم أهل القبور ليهنئكم ما أصبحتم فيه مما أصبح فيه الناس أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرها**» ثم استغفر لأهل البقيع طويلاً وأقبل على علي فقال له: «**إن جبرئيل كان يعرض علي القرآن في كل سنة مرة وقد عرضه علي العام مرتين ولا أراه إلا لحضور أجلي**»، ثم عاد إلى منزله فمكث ثلاثة أيام موعوكاً ثم خرج إلى المسجد معصوب الرأس معتمداً على أمير المؤمنين بيده اليمنى وعلى الفضل بن العباس باليد الأخرى حتى صعد المنبر فخطب ثم نزل فصلى بالناس صلاة خفيفة ثم دخل بيته وكان إذ ذاك بيت أم سلمة «اهـ» (وفي رواية الحاكم والطبري أنه كان بيت ميمونة).

طلب عائشة نقله إلى بيتها والسر فيه

قال المفيد: فجاءت عائشة إلى أم سلمة تسألها أن تنقله إلى بيتها لتتولى تعليله وسألت أزواجه في ذلك فأذنّ لها فانتقل إلى البيت الذي أسكنه عائشة «اهـ».

ولا يمكننا أن نعتقد أن ذلك كان أمراً عادياً يقصد منه أن تتولى تعليله بل يمكن لذي التأمل الصادق الاعتقاد بأنه كان شيئاً وراء ذلك هو إلى السياسة وتنفيذ خطط مرسومة ابتدأت من يوم بعث جيش أسامة واستغلال الموقف أقرب منه إلى مجرد تولي تعليله وهل كانت أم سلمة أو ميمونة تقصر في تولي تعليله وماذا يحتاج تعليله وهو ليس في مرض يفتقر إلى كثير مزاولة كالفالج وشبهه إنما هو حمى وصداع وشبه ذلك ولو كان الداعي إلى ذلك الشفقة لأمكن الحضور إلى بيت أم سلمة وهو لا يبعد عن بيتها إلا خطوات وكان له يومئذ تسع نساء وبيوتهن متقاربة كأنهن في دار واحدة فيمكنهن التناوب في تعليله في بيت أي كان وبيت فاطمة مجاور لبيوتهن وكيف يمكن أن تتركه فاطمة في ليل أو نهار، وتدل الأخبار الكثيرة على أن علياً والفضل بن العباس كانا دائماً عنده إلا لضرورة فالتأمل في ذلك وفي مجرى الحوادث يرشدنا إلى أن الأمر لم يكن أمراً عادياً صرفاً ولولا نقله إلى بيتها لما دفن فيه ولما دفن الشيخان إلى جانبه ولما منع ابنه الحسن من الدفن عنده.

خروجه للصلاة بالناس وهو في أشد المرض

قال المفيد: وثقل فجاء بلال عند صلاة الصبح فنادى الصلاة فأوذن رسول الله ﷺ لندائه فقال يصلي بالناس بعضهم فإني مشغول بنفسي، فقالت عائشة مروا أبا بكر، وقالت حفصة مروا عمر، فقال رسول الله ﷺ حين سمع كلامهما ورأى حرص كل واحدة منها على التنويه بأبيها وافتتانهما بذلك ورسول الله حي فقال أكففن فإنكن صويحبات يوسف ثم قام مبادراً لإزالة الشبهة وأنه لا يستقل على الأرض من الضعف فأخذ بيد علي بن أبي طالب والفضل بن العباس فاعتمد عليهما ورجلاه تخطان الأرض من الضعف فوجد أبا بكر قد سبق إلى المحراب فأومأ إليه بيده أن تأخر عنه فتأخر وقام ﷺ مقامه فكبر وابتدأ الصلاة التي كان قد ابتدأ بها أبو بكر ولم يبن على ما مضى من فعاله «اهـ» وروى ابن هشام في سيرته أنه حين دعاه بلال إلى الصلاة قال مروا من يصلي

بالناس فقال عبد الله بن زمعة لعمر صل بالناس وكان أبو بكر غائباً فلما كبر عمر سمع رسول الله ﷺ صوته فأرسل إلى أبي بكر فجاء بعد أن أتم عمر الصلاة فصلى بالناس. وروى الطبري ونحوه ابن سعد عن عائشة أنه قال مروا أبا بكر أن يصلي بالناس فقالت عائشة إنه رجل رقيق فأعاد فأعادت فغضب وقال إنكن صواحب يوسف فخرج يهادي بين رجلين وقدماه تخطان في الأرض فلما دنا من أبي بكر تأخر فأشار إليه أن قم في مقامك فقعد إلى جنب أبي بكر قالت فكان أبو بكر يصلي بصلاة النبي والناس بصلاة أبي بكر «اهـ» وفي رواية أخرى للطبري أن رسول الله ﷺ قرأ من حيث انتهى أبو بكر.

ونحن إذا تأملنا في هذه الأخبار التي رواها ابن هشام وابن سعد والطبري ووجدنا اختلافها وتناقضها واشتمالها على ما لا يقبله العقل لم يمكنا الاعتماد على شيء منها فبعضها ينص على أنه لم يأمر أحداً بعينه أصلاً وبعضها على أنه لم يأمر بذلك أول الأمر ثم أمر به بعدما سمع تكبير عمر وأن الناس صلوا الصبح مرتين فإذا كان قال مروا من يصلي بالناس وأمر ابن زمعة عمر فصلى بهم فقد تم ما أمر به ونفذ فما الذي دعاه إلى الإرسال خلف أبي بكر وإعادة الصلاة خلفه وهي كانت خلف عمر صحيحة مطابقة لما أمر به فإن قالوا إنه قصد بذلك إظهار فضل أبي بكر وأنه أحق بالإمامة الكبرى قلنا فما باله خرج وقد حصل ما يريد بعد ابتداء أبي بكر بالصلاة وهو لا يستقل من الضعف ورجلاه تخطان الأرض وأوقع الشبهة بخروجه بأنه لم يرض بإمامة أبي بكر وبعضها يدل على أنه أمر أبا بكر من أول الأمر وخرج لما عارضته عائشة فصلى بأبي بكر وصلى أبو بكر بالناس وهو يناقض الرواية الناصة على أنه لم يأمر أحداً بعينه أول الأمر. ثم إذا كان قال مروا أبا بكر أن يصلي بالناس فهل يمكن أن لا تسر عائشة وتبتهج بذلك وهل يمكن أن تعارضه في ذلك وتقول إنه رجل رقيق. وإذا فرض أنها عارضته أولاً فهل يمكن أن تعارضه ثانياً حتى تغضبه فيجيبها بما أجابها وهي تعلم وجوب إطاعته فلم تكن لتخالفه فيما ليس لها فيه حظ فكيف بما لها فيه الحظ

الأوفر. وذكاء عائشة لا ينكر فلم تكن لتخاف على أبيها الرقة إذا صلى في المحراب وأم الناس فهو لم يكن غراً صغير السن بل كان شيخاً محنكاً يعلم أن قيامه في ذلك المقام موجب للسرور والغبطة، فما اشتملت عليه هذه الرواية لا تقبله عقول صغار الأطفال. وإذا فرض أنها خالفته وردت عليه مرتين حتى أغضبته فما الذي دعاه إلى أن يخرج وهو في أشد المرض لا يستقل على الأرض ولا يقدر على نقل قدميه بل يخط بهما الأرض ولا على الحركة لولا اعتماده على الرجلين ويصلي جالساً بل كان يكفيه إرسال من يعتمد عليه إلى الناس فيأمرهم بذلك ويؤكد عليهم وقد اتفق الرواة على أنه خرج بتلك الكيفية. فما الذي أراده بخروجه؟ أهو تأييد أبي بكر؟ فقد أيده بالأمر بالصلاة خلفه وصلى الناس خلفه، ولو لم يخرج لكان أشد تأييداً له لأنه بخروجه وقعت الشبهة بأن خروجه لأنه لم يرض بتقدمه. وإئتمام أبي بكر به والناس بأبي بكر يوجب أن يكون أبو بكر إماماً ومأموماً في وقت واحد وهذا غير جائز في الشرع ولم يقع نظيره فيه ولم لم يتركه إماماً إلى آخر الصلاة ويرجع فيعلم الناس حينئذ أنه أقره على الإمامة ويرفع عن نفسه المشقة الشديدة ثم إن كان قرأ من حيث انتهى أبو بكر كانت قراءته ناقصة فتبطل الصلاة. كل ذلك يدلنا على أن ما اشتملت عليه هذه الروايات غير صحيح وأن الصواب ما ذكره المفيد.

طلب الدواة والكتف وقول بعضهم إنه يهجر

ثم قال المفيد: فلما سلم انصرف إلى منزله واستدعى أبا بكر وعمر وجماعة من حضر بالمسجد من المسلمين ثم قال ألم آمركم أن تنفذوا جيش أسامة؟ فقالوا بلى يا رسول الله، قال فلم تأخرتم عن أمري؟ قال أبو بكر: إني خرجت ثم رجعت لأجدد بك عهداً، وقال عمر يا رسول الله إني لم أخرج لأني لم أحب أن أسأل عنك الركب، فقال نفذوا جيش أسامة يكررها ثلاث مرات ثم أغمي عليه من التعب الذي لحقه والأسف فمكث هنيهة مغمى عليه وبكى المسلمون وارتفع النحيب من أزواجه وولده ونساء المسلمين وجميع من حضر

من المسلمين فأفاق ثم قال ائتوني بدواة وكتف لأكتب لكم كتاباً لا تضلوا[١] بعده أبداً ثم أغمي عليه فقام بعض من حضر يلتمس دواة وكتفاً فقال له عمر ارجع فإنه يهجر فرجع، وندم من حضر على ما كان منهم من التضييع في إحضار الدواة والكتف وتلاوموا بينهم وقالوا إنا لله وإنا إليه راجعون لقد أشفقنا من خلاف رسول الله ﷺ، فلما أفاق قال بعضهم نأتيك بدواة وكتف؟ فقال أبعد الذي قلتم ولكني أوصيكم بأهل بيتي خيراً وأعرض بوجهه عن القوم فنهضوا.

وقد روي في ذلك عدة روايات غير هذه الرواية (الأولى) ما رواه البخاري في صحيحه في باب قول المريض قوموا عني من كتاب المرضى والطب[٢] بسنده عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال لما حضر[٣] رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبي ﷺ: «**هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده**»[٤] فقال عمر إن النبي قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف أهل البيت فاختصموا منهم من يقول: قربوا يكتب لكم النبي كتاباً لن تضلوا بعده ومنهم من يقول: ما قال عمر فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي ﷺ قال رسول الله ﷺ: «**قوموا**» (وزاد بعضهم قوموا عني حكاه القسطلاني) قال عبيد الله: وكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم (الثانية) ما رواه محمد بن سعد كاتب الواقدي في الطبقات الكبير بسنده عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس مثله إلا أنه قال بدل حضر حضرته الوفاة وبدل لا تضلوا لن تضلوا وبدل فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي

---

(١) هكذا وجد لا تضلوا بحذف النون وسيأتي في روايات أخرى مثل ذلك وفي بعض الروايات الآتية بإثبات النون وهو الظاهر وحذفها على الجزم بجواب الطلب كما يأتي في نظيره عن إرشاد الساري.

(٢) ج٤ ص٥ طبعة عام ١٣٠٤هـ بمصر.

(٣) بالبناء للمجهول أي حضره الموت.

(٤) في إرشاد الساري حذفت نونه لأنه بدل من جواب الأمر وقد جوز بعضهم تعدد جواب الأمر من غير حرف العطف «اهـ».

فلما كثر اللغط والاختلاف وغموا رسول الله وبدل قوموا قوموا عني (الثالثة) ما رواه البخاري في صحيحه في باب مرض النبي ﷺ[1] بسنده عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فقال النبي ﷺ: **«هلموا أكتب لكم كتاباً لا تضلوا[2] بعده»** فقال بعضهم إن رسول الله قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده ومنهم من يقول غير ذلك فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله ﷺ: قوموا قال عبيد الله: فكان يقول ابن عباس أن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم. قال القسطلاني في إرشاد الساري بعد قوله فقال بعضهم: هو عمر بن الخطاب (الرابعة) ما رواه ابن سعد في الطبقات الكبير بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اشتكى النبي ﷺ يوم الخميس فجعل (يعني ابن عباس) يبكي ويقول: يوم الخميس وما يوم الخميس اشتد بالنبي وجعه فقال: **«ائتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا[3] بعده أبداً»** فقال بعض من كان عنده إن نبي الله ليهجر فقيل ألا نأتيك بما طلبت فقال: أو بعد ماذا فلم يدع به (الخامسة) ما رواه ابن سعد أيضاً بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال لما كان في مرض رسول الله ﷺ الذي توفي فيه دعا بصحيفة ليكتب فيها لأمته كتاباً لا يضلون ولا يُضَلون فكان في البيت لغط وكلام وتكلم عمر بن الخطاب فرفضه النبي ﷺ. (السادسة) ما رواه أيضاً بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان يقول: يوم الخميس وما يوم الخميس قال: وكأني أنظر إلى دموع ابن عباس على خده كأنها نظام اللؤلؤ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ائتوني بالكتف والدواة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا[4]**

---

(١) ج٣ ص٦٥ طبع عام ١٣٠٤هـ بمصر.

(٢) مر مثله في رواية البخاري قريباً.

(٣) مر مثله فراجع.

(٤) مر مثله فراجع.

بعده أبداً» فقالوا إنما يهجر رسول الله ﷺ (السابعة) ما رواه الطبري في تاريخه بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: يوم الخميس وما يوم الخميس ثم نظرت إلى دموعه تسيل على خديه كأنها نظام اللؤلؤ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«ائتوني باللوح والدواة أو بالكتف والدواة أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده»** فقالوا إن رسول الله يهجر (الثامنة) ما رواه ابن سعد في الطبقات بسنده عن عمر بن الخطاب: كنا عند النبي ﷺ وبيننا وبين النساء حجاب فقال رسول الله ﷺ: **«أغسلوني بسبع قرب وائتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً»** فقالت النسوة ائتوا رسول الله بحاجته فقلت اسكتن فإنكن صواحبه إذا مرض عصرتن أعينكن وإذا صح أخذتن بعنقه فقال رسول الله ﷺ: **«هن خير منكم»** (التاسعة) ما رواه ابن سعد أيضاً بسنده عن جابر: دعا النبي ﷺ عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتاباً لأمته لا يضلوا ولا يضلوا[1] فلغطوا عنده حتى رفضها النبي ﷺ. (العاشرة) ما رواه أيضاً بسنده عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه: **«ائتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبدا»** فقال عمر بن الخطاب: من لفلانة وفلانة مدائن الروم أن رسول الله ليس بميت حتى يفتحها ولو مات لانتظرناه كما انتظرت بنو إسرائيل موسى فقالت زينب زوج النبي ﷺ: ألا تسمعون النبي يعهد إليكم فلغطوا فقال: **«قوموا»** «الحديث».

وهذه الأحاديث والأحاديث الآتية معانيها أظهر من أن تبين ومضامينها أجلى من أن تفسر. ولكن الأهواء والميول الخاصة تأبى إلا أن تتمحل لها معاني لا تدل عليها وتحملها على محامل لا تؤول إليها.

قال القسطلاني في إرشاد الساري شرح صحيح البخاري[2] في شرح رواية البخاري الأولى: «أكتب لكم كتاباً» فيه استخلاف أبي بكر بعدي أوفيه مهمات

---

(١) هكذا بحذف النون ويمكن جعل لا ناهية أو حذفت النون على الحكاية.

(٢) ج٨ ص٣٤٠.

الأحكام (لا تضلوا بعده) ولا ترتابوا لحصول الاتفاق على المنصوص عليه «فقال عمر إن النبي قد غلب عليه الوجع» فلا تشقوا عليه بإملاء الكتاب المقتضي للتطويل مع شدة الوجع «وعندكم القرآن» فيه تبيان كل شيء «حسبنا كتاب الله» المنزل فيه ما فرطنا في الكتاب من شيء واليوم أكملت لكم دينكم فلا تقع واقعة إلى يوم القيامة إلا وفي القرآن والسنة بيانها نصاً أو دلالة وهذا من دقيق نظر عمر فانظر كيف اقتصر على ما سبق بيانه تخفيفاً عليه ﷺ ولئلا ينسد باب الاجتهاد والاستنباط وفي تركه ﷺ الإنكار على عمر دليل على استصواب رأيه (فاختلف أهل البيت فاختصموا منهم من يقول قربوا يكتب لكم ومنهم من يقول ما قال عمر) وكأنهم فهموا من قرينة قامت عندهم أن أمره لم يكن للوجوب فلذا اختلفوا بحسب اجتهادهم «اهـ».

وهذه المحامل والتحملات وإن كانت واضحة البطلان إلا أننا نشير إلى وجوه بطلانها:

أولاً: إن حصر ما في الكتاب الذي أراد أن يكتبه لهم فيما ذكره تخرص على الغيب وظاهر الحال أنه كان يريد أن يؤكد ما تقدم به يوم الغدير وكان ذلك هو السبب في الحيلولة دون الكتاب ولو كان ما ذكره لسارع إليه من حال دون الكتاب فإنه لا شيء أحب إليه منه والاعتذار بإرادة التخفيف ستعرف فساده.

ثانياً: المراد كتبه سواء أكان فيه استخلاف أبي بكر أم غيره فالحيلولة بين النبي وبينه أوجبت اختلاف الأمة وصيرورتها بعد النبي ﷺ أحزاباً ثلاثة أو خمسة وهي مفسدة كبيرة.

ثالثاً: تفسيره لا تضلوا بلا ترتابوا تفسير بما لا يدل عليه اللفظ وتقول على حديث الرسول ﷺ فالضلالة ضد الرشاد كما حكاه هو عن الجوهري فكانت الحيلولة دون الكتاب فيها إيقاع لهم في الضلالة.

رابعاً: حمله قد غلب عليه الوجع على أن المراد لا تشقوا عليه بإملاء الكتاب المقتضي للتطويل غير صواب بل أن الظاهر أن المراد به ما في الروايات

الأخرى من أنه يهجر كما تضمنته روايات ابن سعد والطبري عن ابن جبير عن ابن عباس المتقدمة وما تضمنته الروايات الآتية.

خامساً: إذا كان مضمون الكتاب غير معلوم فمن أين علم أنه يقتضي التطويل ولعله يتضمن أمراً واحداً مهماً لا يحتاج إلى أكثر من كلمات معدودة.

سادساً: تحمل المشقة ـ إن كانت ـ أولى من الوقوع في الضلالة التي أشير إليها بقوله لا تضلوا بعده.

سابعاً: إن كان أشفق عليه من مشقة إملاء الكتاب فقد أوقعه في مشقة أعظم كانت متوقعة وهي حصول النزاع والخصام والإكثار من اللغو واللغط والاختلاف حتى آذوا رسول الله ﷺ وغموه كما تضمنته رواية الطبقات وحتى احتاج إلى أن يطردهم من عنده ويقول لهم متبرماً بهم: قوموا عني مع ما وصفه الله تعالى به من أنه على خلق عظيم. ولو كان القصد الإشفاق لمنعهم من النزاع واللغط بحضرة النبي ﷺ فإنه لا ينبغي النزاع بحضرته في حال صحته فكيف في حال مرضه ولكان عليه لما رأى من يخالفه في الرأي أن يمكنه من كتابة الكتاب لينقطع الخصام إشفاقاً على النبي ﷺ وظاهر الحال يقتضي أنه كان في البيت جماعة يوافقونه على المنع من كتابة الكتاب بل لعلهم كانوا أكثر ولهذا تغلبوا على من وافقوا على كتابته فهل كان تمكينه من كتابة الكتاب أكثر مشقة عليه من اللغو واللغط والنزاع والخصام ورفع الأصوات الذي غمه وأكربه وأوجب تبرمه بهم وطردهم من عنده. فظهر أن التعليل بالإشفاق غير صحيح.

ثامناً: كون القرآن مغنياً لأن فيه تبيان كل شيء وأنزل فيه ما فرطنا في الكتاب من شيء غير صواب فإن ذلك يراد به والله العالم أن فيه أصول الأحكام وإجمالها، والتفاصيل تعرف من السنة كما هو واضح وكما أشار إليه بقوله: إلا وفي القرآن والسنة بيانها.

تاسعاً: هل كان النبي يجهل ما يشتمل عليه القرآن حتى يرشده إليه من حال دون الكتاب وهل كان أعلم بذلك من النبي.

عاشراً: الناس اختلفوا في أمر الخلافة بعد النبي ﷺ، فجملة من المهاجرين قدموا أبا بكر وقال بعض الأنصار: منا أمير ومنكم أمير وقالت الأنصار أو بعض الأنصار: لا نريد إلا علياً رواه الطبري ومعهم جميع بني هاشم فهل حكم بينهم القرآن الذي فيه تبيان كل شيء، فجعل ذلك من دقيق نظر من حال دون الكتاب لم يستند إلى نظر دقيق.

حادي عشر: قوله: ولئلا ينسد باب الاجتهاد والاستنباط طريف جداً ففتح باب للاجتهاد يوقع في الخطأ والضلال وفي غير ما حكم به الله تعالى مع إمكان سده وإيصال الخلق إلى أحكام الله الواقعية يعد سفهاً ومنافياً لحكمته تعالى والاجتهاد لا يصار إليه إلا عند الاضطرار.

ثاني عشر: قوله في تركه الإنكار عليه دليل على استصواب رأيه، طريف أيضاً، فأي إنكار أكثر من قوله أو بعد ماذا؟ كما مر في رواية ابن سعد عن ابن جبير عن ابن عباس وقوله: أبعد الذي قلتم كما مر في رواية المفيد، وقوله: هن خير منكم بعدما قلن: ائتوا رسول الله بحاجته وقال لهن عمر ما قال فإنه يدل على تصويب رأيهن دون رأيه.

ثالث عشر: قوله وكأنهم فهموا من قرينة أن أمره لم يكن للوجوب فلذا اختلفوا بحسب اجتهادهم، تأويل غريب، فالقرينة لو كانت لنقلت لتوفر الحاجة، ولو كانت لما اختلفوا والاجتهاد لا يكون في مقابل النص بل القرينة على أنه للوجوب أظهر من أن تخفى وأي قرينة أوضح وأصرح وأدل وأظهر من قوله: لن تضلوا بعده. وكيف يتوهم متوهم أن هذا الأمر ليس للوجوب وهو أمر من سيد الكائنات ورسول رب السماوات الرؤوف الرحيم بالمؤمنين في آخر ساعة من حياته لأمة يخاف عليها الضلال من بعده فيريد أن يكتب لها كتاباً لا تضل بعده أبداً. فأي شيء أوجب وأهم من كتاب يحفظ الأمة من الضلال بعد النبي ﷺ أبداً إلى آخر الدهر وهل يسوغ في العقول أن يترك هذا الأمر ولكن الواقع أن القرينة الصريحة كانت موجودة على أنه يريد أن يؤكد ما سبق منه في

يوم الغدير وأنهم فهموا منه أن الكتاب يتعلق بالخلافة والإمامة بعده لأنه لا شيء أهم منها في تلك الحال وقد فهموا منه مما تقدم به يوم الغدير ويوم جمع بني هاشم في مكة في أول البعثة ومن أمور كثيرة وعلموا علماً لا يداخله ريب أنه لن يعدو بها علياً فهذا الذي دعا إلى أن يقول بعضهم غلب عليه المرض أو يهجر حسبنا كتاب ربنا وهل يمكن أن يخالف كتاب رسول الله كتاب ربهم.

رابع عشر: يرد كل هذه التمحلات ويبطلها إبطالاً صريحاً ما مر ويأتي عن ابن عباس من أنه كان يبكي بكاء شديداً إذا ذكر تلك الحادثة حتى تسيل دموعه على خديه كأنها نظام اللؤلؤ ويتألم تألماً شديداً كما يدل عليه قوله يوم الخميس وما يوم الخميس، وقوله: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب الخ. ولا شك أن ابن عباس فهم أن الكتاب لتأكيد ما جرى يوم الغدير فلذلك كان يبكي بكاء شديداً عندما يتذكر الحيلولة دون الكتاب ولو كان غير ذلك لما كان لبكائه موجب فالدين كامل ولم يفرط في القرآن من شيء والخليفة موجود فلماذا يبكي ابن عباس ويشتد بكاؤه، وتمحل القسطلاني للاعتذار عما صدر من ابن عباس بما يأتي في شرح الرواية الثالثة وسنبين فساده.

وقال القسطلاني(1) في شرح الرواية الثالثة: واستنبط منه أن الكتابة ليست بواجبة وأنه لم يتركها ﷺ لأجل اختلافهم لقوله تعالى: بلغ ما أنزل إليك، كما لم يترك التبليغ لمخالفة من خالفه ومعاداة من عاداه وكما أمر في تلك الحالة بإخراج اليهود من جزيرة العرب وغير ذلك. قال: ولا يعارض ذلك أن ابن عباس كان يقول: إن الرزية كل الرزية الخ لأن عمر كان أفقه من ابن عباس قطعاً وذلك لأنه إن كان من الكتاب بيان أحكام الدين ورفع الخلاف فقد علم عمر حصول ذلك من قوله: اليوم أكملت لكم دينكم وذكر نحواً مما مر عنه في شرح الرواية الأولى.

ونقول: **أولاً**: استنباط أن الكتابة ليست بواجبة من ترك النبي لها لأجل

---

(1) ج٦ ص٤٥٣.

اختلافهم، في غير محله، بل الظاهر أن تركها لما ظهر له من عدم جدواها بدليل قوله في الرواية الرابعة: أو بعد ماذا؟ وفي رواية المفيد أبعد الذي قلتم، كما مر، فاكتفى بالتبليغ الشفوي للأمر الذي ترك عمداً أو قيل عنه أنه نسي فإن الواجب التبليغ كتابة أو باللسان والأول أبلغ فلما منع منه اكتفى بالثاني وكيف كان فليس بيدنا ما يوجب القطع بأنه لم يبلغ لساناً.

ثانياً: التبليغ كان قد حصل منه يوم الغدير وغيره كما مر وظاهر الحال أن الكتابة كان يراد بها تأكيد ما سبق منه يوم الغدير وغيره وتأكيد إقامة الحجة فلما سمع منهم نسبته إلى الهجر وإلى غلبة المرض عليه ورأى لغطهم وصياحهم وخصامهم عنده الذي يراد به تشويش الأمر عليه ليمتنع من الكتاب أعرض عنهم وطردهم من عنده وتبرم بهم وقال: قوموا عني واكتفى بالتبليغ السابق وبقوله: أوصيكم بأهل بيتي خيراً وبالشيء الذي زعم الزاعم أنه نسي.

ثالثاً: قد عرفت في الأمر الثاني عشر في الرد على تفسيره الرواية الأولى أن حمل الأمر على الاستحباب فاسد وأنه لا يمكن أن يكون شيء أوجب من كتابة ما يحفظ الأمة من الضلال إلى آخر الدهر.

رابعاً: الكتابة إن لم تكن واجبة فلا أقل من رجحانها واستحبابها كما يدل عليه الأمر بها، والتبليغ كما يجب في الواجبات يجب في المستحبات وليس لأحد أن يمنع منه في واجب أو مستحب لقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ والاعتذار عنه بإرادة رفع المشقة عن النبي ﷺ قد علم فساده مما مر ومن تبليغه الأمور الثلاثة التي نسوا أو تناسوا ثالثها.

خامساً: استدلاله على كون عمر أفقه من ابن عباس بمنعه النبي من الكتابة إشفاقاً عليه من المشقة ينافيه أن النبي كان أفقه منهما قطعاً وأعلم بالمصلحة فمنعه من أمر راجح يريد فعله ليس فيه شيء من الأفقهية وإلا لكان أفقه من النبي أيضاً.

سادساً: ابن عباس كان يقول أو يقال عنه إن عنده ثلثي علم رسول الله ﷺ وهو تلميذ علي بن أبي طالب وخريجه الذي كان يقول فيه عمر: قضية ولا أبو الحسن لها، لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن، لولا علي لهلك عمر، فدعوى القطع بأن عمر أفقه من ابن عباس مجازفة.

وقول زينب أم المؤمنين في الرواية العاشرة ألا تسمعون النبي يعهد إليكم، توبيخ لهم وتقريع على عدم سماعهم عهد النبي إليهم وهو في آخر حياته الذي يدل على أنه عهد في شيء عظيم. وما تضمنته الرواية العاشرة من قول عمر ولو مات لانتظرناه كما انتظرت بنو إسرائيل موسى هو قول بالرجعة.

الوصايا الثلاث التي نسيت إحداها

الحادية عشرة: من الروايات الواردة في طلب الدواة والكتف ما رواه البخاري في صحيحه في باب مرض النبي ﷺ[1] قال: حدثنا قتيبة (بن سعيد) حدثنا سفيان (بن عيينة) عن سليمان الأحول عن سعيد بن جبير قال: قال ابن عباس يوم الخميس وما يوم الخميس اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال: «**ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً**» فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: ما شأنه أهجر؟ استفهموه فذهبوا يردون عليه فقال: «**دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه**» وأوصاهم بثلاث قال: «**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم**» وسكت عن الثالثة أو قال فنسيتها.

الثانية عشرة: ما رواه الطبري في تاريخه بسنده عن سعيد بن جبير غن ابن عباس مثله إلا أنه قال: «**لا تضلوا بعدي أبداً**» وقال: «**ولا ينبغي عند نبي أن يتنازع**» وقال: فذهبوا يعيدون عليه، وقال: وسكت عن الثالثة عمداً أو قال: فنسيها ورواه الطبري بطريق آخر مثله غير أنه قال: «**ولا ينبغي عند نبي أن ينازع**».

---

(١) ج٣ ص٦٥ طبعة عام ١٣٠٤ بمصر.

الثالثة عشرة: ما رواه ابن سعد في الطبقات بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله إلا أنه قال: «**ائتوني بدواة وصحيفة**» وقال: فذهبوا يعيدون عليه وقال: فسكت عن الثالثة فلا أدري قالها فنسيتها أو سكت عنها عمداً «اهـ».

قال القسطلاني في إرشاد الساري[1] في شرح الرواية الحادية عشرة «فتنازعوا» فقال بعضهم: نكتب لما فيه من امتثال الأمر وزيادة الإيضاح وقال عمر حسبنا كتاب الله فالأمر ليس للوجوب بل للإرشاد إلى الأصلح.

«وأقول»: أما أن الأمر ليس للوجوب فقد علم فساده مما مر في الأمر الثاني عشر في الرد على تفسيره الرواية الأولى وأنه لا يمكن أن يكون شيء أوجب من كتاب يحفظ الأمة من الضلال إلى آخر الدهر وهبه للإرشاد فهل هو إرشاد إلى شيء تافه لا يؤبه له أنّى والنبي ﷺ يصرح بأنه يحفظ الأمة من الضلال بعده إلى آخر الدهر قال: «**ولا ينبغي عند نبي تنازع**»: قيل هذا مدرج من قول ابن عباس ويرده قوله عليه الصلاة والسلام في كتاب العلم في باب كتابة العلم ولا ينبغي عندي التنازع «اهـ».

«وأقول» إذا قال النبي في موضع لا ينبغي عندي التنازع لا يمنع أن يقول مثله ابن عباس في موضع آخر ويمكن أن يكون سمع مضمونه منه فقاله: وكيف كان فهو يدل على أنهم أخطأوا وأساؤوا الأدب بتنازعهم عنده. قال: «فقالوا ما شأنه؟ أهجر» الهجر بالضم الهذيان الذي يقع من كلام المريض الذي لا ينتظم وإنما قال ذلك من قاله منكراً على من توقف في امتثال أمره بإحضار الكتف والدواة فكأنه قال: كيف نتوقف أتظن أنه كغيره يقول الهذيان في مرضه؟ إمتثل أمره فإنه لا يقول إلا الحق «استفهموه» بصيغة الأمر «فذهبوا يردون عليه» أي يعيدون عليه مقالته ويستثبتونه فيها «اهـ».

(وأقول): هذا التأويل الذي ذكره من حمل قولهم: أهجر؟ على الاستنكار مع بعده عن سوق الكلام يرده صريحاً ما في الروايات الأخرى

---

(١) ج١ ص٤٥١.

المتقدمة ففي الرواية الرابعة: أن نبي الله ليهجر وفي السادسة إنما يهجر رسول الله وفي السابعة فقالوا: إن رسول الله يهجر فهذه كلها صريحة في أنهم أسندوا الهجر إليه فكذلك في هذه الرواية لأن الروايات يفسر بعضها بعضاً وكذلك قول بعضهم قد غلب عليه الوجع أو عليه الوجع لا يراد به إلا الهجر كما مر، وكذلك قولهم استفهموه وقوله: فذهبوا يردون عليه دال على أن قولهم: أهجر كان للاستفهام المحض لا للإنكار على من توقف في امتثال أمره فبعد ما قالوا: استفهموه لتعلموا هل كان كلامه هجر أو عن روية وإدراك قال: «فقال دعوني فالذي أنا فيه» من المشاهدة والتأهب للقاء الله عز وجل «خير مما تدعوني إليه» من شأن كتابة الكتاب «اهـ».

(وأقول) قوله: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني معناه والله العالم إنه خير مما تدعوني إليه من الاستفهام عن أن قولي هجر أو حقيقة فإن محاورتي في ذلك لا تفيد شيئاً بعد أن قلتم ما قلتم ولا فائدة في كتابة الكتاب ولكنني أوصيكم مشافهة بثلاث: حفظ منهن اثنتين ونسيت الثالثة ولعلها أهمهن والله أعلم لم نسيت أو تنوسيت. أما ما فسر به القسطلاني من أن ما أنا فيه خير مما تدعوني إليه من شأن كتابة الكتاب فلا يكاد يصح فإنه لو صح لكان يعلم من أول الأمر أن ما هو فيه خير من شأن كتابة الكتاب فلماذا دعا بالدواة والكتف ليكتبه لهم وترك ما هو أقل خيراً منه، هذا ما لا يفعله حكيم وقال: (وسكت عن الثالثة أو قال فنسيتها) قيل: الساكت هو ابن عباس والناسي سعيد بن جبير، لكن في مستخرج أبي نعيم قال سفيان: قال سليمان (بن أبي مسلم): لا أدري أذكر سعيد بن جبير الثالثة فنسيتها أو سكت عنها فهو الراجع «اهـ» (أقول) لا ينبغي التأمل في أن المسند إليه السكوت أو النسيان هو ابن عباس لأن جميع ما يذكر في الرواية يسند إلى آخر رجل يذكر في السند وحينئذ فالمراد ابن عباس لأن ابن عباس سكت عن الثالثة أو أنه قال: نسيتها فابن جبير متردد في أن ابن عباس ترك الثالثة فلم يذكرها أو أنه قال: نسيتها ويوضح ذلك ما في رواية الطبري وسكت عن الثالثة عمداً أو قال: فنسيتها فإنه ظاهر في أن ابن جبير شاك في أن ابن عباس

ترك الثالثة عن عمد أو قال: فنسيتها فيكون تركها لنسيانه إياها وحينئذ فيغلب على الظن أن الصواب في رواية الطبقات فلا أدري قال: فنسيتها أو سكت عنها عمداً وإبدال قال بقالها من النساخ وما في مستخرج أبي نعيم لعله اجتهاده وكيف كان فسكوت ابن عباس عن الثالثة عمداً يستلفت النظر. وكيف يسكت ابن عباس عمداً عن وصية أوصى بها النبي ﷺ في آخر ساعة من حياته ويكتمها وهو يعلم ما في كتمان العلم من إثم وعقاب؟ هذا ما لا يذعن به عاقل فلا بد أن يكون تركه لها عمداً لعذر معقول وليس إلا الخوف فإن ما عداه لا يصلح عذراً فإذا كان داعيه لتركها الخوف فلا بد أن تكون تأكيداً لما جرى يوم الغدير فإنه لا شيء يخاف منه غير ذلك وإن كان ابن عباس قال: إنه نسيها فمما لا يقبله العقل أيضاً فابن عباس في حفظه الشهير وعلمه الغزير لم يكن لينسى وصية للنبي ﷺ في آخر ساعة من حياته هي بضع كلمات ولا ليتهاون بها ومن يحفظ ثمانين بيتاً في الغزل لابن أبي ربيعة ثم يعيدها طرداً وعكساً ويقول عن نفسه: ما سمعت شيئاً قط فنسيته وإني لأسمع صوت النائحة فأسد أذني كراهة أن أحفظ ما تقول لا يمكن أن ينسى مثل هذه الوصية وهي كلمات معدودة[1] كما لا يمكن أن يترك نقلها عمداً فيشبه أن يكون تناساها أو تناساها الرواة خوفاً من نقل ما اشتملت

---

(١) في حاشية الأمير على المغني لابن هشام: في السيوطي عن كامل المبرد وأغاني أبي الفرج الأصبهاني: دخل ابن أبي ربيعة وهو غلام على ابن عباس وعنده نافع بن الأزرق فقال له ابن عباس: ألا تنشدنا شعراً من شعرك يا ابن أخي فأنشده:

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر ... غداة غد أم رائح فمهجر

حتى أتمها وهي ثمانون بيتاً. فقال له ابن الأزرق: لله أنت ابن عباس أنضرب إليك أكباد الإبل نسألك عن الدين ويأتيك غلام من قريش ينشدك سفهاً فتسمعه، فقال: تالله ما سمعت سفهاً. فقال أما أنشدك:

رأت رجلاً أيما إذا الشمس عارضت ... فيخزى وأما بالعشي فيخسر

فقال: ما هكذ قال، إنما قال: (فيضحى وأما بالعشي فيخصر) قال: أو تحفظ الذي قال؟ فقال: والله ما سمعتها إلا ساعتي هذه ثم أنشدها من أولها إلى آخرها ومن آخرها إلى أولها فقيل له: ما رأينا أروى منك. فقال: ما سمعت شيئاً قط فنسيته وإني لأسمع صوت النائحة فأسد أذني كراهة أن أحفظ ما تقول.

عليه ولو سلمنا أن الساكت ابن عباس والناسي ابن جبير أو أن الساكت ابن جبير والناسي سليمان فليس ذلك مما ينساه ابن جبير أو يتهاون به ولا سليمان ويظهر الوجه في تناسيه المعبر عنه بالنسيان أو السكوت عنه مما مر.

إيصاؤه إلى علي (ع) ودفعه موجوداته إليه

قال المفيد في تتمة كلامه السابق: فنهضوا وبقي عنده العباس وعلي بن أبي طالب وأهل بيته خاصة فقال له العباس: يا رسول الله إن يكن هذا الأمر فينا مستقراً من بعدك فبشرنا وإن كنت تعلم أنا نغلب عليه فأوص بنا فقال: «**أنتم المستضعفون من بعدي**» وأصمت فنهض القوم وهم يبكون قد يئسوا من النبي ﷺ فلما خرجوا من عنده قال: «**ردوا علي أخي علي بن أبي طالب وعمي**» فأنفذوا من دعاهما فحضرا فقال: يا عم رسول الله تقبل وصيتي وتنجز عدتي وتقضي ديني قال العباس: يا رسول الله عمك شيخ كبير ذو عيال كثيرة وأنت تباري الريح سخاء وكرماً وعليك وعد لا ينهض به عمك فأقبل على علي بن أبي طالب فقال: «**يا أخي تقبل وصيتي وتنجز عدتي وتقضي ديني وتقوم بأمر أهلي من بعدي**» فقال: نعم يا رسول الله فقال: «**ادن مني**» فدنا منه فضمه إليه ثم نزع خاتمه من يده فقال: «**خذ هذا فضعه في يدك**» ودعا بسيفه ودرعه وجميع لامته فدفع إليه ذلك والتمس عصابة كان يشدها على بطنه إذا لبس سلاحه وخرج إلى الحرب فجيء بها إليه فدفعها إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال له: «**امض على اسم الله إلى منزلك**» فلما كان من الغد حجب الناس عنه وثقل في مرضه «اهـ».

أقرب الناس عهداً به علي

ما يروى من أنه توفي ورأسه في حجر عائشة فمع معارضته بغيره مما هو أصح وأكثر لا يمكن أن يصح في نفسه فإن مثل ذلك لم تجر عادة أن تتولاه النساء مع ما فيهن من الضعف والجزع ولا يمكن أن يغيب عنه علي في مثل تلك الحال ويوكله إلى النساء. والباعث على ذكر مثل ذلك معروف وروى ابن سعد

عدة روايات في أنه ﷺ توفي في حجر علي بن أبي طالب وآخرها ما رواه بسنده عن أبي غطفان عن ابن عباس قال: توفي رسول الله ﷺ وهو مستند إلى صدر علي قلت: فإن عروة حدثني عن عائشة أنها قالت توفي رسول الله بين سحري ونحري فقال ابن عباس: أتعقل والله لتوفي رسول الله ﷺ وأنه لمستند إلى صدر علي وهو الذي غسله وأخي الفضل وأبى أبي أن يحضر (الحديث). وروى الحاكم في المستدرك وصححه بسنده عن أحمد بن حنبل بسنده عن أم سلمة قالت: والذي أحلف به إن كان علي لأقرب الناس عهداً برسول الله ﷺ. عدنا رسول الله ﷺ غداة وهو يقول: جاء علي جاء علي مراراً فقالت فاطمة: كأنك بعثته في حاجة، فجاء بعد، قالت أم سلمة: فظننت أن له إليه حاجة فخرجنا من البيت فقعدنا عند الباب وكنت من أدناهم إلى الباب فأكب عليه رسول الله ﷺ وجعل يساره ويناجيه ثم قبض من يومه ذلك فكان علي أقرب الناس عهداً به «اهـ».

تغسيل علي (ع) النبي ﷺ وتحنيطه له وتكفينه

روى ابن سعد في الطبقات أنه غسل رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب والفضل بن العباس وأسامة بن زيد (وفي رواية) كان علي يغسله والفضل وأسامة يحجبانه. وفي رواية كان علي يغسله والفضل محتضنه وأسامة يختلف. وفي رواية غسله علي يدخل يده تحت القميص والفضل يمسك الثوب عليه وعلى يد علي خرقة إلى غير ذلك من الروايات التي أوردها ابن سعد. ويمكن الجمع بأن الذي تولى غسله وباشره علي وحده وكان الفضل وأسامة يساعدانه فتارة يحجبانه بأن يمسكا بطرفي ثوب ويحجبانه عن الناس وتارة كان الفضل يحتضنه وأسامة يختلف في نقل الماء وغيره وتارة كان الفضل وأسامة كلاهما يناولان علياً الماء.

أول من صلى عليه علي

قال المفيد: فلما فرغ علي من غسله وتجهيزه تقدم فصلى عليه وحده لم

يشركه معه أحد في الصلاة عليه وكان المسلمون في المسجد يخوضون فيمن يؤمهم في الصلاة عليه وأين يدفن. فخرج إليهم أمير المؤمنين (ع) وقال لهم: إن رسول الله إمامنا حياً وميتاً فيدخل عليه فوج بعد فوج منكم فيصلون عليه بغير إمام وينصرفون. قال ابن عبد البر في الاستيعاب صلى عليه علي والعباس وبنو هاشم ثم المهاجرون ثم الأنصار.

دفن علي له ومعه أربعة

قال المفيد: ودخل أمير المؤمنين والعباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس وأسامة بن زيد ليتولوا دفن رسول الله ﷺ فنادت الأنصار من وراء البيت: يا علي أنا نذكرك الله وحقنا اليوم من رسول الله أن يذهب أدخل منا رجلاً يكون لنا به حظ من مواراة رسول الله فقال: ليدخل أوس بن خولي وكان بدرياً فاضلاً من بني عوف من الخزرج فلما دخل قال علي: إنزل القبر فنزل ووضع أمير المؤمنين (ع) رسول الله ﷺ على يديه ودلاه في حفرته فلما حصل في الأرض قال له: اخرج فخرج ونزل علي القبر فكشف عن وجه رسول الله ﷺ ووضع خده على الأرض موجهاً إلى القبلة على يمينه ثم وضع عليه اللبن وأهال عليه التراب[١] وربع قبره وجعل عليه لبناً ورفعه من الأرض قدر شبر «اهـ» وروى ابن سعد في الطبقات أنه رش على قبره الماء.

ما يتعلق به من خبر السقيفة

لما توفي النبي ﷺ كان علي وسائر بني هاشم ومعهم قليل من غيرهم مشغولين بجهاز النبي ﷺ ودفنه. قال المفيد: ولم يحضر دفنه أكثر الناس لما جرى بين المهاجرين والأنصار من التشاجر في أمر الخلافة وفات أكثرهم الصلاة عليه لذلك. وقال المفيد أيضاً: واغتنم القوم الفرصة بشغل علي بن أبي طالب

---

(١) كان القبر الشريف قد حفر بصفة اللحد لا بصفة الشق فسد وجه اللحد باللبن وأهال عليه التراب. ـ المؤلف ـ

برسول الله ﷺ وانقطاع بني هاشم عنهم بمصابهم برسول الله ﷺ فبادروا إلى ولاية الأمر واتفق لهم ما اتفق من اختلاف الأنصار فيما بينهم وكراهية الطلقاء والمؤلفة قلوبهم تأخر الأمر حتى يفرغ بنو هاشم «اه».

ويتلخص الموقف في أن جيش أسامة الذي أراد النبي ﷺ إنفاذه لما أحس بدنو أجله لأمر سياسي مهم عنده، لم ينفذ لأمر سياسي مهم عند من لم ينفذه، وإن الناس انقسموا بعد وفاته ﷺ أحزاباً ثلاثة بل أربعة أو خمسة:

١ ـ حزب سعد بن عبادة رئيس الخزرج من عشيرته الخزرج وربما كان معهم من الأوس.

٢ ـ حزب الشيخين وهم جل المهاجرين.

٣ ـ حزب علي وهم بنو هاشم ومعهم قليل من المهاجرين منهم الزبير وكثير من الأنصار أو أكثرهم الذين قالوا: لا نبايع إلا علياً كما رواه الطبري.

٤ ـ حزب عثمان من بني أمية ومن لف لفيفهم.

٥ ـ حزب سعد بن أبي وقاص وعبد الرحمٰن بن عوف من بني زهرة.

أما حزب سعد بن عبادة فإن سعداً كان مريضاً فاجتمع عليه الأنصار في سقيفة بني ساعدة على ما رواه ابن قتيبة في الإمامة والسياسة وغيره، وسعد هذا كان له مقام في الإسلام عظيم فقد كان شهماً رئيساً جواداً وكان مثرياً وقد كان يبعث إلى النبي ﷺ الأحمال من التمر ويبعث إليه باللحم لإقراء الوفود ويبعث إلى المجاهدين بأحمال التمر، وسافر ابنه قيس مع جماعة من الصحابة فنفذ ما معهم فجعل قيس يستدين وينفق عليهم فحسده بعض رفاقه وقالوا: لمن يستدين منهم أنه لا مال له فلما بلغ ذلك أباه سعداً غضب وقال: تريدون أن تبخلوا ابني وتزعموا أنه لا مال له إنا قوم لا نستطيع البخل إشهدوا أن البستان الفلاني لقيس والحديقة الفلانية لقيس. لكن طلبه الخلافة يغمز من قناته ولذلك ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام ما معناه أن أول من جرأ الناس علينا سعد، ولا يبعد أن يكون سعد لما رأى تصميم المهاجرين على عدم إعطاء الحق لأهله طلبه لنفسه،

قال ابن قتيبة في روايته وغيره فقال سعد لابنه قيس: إني لا أستطيع أن أسمع الناس كلامي لمرضي ولكن تلق مني قولي فأسمعهم ففعل فذكر فضل الأنصار ونصرتهم الدين وإيواءهم الرسول وأنهم أحق الناس بهذا الأمر فأجابوه أن قد وفقت في الرأي ورضوا بإمارته.

وأما حزب الشيخين فقال الطبري: اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا سعد بن عبادة فبلغ ذلك أبا بكر فجاء ومعه عمر وأبو عبيدة بن الجراح فقال الأنصار: منا أمير ومنكم أمير فقال أبو بكر: منا الأمراء ومنكم الوزراء قال ابن قتيبة فقام الحباب بن المنذر (ابن الجموح الخزرجي) فقال: يا معشر الأنصار املكوا علي أيديكم فإنما الناس في فيئكم وظلالكم ولن يجير مجير على خلافكم ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم أنتم أهل العز والثروة والعدد والنجدة وإنما ينظر الناس ما تصنعون فلا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم أنتم أهل الإيواء والنصرة وإليكم كانت الهجرة ولكم في السابقين الأولين مثل ما لهم وأنتم أصحاب الدار والإيمان من قبلهم والله ما عبدوا الله علانية إلا في بلادكم ولا جمعت الصلاة إلا في مساجدكم ولا دانت العرب للإسلام إلا بأسيافكم فأنتم أعظم الناس نصيباً في هذا الأمر وإن أبى القوم فمنا أمير ومنهم أمير. فقال عمر: هيهات لا يجتمع سيفان في غمد واحد إنه والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم ولكن العرب لا تولي هذا الأمر إلا قريشاً من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل أو متورط في هلكة. فقام الحباب فقال: يا معشر الأنصار املكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر فإن أبوا فأجلوهم عن بلادكم وولوا عليكم وعليهم من أردتم أما والله إن شئتم لنعيدنها جذعة والله لا يرد علي أحد ما أقول إلا حطمت أنفه بالسيف. وفي رواية أنه قال: أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرحب، فلم يجبه عمر واعتذر بأنه كان بينه وبينه منازعة في حياة النبي ﷺ فنهاه عنه فحلف أن لا يكلمه بما يسوؤه. هكذا ذكر ابن قتيبة، ولكن الظاهر أنه لم يجبه لما سمع قوله: والله لا يرد علي أحد ما أقول إلا حطمت أنفه

بالسيف وإلا فهو قد أجابه في أول الأمر بأخشن جواب. قال ابن قتيبة فقام أبو عبيدة وقال: يا معشر الأنصار أنتم أول من نصر وآوى فلا تكونوا أول من يبدل ويغير. قال: وإن بشير بن سعد (وهو والد النعمان بن بشير الذي كان مع معاوية بصفين وكان والياً له ثم لابنه يزيد على الكوفة) لما رأى ما اتفق عليه قومه من تأمير سعد بن عبادة قام حسداً لسعد وكان بشير من سادات الخزرج فقال: يا معشر الأنصار لئن كنا أولى الفضيلة في جهاد المشركين والسابقة في الدين ما أردنا إن شاء الله غير رضى ربنا وطاعة نبينا وما ينبغي أن نستطيل بذلك على الناس ولا نبتغي به عرضاً من الدنيا ومحمد رجل من قريش وقومه أحق بميراثه وتولي سلطانه «اهـ». وفيما رواه ابن هشام عن عمر بن الخطاب أن خطيب الأنصار قال: أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا فقال أبو بكر: أما ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب نسباً وداراً وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم وأخذ بيدي ويد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا فقلت: أبسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته ثم بايعه المهاجرون ثم الأنصار. وقال الطبري: فقال أبو بكر هذا عمر وهذا أبو عبيدة فأيهما شئتم فبايعوا فقالا: لا والله لا نتولى هذا الأمر عليك أبسط يدك نبايعك. فلما ذهبا ليبايعاه سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه وقال الطبري: فقالت الأنصار أو بعض الأنصار: لا نبايع إلا علياً وقال ابن قتيبة: فلما ذهبا يبايعانه (يعني عمر وأبا عبيدة) سبقهما إليه بشير الأنصاري فبايعه فناداه الحباب بن المنذر: يا بشير بن سعد حسدت ابن عمك على الإمارة قال: لا ولكني كرهت أن أنازع قوماً حقاً لهم فلما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد وهو من سادات الخزرج وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة قال بعضهم لبعض وفيهم أسيد بن حضير: لئن وليتموها سعداً عليكم مرة واحدة لا زالت لهم بذلك عليكم الفضيلة ولا جعلوا لكم فيها نصيباً أبداً فقوموا فبايعوا أبا بكر فقاموا فبايعوه «اهـ». وبذلك تم تغلب حزب الشيخين على حزب سعد وكان سبب

مبايعة الأنصار أبا بكر بعدما قالوا أو بعضهم لا نبايع إلا علياً ما رأوه من تصميم المهاجرين على صرف الأمر عن علي وحسد رئيس الأوس لرئيس الخزرج وحسد أحد رئيسي الخزرج لسعد وبقي حزب بني هاشم وحزب بني أمية وبني زهرة. قال ابن قتيبة: وإن بني هاشم اجتمعت عند بيعة الأنصار إلى علي بن أبي طالب ومعهم الزبير بن العوام وكانت أمه صفية بنت عبد المطلب وإنما كان يعد نفسه من بني هاشم وكان علي يقول: ما زال الزبير منا أهل البيت حتى نشأ بنوه فصرفوه عنا واجتمعت بنو أمية إلى عثمان وبنو زهرة إلى سعد (بن أبي وقاص) وعبد الرحمٰن بن عوف فكانوا في المسجد مجتمعين فقال لهم عمر: ما لي أراكم مجتمعين حلقاً شتى قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايعته وبايعته الأنصار فقام عثمان ومن معه من بني أمية فبايعوه وقام سعد (بن أبي وقاص) وعبد الرحمٰن ومن معهما من بني زهرة فبايعوا «اهـ».

وذلك لما رأى بنو أمية وبنو زهرة الغلبة لحزب المهاجرين ولم تكن لأبي سفيان مكانة عثمان في بني أمية فلذلك اجتمعوا على عثمان ولم يجتمعوا عليه واستغل أبو سفيان الموقف فعدل إلى بني هاشم كما يأتي وأما علي والعباس ومن معهما من بني هاشم فانصرفوا إلى رحلهم ومعهم الزبير بن العوام «اهـ».

وبذلك تم تغلب حزب الشيخين على جميع الأحزاب عدا حزب بني هاشم وحاصل الأمر أنه بعد مبايعة الأنصار وفراغ بني هاشم من دفن النبي ﷺ جاؤوا مع علي إلى المسجد وجاء بنو أمية مع عثمان وبنو زهرة مع سعد وعبد الرحمٰن فلما بايع بنو أمية وبنو زهرة قام بنو هاشم ومن معهم من المسجد ولم يبايعوا ودخلوا منزل علي، ويفهم ذلك أيضاً مما رواه الطبرسي في الاحتجاج فإنه روى هذا الخبر بنحو ما رواه ابن قتيبة لكن بعبارة أوضح قال: وبايع جماعة الأنصار ومن حضر من غيرهم وعلي بن أبي طالب مشغول بجهاز رسول الله ﷺ فلما فرغ من ذلك وصلى على النبي والناس يصلون عليه من بايع أبا بكر ومن لم يبايع جلس في المسجد فاجتمع عليه بنو هاشم ومعهم الزبير بن العوام واجتمعت بنو أمية إلى عثمان بن عفان وبنو زهرة إلى عبد الرحمٰن بن

عوف فكانوا في المسجد كلهم مجتمعين إذ أقبل أبو بكر ومعه عمر وأبو عبيدة بن الجراح فقالوا: ما لنا نراكم حلقاً شتى قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايعه الأنصار والناس فقام عثمان وعبد الرحمٰن ومن معهما فبايعوا وانصرف علي وبنو هاشم إلى منزل علي ومعهم الزبير «اه».

ما فعله أبو سفيان

قال المفيد: وقد كان أبو سفيان جاء إلى باب رسول الله ﷺ وعلي والعباس متوافران على النظر في أمره فنادى:

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم ... ولا سيما تيم بن مرة أو عدي

فما الأمر إلا فيكم وإليكم ... وليس لها إلا أبو حسن علي

ثم نادى بأعلى صوته: يا بني عبد مناف أرضيتم أن يلي عليكم أبو فصيل... أما والله لو شئت لأملأنها عليهم خيلاً ورجلاً فناداه أمير المؤمنين: ارجع يا أبا سفيان فوالله ما تريد الله بما تقول وما زلت تكيد الإسلام وأهله ونحن مشاغيل برسول الله وعلى كل امرىء ما اكتسب وهو ولي ما احتقب. فانصرف أبو سفيان إلى المسجد فوجد بني أمية مجتمعين فيه فحرضهم على الأمر فلم ينهضوا له «اه». والظاهر أن هذا كان من أبي سفيان في أول الأمر قبل البيعة لأبي بكر أراد أبو سفيان أن يستغل الموقف وقد علم أن أبا بكر التيمي وعمر العدوي قد طلبا الأمر وحزبهما قوي فجاء إلى بني هاشم يحرضهم ويعدهم النصرة لعلهم يقومون لمعارضة حزب الشيخين لأنه علم أن أقرب الأحزاب إلى معارضة حزب الشيخين هو حزب بني هاشم فإذا عارضوهم وقعت فتنة في الإسلام وذلك ما يريد لأنه لم يدخل فيه إلا كارهاً مرغماً وحقده عليه لم تنطف جمرته بعد ولن تنطفي فإذا تطاحن الحزبان ولم يغلب أحدهما الآخر أوجب ذلك وهن المسلمين فيرجو أن تقوى شوكة الشرك الذي خرج منه كارهاً فيعود إليه، وإن غلب أحدهما الآخر كان هو مع الغالب وإن لم يعارضوهم استفاد هو من هذا التحريض والتهويش إمارة أو نحوها كما يفعله اليوم وقبل اليوم من يريد

منصباً في الدولة فيهيج الناس عليها ويلقي الفتن ليرضوه بمال أو منصب ويدل على ذلك أنه لما سمع الخليفة تهويشه ولى ابنه فرضي وسكت وقال: وصلته رحم. روى الطبري بسنده قال: لما استخلف أبو بكر قال أبو سفيان: ما لنا ولأبي فصيل إنما هي بنو عبد مناف فقيل له: إنه قد ولى ابنك قال: وصلته رحم «اهـ» وقد علم علي عليه السلام أن أبا سفيان لم يرد بما قاله الخير لبني هاشم ولا للمسلمين وعلم مراده فلذلك أجابه بما أجابه وبذلك تمت البيعة لأبي بكر ولم يبق متخلفاً عنها غير علي وبني هاشم ومن تبعهم وقليل سواهم ولكن القضاء على هذا الحزب أصبح سهلاً بعد مبايعة جل المهاجرين والأنصار أبا بكر. وصرف النظر عما جرى يوم الغدير وما جرى في أول الدعوة من قوله ﷺ: **«من يوازرني على هذا الأمر»** الخ فلم يجر له ذكر.

وأما حزب بني هاشم فقد عرفت أنهم كانوا مشغولين بتجهيز النبي ﷺ ودفنه عند اجتماع القوم في السقيفة. ولم يكن علي ومن معه ليتركوا رسول الله ﷺ بغير دفن ويشتغلوا بطلب الخلافة كما فعل غيرهم. قال المفيد: وقد جاءت الرواية أنه جاء رجل إلى أمير المؤمنين وهو يسوي قبر رسول الله ﷺ بالمسحاة في يده فقال له: إن القوم قد بايعوا أبا بكر ووقعت الخذلة للأنصار لاختلافهم وبدر الطلقاء بالعقد للرجل خوفاً من إدراككم الأمر فوضع طرف المسحاة على الأرض ويده عليها ثم قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * الٓمٓ * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَٰذِبِينَ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ وحكى ابن أبي الحديد عن كتاب السقيفة لأحمد بن عبد العزيز الجوهري عن عمر بن شبه عن أبي قبيصة قال: لما توفي النبي ﷺ وجرى في السقيفة ما جرى تمثل علي:

وأصبح أقوام يقولون ما اشتهوا ويطغون لما غال زيداً غوائله

ومما مر تعلم أن عمدة احتجاج القوم على استحقاق الخلافة أنهم من قريش عشيرة النبي ﷺ وبذلك دفعوا الأنصار عنها وهذه الحجة توجب حق علي

وبني هاشم في الخلافة لأنهم أقرب الناس إلى الرسول وهم عشيرته فإن كانت الخلافة بالقرابة فهم أقرب من قريش وإن لم تكن بالقرابة فالأنصار على دعواهم كما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام في بعض كلامه لما بلغته أخبار السقيفة وفيه يقول الشاعر قيل إنه أمير المؤمنين وقيل الكميت:

فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم فكيف بهذا والمشيرون غيب
وإن كنت بالقربى وليت عليهم فغيرك أولى بالنبي وأقرب

واجتمع بنو هاشم مع علي بن أبي طالب في بيت فاطمة بعد رجوعهم من المسجد كما مر وامتنعوا من البيعة واجتمع معهم طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فيما رواه الطبري. وقال محمد بن إسحق فيما حكاه عنه ابن هشام في سيرته أنه انحاز علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد اللّه في بيت فاطمة وقال ابن هشام فيما رواه بسنده عن عمر بن الخطاب تخلف عنا علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ومن معهما «اهـ» واتفقت جميع الروايات على وجود الزبير معهم أما طلحة فقد ذكر في بعضها دون بعض. والذي يستلفت النظر اجتماع طلحة معهم مع أنه تيمي.

تهديد علي ومن معه بالإحراق إن لم يبايعوا

روى الطبري في تاريخه قال: أتى عمر بن الخطاب منزل علي وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فقال: والله لأحرقن عليكم أو لتخرجن إلى البيعة فخرج عليه الزبير مصلتاً بالسيف فعثر فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه. ويأتي أيضاً ما يدل على ذلك.

متى بايع علي بن أبي طالب وبنو هاشم

تدل بعض الروايات على أن علياً بايع يومئذ وفاطمة حية ويدل أكثرها على أنه لم يبايع إلا بعد ستة أشهر بعد وفاة فاطمة وبعضها على أنه لم يبايع هو ولا أحد من بني هاشم إلا بعد تلك المدة. وبعضها على أن بني هاشم بايعوا يومئذ إلا علي فلم يبايع إلا بعد تلك المدة، والذي عليه أكثر الروايات وحققه العلماء

أنه لم يبايع إلا بعد وفاة فاطمة وذلك بعد ستة أشهر من وفاة النبي ﷺ بناء على أنها بقيت بعده هذه المدة أو شهرين ونصف بناء على بقائها بعده ذلك.

لماذا لم يبايعوا علياً

لم يكن انحراف قريش عن علي لشيء فيه ينقص من أهليته للخلافة مقدار شعرة ولا لشيء في غيره يوجب امتيازه عن علي أو مساواته له في القيام بمهام الخلافة ولكن قريشاً ـ وجل المهاجرين منها ـ قد وترها علي في حروبه لتمهيد الإسلام، وكثير منها دخل في الإسلام كرهاً والضغائن من نفوسها لم تذهب فهي لا تطيق أن تكون في بني هاشم النبوة والخلافة وهم من عشيرتها والبغض والحسد في الأهل والعشيرة أشد من غيره مضافاً إلى حب الرياسة الكامن في نفوس البشر فقريش حاولت جهدها إبطال نبوة محمد ﷺ فلم تفلح وتغلب عليها وقهرها وفتح مكة ودخلها مالكاً لها بعدما خرج منها هرباً وخوفاً فكيف تترك بني هاشم تستولي على الخلافة ثانياً: ويكون الرأس فيها علي بن أبي طالب قاتل صناديد قريش وقاهرها ومؤسس دولة ابن عمه وناصرها فليس من الغريب انحيازها إلى حزب أبي بكر وعمر وانحرافها عن علي إلا أقلها. أما بنو أمية فانحازوا أولاً إلى عثمان ولكن عثمان لما رأى أنه ليس في وسعه معارضة الشيخين ومن تبعهما انحاز إلى حزبهما. وبالطبع لم يكن لينحاز إلى حزب بني هاشم وهبه وطن نفسه على ذلك فقومه لم يكن ليطيعوه وقد وترهم بنو هاشم ولا سيما علي وعداوتهم معهم قديمة قبل الإسلام. ولم تفت هذه الفرصة شيخ بني أمية أبا سفيان أن يستفيد منها حسبما تساعد عليه الحال في ذلك الوقت فجاء إلى علي وبني هاشم فحرضهم على طلب الخلافة وانتقص الخليفة. ولم يخف ذلك على علي فرده أقبح رد وولى الخليفة ابنه فقال: وصلتك رحم وسكت، ولم ينس الخليفة الثاني هذه المساعدة من عثمان وبني أمية فولى معاوية الشام بعد أخيه يزيد ورشح عثمان للخلافة يوم الشورى وسن لها قانوناً يكون بسببه الخليفة هو عثمان حتماً كما سيأتي هناك وبانحياز أسيد بن حضير رئيس الأوس ومعه الأوس كلها إلى حزب قريش حسداً لسعد قوي حزب قريش، وبانحياز

بشير بن سعد أحد رؤساء الخزرج إلى حزب قريش حسداً لسعد بقي سعد مفرداً ليس معه إلا قليل فإن بشيراً انحاز معه أكثر الخزرج من عشيرته وغيرها فعشيرة الرئيس تتبعه بالطبع وغيرها للتقرب إلى الخليفة لئلا يستأثر غيرهم بالمكانة عنده وسرت هذه المودة من بشير إلى ابنه النعمان بن بشير الأنصاري فكان من أنصار معاوية يوم صفين حيث لم يكن معه من الصحابة إلا قليل هو أحدهم. ولم ينس معاوية تلك المساعدة لبشير التي هي في الحقيقة مساعدة لبني أمية على أعدائهم الألداء بني هاشم ومساعدة لأوليائهم فجازى ابنه النعمان عليها وعلى نصره له بصفين بأن ولاه الكوفة ثم ولاه إياها ابنه يزيد. وضعف بذلك أيضاً حزب بني هاشم ولم يبق معهم أحد. وكان أقوى الأسباب في ذلك كله الحسد والحسد داء بني آدم وحواء من زمن آدم إلى اليوم.

الذين احتجوا على البيعة من المهاجرين والأنصار

في احتجاج الطبرسي عن أبان بن تغلب: قلت لأبي عبد اللّه جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام: جعلت فداك هل كان أحد في أصحاب رسول الله ﷺ أنكر على أبي بكر فعله قال: نعم كان الذي أنكر عليه اثنا عشر رجلاً. من المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص وكان من بني أمية. وسلمان الفارسي. وأبو ذر الغفاري. والمقداد بن الأسود. وعمار بن ياسر وبريدة الأسلمي. من الأنصار. والهيثم بن التيهان. وسهل وعثمان ابنا حنيف. وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين. وأبي بن كعب. وأبو أيوب الأنصاري. فلما صعد أبو بكر المنبر تشاوروا بينهم فقال بعضهم: لَننزلنه عن المنبر وقال آخرون: لئن فعلتم إذاً أعنتم على أنفسكم. فذهبوا إلى أمير المؤمنين يستشيرونه فقالوا: تركت حقاً أنت أحقّ به وأولى ولقد هممنا أن نصير إليه فننزله عن المنبر فقال: لو فعلتم ذلك لما كنتم إلا حرباً ولكنكم كالملح في الزاد وكالكحل في العين ولو فعلتم ذلك لأتوني فقالوا: بايع وإلا قتلناك. إلى آخر ما أورده الطبرسي.

ولما نحي علي عن الخلافة بعد يوم السقيفة إلى آخر خلافة عثمان وذلك نحو من ٢٤ سنة لم يدخل مع القوم في إمارة ولا حرب وإنما كان يشير بما فيه النصح والمصلحة العامة للمسلمين واشتغل بجمع القرآن بتأويله وتنزيله وتفسيره وإقرائه وإرشاد الخلق وتعليمهم وبنشر علوم الدين والفتوى لا سيما في المسائل الغامضة التي كان يرجع إليه فيها الصحابة والقضاء بين الناس خصوصاً في القضايا الغامضة التي كانت تشكل على غيره حتى جمعت عدة كتب في قضاياه وأحكامه ومسائله العجيبة أشرنا إليها فيما سبق وبالتأليف في علوم الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود ونصرة المظلوم وإظهار الحق جهده والإصلاح بين الناس واستنبط عيوناً وأنشأ عدة بساتين ومزارع في المدينة وينبع وقفها وجعل النظر فيها لأولاده من فاطمة وكان يقوم على ملك له بخيبر. وما زعمه ابن الأثير من أنه كان من جملة كتاب الخليفة الأول مصنوع موضوع لا أصل له، فهو كان يرى نفسه أعلى من ذلك.

أخباره في خلافة الخليفة الأول

فمن أول ما وقع في خلافته مطالبة فاطمة له بإرثها من أبيها وبفدك الذي كان نحلها إياها في حياته وبسهم ذوي القربى، أما الإرث فردها عنه بما رواه عن النبي ﷺ: «**إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة**»، وأما فدك فطلب منها البينة فشهد لها علي وأم أيمن فقال: قد علمت يا بنت رسول الله أنه لا يجوز إلا شهادة رجلين أو رجل وامرأتين. (وهل كان علي دون خزيمة ذي الشهادتين)، وطلبت سهمها من الخمس فقال لها: لم يبلغ علمي أن هذا السهم من الخمس مسلم إليكم كاملاً بل أنفق عليكم منه وأصرف الباقي في مصالح المسلمين، فلم تذعن فاطمة لذلك وغضبت وكذلك علي لم يذعن لذلك وقال في بعض خطبه متألماً: بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلته السماء فشحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس قوم آخرين ونعم الحكم الله. ثم إن الزهراء خطبت خطبة طويلة في هذا الشأن وجرى بينها وبين الخليفة حوار ومحاجة وجدال وبقي الخليفة مصراً على منعها وبقيت هي مصرة على المطالبة كما مر ذلك كله

مفصلاً في سيرتها في الجزء الثاني. قال المرتضى والشيخ الطوسي وغيرهما في روايتهم: ثم انكفأت وأمير المؤمنين يتوقع رجوعها إليه ويتطلع طلوعها عليه، فلما استقرت بها الدار قالت لأمير المؤمنين: يا ابن أبي طالب اشتملت شملة الجنين وقعدت حجزة الظنين نقضت قادمة الأجدل فخانك ريش الأعزل، هذا ابن أبي قحافة ابتزني نحيلة أبي وبليغة ابني لقد أجهد في خصامي وألفيته ألد في كلامي حتى حستني قبلة نصرها والمهاجرة وصلها وغضت الجماعة دوني طرفها، فلا دافع ولا مانع ولا ناصر ولا شافع خرجت، كاظمة وعدت راغمة، أضرعت خدك يوم أضعت جدك، افترست الذئاب وافترشت التراب، ما كففت قائلاً ولا أغنيت طائلاً، ولا خيار لي، ليتني مت قبل منيتي ودون ذلتي، عذيري الله منك عادياً وفيك حامياً ويلاي في كل شارق ويلاي في كل غارب مات العمد ووهت العضد، شكواي إلى أبي وعدواي إلى ربي، اللهم إنك أشد قوة وحولاً واحد بأساً وتنكيلاً. فقال لها أمير المؤمنين: لا ويل لك بل الويل لشانئك نهنهي عن وجدك يا ابنة الصفوة وبقية النبوة فما ونيت عن ديني ولا أخطأت مقدوري فإن كنت تريدين البلغة فرزقك مضمون وكفيلك مأمون وما أعد لك أفضل مما قطع عنك فاحتسبي الله فقالت: حسبي الله وأمسكت. وهذا اللوم والتأنيب من الزهراء لأمير المؤمنين عليهما السلام لا ينافي عصمته وعصمتها وعلو مقامهما، فما هو إلا مبالغة في الإنكار وإظهار لما لحقها من شدة الغيظ كما فعل موسى عليه السلام لما رجع إلى قومه غضبان أسفاً وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه وشريكه في الرسالة يجره إليه.

ومر في الجزء الثاني في السيرة النبوية أن الشيخين استأذنا على فاطمة ليسترضياها فلم تأذن لهما فأتيا علياً فكلماه فأدخلهما عليها وجرى بينها وبينهما ما مر هناك.

أخباره في قصة بني حنيفة وهي من حوادث سنة إحدى عشرة

فقد تزوج خولة الحنفية من سبى بني حنيفة وولد له منها ابنه المعروف

بمحمد بن الحنفية وأراد بعضهم أن يستدل بذلك على رضاه بإمامة من قبله ورده آخرون فكان لذلك مساس بأحواله وأخباره.

قال الشريف المرتضى في كتاب الشافي: روى جميع أهل النقل أن أبا بكر وصى الجيش الذين أنفذهم (لقتال أهل الردة) بأن يؤذنوا ويقيموا فإن أذن القوم بآذانهم وأقاموا كفوا عنهم وإن لم يفعلوا أغاروا عليهم. قال وقصة مالك (بن نويرة اليربوعي) معروفة عند من تأملها من أهل النقل لأنه كان على صدقات قومه بني يربوع من قبل رسول الله ﷺ فلما بلغته وفاته أمسك عن أخذ الصدقة من قومه وقال لهم: تربصوا بها حتى يقوم قائم بعد النبي ﷺ وننظر ما يكون من أمره وقد صرح بذلك في شعره حيث يقول:

وقال رجال سدد اليوم مالك ... وقال رجال مالك لم يسدد

فقلت دعوني لا أبا لأبيكم ... فلم أخط رأياً في المقال ولا اليد

وقلت خذوا أموالكم غير خائف ... ولا ناظر فيما يجيء به غدي

فدونكموها إنما هي مالكم ... مصررة أخلافها لم تجدد

سأجعل نفسي دون ما تحذرونه ... وأرهنكم يوماً بما قلته يدي

فإن قام بالأمر المحدث قائم ... أطعنا وقلنا الدين دين محمد

فصرح كما ترى أنه استبقى الصدقة في أيدي قومه رفقاً بهم وتقرباً إليهم إلى أن يقوم بالأمر من يدفع ذلك إليه، قال وقد روى جماعة من أهل السير وذكره الطبري في تاريخه أن مالكاً نهى قومه عن الاجتماع على منع الصدقات ثم ذكر رواية الطبري في ذلك ونحن ننقلها من تاريخ الطبري بوجه أتم مع بعض اختصار، وروى الطبري في تاريخه بسنده أن خالد بن الوليد قدم البطاح فلم يجد عليه أحداً ووجد مالكاً قد فرقهم في أموالهم ونهاهم عن الاجتماع[1]

(١) في الشافي: عن الاجتماع على منع الصدقات كما سمعت وليس ذلك في الطبري وكأن المرتضى فهم منه أن المراد من الاجتماع الاجتماع على منع الصدقات. والصواب أنه نهاهم عن الاجتماع في مكان واحد وأمرهم بالتفرق في أموالهم لئلا يظن بهم الجيش العصيان إذا رآهم مجتمعين.

وقال: يا بني يربوع أنا قد كنا عصينا أمراءنا إذ دعونا إلى هذا الدين وبطأنا الناس عنه فلم نفلح ولم ننجح وإني قد نظرت في هذا الأمر فوجدت الأمر يتأتى لهم بغير سياسة وإذا أمر لا يسوسه الناس فإياكم ومعاداة قوم يصنع لهم[1] فتفرقوا إلى دياركم وادخلوا في هذا الأمر، فتفرقوا على ذلك إلى أموالهم ورجع مالك إلى منزله فلما قدم خالد البطاح بث السرايا وأمرهم بدعاية الإسلام وأن يأتوه بكل من لم يجب وإن امتنع يقتلوه فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر من بني يربوع فاختلفت السرية فيهم وفيهم أبو قتادة (الحارث بن ربعي) فكان فيمن شهد أنهم قد أذنوا وأقاموا وصلوا فلما اختلفوا فيهم أمر بهم فحبسوا في ليلة باردة لا يقوم لها شيء فأمر خالد منادياً فنادى ادفئوا أسراكم فظنوا أنه أمرهم بقتلهم لأن هذه اللفظة تستعمل في لغة كنانة للقتل فقتل ضرار بن الأزور مالكاً وقد اختلف القوم فيهم فقال أبو قتادة: هذا عملك فزبره خالد وتزوج خالد أم تميم ابنة المنهال زوجة مالك (الحديث) وكانت أم تميم هذه بارعة في الجمال وروى الطبري أيضاً في تاريخه بسنده أن أبا بكر كان من عهده إلى جيوشه أن إذا غشيتم داراً فسمعتم فيها أذاناً للصلاة فأمسكوا عن أهلها حتى تسألوهم ما الذي نقموا وإن لم تسمعوا أذاناً فشنوا الغارة وكان ممن شهد لمالك بالإسلام أبو قتادة الحارث بن ربعي أخو بني سلمة وقد كان عاهد الله أن لا يشهد مع خالد بن الوليد حرباً أبداً بعدها وكان يحدث أنهم لما غشوا القوم رعوهم تحت الليل فأخذ القوم السلاح فقلنا: أنا لمسلمون فقالوا: أو نحن لمسلمون قلنا: فما بال السلاح معكم قالوا: فما بال السلاح معكم قلنا: فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح فوضعوه ثم صلينا وصلوا، وكان خالد يعتذر في قتله أنه قال وهو يراجعه: ما أخال صاحبكم إلا وقد كان يقول كذا وكذا قال: أو ما تعهده لك صاحباً ثم قدمه فضرب عنقه وأعناق أصحابه فلما بلغ قتلهم عمر بن الخطاب

---

(١) أراد مالك أنه وجد أمر الإسلام أمراً إلهياً يتأتى ويحصل بغير سياسة من الناس وأن الله تعالى يصنع للمسلمين ما فيه نصرهم فلذلك نهاهم عن معاداة المسلمين لأن من يسوس الله أمورهم ويصنع لهم لا يعادون. ـ المؤلف ـ.

تكلم فيه عند أبي بكر فأكثر وقال: عدو الله عدا على امرىء مسلم فقتله ثم نزا على امرأته. وأقبل خالد بن الوليد حتى دخل المسجد وعليه قباء له عليه صدأ الحديد معتجراً بعمامة له قد غرز في عمامته أسهماً فقام إليه عمر فانتزع الأسهم من رأسه فحطهما ثم قال: أرئاء قتلت امرءاً مسلماً ثم نزوت على امرأته والله لأرجمنك بأحجارك وخالد لا يكلمه ولا يظن إلا أن أبا بكر على مثل رأي عمر فيه فدخل على أبي بكر واعتذر إليه فعذره فخرج خالد وعمر جالس في المسجد فقال: هلم إلي يا ابن أم شملة فعرف عمر أن أبا بكر قد رضي عنه فلم يكلمه ودخل بيته «اهـ» قال الشريف المرتضى في الشافي: فأما قوله في النبي ﷺ صاحبك فقد قال أهل العلم: أنه أراد القرشية لأن خالداً قرشي، وبعد فليس في ظاهر إضافته إليه دلالة على نفيه له عن نفسه ولو كان علم من مقصده الاستخفاف والإهانة لوجب أن يعتذر بذلك خالد من الشيخين ويعتذر به أبو بكر لما طالبه عمر بقتله فإن عمر ما كان يمتنع من قتله قادح في نبوة النبي ﷺ وإن كان الأمر على ذلك فأي معنى لقول أبي بكر تأول فأخطأ وإنما تأول فأصاب إن كان الأمر على ما ذكره «اهـ».

وروى الطبري أيضاً أن مالكاً كان من أكثر الناس شعراً وأن أهل العسكر جعلوا رؤوسهم أثافي للقدور فما من رأس إلا وصلت النار إلى بشرته إلا مالكاً فإن القدر نضجت وما وصلت النار إلى بشرته من كثرة شعره «اهـ» وهذا العمل الوحشي الدنيء الذي كشف عن وحشية فاعليه ورؤسائهم الذين وافقوهم على ذلك قد سود وجه الإسلام والعرب والإنسانية وأبان عن لؤم الغلبة ونأي عن أخلاق الإسلام ومحاسنه، وروى الطبري أيضاً بسنده أنه قدم أخوه متمم بن نويرة ينشد أبا بكر دمه ويطلب إليه في سبيهم فكتب له برد السبي. وقد تكلم الناس كثيراً في قتل مالك بن نويرة ونظم فيه الشعراء قال أبو فراس:

وجرت منايا مالك بن نويرة ... عقيلته الحسناء أيام خالد

وتزوج علي عليه السلام خولة بنت جعفر بن قيس من بني حنيفة قال ابن حجر في تهذيب التهذيب ويقال من مواليهم سبيت في الردة من اليمامة «اهـ»

وربما استدل بعضهم على رضا أمير المؤمنين عليه السلام بخلافة من تقدمه بتزوجه من سبيهم ولا دلالة فيه فإنه إن كان بنو حنيفة مرتدين كان سبيهم حلالاً لكل أحد وإن كانوا غير مرتدين لم يحل سبيهم لأحد فإذا نكح علي من سبيهم لا بد أن يكون بعقد لا بملك يمين. وفي البحار: سئل الشيخ المفيد لم أخذ علي عطاءهم ونكح سبيهم وحكم في مجالسهم، فقال: أما أخذه العطاء فأخذ بعض حقه وأما نكاحه سبيهم فمن طريق الممانعة، إن الشيعة روت أن الحنفية زوجها أمير المؤمنين محمد بن مسلم الحنفي. ومن طريق المتابعة أنه لو نكح من سبيهم لم يكن لكم ما أردتم لأن الذين سباهم أبو بكر كانوا عندكم قادحين في نبوة رسول الله ﷺ كفاراً فنكاحهم حلال لكل أحد ولو كان الذي سباهم يزيد أو زياد وإنما كان يسوغ لكم ما ذكرتموه إذا كان الذين سباهم قادحين في إمامته ثم نكح أمير المؤمنين منهم. وأما حكمه في مجالسهم فلأن الحكم له وإليه «اهـ» وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج: اختلف في أمر خولة الحنفية أم محمد فقال قوم إنها من سبايا الردة سباها خالد أيام أبي بكر فدفعها أبو بكر إلى علي من سهمه وقال قوم منهم أبو الحسن علي بن محمد بن سيف المدائني هي سبية في أيام رسول الله ﷺ بعث علياً إلى اليمن فأصاب خولة في بني زبيد وقد ارتدوا وكانوا سبوها من حنيفة فصارت في سهم علي فقال له رسول الله ﷺ إن ولدت منك غلاماً فسمه باسمي وكنه بكنيتي فولدت له محمداً بعد موت فاطمة فكناه أبا القاسم وقال قوم وهم المحققون وقولهم الأظهر أن بني أسد غارت على بني حنيفة في خلافة أبي بكر فسبوا خولة فباعوها من علي وبلغ قومها خبرها فقدموا المدينة على علي فعرفوها وأخبروه بموضعها منهم فأعتقها وتزوجها بمهر وهذا اختيار أحمد بن يحيى البلاذري في تاريخ الأشراف «اهـ».

ومن أخباره في خلافة أبي بكر ما رأيته في معجم البلدان عند الكلام على الأحقاف قال: والصحيح ما رويناه عن ابن عباس وابن إسحق وقتادة أنها رمال بأرض اليمن كانت عاد تنزلها: ويشهد بصحة ذلك ما رواه أبو المنذر هشام بن محمد عن أبي يحيى السجستاني عن مرة بن عمر الأبلي عن الأصبغ بن نباته

قال: إنا لجلوس عند علي بن أبي طالب في خلافة أبي بكر إذ أقبل رجل من حضر موت لم أر قط رجلاً أنكر منه فاستشرفه الناس وراعهم منظره وأقبل مسرعاً حتى وقف علينا وسلم وجثا وكلم أدنى القوم منه مجلساً وقال من عميدكم فأشاروا إلى علي وقالوا هذا ابن عم رسول الله ﷺ وعالم الناس والمأخوذ عنه فقام وقال:

إسمع كلامي هداك الله من هاد ... وافرج بعلمك عن ذي غلة صاد
جاب التنائف من وادي سكاك إلى ... ذات الأماحل في بطحاء أجياد
تلفه الدمنة البوغاء معتمداً ... إلى السداد وتعليم بإرشاد
سمعت بالدين دين الحق جاء به ... محمد وهو قرم الحاضر البادي
فجئت منتقلاً من دين باغية ... ومن عبادة أوثان وأنداد
ومن ذبائح أعياد مضللة ... نسيكها غائب ذو لوثة عاد
فادلل على القصد واجل الريب عن ... خلدي بشرعة ذات إيضاح وإرشاد
والمم بفضل هداك الله عن شعثي ... وأهدني إنك المشهور في النادي
إن الهداية للإسلام نائبة ... عن العمى والتقى من خير أزواد
وليس يفرج ريب الكفر عن خلد ... أقضه الجهل إلا حية الوادي

فأعجب علياً والجلساء شعره وقال له: لله درك ما أرصن شعرك ممن أنت؟ قال: من حضرموت فسر به علي وشرح له الإسلام وأسلم على يديه وسأله ذات يوم ونحن مجتمعون للحديث: أعالم أنت بحضرموت إذا جهلتها لم أعرف غيرها. قال: أتعرف الأحقاف؟ قال: كأنك تسأل عن قبر هود عليه السلام قال: لله درك ما أخطأت. قال: نعم خرجت في عنفوان شبيبتي في أغيلمة من الحي نريد قبره فسرنا في بلاد الأحقاف أياماً ومعنا رجل قد عرف الموضع فانتهينا إلى كثيب أحمر فيه كهوف فمضى بنا الرجل إلى كهف منها فدخلناه فأمعنا فيه طويلاً فانتهينا إلى حجرين قد أطبق أحدهما دون الآخر وفيه خلل يدخل منه الرجل النحيف متجانفاً فدخلته فرأيت رجلاً على سرير شديد الأدمة طويل الوجه كث اللحية وقد يبس على سريره فإذا مسست شيئاً من بدنه أصبته صلباً لم يتغير ورأيت عند رأسه كتاباً بالعربية أنا هود النبي الذي أسفت

على عاد بكفرها وما كان لأمر الله من مرد. فقال لنا علي بن أبي طالب كذلك سمعته من أبي القاسم رسول الله ﷺ «اه».

أخباره في إمارة عمر

كان في إمارة عمر كثيراً ما يأتي إلى ملك له بينبع (وهي ينبع النخل) بنواحي المدينة وهي غير ينبع البحر وكان لعلي فيها عيون استنبطها ونخيل وزروع منها:

عين أبي نيزر والبغيبغة

وقد تكلمنا عليهما في ج ٧ وفي ترجمة أبي نيزر ونعيد بعض ما ذكرناه هناك لتعلقه بسيرته (ع) وإن لزم بعض التكرار. قال المبرد في الكامل: رووا أن علياً لما أوصى إلى الحسن في وقف أمواله وأن يجعل فيها ثلاثة من مواليه وقف فيها عين أبي نيزر والبغيبغة وهذا غلط لأن وقفه لهذين الموضعين لسنتين من خلافته والوصية كانت عند وفاته. حدثنا أبو محلم محمد بن هشام في إسناد ذكره آخره أبو نيزر وكان أبو نيزر من أبناء بعض ملوك الأعاجم قال وصح عندي أنه من ولد النجاشي فرغب في الإسلام صغيراً فأتى رسول الله ﷺ فأسلم وكان معه في بيوته (مؤنته) فلما توفي رسول الله ﷺ صار مع فاطمة وولدها عليهم السلام. وفي معجم البلدان بالإسناد عن محمد بن إسحاق بن يسار أن أبا نيزر الذي تنسب إليه العين هو مولى علي بن أبي طالب كان ابناً للنجاشي ملك الحبشة الذي هاجر إليه المسلمون لصلبه وأن علياً وجده عند تاجر بمكة فاشتراه إليه وأعتقه مكافأة بما صنع أبوه مع المسلمين حين هاجروا إليه وذكروا أن الحبشة مرج عليها أمرها بعد موت النجاشي وأنهم أرسلوا وفداً منهم إلى أبي نيزر وهو مع علي ليملكوه عليهم ويتوجوه ولا يختلفوا عليه فأبى وقال ما كنت لأطلب الملك بعد أن منّ علي بالإسلام ثم قال المبرد قال أبو نيزر جاءني علي بن أبي طالب وأنا أقوم بالضيعتين عين أبي نيزر والبغيبغة فقال هل عندك من طعام فقلت لا أرضاه لأمير المؤمنين قرع من قرع الضيعة صنعته

بإهالة سنخة[1] فقال علي به فقام إلى الربيع وهو جدول فغسل يده ثم أصاب من ذلك شيئاً ثم رجع إلى الربيع فغسل يديه بالرمل حتى أنقاهما ثم ضم يديه كل واحدة منها إلى أختها وشرب بهما حسا[2] من ماء الربيع ثم قال يا أبا نيزر إن الأكف أنظف الآنية ثم مسح ندى ذلك الماء على بطنه وقال: من أدخله بطنه النار فأبعده الله. ثم أخذ المعول وانحدر في العين فجعل يضرب وأبطأ عليه الماء فخرج وقد تفضح جبينه عرقاً فانتكف العرق من جبينه ثم أخذ المعول وعاد إلى العين فأقبل يضرب فيها وجعل يهمهم فانثالت كأنها عنق جزور فخرج مسرعاً فقال أشهد أنها صدقة، علي بدواة وصحيفة فعجلت بهما إليه فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تصدق به عبد الله علي أمير المؤمنين تصدق بالضيعتين المعروفتين بعين أبي نيزر والبغيبغة على فقراء أهل المدينة وابن السبيل ليقي الله بهما وجهه حر النار يوم القيامة لا تباعا ولا توهبا حتى يرثها الله وهو خير الوارثين إلا أن يحتاج إليهما الحسن أو الحسين فهما طلق لهما وليس لأحد غيرهما. قال محمد بن هشام فركب الحسين دين فحمل إليه معاوية بعين أبي نيزر مائتي ألف دينار فأبى أن يبيع وقال إنما تصدق بها أبي ليقي بها وجهه حر النار ولست بائعها بشيء. قال وتحدث الزبيريون أن معاوية كتب إلى مروان بن الحكم وهو والي المدينة وذكر ما مضمونه أنه كتب إليه أن يخطب أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر على ابنه يزيد وأن يرغب له في الصداق فقرأ الكتاب على عبد الله فقال: إن خالها الحسين بينبع وليس ممن يفتات عليه بأمر فانظرني إلى أن يقدم وكانت أمها زينب بنت علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فلما قدم الحسين ذكر له ذلك عبد الله فدخل إلى الجارية فقال يا بنية إن ابن

---

(1) في الفائق الإهالة الودك (الشحم) وعن أبي زيد كل دهن يؤتدم به، وفي النهاية الإهالة كل شيء من الأدهان مما يؤتدم به وقيل هو ما أذيب من الألية والشحم وقيل الدسم الجامد.

(2) في تاج العروس قال سيبويه التحسي عمل في مهلة ثم قال: واسم ما يتحسى الحسية والحساء والحسو، قال ابن سيدة وأرى ابن الأعرابي حكى في الاسم أيضاً الحسو على لفظ المصدر والحسا مقصوراً على مثال القفا قال: ولست منهما على ثقة «اهـ» وحينئذ فالحسا هنا بمعنى ما يتحسى أي شرب من ماء الربيع دفعات بمهلة.

عمك القاسم بن محمد بن جعفر أحق بك ولعلك ترغبين في كثرة الصداق وقد نحلتك البغيبغات فلما حضر القوم للأملاك تكلم مروان فذكر معاوية وما قصده من صلة الرحم وجمع الكلمة فتكلم الحسين فزوجها من القاسم فقال مروان: أغدراً يا حسين فقال: أنت بدأت، خطب أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام عائشة بنت عثمان بن عفان واجتمعنا لذلك فزوجتها من عبد الله بن الزبير فقال مروان: ما كان ذلك. فالتفت الحسين إلى محمد بن حاطب فقال: أنشدك الله أكان ذلك؟ قال: اللهم نعم. قال: فلم تزل هذه الضيعة في يد بني عبد الله بن جعفر من ناحية أم كلثوم يتوارثونها حتى ملك المأمون فذكر ذلك له فقال: كلا هذا وقف علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فانتزعها من أيديهم وعوضهم عنها وردها إلى ما كانت عليه. وفي مناقب ابن شهراشوب ما مختصره عن عبد الله بن عمير والحاكم والعباس قالوا: خطب الحسن عائشة بنت عثمان فقال مروان: أزوجها عبد الله بن الزبير فلما قبض الحسن ومضت أيام من وفاته كتب معاوية إلى مروان وهو عامله على الحجاز يأمره أن يخطب أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر لابنه يزيد فأخبر مروان عبد الله بذلك فقال: إن أمرها ليس إلي إنما هو إلى سيدنا الحسين وهو خالها فأخبر الحسين بذلك فقال: أستخير الله تعالى اللهم وفق لهذه الجارية رضاك من آل محمد، فلما اجتمع الناس في المسجد أقبل مروان حتى جلس إلى الحسين وقال: إن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن أخطب أم كلثوم لابنه يزيد وأن أجعل مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ وأن الحسين قال له: لعمري لو أردنا ذلك ما عدونا سنة رسول الله ﷺ في بناته ونسائه وأهل بيته وهو اثنتا عشرة أوقية يكون أربعمائة وثمانين درهماً. ثم ذكر حواراً دار بينهما ثم قال: إن الحسين قال: اشهدوا إني قد زوجت أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر من ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر على أربعمائة وثمانين درهماً وقد نحلتها ضيعتي بالمدينة أو قال أرضي بالعقيق وأن غلتها في السنة ثمانية آلاف دينار (الحديث). وفي الإصابة أبو نيزر بكسر أوله وسكون المثناة التحتية وفتح الزاي بعدها راء ذكره الذهبي مستدركاً وقال يقال إنه من ولد النجاشي جاء وأسلم وكان مع النبي ﷺ في مؤونته ثم قال

في جملة ما حكاه عن كامل المبرد أنه كان يقوم بضيعتي علي اللتين في ينبع[1] تسمى إحداهما البغيبغة والأخرى عين أبي نيزر. وفي معجم البلدان ينبع قال عرام بن الأصبغ السلمي هي لبني حسن بن علي وفيها عيون عذاب غزيرة وقال غيره ينبع حصن به نخيل وماء وزرع وبها وقوف لعلي بن أبي طالب يتولاه ولده.

هذا ما وقفنا عليه مما يتعلق بهذا المقام وفيه مواضع ينبغي أن نتكلم عليها:

(أولاً) إن المبرد صرح بأن وقف علي عليه السلام الضيعتين كان لسنتين من خلافته وخطاب أبي نيزر بقوله طعام لا أرضاه لأمير المؤمنين وقوله في كتاب الوقف هذا ما تصدق به عبد الله علي أمير المؤمنين دال على أن ذلك في زمن خلافته وما ذكره من أن وقفه للضيعتين كان لما جاء أبا نيزر وهو يقوم بهما وضرب في العين بالمعول فانثالت كأنها عنق بعير دال على أن ذلك كان وعلي بالحجاز مع أنه بعد أن ذهب إلى العراق واتخذ الكوفة مسكناً لم يذكر أحد أنه رجع إلى الحجاز ومتى كان يمكنه أن يرجع وهو قد ذهب للعراق لحرب أصحاب الجمل وبعد فراغه اشتغل بحرب صفين وبعده بحرب الخوارج ثم استشهد فلم تكن له فرصة لأن يذهب للحجاز وليس هناك أمر مهم يدعوه للذهاب.

(ثانياً) كلام المبرد دال على أنه أسلم صغيراً على يدي النبي ﷺ فكان معه في مؤونته ثم مع فاطمة وولدها وكلام ابن إسحق دال على أن علياً (ع) اشتراه وأعتقه وجعله في الضيعتين ويمكن الجمع بأن علياً عليه السلام اشتراه من تاجر وهو صغير وأعتقه ثم جاء به إلى النبي ﷺ فأسلم وبقي عند النبي ﷺ إلى وفاته فانتقل إلى بيت علي فصار مع فاطمة وولدها ثم جعله في الضيعتين.

(ثالثاً) قصة مجيئه أبا نيزر إلى الضيعة هذه تدل على أمور.

---

(١) الذي في النسخة المطبوعة البقيع بدل ينبع وهو تصحيف.

١ ـ غاية زهده بأكله القرع المطبوخ بالودك المتغير الرائحة ولعله كان بغير خبز وهي واحدة من كثير مما يدل على غاية زهده.

٢ ـ استحباب غسل اليد قبل الأكل.

٣ ـ استحباب غسل اليدين بعده.

٤ ـ قوله من أدخله بطنه النار فأبعده الله موعظة بالغة فأكل الحرام الذي هو لذة ساعة ثم يصير عذرة إذا كان يوجب دخول النار لا يفعله ذو عقل.

٥ ـ الحث على العمل والكد بضربه بالمعول حتى تفضح جبينه عرقاً واستئنافه الضرب حتى استنبط الماء الغزير.

٦ ـ تأكد استحباب الوقف في سبل الخير.

٧ ـ استحباب المسارعة إلى فعل الخير فلذلك بادر إلى الوقف بدون مهلة.

٨ ـ استحباب الكتابة للوقف وغيره فلذلك بادر إلى طلب الدواة.

٩ ـ المراد بالصدقة هنا الوقف وقد سمي الوقف صدقة جارية أي دائمة.

١٠ ـ إن الوقف يجوز اشتراط الرجوع فيه عند الحاجة ولا يفسد بذلك لقوله إلا أن يحتاج إليها الحسن أو الحسين فهما طلق لهما الخ فجعل ذلك لهما دون باقي ولده إلا أن الحسين لما فيه من سمو النفس وشرف الطبع لم يرض أن يبيع عين أبي نيزر من معاوية بمائتي ألف دينار التي تقرب من مائة ألف ليرة عثمانية ذهباً وقد ركبه الدين لتبقى هذه المكرمة وثوابها لأبيه وإن رخص له في بيعها عند الحاجة وقال إنما تصدق بها أبي ليقي بها وجهه حر النار ولست بائعها بشيء. تفديك نفسي يا أبا عبد الله وأي عمل عمله أبوك يخشى منه لفح النار لوجهه، ويمكن أن يريد بقوله إلا أن يحتاج إليها الحسن والحسين الأعم من الحاجة إلى البيع أو إلى غلتها فلهما أخذها ولا يلزمهما التصدق بها على الفقراء وابن السبيل.

(رابعاً) كلام المبرد في خبر تزويج أم كلثوم هذه يدل على أن الحسين (ع) نحلها البغيبغة ورواية ابن شهراشوب تدل على أنه نحلها ضيعته بالمدينة أو أرضه بالعقيق وأرض العقيق خارجة عن البغيبغة التي بينبع أما ضيعته بالمدينة فيمكن انطباقها على التي بينبع لأنها من توابع المدينة وحينئذ فيرجح ما ذكره المبرد ويضعف أنه نحلها أرضه بالعقيق.

(خامساً) نحلة الحسين (ع) البغيبغة الداخلة في الوقف لأم كلثوم هو أخذ بالرخصة التي رخصها له أبوه ولم يعمل بها في بيع عين أبي نيزر من معاوية للبون الشاسع بين المقامين فلذلك توارثها بنو عبد الله بن جعفر من ناحية أم كلثوم.

(سادساً) ما فعله المأمون أراد به الجمع بين بقاء وقف علي (ع) على حاله وعدم الحيف على ولد عبد الله بن جعفر فانتزعها منهم وردها إلى ما كانت عليه وعوضهم عنها.

(سابعاً) ما حكي في المعجم من أن بينبع وقوفاً لعلي بن أبي طالب يتولاها ولده الظاهر أن المراد به عين أبي نيزر لا البغيبغة لكون الثانية صارت إلى ولد عبد الله بن جعفر.

(ثامناً) يستفاد من خبر تزويج أم كلثوم هذا استحباب تقليل المهر وأن مهر السنة اثنتا عشرة أوقية كل أوقية أربعون درهماً مجموعها ٤٨٠ درهماً وأن من أراد زيادة المهر فليجعل الزيادة على ذلك نحلة وعطية غير داخلة في المهر.

حلي الكعبة

ومن أخباره في زمن عمر ما في نهج البلاغة: روي أنه ذكر عند عمر بن الخطاب في أيامه حلي الكعبة وكثرته فقال قوم: لو أخذته فجهزت به جيوش المسلمين كان أعظم للأجر. وما تصنع الكعبة بالحلي؟ فهم عمر بذلك وسأل عنه أمير المؤمنين عليه السلام فقال: إن هذا القرآن أنزل على محمد ﷺ والأموال أربعة: أموال المسلمين فقسمها بين الورثة في الفرائض. والفيء فقسمه

على مستحقيه. والخمس فوضعه الله حيث وضعه. والصدقات فجعلها الله حيث جعلها وكان حلي الكعبة فيها يومئذ فتركه على حاله ولم يخف عنه مكاناً فأقره حيث أقره الله ورسوله. فقال عمر: لولاك لافتضحنا. وترك الحلي بحاله «اهـ».

وقال ابن أبي الحديد في الشرح ما حاصله هذا استدلال صحيح ويمكن أن يورد على وجهين (**أحدهما**) إن الأصل في الأشياء الحظر كما هو مذهب البعض (**ثانيها**) إن حلي الكعبة مال مختص بالكعبة جار مجرى ستورها وبابها فكما لا يجوز التصرف في ستورها وبابها فكذلك الحلي بجامع الاختصاص الجاعل كل واحد منها كالجزء من الكعبة. قال: وعلى هذا الوجه يجب أن يحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام لا على ظاهره وإلا لكان لمعترض أن يعترض بأن الأموال الأربعة أموال متكررة بتكرر الأزمان يذهب الموجود ويخلفه غيره فكان الاهتمام بها أكثر وليس كذلك حلي الكعبة وأيضاً فهو شيء قليل ليس مثله مما يقال ينبغي أن يكون الشارع قد تعرض لوجوه مصرفه فافترق الموضعان «اهـ» (وأقول) كلام أمير المؤمنين (ع) ليس ناظراً إلى شيء من هذين الوجهين مع فسادهما في أنفسهما فالأصل في الأشياء الإباحة كما قرر في الأصول لكن في غير الأموال. واختصاص الحلي بالكعبة يجعله جارياً مجرى ستورها وبابها لكن كون الحلي والستور كالجزء منها ممنوع لو سلم ذلك في الباب إلا أن منع التصرف فيما هو مختص بالكعبة حتى ولو صار كالجزء منها محتاج إلى دليل يدخله تحت عنوان محرم لكن كلام أمير المؤمنين ناظر إلى أن النبي ﷺ لم يتصرف في حلي الكعبة مع حاجة المسلمين إليه لتجهيز الجيوش أشد من الحاجة التي كانت في زمن عمر ولم يكن ناسياً له فدل ذلك على عدم جواز التصرف فيه. هذا وجه إجمالي لعدم جواز التصرف، وهناك وجه تفصيلي وهو أنه موقوف على أن تحلى به الكعبة، وبذلك يعلم اندفاع ما أورده من الاعتراض وعدم الحاجة إلى هذا الجواب مع فساده في نفسه.

إشارته عليه في حرب الروم والفرس

ومن أخباره في زمن عمر ما أشار به عليه من عدم التوجه بنفسه إلى حرب

الروم والفرس وعلل ذلك بأنهم إذا نظروا إليه قالوا هذا رجل العرب فإن قطعتموه فقد قطعتم العرب وكان أشد لكلبهم فربما جرى له مثل ما جرى يوم خيبر، فقال عمر: هذا هو الرأي وقد كنت أحب أن أتابع عليه فدل على أنه كان كارهاً للخروج قبل أن يشير عليه بذلك، وقد مر ذلك مفصلاً في الأمر الرابع والعشرين من مناقبه وقضائه فأغنى عن إعادته.

وضع التاريخ

ومن أخباره في خلافة عمر ما أشار عليه لما جمع الناس فسألهم من أي يوم يكتب التاريخ فأشار أن يجعل من الهجرة، ومر تفصيله في الأمر الرابع والعشرين أيضاً.

قضاياه في إمارة عمر

١ ـ ما ذكره المفيد في الإرشاد وابن شهراشوب في المناقب وقالا: رواه العامة والخاصة من أن قدامة بن مظعون شرب الخمر في إمارة عمر فأراد عمر أن يحده فقال لا يجب عليّ الحد لأن الله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فدرأ عمر عنه الحد فقال له علي: إن قدامة ليس من أهل هذه الآية ولا من سلك سبيله في ارتكاب ما حرم الله إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لا يستحلون حراماً فأردد قدامة واستتبه مما قال فإن تاب فأقم عليه الحد وإن لم يتب فاقتله فقد خرج عن الملة. وعرف قدامة الخبر فأظهر التوبة فدرأ عمر عنه القتل ولم يدر كيف يحده فسأل علياً فقال: حده ثمانين إن شارب الخمر إذا شربها سكر وإذا سكر هذى وإذا هذى افترى فحده عمر ثمانين.

٢ ـ ما في إرشاد المفيد: روي أن عمر استدعى امرأة كانت تتحدث عندها الرجال فلما جاءتها رسله فزعت وخرجت معهم فأسقطت ووقع إلى الأرض ولدها ثم مات فجمع أصحاب رسول الله ﷺ وسألهم فقالوا: نراك مؤدباً ولم ترد إلا خيراً ولا شيء عليك، وعلي جالس لا يتكلم فقال له: ما عندك في هذا

يا أبا الحسن؟ قال: قد سمعت ما قالوا. قال: فما عندك أنت قال: قد قال القوم ما سمعت قال: أقسمت عليك لتقولن ما عندك قال: إن كان القوم قد قاربوك فقد غشوك وإن كانوا ارتأوا فقد قصروا إن الدية على عاقلتك لأن قتل الصبي خطأ تعلق بك. فقال: أنت والله نصحتني من بينهم والله لا تبرح حتى تجري الدية على بني عدي ففعل. وفي المناقب: روى جماعة منهم إسماعيل بن صالح عن الحسن وذكر مثله ثم قال: وقد أشار الغزالي إلى ذلك في الأحياء.

٣ ـ ما في مناقب ابن شهراشوب: إنه أتي إلى عمر برجل وامرأة قال لها الرجل: يا زانية فقالت: أنت أزنى مني فأمر بأن يجلدا فقال علي: لا تعجلوا. على المرأة حدان حد لفريتها لأنها قذفته وحد لإقرارها على نفسها وليس على الرجل شيء.

٤ ـ ما في المناقب أيضاً عن الرضا عليه السلام: قضى أمير المؤمنين عليه السلام في محصنة فجر بها غلام صغير فأمر عمر أن ترجم فقال علي: لا يجب عليها الرجم إنما يجب الحد لأن الذي فجر بها ليس بمدرك.

٥ ـ ما فيه أيضاً: أمر عمر برجل يمني محصن فجر بالمدينة أن يرجم فقال علي: لا يجب عليه الرجم لأنه غائب عن أهله إنما يجب عليه الحد فقال عمر: لا أبقاني الله لمعضلة لم يكن لها أبو الحسن.

٦ ـ ما في عجائب أحكامه: عن علي بن إبراهيم حدثني أبي عن محمد بن أبي عميرة عن عمر بن زيد عن أبي المعلى عن أبي عبد الله عليه السلام: أتي عمر بامرأة تعلقت بأنصاري تهواه فلم تقدر على حيلة فصبت بياض البيض على ثيابها وجسمها ثم جاءت إلى عمر فقالت: يا أمير المؤمنين إن هذا أخذني في موضع كذا ففضحني فهم عمر أن يعاقب الأنصاري فقال: يا أمير المؤمنين تثبت في أمري فقال عمر: يا أبا الحسن ما ترى فنظر علي إلى بياض البيض على ثوبها فقال ائتوني بماء حار مغلي فأمر بصبه على ذلك البياض فإذا هو بياض البيض وأقرت المرأة بذلك.

٧ ـ ما فيه أيضاً بعد السند المذكور. وعنه عن أبي إسحق السبيعي عن عاصم بن ضمرة: سمعت غلاماً بالمدينة وهو يقول: يا حاكم الحاكمين احكم بيني وبين أمي بالحق فقال عمر: يا غلام لم تدعو على أمك؟ قال: إنها حملتني تسعاً وأرضعتني حولين كاملين فلما ترعرعت طردتني وانتفت مني فأتى بها مع أربعة أخوة لها وأربعين قسامة يشهدون لها أنها لا تعرف الصبي وأنه مدع ظلوم يريد أن يفضحها في عشيرتها وأنها جارية من قريش لم تتزوج قط وأنها بخاتم ربها فقال عمر: خذوا الغلام إلى السجن حتى نسأل عن الشهود فإن عدلت شهادتهم جلدته حد المفتري فمضوا به إلى السجن فلقيهم علي فقال الغلام: يا ابن عم محمد إني غلام مظلوم فقال علي لعمر: أتأذن لي أن أقضي بينهم فقال: يا سبحان الله وكيف لا وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أعلمكم علي بن أبي طالب**» فقال للغلام: ما تقول؟ فأعاد الكلام الأول وقال للمرأة: ما تقولين؟ فأعادت ما قالت فقال: ألك شهود؟ قالت: نعم. فتقدم الأربعون القسامة فشهدوا بالشهادة الأولى فقال: والله لأقضين اليوم بينكما بقضية هي مرضاة للرب من فوق عرشه ثم قال ألك ولي؟ قالت نعم هؤلاء أخوتي، فقال لهم: أمري فيكم وفيها جائز قالوا: نعم فقال: أشهد الله ورسوله ومن حضر من المسلمين أني قد زوجت هذه الجارية من هذا الغلام بأربعمائة درهم والنقد من مالي، يا قنبر علي بالدارهم فأتاه بها فصبها في حجر الغلام وقال خذها وصبها في حجر امرأتك ولا تأتنا إلا وبك أثر العرس فصبها الغلام في حجرها ثم أخذ بيدها وقال لها: قومي، فنادت: الأمان الأمان يا ابن عم محمد، تريد أن تزوجني من ولدي، هذا والله ولدي، زوجوني هجيناً فولدت منه هذا فلما ترعرع وشب أمروني أن انتفي منه. فنادى عمر: واعمراه لولا علي هلك عمر «اه» باختصار ورواه ابن شهراشوب في المناقب عن حدائق أبي تراب الخطيب وكافي الكليني وتهذيب أبي جعفر عن عاصم بن ضمرة مثله.

٨ ـ ما عن ابن قيم الجوزية في كتاب السياسة الشرعية: إن امرأة استنكحها رجل أسود اللون ثم ذهب في غزاة فلم يعد فوضعت غلاماً أسود فتعيرته، فبعد أن شب استعداها إلى عمر، فلم يجد شهادة إثبات وكاد يتم للمرأة ما أرادت بيد

أن علياً أدرك في طرفه ما تجتهد المرأة في إخفائه فقال: يا غلام أما ترضى أن أكون لك أباً والحسن والحسين أخويك؟ فقال: بلى وقال لأولياء المرأة: أما ترضون أن تضعوا أمرها في يدي؟ قالوا: بلى. فقال: إني زوجت مولاتي هذه من ابني هذا على صداق قدره كذا وكذا فأجفلت المرأة وقالت: النار يا علي والله إنه ابني ولكن لسواد لونه.

٩ ـ ما في مناقب ابن شهراشوب عن المهنأ بن عبد الرحمن بن عايد الأزدي: أتى عمر بن الخطاب بسارق فقطعه ثم أتى به الثانية فقطعه ثم أتى به الثالثة فأراد قطعه فقال علي: لا تفعل قد قطعت يده ورجله ولكن احبسه.

١٠ ـ ما في كتاب عجائب أحكامه عن محمد بن أبي عمير عن معاوية بن وهب عن أبي عبد الله قال: أُتي عمر بن الخطاب بجارية شهدوا أنها زنت وكانت يتيمة عند رجل كان كثيراً ما يغيب عن أهله، فشبت اليتيمة فتخوفت امرأته أن يتزوجها زوجها فسقتها الخمر ودعت نسوة فأمسكنها وأخذت عذرتها بيدها فلما قدم زوجها رمتها بالفاحشة وأقامت البينة جاراتها اللواتي ساعدنها على ذلك فرفع ذلك إلى عمر فقال للرجل: إذهب بنا إلى علي. فقال علي: لامرأة الرجل ألك بينة؟ قالت: هؤلاء جاراتي يشهدن بذلك، فأحضرتهم وأخرج السيف من غمده وطرحه بين يديه ثم أمر بكل واحدة فأدخلت بيتاً، ودعا بامرأة الرجل فأدارها بكل وجه فأبت أن تزول عن قولها فردها إلى البيت الذي كانت فيه، ودعا إحدى الشهود وقال لها: أتعرفيني أنا علي بن أبي طالب وهذا سيفي وقد قالت امرأة الرجل ما قالت ورجعت إلى الحق وأعطيتها الأمان وإن لم تصدقيني لأملأن السيف منك، فالتفتت إلى عمر فقالت: يا أمير المؤمنين الأمان على الصدق فقال لها علي: فاصدقي فقالت: لا والله ولكنها لما رأت جمالاً وهيأة خافت فساد زوجها فسقتها المسكر ودعتنا فأمسكناها فافتضتها بأصبعها، فقال علي: الله أكبر، وألزم على المرأة حد القاذف وألزمها جميع العقر وجعل عقرها أربعمائة درهم وأمر بالمرأة أن تنفى من الرجل وطلقها زوجها وزوجه اليتيمة وساق عنه علي المهر.

١١ ـ ما عن كتاب أعلام الموقعين قال: رفعت إلى عمر قصة رجل قتلته امرأة أبيه وخليلها فتردد عمر هل يقتل الكثير بالواحد فقال له علي: أرأيت لو أن نفراً اشتركوا في سرقة جزور فأخذ هذا عضواً وهذا عضواً أكنت قاطعهم؟ قال: نعم. قال: فكذلك هذا. فعمل عمر على رأيه وكتب إلى عامله أن اقتلهما فلو اشترك أهل صنعاء كلهم فيه لقتلتهم.

١٢ ـ ما في كتاب الأذكياء لابن الجوزي: أخبرنا سماك بن حرب عن حنيش بن المعتمر أن رجلين استودعا امرأة من قريش مائة دينار وقالا: لا تدفعيها إلى أحد منا دون صاحبه حتى نجتمع، فلبثا حولاً فجاء أحدهما فقال: إن صاحبي قد مات فادفعي إلي الدنانير فأبت وقالت: إنكما قلتما لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه فتوسل إليها بأهلها وجيرانها فلم يزالوا بها حتى دفعتها، ثم لبثت حولاً فجاء الآخر فقال: ادفعي إلي الدنانير فقالت: إن صاحبك جاءني فزعم أنك مت فدفعتها إليه، فاختصما إلى عمر بن الخطاب فأراد أن يقضي عليها فقالت: أنشدك الله أن ترفعنا إلى علي. ففعل فعرف علي أنهما قد مكرا بها فقال: أليس قلتما لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه قال: بلى قال: ما لك عندنا فجيء بصاحبك حتى ندفعها إليك.

١٣ ـ ما في المناقب أيضاً عن القاضي نعمان في شرح الأخبار عن عمر بن حماد القناد بإسناده عن أنس: قال: كنت مع عمر بمنى إذ أقبل أعرابي ومعه ظهر فقال لي عمر: سله هل يبيعه فسألته قال: نعم فاشترى منه أربعة عشر بعيراً ثم قال: يا أنس الحق هذا بالظهر فقال الأعرابي: جردها من أحلاسها وأقتابها فقال عمر: إنما اشتريتها بأحلاسها وأقتابها فاستحكما علياً فقال: كنت اشترطت عليه أقتابها وأحلاسها قال عمر: لا قال: فجردها فإنما لك الإبل قال عمر: يا أنس جردها وادفع أقتابها وأحلاسها إلى الأعرابي وألحقها بالظهر ففعلت.

١٤ ـ ما في المناقب أيضاً عن الكتاب المذكور قال أبو عثمان النهدي: جاء رجل إلى عمر فقال: إني طلقت امرأتي في الشرك تطليقة وفي الإسلام

تطليقتين فما ترى؟ فسكت عمر فقال له الرجل: ما تقول قال: كما أنت حتى يجيء علي بن أبي طالب. فجاء علي فسأله فقال: هدم الإسلام ما كان قبله هي عندك على واحدة.

١٥ ـ ما في المناقب أيضاً عن الكتابين المذكورين: عمر بن حماد بإسناده عن عبادة بن الصامت قال: قدم قوم من الشام حجاجاً فأصابوا دحي نعامة فيه خمس بيضات وهم محرمون فشووهن وأكلوهن ثم قالوا: ما نرانا إلا وقد أخطأنا وأصبنا الصيد ونحن محرمون فأتوا المدينة وسألوا عمر فقال: انظروا إلى قوم من أصحاب رسول الله ﷺ فاسألوهم فسألوا جماعة فاختلفوا في الحكم بذلك فقال: إذا اختلفتم فها هنا رجل كنا أمرنا إذا اختلفنا في شيء أن نسأله فيحكم فيه، فاستعار أتاناً من امرأة يقال لها عطية فركبها وانطلق بالقوم معه حتى أتى علياً وهو بينبع فخرج إليه علي فتلقاه وقال: هلا أرسلت إلينا فنأتيك فقال الحكم يؤتى في بيته فسألوه فقال: مرهم فليعمدوا إلى خمس قلائص من الإبل فيطرقوها الفحل فإذا أنتجت أهدوا ما نتج منها جزاءاً عما أصابوا، فقال عمر: يا أبا الحسن إن الناقة قد تجهض فقال علي: وكذلك البيضة قد تمرق، فقال عمر فلهذا أمرنا أن نسألك.

١٦ ـ قضاؤه في المجنونة التي فجر بها رجل.

١٧ ـ في التي ولدت لستة أشهر.

١٨ ـ في الحامل التي زنت، وقد مرت القضايا الثلاث في الأمر الثالث عشر من مناقبه وفضائله.

الشـورى

لما طعن عمر في أواخر سنة ٢٣ جعل الأمر شورى بين ستة علي وعثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وقال: إن رسول الله ﷺ مات وهو راض عن هذه الستة وفي رواية قال: إنهم من أهل الجنة وأمر أن يؤخذ بأكثرية الأصوات فإن تساوت رجح الجانب الذي فيه

عبد الرحمٰن بن عوف وأمر أبا طلحة الأنصاري فقال: كن في خمسين رجلاً من الأنصار حاملي سيوفكم فقف على باب البيت الذي فيه هؤلاء الستة ليتشاوروا ويختاروا واحداً منهم فإن اتفق خمسة وأبى واحد فاضرب عنقه وإن اتفق أربعة وأبى اثنان فاضرب أعناقهما وإنِ اتفق ثلاثة وخالف ثلاثة فانظر الثلاثة التي فيها عبد الرحمٰن بن عوف فارجع إلى ما قد اتفقت عليه فإن أصرت الثلاثة الأخرى على خلافها فاضرب أعناقها وإن مضت ثلاثة أيام ولم يتفقوا على أمر فاضرب أعناق الستة ودع المسلمين يختاروا لأنفسهم. وكان قد دعاهم فحضروا فوصف كل واحد منهم بوصف عابه به على ما ذكره الجاحظ في كتاب السفيانية وذكره غيره في باب فراسة عمر فقال للزبير: أما أنت فوقس لقس (أي عياب) مؤمن الرضا كافر الغضب يوماً إنسان ويوماً شيطان ولعلها لو أفضت إليك ظلت يومك تلاطم بالبطحاء على مد من شعير، وقال لطلحة: لقد مات رسول الله ﷺ ساخطاً عليك بالكلمة التي قلتها يوم أنزلت آية الحجاب: (وهي قوله ما الذي يغنيه حجابهن اليوم وسيموت غداً فننكحهن) . وقال لسعد: إنما أنت صاحب مقنب وصاحب قنص وقوس وأسهم وما زهرة والخلافة وأمور الناس. وقال لعبد الرحمٰن بن عوف بعدما مدح إيمانه: ليس يصلح هذا الأمر لمن فيه ضعف كضعفك. وقال لعلي: لله أنت لولا دعابة فيك أما والله لئن وليتهم لتحملنهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء. وقال لعثمان: كأني بك قد قلدتك قريش هذا الأمر فحملت بني أمية وبني أبي معيط على رقاب الناس وآثرتهم بالفيء. وروى الطبري في تاريخه عن عمرو بن ميمون الأودي في حديث قال: ثم راحوا فقالوا: يا أمير المؤمنين لو عهدت عهداً فقال: كنت أجمعت أن أنظر فأولي رجلاً أمركم هو أحراكم أن يحملكم على الحق وأشار إلى علي ورهقتني غشية فرأيت رجلاً دخل جنة قد غرسها فجعل يقطف كل غضة ويانعة فيضمه إليه ويصيره تحته فعلمت أن الله غالب أمره ومتوف عمر فما أريد أن أتحملها حياً وميتاً عليكم هؤلاء الرهط «الحديث». فلما دفن عمر جمعهم أبو طلحة ووقف على باب البيت في خمسين من الأنصار حاملي سيوفهم. فقال طلحة: قد وهبت حقي من

الشورى لعثمان، فقال الزبير: قد وهبت حقي لعلي، فقال سعد بن أبي وقاص: وأنا قد وهبت حقي من الشورى لابن عمي عبد الرحمٰن لأنهما من بني زهرة. فقال عبد الرحمٰن لعلي وعثمان أيكما يخرج نفسه من الخلافة ويكون إليه الاختيار فلم يتكلم منهما أحد، فقال عبد الرحمٰن: أشهدكم أني أخرجت نفسي من الخلافة على أن أختار أحدهما، فقال لعلي: أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين فقال: بل على كتاب الله وسنة رسوله واجتهاد رأيي. وفي رواية الطبري على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده فقال: أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمي وطاقتي. وفي رواية أخرى للطبري قال: اللهم لا ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي. وفي رواية ابن الأثير في أسد الغابة: أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه وسيرة الشيخين فيما استطعت فعدل إلى عثمان فقال: أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه وسيرة الشيخين قال: نعم فبايعه فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. قال الطبري فقال علي: حبوته حبو دهر، ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون. فقال عبد الرحمٰن: يا علي لا تجعل على نفسك سبيلاً، فقال المقداد: يا عبد الرحمٰن أما والله لقد تركته يعني علياً من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون فقال: يا مقداد لقد اجتهدت للمسلمين فقال المقداد: ما رأيت مثل ما أتي إلى أهل هذا البيت بعد نبيهم إني لأعجب من قريش أنهم تركوا رجلاً ما أقول إن أحداً أعلم ولا أقضى منه بالعدل أما والله لو أجد أعواناً «اه» ويقال إن علياً قال له: والله ما فعلته إلا لأنك رجوت منه مثل ما رجا صاحبكما من صاحبه، دق الله بينكما عطر منشم (مثل يضرب لشدة العداوة) قيل ففسد بعد ذلك بين عثمان وعبد الرحمٰن فلم يكلم أحدهما صاحبه حتى مات عبد الرحمٰن. وفي تاريخ أبي الفداء لما أحدث عثمان ما أحدث من توليته الأمصار للأحداث من أقاربه روي أنه قيل لعبد الرحمٰن بن عوف هذا كله فعلك فقال: لم أظن به هذا لكن الله علي أن لا أكلمه أبداً ومات عبد الرحمٰن وهو مهاجر لعثمان ودخل عليه عثمان عائداً في مرضه فتحول إلى الحائط ولم يكلمه «اه».

وفي القصة أمور تستلفت النظر، **الأول**: إن الخليفة قد عاب كلاً من الخمسة بأمر يبعده عن الخلافة ولم يقل في حق علي إلا أن فيه دعابة وليس فيها ما يضر إن لم تكن صفة مدح وشهد له مؤكداً بالقسم بأنه إن لو وليهم ليحملنهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء وأنه أحرى أن يحملهم على الحق واعتذر عن عدم توليته بأنه لا يريد أن يتحملها حياً وميتاً مع أن جعل الأمر شورى بين ستة لا يخرجه عن تحملها ميتاً، **الثاني**: إنه عند التساوي بترجيح الجانب الذي فيه عبد الرحمٰن مع شهادته لعلي بأنه إن وليهم يحملهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء فأحرى أن يرجح عند التساوي الجانب الذي هو فيه، **الثالث**: إنه أمر بقتل من خالف منهم وبقتل الستة إن لم يتفقوا وقد شهد لهم بأن رسول الله ﷺ مات وهو راض عنهم بأنهم من أهل الجنة مع قوله لطلحة: إن رسول الله مات وهو ساخط عليك، **الرابع**: إن علياً لم يكن له في ظاهر الحال إلا صوتان من الستة صوته وصوت الزبير والأربعة الباقية ليست في جانبه فطلحة لا يريده وعبد الرحمٰن كان صهر عثمان لأن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط كانت زوجة عبد الرحمٰن وهي مع ذلك أخت عثمان من أمه، وسعد لا يخالف عبد الرحمٰن إذ كلاهما من بني زهرة وسعد لم يكن له هوى في علي ولما بويع بالخلافة لم يبايعه ولذلك قال علي فيما رواه الطبري لقوم كانوا معه من بني هاشم أن أطيع فيكم قومكم لم تؤمروا أبداً وقال للعباس: عدلت عنا فقال: وما علمك قال: قرن بي عثمان وقال: كونوا مع الأكثر فإن تساووا فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمٰن بن عوف فسعد لا يخالف ابن عمه عبد الرحمٰن وعبد الرحمٰن صهر عثمان فلو كان الآخران معي لم ينفعاني بل إني لا أرجو إلا أحدهما.

فالمتأمل في ذلك يظهر له أنه لم يكن المقصود من الشورى: الشورى بل تثبيت خلافة عثمان بوجه قانوني محكم.

أما ما يذكره بعض المؤرخين من مجابهة العباس علياً بعد هذا الكلام بقوله: لم أرفعك في شيء إلا رجعت إليّ مستأخراً بما أكره أشرت عليك عند

وفاة رسول الله ﷺ أن تسأله فيمن هذا الأمر فأبيت وأشرت عليك بعد وفاته أن تعاجل الأمر فأبيت وأشرت عليك حين سماك عمر في الشورى أن لا تدخل معهم فأبيت (الحديث) فباطل، **أولاً**: إن العباس كان أعرف بمقام علي وأشد تعظيماً له من أن يجابهه بمثل هذا الكلام، **ثانياً**: إن العباس نفسه سأل النبي ﷺ هل يكون الأمر فيهم بعده فقال له ﷺ: «**أنتم المستضعفون بعدي**» فكيف يلوم عليا على عدم سؤاله، **ثالثاً**: إن النبي ﷺ طلب في مرضه دواة وكتفاً ليكتب لهم ما لا يضلون بعده فلم يفعلوا فما فائدة سؤال علي له، **رابعاً**: قد أجاب علي عليه السلام العباس عن الأمر الثاني يوم وفاة النبي ﷺ بقوله: لم أكن لأدع رسول الله ﷺ بلا دفن وأشتغل بذلك فكيف يلومه عليه ثانياً، **خامساً**: كيف يلومه على الدخول في الشورى ولم يكن ذلك اختيارنا بظاهر الحال. (وروى) الطبري في تاريخه أن علياً خطب عند اجتماع القوم للشورى فقال: الحمد لله الذي بعث محمداً منا نبيّاً وبعثه إلينا رسولاً فنحن بيت النبوة ومعدن الحكمة وأمان أهل الأرض ونجاة لمن طلب لنا حق أن نعطه نأخذه وأن نمنعه نركب أعجاز الإبل ولو طال السرى، لو عهد إلينا رسول الله ﷺ عهداً لأنفذنا عهده ولو قال لنا قولاً لجادلنا عليه حتى نموت، لن يسرع أحد قبلي إلى دعوة حق وصلة رحم ولا حول ولا قوة إلا بالله، اسمعوا كلامي وعوا منطقي عسى أن تروا هذا الأمر من بعد هذا المجمع تنتضى فيه السيوف وتخان فيه العهود حتى تكونوا جماعة ويكون بعضكم أئمة لأهل الضلالة وشيعة لأهل الجهالة ثم أنشأ يقول:

فإن تك جاسم هلكت فإني ... بما فعلت بنو عبد بن ضخم
مطيع في الهواجر كل عي ... بصير بالنوى من كل نجم «اهـ»

سنة ٣٠ من الهجرة ـ أخباره المتعلقة بأبي ذر الغفاري في خلافة عثمان

قد ذكرنا ما يتعلق بنفي أبي ذر إلى الشام ثم إلى الربذة في ترجمته في الجزء ١٦ من هذا الكتاب ونذكر منها هنا ما له ارتباط بالمقام. وذلك إن أبا ذر نفي إلى الشام ثم أعيد منها إلى المدينة ثم نفي إلى الربذة. قال الطبري في

تاريخه في حوادث ٣٠ من الهجرة فيها كان إشخاص أبي ذر من الشام إلى المدينة وقد ذكر في سبب إشخاصه أمور كرهت ذكر أكثرها «اهـ». وروى المفيد في المجالس عن علي بن بلال عن علي بن عبد اللّه الأصفهاني عن الثقفي عن محمد بن علي عن الحسين بن سفيان عن أبيه عن أبي جهضم الأودي عن أبيه في حديث طويل أنه لما نفي أبو ذر إلى الربذة أمر عثمان أن لا يشيعه أحد من الناس فبلغ ذلك علي بن أبي طالب (ع) فبكى ثم قال: أهكذا يصنع بصاحب رسول الله إنا لله وإنا إليه راجعون ثم نهض ومعه الحسن والحسين وعبد اللّه والفضل وقثم وعبيد اللّه بنو العباس حتى لحقوا أبا ذر فشيعوه فلما بصر بهم حن إليهم وبكى وقال: بأبي وجوه إذا رأيتها ذكرت بها رسول الله ﷺ وشملتني البركة برؤيتها ثم رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم إني أحبهم ولو قطعت إرباً إرباً في محبتهم ما زلت عنها ابتغاء وجهك والدار الآخرة فارجعوا رحمكم الله والله أسأل أن يخلفني فيكم أحسن الخلافة فودعه القوم ورجعوا وهم يبكون على فراقه «اهـ».

وحكى ابن أبي الحديد في شرح النهج عن رواية الواقدي أن أبا ذر دخل على عثمان بعد رجوعه من الشام قال له عثمان في جملة كلام دار بينهما: أنت الذي تزعم أنا نقول «يد الله مغلولة وإن الله فقير ونحن أغنياء» فقال: لو كنتم لا تقولون هذا لأنفقتم مال الله على عباده ـ إلى أن قال ـ فغضب عليه عثمان وقال: أشيروا علي في هذا الشيخ الكذاب. فتكلم علي وكان حاضراً فقال: أشير عليك بما قال مؤمن آل فرعون ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾ قال: فأجابه عثمان بجواب غليظ وأجابه علي بمثله ولم نذكر الجوابين تذمماً منهما «اهـ» وقال الواقدي فقال له عثمان: امض على وجهك هذا فلا تعدون الربذة فخرج إليها. وقد وجدنا كيفية إخراج أبي ذر إلى الربذة في أوراق من كتاب مخطوط من تأليف أبي مخنف ورواها أبو بكر الجوهري في كتاب السقيفة بنحو مما ذكره أبو مخنف وربما وجدت في أحدهما زيادة عن الآخر لا تغير المعنى ونحن ننقل

مجموعها من الكتابين وإذا كان في أحدهما زيادة ذكرناها قال ابن أبي الحديد: روى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة عن عبد الرزاق عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما أخرج أبو ذر إلى الربذة أمر عثمان فنودي في الناس أن لا يكلم أحد أبا ذر ولا يشيعه وأمر مروان أن يخرج به فتحاماه الناس إلا علي بن أبي طالب وعقيلاً أخاه وحسناً وحسيناً وعماراً فإنهم خرجوا معه يشيعونه فجعل الحسن يكلم أبا ذر فقال مروان: إيها يا حسن ألا تعلم أن أمير المؤمنين قد نهى عن كلام هذا الرجل فإن كنت لا تعلم فاعلم ذلك. فحمل علي على مروان فضرب بالسوط بين أذني راحلته وقال: تنح لحاك الله إلى النار، فرجع مروان مغضباً إلى عثمان فأخبره الخبر فتلظى على علي ووقف أبو ذر فودعه القوم ومعهم أبو ذكوان مولى أم هانىء بنت أبي طالب فحفظ كلام القوم وكان حافظاً فقال علي (ع): يا أبا ذر إنك غضبت لله إن القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك فامتحنوك بالقلى ونفوك إلى الفلا. والله لو كانت السماوات والأرض على عبد رتقاً ثم اتقى الله لجعل له منها مخرجاً. يا أبا ذر لا يؤنسنك إلا الحق ولا يوحشنك إلا الباطل، ثم قال لأصحابه: ودعوا عمكم فودعوه بما ذكر في ترجمته. قال الجوهري وأبو مخنف ورجع القوم إلى المدينة فجاء علي إلى عثمان فقال عثمان: ما حملك على رد رسولي وتصغير أمري فقال علي: أما رسولك فأراد أن يرد وجهي فرددته وأما أمرك فلم أصغره فقال عثمان: أما بلغك نهيي عن كلام أبي ذر وتقدمي إلى الناس أن لا يشيعوه قال علي: أو كلما أمر بأمر معصية أطعناك فيه لا لعمر الله ما نفعل ذاك قال عثمان: اقد مروان من نفسك قال: مما ذا قال: من شتمه وضرب راحلته قال: أما راحلته فراحلتي بها فإن أراد أن يضربها فليفعل وأما شتمه إياي فوالله لا يشتمني شتمة إلا شتمتك مثلها بما لا أكذب فيه عليك فغضب عثمان وقال: لم لا يشتمك كأنك خير منه فوالله ما أنت عندي بأفضل منه فغضب علي وقال: إلي تقول هذا يا عثمان وبمروان الطريد ابن الطريد تعدلني فأنا والله أفضل منه ومنك وأبي أفضل من أبيك وأمي أفضل من أمك وبي جلست مجلسك هذا وهذه نبلي

نبلتها فهلم نبلك فانتبل. فغضب عثمان واحمر وجهه وقام فدخل وانصرف علي واجتمع إليه أهل بيته ورجال من المهاجرين والأنصار فلما كان من الغد اجتمع إلى عثمان أهل بيته ودخل عليه الناس «وفي رواية الجوهري أنه أرسل إلى وجوه المهاجرين والأنصار وإلى بني أمية» فشكا إليهم علياً وقال: إنه يبغي لي الغوائل ويظاهر علي من يعيبني ويعرض في أمري ويرد علي رأيي قالوا: فأصلح هذا برفقك فإنه ابن عمك (وفي رواية الجوهري فقالوا: أنت الوالي عليه وإصلاحه أجمل قال: وددت ذاك) قال: فائتوه فاسألوه أن يمشي إلى مروان ويعتذر إليه فأتوا علياً فذكروا له ذلك فقال: أما مروان فلا أمشي والله إليه معتذراً ولا حباً ولا كرامة ولكن إن أردتم أن أمشي إلى عثمان فعلت فأتوا بذلك إلى عثمان فقال مروان: يا أمير المؤمنين إنه لو مشى إليّ لما جعلت الأمر إلا إليك فإذا أرضاك فقد رضيت فأرسل إليه عثمان فأتاه ومعه بنو هاشم فتكلم علي فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه محمد ثم قال: (أما بعد) فإنك ظننتني في تشييعي أبا ذر ووداعه وإني والله الذي لا إله إلا هو ما أردت بذاك مساءتك ولا الخلاف عليك وما شيعته ولا ودعته إلا إرادة أن أؤدي من حقه ما يجب على المسلم أن يؤدي من حق أخيه المسلم عند شخوصه في سفره أو قدومه وأما ما استقبلت به مروان فإنه استعرضني ليردني عن قضاء حق الله فرددته رد مثلي مثله وإنما كان ذلك كالأدب مني له أن لا يرد مسلماً عن أداء حق من حقوق الله عليه وأما ما كان بيني وبينك فإنك عجلت علي وأجحفت ففرط مني ما لم أكن أحب أن يفرط وأنا أستغفر الله لي ولكم.

فتكلم عثمان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد ما مشيت إلي فيه فقد حمدتك على ذلك ووهبت لك ما كان منك وأما ما كان منك إلى مروان فقد عفا لك عنه وأما ما حلفت عليه فأنت البر الصادق فادن يدك فأخذ يده فضمها إلى صدره. ولما خرج علي من عند عثمان أقبلت سفهاء قريش وبنو أمية على عثمان فقالوا: أنت رجل قريش حقرك علي وضرب راحلتك وقد تفانت وائل في ضرع ناقة وهمدان في قتل قيس وعبس وذبيان في لطمة فرس والأوس والخزرج في

تسعة رحل وتحتمل من علي صنعه بك «فدعوا إلى حمية الجاهلية» قال أبو مخنف: فقال مروان: أما والله إن أردت تلك منه ما قدرت عليها ولو قدرت لكان ضربي البهيمة عبثاً وشتمي علياً سفهاً وما ذاك علي بعار إنه الأمير المطاع والإمام المسيطر وإنني لأرجوه للتي ما أرجو لها أحداً من قريش وقال مروان في ذلك:

وأن علياً لا أريد مساءه ... ففي كل يوم منه خطبة عائب
تقول قريش ما لمروان ساكتاً ... وما بي عي عن لؤي بن غالب
وإني لأجراهم إلى الغاية التي ... تقصر عنها سابقات الحلائب
وأصدع ما لا يستطيعون صدعه ... وأشعب ما يعيا على كل شاعب
ولكنني أرعى له فضل مثله ... وأكره ما فيه دبيب العقارب
وأرجوه للأمر الذي ليس غيره ... له من قريش عند ضربة لازب
وما في قريش مثله لملمة ... تشيب لحاميها رؤوس الكواعب
على أن فيه نخوة هاشمية ... لتلك التي نرجو بها في العواقب
فإن ملكتكم هاشم فالنجا النجا ... وتلك التي فيها اجتناب الغوارب
فيخلو لكم والراقصات إلى منى ... بركبانها مثل النعام الخواضب
فتلك التي فيها عليهم إلية ... وشر حروب القوم حرب الأقارب
وقال رجال رد مروان حقرة ... وأدمى بسوط خير رأس الركائب
فقلت لهم ردي وضرب مطيتي ... لأهون من لبسي ثياب المحارب
وقطعي بكفي منه كفا طويلة ... لها نبأ ما بين بصرى وقارب
وقلت دعوني لا أبا لأبيكم ... فلست لكم فيما ترون بصاحب

قال أبو مخنف: وأخبرني عبد الملك بن نوفل عن أبي سعيد المقبري قال: لما انصرف علي من تشييع أبي ذر استقبله الناس فقالوا: يا أبا الحسن غضب عليك عثمان لتشييعك أبا ذر فقال علي: غضب الخيل على صم اللجم.
وروى الشيخ الطوسي في الأمالي في جملة حديث أن أبا ذر لما خرج إلى الربذة أقام مدة ثم أتى المدينة فدخل على عثمان والناس عنده سماطان فقال: يا أمير المؤمنين أخرجتني من أرضي إلى أرض ليس بها زرع ولا ضرع إلا شويهات

وليس لي خادم إلا محررة ولا ظل يظلني إلا ظل شجرة فاعطني خادماً وغنيمات أعيش فيها فحول وجهه عنه فتحول إلى السماط الآخر فقال مثل ذلك فقال له حبيب بن سلمة: لك عندي ألف درهم وخادم وخمسمائة شاة قال أبو ذر: أعط خادمك والفك وشويهاتك من هو أحوج إلى ذلك مني فإني إنما أسأل حقي في كتاب الله فجاء علي فقال له عثمان: ألا تغني عني سفيهك هذا قال: أي سفيه؟ قال: أبو ذر قال علي: ليس بسفيه سمعت رسول الله ﷺ يقول ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر أنزله بمنزلة مؤمن آل فرعون (إن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم) اهـ.

خبره مع عثمان وعبد اللّه بن مسعود

كان عبد اللّه بن مسعود يطعن على عثمان، قال المرتضى في الشافي: لا يختلف أهل النقل في طعن ابن مسعود على عثمان وقوله في أشد الأقوال وأعظمها ثم أورد في ذلك عدة روايات قال أبو مخنف: حدثني نمير بن وعلة الرقاشي من همدان عن الشعبي عن ضبعة بن قيس البكري قال: إني لفي مسجد رسول الله ﷺ إذ دخل عبد اللّه بن مسعود المسجد مقدمه من الكوفة (إلى أن قال) فقال له عثمان: اخرج من مسجدنا يا ابن مسعود فقال اتخرجني من مسجد رسول الله ﷺ؟ قال: اخرج منه كما تؤمر قال: لا أفعل فأمر غلاماً له يقال له يحموم فاحتمله فأخرجه فضرب به الأرض فكسر ضلعاً من أضلاعه بعد ضرب شديد فلبث طويلاً مغشياً عليه فخرج إليه علي بن أبي طالب وأمر ابنه الحسن فأتى بماء فصب على وجهه ثم احتمله في أناس من أهل بيته وغيرهم «اهـ» ولهذا كان الحجاج يقول: ما أعلم أحداً يقرأ بقراءة ابن مسعود إلا حككتها من المصحف ولو بضلع خنزير وكان مجيء ابن مسعود من الكوفة إلى المدينة أيام ولاية الوليد بن عقبة على الكوفة ما بين سنة ٢٥ ـ ٣٠.

خبره مع الوليد بن عقبة حين شرب الوليد الخمر

كان الوالي في سنة ٣٠ على الكوفة الوليد بن عقبة بن أبي معيط

ذكوان بن أمية بن عبد شمس وهو أخو عثمان لأمه أمهما أروى بنت كريز وكان قد وليها سنة ٢٥ بعد سعد بن أبي وقاص فلما كانت هذه السنة سكر الوليد وصلى الصبح بأهل الكوفة أربعاً ثم التفت إليهم وقال: أزيدكم؟ فقال ابن مسعود: ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم وتقيأ الخمر في المحراب فأخذوا خاتمه من يده وهو لا يشعر وجاؤوا إلى المدينة فشهدوا عليه بشرب الخمر عند عثمان فقال لعلي: أقم عليه الحد فأمر علي ابنه الحسن بجلده فقال الحسن: ول حارها من تولى قارها فجلده علي وقيل أمر عبد اللّه بن جعفر فجلده قيل: أربعين والثابت في الجلد ثمانون. وروى ابن عبد البر في الاستيعاب بسنده عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر قال: جلد علي الوليد بن عقبة في الخمر أربعين جلدة بسوط له طرفان قال: وأضاف الجلد إلى علي لأنه أمر به «اهـ» وكان جلده بسوط له طرفان قائماً مقام جلده ثمانين قال ابن الأثير وكان على الوليد خميصة فأمر علي بن أبي طالب بنزعها لما جلد وفي ذلك يقول الحطيئة:

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه	إن الوليد أحق بالعذر
نادى وقد تمت صلاتهم	أأزيدكم سكراً وما يدري
فأبوا أبا وهب ولو أذنوا	لقرنت بين الشفع والوتر
كفوا عنانك إذ جريت ولو	تركوا عنانك لم تزل تجري

وفي الاستيعاب: من حديث الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: نزلت في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة في قصة ذكرها ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾.

سنة ٣١ ـ ٣٣ خبره في قصة رسول الكوفيين إلى عثمان في إمارة سعيد بن العاص على الكوفة

ومن أخباره في خلافة عثمان في خبر أبي ربيعة العنزي الذي أرسله جماعة من أهل الكوفة برسالة إلى عثمان يذكرون فيها أموراً نقموها عليه ويطلبون إليه الإقلاع عنها وذلك في إمارة سعيد بن العاص على الكوفة وكانت

إمارته عليها سنة ٣٠ من الهجرة بعد عزل الوليد بن عقبة عنها وبقي والياً عليها إلى آخر سنة ٣٣ ولا يدرى في أي سنة منها كان ذلك قال أبو مخنف كما في كتابه المخطوط المتقدم إليه الإشارة: كان أول من كتب إليه في إمارة سعيد بن العاص جماعة وعدهم اثني عشر رجلاً منهم حجر بن عدي وعمرو بن الحمق وسليمان بن صرد في رجال من أهل الكوفة ونساكهم وذوي بأسهم ينصحونه ويطلبون إليه الرجوع عن صرف قرائهم وخيارهم وقسمة فيئهم بين أشرارهم ويقولون: أنت أميرنا ما عبدت الله وأطعته وأحييت ما في كتابه وكان القريب والبعيد عندك في الحق سواء وسنذكر الكتاب بتمامه في ترجمة كعب بن ذي الحبكة عبدة النهدي وقالوا: لا نحب أن يعرفنا عثمان لأنا لا نأمنه على أنفسنا فمن يبلغ عنا كتابنا لا يبالي ما أتى إليه من قتل أو ضرب أو حبس أو تسيير فقام رجل من عنزة يكنى أبا ربيعة وقال: هاتوا كتابكم فقد عزم الله لي على الصبر على هذه الخصال فقام كعب بن ذي الحبكة النهدي وهو كعب بن عبدة وكان ناسكاً متعبداً فقال: والله لأكتبن إليه باسمي ونسبي بالغاً عنده ما بلغ فكتب إليه كتاباً (يأتي بنصه في ترجمة كعب) وجاء ليدفعه إلى العنزي فوجده قد مضى فلحقه فوجده قد قرب من العذيب فأعطاه الكتاب ومضى العنزي حتى دخل المدينة وأتى عثمان فدفع إليه كتاب أهل الكوفة فلما قرأه التمع لونه وتمغر وجهه وقال: من كتب هذا الكتاب قال: اجتمع عليه عامة قراء أهل الكوفة وأهل الصلاح والفضل في الدين والنسك قال: كذبت بل كتبه السفهاء وأهل البغي والجهل قال: خبرني من هم قال: ما أنا بفاعل قال: والله إذاً أوجع جنبيك وأطيل حبسك قال: أظن أنك ستفعل والله ما جئتك حتى ظننت نفسي بجميع ما ذكرت قال: وهذا كتاب آخر فاقرأه قبل أن تبسط علي العذاب فأخذه وقرأه فقال من كعب بن عبيدة؟ قال: قد نسب لك نفسه قال: فمن أي قبيلة هو؟ قال: ما أنا بمخبرك عنه إلا بما أخبرك عن نفسه، فقال عثمان لكثير بن شهاب الحارثي: هل تعرف كعب بن عبيدة؟ قال: نعم، ذاك رجل من بني نهد فأمر عثمان بالعنزي فجرد وعلي بن أبي طالب حاضر فقال: سبحان الله أتضرب الرسول؟

إنما هو رجل جاء بكتاب أو رسالة حملها فلم يجب عليه ضرب بل الرسول يحبى ولا يجفى قال: فترى أن نحبسه؟ قال: ما أرى حبسه فخلى سبيله وانصرف العنزي فما راعهم وهم ينتظرون قادماً يقدم عليهم فيأتيهم بخبره إذ طلع عليهم، فما بقي بالكوفة أحد إلا أتاه ممن كان على رأيه وعظم العنزي في أعينهم فسألوه فأخبرهم بما قال وما قيل له وأحسن القول في علي والثناء عليه.

بعث سعيد بن العاص بهدايا إلى المدينة وإلى علي

ومن أخباره في خلافة عثمان أمر الهدية التي بعث بها إليه سعيد بن العاص أيام ولايته على الكوفة من قبل عثمان في جملة من بعث إليهم، ومر أن ولاية سعيد هذا على الكوفة كانت سنة ثلاثين إلى آخر سنة ٣٣، ولا يدرى ٣٣ في أي سنة منها كان ذلك.

روى أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني ج ١١ ص ٢٩- ٣٠ بسنده عن الحارث بن حبيش قال: بعثني سعيد بن العاص (أيام ولايته على الكوفة من قبل عثمان) بهدايا إلى المدينة وبعثني إلى علي عليه السلام وكتب إليه: إني لم أبعث إلى أحد بأكثر مما بعثت به إليك إلا أشياء في خزائن أمير المؤمنين، قال: فأتيت علياً فأخبرته فقال: لشد ما تحظر بنو أمية تراث محمد ﷺ، أما والله لئن وليتها لأنفضنها نفض القصاب التراب الوذمة، قال أبو جعفر (الطبري) هذا غلط إنما هو الوذام التربة. وبسنده بعث سعيد بن العاص مع ابن أبي عائشة مولاه بصلة إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: والله لا يزال غلام من غلمان بني أمية يبعث إلينا مما أفاء الله على رسوله بمثل قوت الأرملة والله لئن بقيت لأنفضنها نفض القصاب الوذام التربة، هكذا في هذه الرواية «اهـ». وفي النهاية قال الأصمعي: سألني شعبة عن هذا الحرف فقلت ليس هو هكذا إنما هو نفض القصاب الوذام التربة.

تفسير الغريب في هذا الخبر

قوله لشد ما تحظر الخ تحظر من الحظر وهو المنع أي لشد ما حازوه

ومنعوه غيرهم أو من الحظيرة وهي الموضع الذي يحاط عليه فيمنع ذلك من دخوله، أي لشد ما جعلوا حظيرة على تراثه ومنعونا منه. والضميران في لئن وليتها لأنفضنها يمكن رجوعهما إلى الخلافة أو إلى بني أمية أو بالاختلاف أي لئن وليت الخلافة لأنفضن الخلافة وأنقيها مما دنسها، أو لئن وليت بني أمية لأنفضن بني أمية، والظاهر الوجهان الأولان، ومما فعله لما ولي الخلافة رد قطائع عثمان إلى بيت المال.

(والقصاب) بتشديد الصاد المهملة والرواية قد رويت بوجهين كما سمعت والطبري قال إن روايتها على الوجه الأول غلط من الرواة والصواب الوجه الثاني، وابن الأثير في النهاية تكلف في تفسيرها على الوجه الأول فقال: التراب (بكسر التاء) جمع ترب (بسكون الراء) تخفيف ترب بكسرها يريد اللحوم التي تعفرت بسقوطها في التراب، والوذمة المتقطعة الأوذام وهي السيور التي تشد بها عرى الدلو وقيل أراد بالقصاب السبع والتراب أصل ذراع الشاة، والسبع إذا أخذ الشاة قبض على ذلك المكان ثم نفضها «اهـ» فأنت ترى عدم المناسبة بين تفسير التراب وتفسير الوذمة على التفسير الأول والتكلف الظاهر في التفسير الثاني، أما على الوجه الثاني للرواية ففي القاموس الوذمة محركة المعي والكرش جمعها وذام ككتاب «اهـ» والتربة التي سقطت في التراب فإن القصاب ينفضها حينئذ لينقيها من التراب. والرواية لما أخطأ فيها بعض الرواة فقلبها تكلف العلماء في تفسيرها بهذه التكلفات.

أخباره المتعلقة بمقتل عثمان

قال الطبري في تاريخه ما حاصله: إنه لما نقم الناس على عثمان ما نقموا، استدعى عماله وفيهم معاوية، فلما خرج معاوية من عند عثمان مر على نفر من المهاجرين فيهم علي وطلحة والزبير فقال إنكم تعلمون أن هذا الأمر كان الناس يتغالبون عليه حتى بعث الله نبيه فتفاضلوا بالسابقة والقدمة والجهاد فإن أخذوا بذلك فالأمر أمرهم والناس لهم تبع، وإن طلبوا الدنيا بالتغالب سلبوا

ذلك ورده الله إلى غيرهم وإن الله على البدل لقادر، وإني قد خلفت فيكم شيخاً فاستوصوا به خيراً وكانفوه تكونوا أسعد منه بذلك، فقال علي: كنت أرى في هذا خيراً، فقال الزبير: والله ما كان أعظم قط في صدرك وصدورنا منه اليوم، (قوله) كنت أرى في هذا خيراً أي فبان لي أنه لا خير فيه، وهذا كلام يقوله من يريد بيان أن الحال الأخيرة أفظع من الأولى ولا يلزمه أنه كان يرى فيه خيراً حقيقة، وقول الزبير ما كان أعظم الخ يريد به أن كلامه تهديد لهم. قال ابن أبي الحديد: من هذا اليوم أنشب معاوية أظفاره في الخلافة لأنه غلب على ظنه قتل عثمان، ألا ترى إلى قوله وإن طلبوا الدنيا بالتغالب سلبوا ذلك ورده إلى غيرهم وهو على البدل لقادر، وإنما يعني نفسه ولذا تربص بنصرة عثمان لما استنصره. وقال الواقدي: لما أجلب الناس على عثمان وكثرت القالة فيه خرج ناس من مصر في ألفين وكان هواهم في علي وناس من الكوفة في ألفين وكان هواهم في الزبير، وناس من أهل البصرة ولم يذكر عددهم وكان هواهم في طلحة ـ ومنه يعلم أن تشيع أهل مصر أقدم من تشيع أهل الكوفة وإنما فشا التشيع في الكوفة بعد توطن أمير المؤمنين علي لها ـ فنزل المصريون ذا خشب والعراقيون ذا المروة، وروى الطبري قال: لما نزل المصريون ذا خشب يريدون قتل عثمان إن لم ينزع عما يكرهون، وعلم عثمان ذلك جاء إلى منزل علي فقال: يا ابن عم إن قرابتي قريبة ولي عليك حق وقد جاء ما ترى من هؤلاء القوم وهم مصبحي ولك عند الناس قدر وهم يسمعون منك وأحب أن تركب إليهم وتردهم عني فإن في دخولهم علي وهناً لأمري وجرأة علي، فقال علي: على أي شيء أردهم؟ قال: على أن أصير إلى ما أشرت به ورأيته لي، فقال علي: إني قد كلمتك مرة بعد أخرى فكل ذلك تخرج وتقول وتعد ثم ترجع وهذا من فعل مروان ومعاوية وابن عامر وعبد الله بن سعد فإنك أطعتهم وعصيتني، فقال عثمان: إني أعصيهم وأطيعك، فأمر علي الناس أن يركبوا معه فركب ثلاثون رجلاً من المهاجرين والأنصار فأتوا المصريين فكلموهم فكان الذي يكلمهم علي ومحمد بن مسلمة

فسمعوا منهما ورجعوا بأصحابهم يطلبون مصر ورجع علي حتى دخل على عثمان فأشار عليه أن يتكلم بكلام يسمعه الناس منه ليسكنوا إلى ما يعدهم به من النزوع وقال له: إن البلاد قد تمخضت عليك ولا آمن أن يجيء ركب من جهة أخرى فتقول لي يا علي إركب إليهم فإن لم أفعل رأيتني قد قطعت رحمك واستخففت بحقك. فخرج عثمان فخطب الخطبة التي أعطى الناس فيها من نفسه التوبة وقال لهم: أنا أول من اتعظ واستغفر الله عما فعلت وتاب إليه فليأتني أشرافكم فليروا رأيهم وليذكر كل واحد ظلامته لأكشفها وحاجته لأقضيها والله لأعطينكم الرضا ولأنحين مروان وذويه، فلما نزل وجد مروان وسعداً ونفراً من بني أمية في منزله وقد بلغتهم خطبته فقال مروان: أأتكلم أم أسكت؟ فقالت نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان: لا بل تسكت فأنتم والله قاتلوه وميتمو أطفاله قد قال مقالة لا ينبغي له أن ينزع عنها فقال لها مروان: وما أنت وذاك وذم أباها فعرضت بذم أبيه فأعرض عنه عثمان ثم عاد فقال: أتكلم أم أسكت؟ فقال تكلم: فقال بأبي أنت وأمي (والتفدية بالأب والأم لها قيمتها في الخداع) والله لوددت أن مقالتك هذه كانت وأنت ممتنع ولكنك قلت ما قلت وقد بلغ الحزام الطبيين ما زدت على أن جرأت عليك الناس. فقال عثمان: إن الفائت لا يرد ولم آل خيراً. قال: إن الناس قد اجتمعوا ببابك أمثال الجبال قال: ما شأنهم؟ قال: أنت دعوتهم فهذا يذكر مظلمة وهذا يطلب مالاً وهذا يسأل نزع عامل قال: فاخرج أنت إليهم فكلمهم فإني أستحي أن أكلمهم وأردهم فخرج مروان إلى الناس فقال ما شأنكم قد اجتمعتم كأنكم جئتم لنهب شاهت الوجوه أتريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا أغربوا عنا. وتهددهم فرجع الناس خائبين يشتمون عثمان ومروان وأتى بعضهم علياً فأخبره الخبر فأقبل علي على عبد الرحمن بن الأسود الزهري فقال: أحضرت خطبة عثمان؟ قال: نعم. قال: أفحضرت مقالة مروان للناس؟ قال: نعم. فقال: أي عباد الله يا لله للمسلمين إني إن قعدت في بيتي قال لي تركتني وخذلتني وإن تكلمت فبلغت له ما يريد جاء مروان يلعب به حتى قد صار

سيقة له يسوقه حيث يشاء بعد كبر السن وصحبة الرسول وقام مغضباً من فوره حتى دخل على عثمان فقال له: أما يرضى مروان منك إلا أن يحرفك عن دينك وعقلك فأنت معه كجمل الظعينة يقاد حيث يسار به والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا عقله وأني لأراه يوردك ثم لا يصدرك وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك، أفسدت شرفك وغلبت على رأيك، ثم نهض، فدخلت نائلة بنت الفرافصة فقالت: قد سمعت قول علي لك وإنه ليس براجع إليك ولا معاود لك وقد أطعت مروان يقودك حيث يشاء، قال: فما أصنع؟ قالت: تتقي الله وتتبع سنة صاحبيك فإنك متى أطعت مروان قتلك وليس لمروان عند الناس قدر ولا هيبة وإنما تركك الناس لمكانه وإنما رجع عنك أهل مصر لقول علي فأرسل إليه فاستصلحه فإن له عند الناس قدماً وإنه لا يعصى (ومنه يعلم أن نائلة ـ وهي امرأة ـ كانت أعقل وأنصح لعثمان من مروان) فأرسل إلى علي فلم يأته وقال: قد أعلمته أني غير عائد. قال الطبري فجاء عثمان إلى منزل علي بمنزله ليلاً فاعتذر إليه ووعد من نفسه الجميل وقال: إني فاعل وإني غير فاعل فقال له علي: أبعد ما تكلمت على منبر رسول الله ﷺ وأعطيت من نفسك ثم دخلت بيتك فخرج مروان إلى الناس يشتمهم على بابك؟ فخرج عثمان من عنده وهو يقول: خذلتني يا أبا الحسن وجرأت الناس علي. فقال علي: والله إني لأكثر الناس ذباً عنك ولكني كلما جئت بشيء أظنه لك رضا جاء مروان بغيره فسمعت قوله وتركت قولي. ولم يعد علي إلى نصر عثمان إلى أن منع الماء لما اشتد الحصار عليه. فغضب علي من ذلك غضباً شديداً وقال لطلحة: ادخلوا عليه الروايا. فكره طلحة وساءه فلم يزل علي حتى أدخل الماء إليه «اهـ». وقال ابن أبي الحديد: روى الواقدي والمدائني وابن الكلبي وغيرهم وذكر أبو جعفر (الطبري) في التاريخ وذكره غيره من جميع المؤرخين أن علياً لما رد المصريين رجعوا بعد ثلاثة أيام فأخرجوا صحيفة في أنبوبة رصاص وقالوا وجدنا غلام عثمان بالموضع المعرف بالتويت على بعير من إبل الصدفة ففتشنا متاعه لأنا استربنا أمره فوجدنا فيه هذه الصحيفة ومضمونها أمر عبد الله بن سعد بن أبي

سرح (عامل مصر من قبل عثمان) بجلد عبد الرحمن بن عديس وعمرو بن الحمق وحلق رؤوسهما ولحاهما وحبسهما وصلب قوم آخرين من أهل مصر. وقيل إن الذي أخذت منه الصحيفة أبو الأعور السلمي (ويمكن أنه كان مصاحباً للغلام) وجاء الناس إلى علي وسألوه أن يدخل إلى عثمان فيسأله عن هذه الحال فجاء فسأله فأقسم عثمان بالله ما كتبته ولا علمته ولا أمرت به فقال محمد بن مسلمة: صدق، هذا من عمل مروان. فقال: لا أدري فقال المصريون: أفيجترىء عليك ويبعث غلامك على جمل من إبل الصدقة وينقش على خاتمك ويبعث إلى عاملك بهذه الأمور الفظيعة وأنت لا تدري؟ قال: نعم فقالوا: إن كنت كاذباً فقد استحققت الخلع لما أمرت به بغير حق وإن كنت صادقاً استحققت الخلع لضعفك، وكثرت الأصوات واللغط فقام علي وأخرج أهل مصر معه وخرج إلى منزله. قال الواقدي وأحاط المصريون والكوفيون والبصريون بعثمان وحصروه وخرج عثمان يوم الجمعة فصلى بالناس وقام على المنبر فقال يا هؤلاء إن أهل المدينة يعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد ﷺ فامحوا الخطأ بالصواب فقام محمد بن مسلمة فصدقه فأقعده حكيم بن جبلة وقام زيد بن ثابت فأقعده قتيرة بن وهب وثار القوم فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد وحصبوا عثمان حتى صرع عن المنبر مغشياً عليه فأدخل داره وأقبل علي وطلحة والزبير فدخلوا على عثمان يعودونه من صرعته ويتألمون له وعند عثمان نفر من بني أمية منهم مروان بن الحكم فقالوا لعلي: أهلكتنا وصنعت هذا الذي صنعت والله إن بلغت هذا الأمر الذي تريده ليمرن عليك الدنيا فقام مغضباً وخرج الجماعة الذين حضروا معه إلى منازلهم. وروى الطبري أن عمرو بن العاص كان شديد التحريض والتأليب على عثمان وكان يقول والله إن كنت لألقي الراعي فأحرضه على عثمان فضلاً عن الرؤساء والوجوه فلما سعر الشر بالمدينة خرج إلى منزله بفلسطين فبينما هو بقصره ومعه ابناه إذ مر به راكب من المدينة فسألوه عن عثمان فقال محصور فقال عمرو أنا أبو عبد الله (العير يضرط والمكواة في النار) ثم مر بهم آخر فسألوه فقال: قتل عثمان فقال عمرو:

أنا أبو عبد الله إذا نكأت قرحة أدميتها «اهـ» ثم إنه حارب علياً مع معاوية طلباً بدم عثمان فكان مجتهداً مأجوراً!!. وروى الطبري في تاريخه أن علياً كان في ماله بخيبر لما حصر عثمان[1] فقدم المدينة والناس مجتمعون على طلحة قال كان لطلحة في حصر عثمان أثر فلما قدم علي أتاه عثمان وقال له: إن لي حق الإسلام وحق الأخاء والقرابة والصهر ولو لم يكن من ذلك شيء وكنا في جاهلية لكان عاراً على بني عبد مناف أن يبتز بنو تيم أمرهم، يعني طلحة، فقال له علي: أنا أكفيك ثم خرج إلى المسجد فرأى أسامة بن زيد فتوكأ على يده حتى دخل دار طلحة وهي مملوءة من الناس فقال له: يا طلحة ما هذا الأمر الذي صنعت بعثمان؟ فقال: يا أبا حسن بعد ان مس الحزام الطبيين فانصرف علي حتى أتى بيت المال فقال: افتحوا فلم يجدوا المفاتيح فكسر الباب وفرق ما فيه على الناس فانصرفوا من عند طلحة حتى بقي وحده وسر عثمان بذلك وجاء طلحة إلى عثمان تائباً فقال ما جئت تائباً بل مغلوباً، الله حسيبك «اهـ» وقد ظهر مما مر أن طلحة وعمرو بن العاص كانا من أشد الناس على عثمان وأحرصهم على قتله. وروى الطبري عن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي قال دخلت على عثمان فمر طلحة فقام إليه ابن عديس البلوي فناجاه ثم رجع ابن عديس فقال لأصحابه: لا تتركوا أحداً يدخل إلى عثمان ولا يخرج من عنده فقال لي عثمان: هذا ما أمر به طلحة اللهم اكفني طلحة فإنه حمل هؤلاء القوم وألبهم علي والله لأرجو أن يكون منها صفراً وأن يسفك دمه «اهـ». وقال الطبري أيضاً: كان لعثمان على طلحة بن عبيد الله خمسون ألفاً فقال طلحة يوماً: قد تهيأ مالك فاقبضه فقال: هو لك معونة على مروءتك فلما حصر عثمان قال علي لطلحة: أنشدك الله ألا كففت عن عثمان قال لا والله حتى تعطي بنو أمية الحق من أنفسها فكان علي يقول لحا الله ابن الصعبة أعطاه عثمان ما أعطاه وفعل به ما فعل «اهـ». وكذلك عائشة كانت تقول في عثمان اقتلوا نعثلاً فقد كفر كما رواه

---

(١) لعل المراد لما أريد حصر عثمان لدلالة الأخبار الكثيرة أنه كان بالمدينة عند حصر عثمان.

الطبري وغيره، ثم حارب طلحة مع أم المؤمنين علياً يوم الجمل طلباً بثأر عثمان وكان الباعث لطلحة على التحريض على عثمان الطمع في الخلافة كما كان الباعث لأم المؤمنين على ذلك الطمع في الخلافة لقريبها طلحة التيمي كما كان ذلك هو الباعث على طلب ثأره من علي وكان الباعث لعمرو على حرب علي الطمع في إمارة مصر، أو أن الباعث للدلالة على ذلك الاجتهاد الذي يؤجر المخطىء فيه أجراً واحداً والمصيب أجرين!! لله در مهيار حيث يقول:

وللقتيل يا زمون دمه ... وفيهم القاتل غير من قتل

وفي شرح نهج البلاغة: إن ابن عباس جاء علياً برسالة من عثمان وهو محصور يسأله فيها الخروج إلى ماله بينبع ليقل هتف الناس باسمه للخلافة بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل فقال: يا ابن عباس ما يريد عثمان أن يجعلني إلا جملاً ناضحاً بالغرب[1] أقبل وأدبر بعث إلي أن اخرج ثم الآن يبعث إلي أن اخرج والله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثما «اهـ».

قال الطبري: كتب عثمان إلى معاوية وابن عامر وأمراء الأجناد يستنجدهم فتربص به معاوية وكان عثمان قد استشار نصحاءه في أمره فأشاروا أن يرسل إلى علي ويطلب إليه أن يرد الناس ويعطيهم ما يرضيهم ليطاولهم حتى يأتيه الإمداد فقال: إنهم لا يقبلون التعليل وقد كان مني في المرة الأولى ما كان فقال مروان: أعطهم ما سألوك وطاولهم ما طاولوك فإنهم قوم قد بغوا عليك ولا عهد لهم فدعا علياً وقال له: قد ترى ما كان من الناس ولست آمنهم على دمي فارددهم عني فإني أعطيهم ما يريدون من الحق من نفسي ومن غيري فقال علي: إن الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك وإنهم لا يرضون إلا بالرضا وقد كنت أعطيتهم من قبل عهداً فلم تف به فلا تغرر في هذه المرة فإني معطيهم عنك الحق. قال: أعطهم فوالله لأفين لهم. فخرج علي إلى الناس فقال: إنكم إنما

---

(١) الناضح البعير يستقى عليه «والغرب» الدلو العظيمة ـ المؤلف ـ.

تطلبون الحق وقد أعطيتموه وإنه منصفكم من نفسه فسأله الناس أن يستوثق لهم وقالوا: إنا لا نرضى بقول دون فعل، فدخل إليه فأعلمه فقال: اضرب بيني وبين الناس أجلا، قال لا أقدر على تبديل ما كرهوا في يوم واحد. فقال علي: أما ما كان بالمدينة فلا أجل فيه وأما ما غاب فأجله وصول أمرك. قال: نعم فأجلني فيما بالمدينة ثلاثة أيام فأجابه إلى ذلك وكتب بينه وبين الناس كتاباً على رد كل مظلمة وعزل كل عامل كرهوه فكف الناس عنه وجعل يتأهب سراً للقتال ويستعد بالسلاح واتخذ جنداً فلما مضت الأيام الثلاثة ولم يغير شيئاً ثار به الناس وخرج قوم إلى من بذي خشب من المصريين فأعلموهم الحال فقدموا المدينة.

قال الطبري ثم إن محاصري عثمان أشفقوا من وصول أجناد من الشام والبصرة تمنعه فحالوا بين عثمان وبين الناس ومنعوه كل شيء حتى الماء، فأرسل عثمان سراً إلى علي وإلى أزواج النبي ﷺ: إنهم قد منعونا الماء، فجاء علي في الغلس فوقف على الناس فوعظهم وقال: إن الذي تفعلون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين إن الفرس والروم لتأسر فتطعم وتسقي فالله لا تقطعوا الماء عن الرجل فأغلظوا له وقالوا: لا نعم ولا نعمة عين فلما رأى منهم الجد رمى بعمامته إلى دار عثمان يعلمه أنه قد نهض وعاد. قال الطبري: وبقي عثمان ثلاث أيام لا يدفن ثم أن حكيم بن حزام وجبير بن مطعم كلما علياً في أن يأذن في دفنه ففعل فلما سمع الناس بذلك قعد له قوم في الطريق بالحجارة وخرج ناس يسير من أهله ومعهم الحسن بن علي وابن الزبير بين المغرب والعشاء فأتوا به حائطاً من حيطان المدينة يعرف بحش كوكب خارج البقيع فصلوا عليه وجاء ناس من الأنصار ليمنعوا من الصلاة عليه فأرسل علي فمنع من رجم سريره وكف الذين راموا منع الصلاة عليه.

وفي نهج البلاغة من خطبة له في معنى قتل عثمان: لو أمرت به لكنت قاتلاً، أو نهيت عنه لكنت ناصراً، غير أن من نصره لا يستطيع أن يقول خذله من أنا خير منه، ومن خذله لا يستطيع أن يقول نصره من هو خير مني، وأنا جامع

لكم أمره: استأثر فأساء الاثرة وجزعتم فأسأتم الجزع ولله حكم واقع في المستأثر والجازع.

قال ابن أبي الحديد: ظاهر هذا الكلام أنه ما أمر بقتله ولا نهى عنه ولا يجوز أن يحمل هذا الكلام على ظاهره لما ثبت من عصمة دم عثمان ولما ثبت في السير والأخبار أنه كان ينهى عن قتله. وأجاب بحمل النهي على المنع باليد وإنما لم يمنع باليد لأنه غلب على ظنه أنه غير مؤثر فهو قد كان ينهي عنه باللسان، هذا حاصل جوابه، وهو يرجع إلى أنه غير قادر على المنع وهو كذلك لقلة الأنصار وخذلان الأكثر وقوة المحاصرين له وكثرتهم قال ولأجل اشتباه هذا الكلام على السامعين قال كعب بن جعيل شاعر أهل الشام من أبيات:

أرى الشام تكره أهل العرا	ق وأهل العراق لهم كارهونا
وقالوا علي إمام لنا	فقلنا رضينا ابن هند رضينا
وما في علي لمستعتب	مقال سوى ضمه المحدثينا
وإيثاره اليوم أهل الذنو	ب ورفع القصاص عن القاتلينا
إذا سيل عنه حذا شبهة	وعمى الجواب على السائلينا
فليس براض ولا ساخط	ولا في النهاة ولا الآمرينا
ولا هو ساء ولا سره	ولا بد من بعض ذا أن يكون

قال وما قال هذا الشعر إلا بعد أن نقل إلى أهل الشام كلام كثير لعلي في عثمان يجري هذا المجرى كقوله ما ساءني وما سرني وقيل له: أرضيت؟ فقال: لم أرض فقيل له: أسخطت؟ قال: لم أسخط. وأما قوله غير أن من نصره الخ فقال: معناه أن خاذليه كانوا خيراً من ناصريه لأن الذين نصروه كان أكثرهم فساقاً كمروان بن الحكم وأضرابه وخذله المهاجرون والأنصار.

بيعته بالخلافة

بويع علي (ع) بالخلافة يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة على رواية الطبري سنة ٣٥ وكان قتل عثمان يوم الجمعة لثمان عشرة ليلة خلت من

ذي الحجة فكان بين قتله وبيعة علي سبعة أيام، وروى الحاكم في المستدرك بسنده أنه استخلف علي بن أبي طالب سنة خمس وثلاثين وهو ابن ثمان وخمسين سنة وأشهر. قال الحاكم في المستدرك: اختلفت الروايات في وقته فقيل إنه بويع بعد أربعة أيام من قتل عثمان وقيل بعد خمسة وقيل بعد ثلاثة وقيل بويع يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة قال وأصح الروايات أنه امتنع عن البيعة إلى أن دفن عثمان ثم بويع على منبر رسول الله ﷺ ظاهراً وكان أول من بايعه طلحة فقال هذه بيعة نكث.

روى الحاكم في المستدرك بسنده أنه لما بويع علي بن أبي طالب على منبر رسول الله ﷺ قال خزيمة بن ثابت وهو واقف بين يدي المنبر:

إذا نحن بايعنا علياً فحسبنا ... أبو حسن مما نخاف من الفتن
رجوناه أولى الناس بالناس أنه ... أطب قريش بالكتاب وبالسنن
وأن قريشاً ما تشق غباره ... إذا ما جرى يوماً على الضمر البدن
وفيه الذي فيهم من الخيركله ... وما فيهم كل الذي فيه من حسن

وروى فيه بسنده أنها لما جاءت بيعة علي إلى حذيفة قال: لا أبايع بعده إلا أصعر أو أبتر.

قال الطبري: اختلف السلف من أهل السير في بيعة من بايعه والوقت الذي بويع فيه، وقال ابن الأثير اختلفوا في كيفية بيعته. (أقول): ونحن نذكر ذلك مقتبساً من مجموع ما رواه الطبري وذكره ابن الأثير، وهو أنه لما قتل عثمان اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار وفيهم طلحة والزبير فأتوا علياً فقالوا إنه لا بد للناس من إمام، قال: لا حاجة لي في أمركم فمن اخترتم رضيت به. قالوا: ما نختار غيرك. وترددوا إليه مراراً وقالوا له في آخر ذلك: إنا لا نجد اليوم أحداً أحق بهذا الأمر منك لا أقدم سابقة ولا أقرب قرابة من رسول الله ﷺ. فقال: لا تفعلوا فإني أكون وزيراً خير من أن أكون أميراً. فقالوا: لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك، قال: ففي المسجد، فإن

بيعتي لا تكون خفياً ولا تكون إلا عن رضا المسلمين، وكان في بيته، وقيل في بعض حيطان المدينة (وفي رواية) فغشي الناس علياً فقالوا: نبايعك فقد ترى ما نزل بالإسلام فقال: دعوني والتمسوا غيري فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول. فقالوا: ننشدك الله ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى الإسلام؟ ألا ترى الفتنة؟ فقال: قد أجبتكم وإني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم. فلما دخل المسجد دخل المهاجرون والأنصار فبايعوه ثم بايعه الناس فكان أول من بايعه طلحة والزبير فنظر حبيب بن أبي ذؤيب إلى طلحة حين بايع فقال أول من بدأ بالبيعة يد شلاء لا يتم هذا الأمر وجاؤوا بسعد (بن أبي وقاص) فقال علي: بايع، قال: لا أبايع حتى يبايع الناس وجاؤوا بابن عمر، فقال مثل ذلك فقال: ائتني بكفيل قال لا أرى كفيلاً، قال الأشتر: دعني أضرب عنقه، قال علي: دعوه، أنا كفيله، إنك ما علمت لسيء الخلق صغيراً وكبيراً. (أقول) وادعى بعضهم أن طلحة والزبير بايعا مكرهين ولكن النظر الصحيح ينفي ذلك فمن لم يقبل أول الأمر بالبيعة حتى ألحوا عليه إلحاحاً شديداً لا يمكن أن يبدأ بيعته بالإكراه ومن لم يكره سعداً وابن عمر عليها وليسا بدون طلحة والزبير مكانة في الناس لا سيما سعد لا يمكن أن يكره طلحة والزبير على البيعة.

المتخلفون عن بيعته

في مروج الذهب: قعد عن بيعته جماعة عثمانية وجماعة لم يروا إلا الخروج من الأمر. وفي أسد الغابة: تخلف عن بيعته جماعة من الصحابة فلم يلزمهم بالبيعة وسئل علي عمن تخلف عن بيعته فقال: أولئك قعدوا عن الحق ولم ينصروا الباطل، وروى الطبري بسنده عن عبد الله بن الحسن قال: بايعت الأنصار علياً إلا نفراً يسيراً منهم وعدهم وقال: كانوا عثمانية «اهـ» ونحن نذكر أسماء المتخلفين مأخوذة من مجموع ما ذكره هؤلاء وهم: حسان بن ثابت. كعب بن مالك وكانا شاعرين. مسلمة بن مخلد أو خالد. أبو سعيد الخدري. محمد بن مسلمة حليف بني عبد الأشهل. النعمان بن بشير. زيد بن ثابت.

رافع بن خديج. فضالة بن عبيد. كعب بن عجرة. سعد بن أبي وقاص. عبد الله بن عمر. صهيب بن سنان. سلمة بن وقش. أسامة بن زيد. عبد الله بن سلام. قدامة بن مظعون. المغيرة بن شعبة الثقفي. وهبان بن صيفي. قال عبد الله بن الحسن فيما رواه عنه الطبري في العشرة الأول أنهم كانوا عثمانية وقال: أما حسان فكان شاعراً لا يبالي ما صنع وأما زيد بن ثابت فولاه عثمان الديوان وبيت المال فلما حصر عثمان قال: يا معشر الأنصار كونوا أنصار الله مرتين. فقال أبو أيوب: ما تنصره إلا لأنه أكثر لك من العبدان، وأما كعب بن مالك فاستعمله على صدقة مزينة وترك ما أخذ منهم له، وقال المسعودي: وبايع ابن عمر يزيد بعد ذلك والحجاج لعبد الملك بن مروان. وقال ابن الأثير: فأما النعمان بن بشير فأنه أخذ أصابع نائلة امرأة عثمان التي قطعت وقميص عثمان الذي قتل فيه وهرب فلحق بالشام فكان معاوية يعلق قميص عثمان وفيه الأصابع فإذا رأى ذلك أهل الشام ازدادوا غيظاً وجدوا في أمرهم ثم يرفعه فإذا أحس منهم بفتور يقول له عمرو بن العاص حرك لها حوارها تحن فيعلقهما. وقال المسعودي: بعثت أم حبيبة بنت أبي سفيان إلى أخيها معاوية بقميص عثمان مخضباً بدمائه مع النعمان بن بشير الأنصاري. وقال ابن الأثير: وهرب بنو أمية فلحقوا بمكة وجيء بقوم كانوا قد تخلفوا فقالوا نبايع على إقامة كتاب الله في القريب والبعيد والعزيز والذليل فبايعهم ثم قام العامة فبايعوا. وفي مروج الذهب وأتاه جماعة ممن تخلف عن بيعته من بني أمية منهم سعيد بن العاص. ومروان بن الحكم والوليد بن عقبة بن أبي معيط فجرى بينه وبينهم خطب طوال، وقال له الوليد: إنا لم نتخلف عنك رغبة عن بيعتك لكنا قوم وترنا الناس وخفنا على نفوسنا فعذرنا فيما نقول واضح: أما أنا فقتلت أباه صبراً وضربتني حداً، وقال سعيد بن العاص كلاماً كثيراً وقال له الوليد أما سعيد فقتلت أباه صبراً وأهنت مثواه وأما مروان فإنك شتمت أباه وكبت عثمان في صنعه إياه. قال وقد ذكر أبو مخنف لوط بن يحيى أن حسان بن ثابت وكعب بن مالك والنعمان بن بشير (قبل نفوذه بالقميص) أتوا علياً في آخرين من

العثمانية فقال كعب بن مالك: يا أمير المؤمنين ليس مسيئاً من أعتب وخير كفر ما محاه عذر (في كلام كثير) ثم بايع وبايع من ذكرنا جميعاً، قال: واتصلت بيعته بالكوفة وغيرها من الأمصار وكان أهل الكوفة أسرع إجابة إلى بيعته وأخذ له البيعة على أهلها أبو موسى الأشعري حتى تكاثر الناس عليه «اهـ» ولم يتخلف عنه سوى أهل الشام مع معاوية فلم يبايعوه.

وفي إرشاد المفيد: روى الشعبي أنه لما اعتزل سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة وحسان بن ثابت وأسامة بن زيد أمير المؤمنين وتوقفوا عن بيعته حمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنكم بايعتموني على ما بويع عليه من كان قبلي وإنما الخيار للناس قبل أن يبايعوا فإذا بايعوا فلا خيار لهم وأن على الإمام الاستقامة وعلى الرعية التسليم وهذه بيعة عامة من رغب عنها رغب عن دين الإسلام واتبع غير سبيل أهله ولم تكن بيعتكم إياي فلتة وليس أمري وأمركم واحد وإني أريدكم لله وأنتم تريدونني لأنفسكم وأيم الله لأنصحن للخصم ولأنصفن المظلوم وقد بلغني عن سعد وابن مسلمة وأسامة وعبد الله وحسان بن ثابت أمور كرهتها والحق بيني وبينهم. (قال) الحاكم في المستدرك: أما قول من زعم أن عبد الله بن عمر وأبا مسعود الأنصاري وسعد بن أبي وقاص وأبا موسى الأشعري ومحمد بن مسلمة الأنصاري وأسامة بن زيد قعدوا عن بيعته فإن هذا قول من يجحد حقيقة تلك الأحوال فاسمع الآن حقيقتها: قال: أما عبد الله بن عمر وروى حديثاً مسنداً عن الزهري عن حمزة بن عبد الله بن عمر أنه بينما هو جالس مع أبيه إذ جاءه رجل من أهل العراق قال يا أبا عبد الرحمن إني والله لقد حرصت أن أتسم بسمتك وأقتدي بك في أمر فرقة الناس وأعتزل الشر ما استطعت وإني أقرأ آية من كتاب الله محكمة قد أخذت بقلبي فأخبرني عنها: قول الله عز وجل: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾، أخبرني عن هذه الآية فقال عبد الله: ما لك ولذلك انصرف عني، فانطلق حتى توارى

عنا سواده، وأقبل علينا عبد الله بن عمر فقال وجدت في نفسي من شيء ما وجدت في أمر هذه الآية أني لم أقاتل هذه الفئة الباغية كما أمرني الله عز وجل، ثم قال الحاكم: هذا باب كبير قد رواه عن عبد الله بن عمر جماعة من كبار التابعين وإنما اقتصرت على حديث الزهري لأنه صحيح على شرط الشيخين.
(أقول): قد احتج هذا العراقي على ابن عمر بما لم يستطع رده وما كان ينبغي أن يقول له: ما لك ولذلك، فإن هذا إنما يقال لمن يدخل فيما لا يعنيه لا لمن يأمر بمعروف ويرشد إلى أهم واجب ويحتج بالدليل القاطع والبرهان الساطع بل كان يلزم أن يمدحه ويقول له أصبت وأرشدت لا أن يطرده ويقول: انصرف عني، بل يقول له: مرحباً بك ويعترف أمامه بخطئه كما اعترف أمام جلسائه.

قال الحاكم، وأما ما ذكر من إمساك أسامة بن زيد وذكر حديثاً مسنداً عن أسامة قال: بعثني رسول الله ﷺ في سرية في أناس من أصحابه فاستبقنا أنا ورجل من الأنصار إلى العدو فحملت على رجل فلما دنوت منه كبر فطعنته فقتلته ورأيت إنه إنما فعل ذلك ليحرز دمه فلما رجعنا سبقني إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله لا فارس خير من فارسكم إنا استلحقنا رجلاً فسبقني إليه فكبر فلم يمنعه ذلك أن قتله. فقال النبي ﷺ: **«يا أسامة ما صنعت اليوم»** فقلت: حملت على رجل فكبر فرأيت إنه إنما فعل ليحرز دمه فقتلته فقال: **«كيف بعد الله أكبر، فهلا شققت عن قلبه، فلا أقاتل رجلاً يقول الله أكبر مما نهاني عنه حتى ألقاه»**.

قال وأما ما ذكر من اعتزال سعد بن أبي وقاص عن القتال وذكر حديثاً مسنداً أن سعداً قال له رجل: إن علياً يقع فيك أنك تخلفت عنه فقال سعد: والله إنه لرأي رأيته أخطأ رأيي، إن علي بن أبي طالب أعطي ثلاثاً لأن أكون أعطيت إحداهن أحب إلي من الدنيا وما فيها، لقد قال له رسول الله ﷺ يوم غدير خم: **«هل تعلمون أني أولى بالمؤمنين»** قلنا: نعم، قال: **«اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»** وجيء به يوم خيبر وهو ارمد ما يبصر فقال: يا رسول الله إني ارمد فتفل في عينيه ودعا له فلم يرمد حتى قتل وفتح

عليه خيبر وأخرج رسول الله ﷺ عمه العباس وغيره من المسجد فقال له العباس: تخرجنا ونحن عصبتك وعمومتك وتسكن علياً فقال: **«ما أنا أخرجتكم وأسكنته ولكن الله أخرجكم وأسكنه»**. وأما ما ذكر من اعتزال أبي مسعود الأنصاري وأبي موسى الأشعري فإنهما كانا على الكوفة فأرسل محمد ابنه ومحمد بن أبي بكر لأخذ البيعة فامتنع أبو موسى أن يبايع فبعث إليه عمار بن ياسر والحسن بن علي فعزلاه واستعمل قرظة بن كعب فلم يزل عاملاً حتى قدم علي من البصرة فعزله فلما سار إلى صفين استخلف عقبة بن عمرو وأبا مسعود الأنصاري حتى قدم من صفين.

وأما قصة اعتزال محمد بن مسلمة الأنصاري عن البيعة فروي عنه أنه قال: يا رسول الله كيف أصنع إذا اختلف المصلون قال: **«تخرج بسيفك إلى الحرة فتضربه بها ثم تدخل بيتك حتى تأتيك منية قاضية أو يد خاطئة»**.

قال الحاكم: بهذه الأسباب وما جانس، كان اعتزال من اعتزل عن القتال مع علي وقتال من قاتله «اهـ» (أقول) حاصل ما ذكره أن امتناع من امتنع عن بيعته ليس لاعتقادهم عدم أهليته للخلافة ولا عناداً بل لشبهة دخلت عليهم. فابن عمر وسعد ظنا أنها فتنة، الأرجح عدم الدخول فيها ثم بان لهما خطأهما وندما على ترك القتال وعدا أنفسهما مذنبين وأسامة دخلت عليه شبهة عدم جواز قتل من أظهر الإسلام ولم يتفطن للفرق بين المقامين وإنها شبهة واهية وأبو مسعود استخلفه على الكوفة حيث سار إلى صفين فدل على أنه بايع وتاب وانحصر الإصرار والامتناع في أبي موسى. وهذا الذي ذكره الحاكم لا يصلح أن يكون عذراً مبرراً لامتناع هؤلاء عن البيعة وقتال أهل البغي، ولا الحاكم أراد أن يعتذر عنهم بذلك إنما أراد بيان حقيقة الحال في قعودهم.

(وروى) الطبري ما حاصله أنه اجتمع إلى علي طلحة والزبير في عدة من الصحابة وطلبوا منه أن يقيم الحد على من شرك في دم عثمان ممن في المدينة وأنه ردهم رداً رفيقاً فقال: يا أخوتاه لست أجهل ما تعلمون ولكن كيف أصنع

بقوم يملكوننا ولا نملكهم قد ثارت معهم عبدانكم وثابت إليهم أعرابكم فهل ترون موضعاً لقدرة على ما تريدون؟ قالوا: لا. ثم طلب منهم الهدوء حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها، واشتد على قريش وحال بينهم وبين الخروج، وإنما هيجه على ذلك هرب بني أمية، وتفرق القوم بعضهم يقول: لترك هذا الأمر إلى ما قال علي أمثل، وبعضهم يقول: إن علياً لمستغن برأيه وأمره عنا ولا نراه إلا سيكون على قريش أشد من غيره. فذكر ذلك لعلي فقام فحمد الله وأثنى عليه وذكر فضلهم وحاجته إليهم ونظره لهم وقيامه دونهم وأنه ليس له من سلطانهم إلا ذلك والأجر من الله عز وجل ونادى برئت الذمة من عبد لم يرجع إلى مواليه وقال: يا معشر الأعراب الحقوا بمياهكم. (وروى) الطبري أيضاً ما حاصله أن علياً (ع) قال لابن عباس: سر إلى الشام فقد وليتكها فلم يقبل واعتذر بالخوف من معاوية قال: ولكن اكتب إليه فمنه وعده. فأبى علي وقال: والله لا كان هذا أبداً، وإن المغيرة بن شعبة أشار على علي بإقرار معاوية وعمال عثمان على أعمالهم فإذا بايعوا له واطمأن الأمر له عزل من أحب وأقر من أحب فأبى عليه وقال: والله لا أداهن في ديني وإلا أعطي الدنيء في أمري قال: فانزع من شئت واترك معاوية فإن له جرأة وهو في أهل الشام يسمع منه فقال له: لا استعمل معاوية يومين أبداً ثم جاءه فأشار علية بعزلهم فسئل عن ذلك فقال: نصحته في الأولى فعصاني فغششته في الثانية وأن ابن عباس وافق المغيرة على رأيه وأشار عليه بأن يثبت معاوية وقال: فإن بايع لك فعليّ أن أقلعه من منزله فقال: والله لا أعطيه إلا السيف ثم تمثل:

وما ميتة إن متها غير عاجز ... بعار إذا ما غالت النفس غولها

وفي هذه الرواية ما يقتضي التأمل: أما إشارة المغيرة عليه أولاً بما زعمه نصحاً فالمغيرة لم يكن يرجَى منه النصح لعلي وكان علي أعرف الناس به ولا يبعد أن يكون غاشاً في المقامين وأراد بالإشارة بتثبيت معاوية النصح لمعاوية لا لعلي وبإظهار الموافقة ثانياً التقرب إلى علي ودفع التهمة عن نفسه، فإن علياً إذا أقره لم يكن في استطاعته عزله، ومتى هم بعزله خلعه وطلب بدم عثمان

واستطاع استمالة أهل الشام لذلك بما استمالهم به أولاً بأنه ولي الدم، مع أن معاوية في دهائه كان يعلم أن علياً إذا ولاه لا بد أن يعزله فلم تكن لتنطلي عليه هذه الحيلة فلو كتب إليه علي عهده على الشام لرد ذلك وقال له: ثبت خلافتك أولاً وابر من دم عثمان أو سلم إلينا قتلته فلم يكن في ذلك فائدة غير تولية من لا يستجيز علي توليته (وبالجملة) هذه حال من يريد أن يداهن معاوية ويستفيد من مسالمته أن تثبت له الخلافة والأمرة فيستمر على مداهنته محافظة على ملكه وإمرته كما يفعله اليوم وقبل اليوم من يريد إمارة ونحوها فيداهن ويحابي ويمدح من يستحق الذم ويذم من يستحق المدح ويرتكب ما لا يرضي الله في سبيل المحافظة على الإمرة وعدم الإخلال بها أما أمير المؤمنين عليه السلام فلم يكن للإمرة عنده شيء من الأهمية وقد صرح بذلك لابن عباس لما كان نازلاً بذي قار لما قال له عن النعل إنها خير عنده من إمرتهم إلا أن يقيم حقاً أو يدفع باطلاً (فإن قال قائل) إن المداراة لا تنافي ذلك بل هي لازمة في الشرع كما كان يصنع النبي ﷺ مع المؤلفة قلوبهم بل الله تعالى قد فرض لهم نصيباً من الزكاة (قلنا) كل ذلك ما لم يستلزم ارتكاب محرم أو إخلالاً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما كان يصنع مع المؤلفة قلوبهم أجنبي عن ذلك.

أول خطبة خطبها علي (ع) حين استخلف

أول خطبة خطبها حين استخلف فيما رواه الطبري بسنده عن علي بن الحسين: حمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله عز وجل أنزل كتاباً هادياً بين فيه الخير والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر. الفرائض أدوها إلى الله سبحانه يؤدكم إلى الجنة. إن الله حرم حرماً غير مجهولة وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها وشد بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق. لا يحل دم امرىء مسلم إلا بما يجب فإن النار أمامكم وأن من خلفكم الساعة تحدوكم فخففوا تلحقوا. اتقوا الله عباد الله في بلاده وعباده إنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم. ثم أطيعوا الله فلا تعصوه وإذا

رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشر فدعوه. اذكروا إذا أنتم قليل مستضعفون في الأرض. (قال الطبري) فلما فرغ من خطبته قال المصريون وفي رواية قالت السبائية: أي أصحاب عبد الله بن سبأ (أقول) إن صحت الرواية فالقائل واحد منهم ولا يمكن أن يكون جميعهم فكأن الراوي ظن أنه يعبر عن رأيهم:

خذها إليك واحذرن أبا حسن ... أنا نمر الأمر إمرار الرسن
صولة أقوام كأشداد السفن ... بمشرفيات كغدران اللبن
ونطعن الملك بلدن كالشطن ... حتى يمرن على غير عنن

فقال علي:

إني عجزت عجزة لا أعتذر ... سوف أكيس بعدها وأستمر
أرفع من ذيلي ما كنت أجر ... وأجمع الأمر الشتيت المنتشر
إن لم يشاغبني العجول المنتصر ... أو تتركوني والسلاح يبتدر

ومن مجموع ما تقدم يعلم حراجة موقف علي عليه السلام وتشعب الأمور عليه وأنه ساسها بحكمة وسياسة رشيدة لا يمكن لأحد يريد أن يجمع بين رضا الله وسياسة الخلافة والإمرة أن يأتي بأحسن منها وأوفق بالمصلحة بل ولا بمثلها فالشورى كانت قد غرست في نفس طلحة والزبير وغيرهما إنهما أهل للخلافة وطمحت بذلك نفوسهما إلى مساماة علي ومجاراته فيها والأحداث التي وقعت في زمن عثمان كانت أثرت في النفوس والأخلاق أثرها وحساد علي ومنافسوه وأصحاب الثارات والدماء التي أهرقها في سبيل توطيد الإسلام لم يزالوا باقين، وعدوه الألد معاوية متمكن من الشام قد حكمها واستوطنها أعواماً عديدة وعرف أخلاق أهلها وعلم من أين تؤكل الكتف، وقتل عثمان كان قد فتح باباً واسعاً لمن يريد الفتن والوصول إلى آمال ما كان يحلم بها وكانت بسببه الآراء قد تشعبت والقلوب قد تنافرت وصار الناس أحزاباً وفرقاً وتمهدت السبيل لكل ذي غاية وغرض، وقد أشار إلى بعض ذلك أمير المؤمنين عليه السلام بقوله في كلامه المتقدم: إنا مستقبلون أمراً له وجوه وله ألوان الخ.

ومع ذلك فقد ساس الأمة سياسة بهرت العقول واستعمل المداراة والشدة واللين كلا في محله حيث لا يخل بشيء من طريقته ومنهجه.

خطبة أخرى له بعد استخلافه

قال ابن أبي الحديد: روى ابن الكلبي بسند يرفعه إلى أبي صالح عن ابن عباس أن علياً خطب في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة فقال: إن كل قطيعة أقطعها عثمان وكل مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال فإن الحق القديم لا يبطله شيء ولو وجدته قد تزوج به النساء وفرق في البلدان لرددته إلى حاله فإن في العدل سعة ومن ضاق عنه الحق فالجور أضيق[1] قال ابن أبي الحديد: وقد كان عثمان أقطع كثيراً من بني أمية وغيرهم من أوليائه وأصحابه قطائع من أرض الخراج وأسقط عنهم خراجها وقد كان عمر أقطع قطائع لكن لأرباب العناء في الحرب وعثمان أقطعها صلة لرحمه من غير عناء في الحرب «اهـ» وفي مروج الذهب وانتزع علي أملاكاً كانت لعثمان أقطعها جماعة من المسلمين وقسم ما في بيت المال على الناس ولم يفضل أحداً على أحد «اهـ».

إرسال أمير المؤمنين (ع) عماله إلى الأمصار

قال الطبري وابن الأثير: لما دخلت سنة ٣٦ فرق علي عماله فبعث عثمان بن حنيف على البصرة وعمارة بن شهاب على الكوفة وكانت له هجرة وعبيد الله بن عباس على اليمن وقيس بن سعد بن عبادة على مصر وسهل بن حنيف على الشام ومخنف بن سليم على أصبهان وهمذان فأما سهل فإنه خرج حتى إذا كان بتبوك لقيته خيل فقالوا: من أنت قال: أمير قالوا: على أي شيء قال: على الشام قالوا: إن كان بعثك عثمان فحيهلاً بك وإن كان بعثك غيره فارجع قال: أو ما سمعتم بالذي كان قالوا: بلى فرجع إلى علي وأما قيس بن

(١) أي إذا ضاق على الوالي تدبير أموره في العدل فهي في الجور أضيق عليه لأن الجائر في مظنة أن يمنع ويصد عن جوره (كذا في شرح النهج) ـ المؤلف ـ.

سعد فإنه لما انتهى إلى أيلة لقيته خيل فقالوا له: من أنت قال: من قتلة عثمان فأنا أطلب من آوي إليه فانتصر به لله قالوا: من أنت قال: قيس بن سعد قالوا: امض فمضى حتى دخل مصر فافترق أهل مصر فرقاً فرقة دخلت في الجماعة فكانوا معه وفرقة اعتزلت بخربتا (بخرنبا ابن الأثير) وقالوا: إن قتل قتلة عثمان فنحن معكم وإلا فنحن على جديلتنا حتى نحرك أو نصيب حاجتنا وفرقة قالوا نحن مع علي ما لم يقد إخواننا وهم في ذلك مع الجماعة وكتب قيس إلى أمير المؤمنين بذلك. وأما عثمان بن حنيف فسار فلم يرده أحد عن دخول البصرة ولم يجد لابن عامر في ذلك رأياً ولا استقلالاً بحرب (وعبد اللّه بن عامر كان عامل عثمان عليها) وافترق الناس بها فاتبعت فرقة القوم ودخلت فرقة في الجماعة وفرقة قالت: ننظر ما يصنع أهل المدينة وأما عمارة بن شهاب فلما بلغ زبالة لقيه طليحة بن خويلد وكان خرج يطلب بثأر عثمان فقال له: ارجع فإن القوم لا يريدون بأميرهم بدلاً فإن أبيت ضربت عنقك فرجع عمارة إلى علي بالخبر (وكان عامل عثمان على الكوفة أبو موسى الأشعري على الصلاة) وانطلق عبيد اللّه بن عباس إلى اليمن فجمع يعلى بن منية[1] (عامل عثمان على صنعاء) كل شيء من الجبانة وخرج به على حاميته إلى مكة فقدمها بالمال ودخل عبيد اللّه اليمن. وكتب علي إلى أبي موسى فكتب إليه أبو موسى بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم وبين الكاره منهم للذي كان والراضي به حتى كان علي كأنه يشاهدهم. وكتب علي إلى معاوية مع سبرة الجهني (أما بعد) فإن الناس قد قتلوا عثمان عن غير مشورة مني وبايعوني بمشورة منهم واجتماع فإذا أتاك كتابي فبايع لي وأوفد إلي أشراف أهل الشام قبلك. فلم يجبه معاوية بشيء وكلما يتنجز سبرة جوابه لم يزده على قوله:

أدم إدامة حصن أو خذن بيدي ... حرباً ضروساً تشب الجزل والضرما

في جاركم وابنكم إذ كان مقتله ... شنعاء شيبت الأصداغ واللمما

(١) بضم الميم وسكون النون وفتح المثناة التحتية وهي أمه واسم أبيه أمية.

أعيا المسود بها والسيدون فلم يوجد لها غيرنا مولى ولا حكما

حتى إذا كان الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر دعا معاوية رجلاً من بني عبس يدعى قبيصة فدفع إليه طوماراً مختوماً عنوانه من معاوية إلى علي وقال له: إذا دخلت المدينة فاقبض على أسفل الطومار ثم أوصاه بما يقول وأعاد رسول علي معه فقدما المدينة في ربيع الأول فدخلها العبسي كما أمره قد رفع الطومار فتبعه الناس ينظرون إليه وعلموا أن معاوية معترض، ودخل الرسول على علي فدفع إليه الطومار ففض ختمه فلم يجد فيه كتاباً، فقال للرسول: ما وراءك؟ قال: آمن أنا؟ قال: نعم إن الرسول لا يقتل، قال: تركت قوماً لا يرضون إلا بالقود، قال: ممن؟ قال: من خيط رقبتك، وتركت ستين ألف شيخ تبكي تحت قميص عثمان وهو منصوب لهم قد ألبسوه منبر دمشق، قال: أمني يطلبون دم عثمان ألست موتوراً كترة عثمان؟ اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، نجا والله قتلة عثمان إلا أن يشاء الله فإنه إذا أراد أمراً أصابه، اخرج فخرج العبسي. وقال ابن أبي الحديد: إن معاوية كتب مع العبسي إلى الزبير بن العوام: لعبد الله الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان سلام عليك أما بعد فإني قد بايعت لك أهل الشام فأجابوا واستوسقوا كما يستوسق الحلب فدونك الكوفة والبصرة لا يسبقك إليهما ابن أبي طالب فإنه لا شيء بعد هذين المصرين وقد بايعت لطلحة من بعدك فأظهرا الطلب بدم عثمان وادعوا الناس إلى ذلك وليكن منكما الجد والتشمير أظفركما الله وخذل مناويكما فلما وصل الكتاب إلى الزبير سُرّ به وأقرأه طلحة فلم يشكا في النصح لهما من قبل معاوية وأجمعا عند ذلك على خلاف علي وانطلت عليهما الحيلة. وأحب أهل المدينة أن يعلموا رأي علي في معاوية وقتاله أهل القبلة فدسوا إليه زياد بن حنظلة التميمي وكان منقطعاً إلى علي فدخل عليه فجلس فقال له علي: يا زياد تهيأ فقال: لأي شيء فقال: لغزو الشام فقال زياد: الرفق والأناة أمثل وقال:

ومن لم يصانع في أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

فتمثل علي وكأنه لا يريده:

متى تجمع القلب الذكي وصارما وأنفاً حمياً تجتنبك المظالم

فخرج زياد والناس ينتظرونه فقالوا: ما وراءك؟ قال: السيف يا قوم ودعا علي محمد بن الحنيفة فدفع إليه اللواء وولى عبد الله بن عباس ميمنته وعمر بن أبي سلمة أو عمرو بن سفيان بن عبد الأسد ميسرته وجعل على مقدمته أبا ليلى بن عمر بن الجراح ابن أخي أبي عبيدة بن الجراح واستخلف على المدينة قثم بن العباس ولم يول ممن خرج على عثمان أحداً وكتب إلى قيس بن سعد وإلى عثمان بن حنيف وإلى أبي موسى أن يندبوا الناس إلى أهل الشام. قال الطبري: وأقبل علي على التهيؤ والتجهيز لغزو الشام وخطب أهل المدينة فقال:

إن الله عز وجل بعث رسولاً هادياً مهدياً بكتاب ناطق وأمر قائم واضح لا يهلك عنه إلا هالك وإن المبتدعات والشبهات هن المهلكات إلا من حفظ الله وإن في سلطان الله عصمة أمركم فاعطوه طاعتكم غير ملوية ولا مستكره بها والله لتفعلن أو لينقلن الله عنكم سلطان الإسلام ثم لا ينقله إليكم أبداً حتى يأزر الأمر إليها انهضوا إلى هؤلاء القوم الذين يريدون أن يفرقوا جماعتكم لعل الله يصلح بكم ما أفسد أهل الآفاق.

ثم جاءه خبر خروج عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة فترك ما كان عزم عليه من الخروج إلى الشام وذهب إلى البصرة قال المسعودي: كان عمرو بن العاص انحرف عن عثمان لانحرافه عنه وتوليته مصر غيره فنزل الشام فلما اتصل به أمر عثمان وما كان من بيعة علي كتب إلى معاوية يهزه ويشير عليه بالمطالبة بدم عثمان وكان فيما كتب به إليه: ما كنت صانعاً إذا قشرت من كل شيء تملكه فاصنع ما أنت صانع «اهـ» وكان هذا اجتهاداً منهما لوجه الله تعالى يثابان عليه ولو سبب الفتنة وقتل الألوف من المسلمين!!.

فهرس

أبو طالب

الخلاف في اسمه ٧
مولده ووفاته ومدة عمره ٨
أحواله ٨
تربيته للنبي ﷺ وحبه إياه ٨
استسقاء أبي طالب بالنبي ﷺ وهو صغير ١٠
قيامه بنصرة النبي ﷺ ومنابذة قومه له ١٠
خبر الصحيفة وحصار بني هاشم في الشعب ١٤
نقض الصحيفة وخروج بني هاشم من الشعب ١٥
إسلام أبي طالب ١٧
بعض الأحاديث التي رويت في عدم إسلام أبي طالب ٣٥
أولاد أبي طالب ٤٢
جمع شعره ٤٣
حول إسلام أبي طالب ٤٣

حمزة بن عبد المطلب بن هاشم
ابن عبد مناف عم النبي ﷺ

اسمه ٥١
كنيته ٥٢
لقبه ٥٢
أبوه ٥٢
أمه ٥٢
أولاده ٥٢
إخوته ٥٣
إسلامه ٥٣
المؤاخاة ٥٥
صفته ٥٥
هجرته ٥٥
ما ورد في فضله ٥٥
أقوال العلماء فيه ٥٦
أول لواء عقد في الإسلام لواء حمزة ٥٧
خبره في غزوة بواط والأبواء أو ودان ٥٧
خبره في وقعة بدر ٥٨
من قتلهم حمزة يوم بدر ٥٩
خبره في يوم أحد ٦٠
مقتله ٦٠
كيفية شهادته ٦٠
ما نسب إلى حمزة من الشعر ٦٣

أشعار هند وجواباتها وهجاؤها ٦٨
عقيل بن أبي طالب ٧١
جعفر بن أبي طالب ٧٥
كنيتـه ٧٦
أمــه ٧٦
أولاده ٧٦
إسـلامــه ٧٧
تختمـه ٧٨
مؤاخاتــه ٧٨
خصامه في ابنة حمزة ٧٩
أقـوال العلماء فيـه ٧٩
أخبــاره ٨١
هجرته إلى الحبشة ثم إلى المدينة ٨١
مقتلــه ٩١
ما روي في فضل جعفـر ٩٦
مراثيــه ٩٩

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)

مولــده ١٠١
أبــوه ١٠٢
أمــه ١٠٥
كنيتـه ١٠٧
لقبـه ١٠٨

بوابه ١٠٩
شاعره ١٠٩
نقش خاتمه ١٠٩
زوجاته ١١٠
وأولاده ١١١
الكلام على زينب وأم كلثوم ١١٣
صفته عليه السلام في خلقه وحليته ١١٤
صفته عليه السلام في أخلاقه وأطواره وسيرته ١١٦
مناقبه وفضائله نظرة إجمالية فيها وفي أحواله ١٢٢
علمه ١٢٢
شجاعته ١٢٤
حلمه ١٢٧
عدله ١٢٨
فصاحته ١٢٨
زهده ١٢٨
الجود والسخاء ١٢٩
حسن الخلق ١٢٩
الرأي والتدبير ١٢٩
العبادة ١٣٠
تعداد مناقبه وفضائله على التفصيل ١٣٠
المسألة المنبرية ١٦٥
المسألة الدينارية ١٦٦

قصة الأرغفة ١٦٧
خبر المجنونة ١٦٩
التي ولدت لستة أشهر ١٦٩
الحامل الزانية ١٧٠
آية النجوى ١٨٤
أدلة إمامته ٢٢٦
استشهاد علي عليه السلام في خلافته جماعة من الصحابة على حديث الغدير ٢٤١
المقام الأول صحة سنده ٢٥٨
المقام الثاني إثبات دلالته على المطلوب ٢٦٠
سيرته متتالية متتابعة من ولادته إلى شهادته ـ نشأته وتربيته ٢٦١
ما جرى عند نزول «وأنذر عشيرتك الأقربين» ٢٦٣
نصرة النبي ﷺ في صغره ٢٦٤
فداؤه النبي ﷺ بنفسه في صغره ٢٦٥
إسلامه ٢٦٥
مبلغ سنه وقت إسلامه ٢٦٦
ملازمته النبي ﷺ ٢٦٨
في حصار الشعب ٢٦٨
خبره مع أبي ذر عند إسلامه ٢٦٩
صعوده على منكب النبي ﷺ وإلقاؤه الصنم عن الكعبة ٢٧٠
وصية أبيه له عند وفاته ٢٧٠
ما جرى له عند وفاة أبي طالب ٢٧١

الهجرة إلى الطائف ٢٧٢
ليلة الغار ومبيت علي في الفراش ٢٧٢
هجرته إلى المدينة ٢٧٦
السنة الأولى من الهجرة ٢٧٩
المؤاخـــاة ٢٨٠
تزوجه بالزهراء عليهما السلام ٢٨١
خطة النبي ﷺ عند تزويجه فاطمة من علي عليهما السلام ٢٨٣
خطبة علي عند تزويجه بفاطمة عليهما السلام ٢٨٣
قدر مهر الزهراء عليها السلام ٢٨٤
جهاز الزهراء عند تزويجها ٢٨٥
زفاف الزهراء على علي عليهما السلام ٢٨٧
وليمة العـرس ٢٨٨
كيفية الزفـاف ٢٨٩
الشك في حضور أسماء بنت عميس زفاف الزهراء ٢٩٠
أمر لا ينقضي منه العجب ٢٩١
سنة تزويج علي بفاطمة ٢٩١
أخباره في غزواته في عهد النبي ﷺ في السنة الثانية من الهجرة ٢٩٢
الأولى غزوة ودان أو الابواء ٢٩٢
أخباره في غزوة بدر الكبرى ٢٩٣
تزوجه بالزهراء عليهما السلام ٣٠٧
السنة الثالثة من الهجرة ٣٠٧
أخباره في وقعة أحد ٣٠٧

سنة أربع من الهجرة أخباره في غزوة بني النضير ٣٣٠
سنة خمس من الهجرة أخباره في غزوة بني المصطلق من خزاعة ٣٣٣
حديث الإفـك ٣٣٣
أخباره في وقعة الخندق ٣٣٧
قتل عمرو بن عبد ود ٣٣٨
ما فعله علي بعد قتله عمرا ٣٤٥
ما جرى للفرسان الذين كانوا مع عمرو ٣٤٥
ما جرى لأخت عمرو بعد قتله ٣٥٢
ما قيل من الشعر في قتل عمرو بن عبد ود ٣٥٣
أخباره في غزوة بني قريظة ٣٥٥
سنة ست من الهجرة خبره في سرية زيد بن حارثة إلى حسمى ٣٥٧
سرية علي (ع) إلى بني سعد بن بكر بفدك ٣٥٨
خبره في غزوة الحديبية أو صلح الحديبية ٣٦٠
سنة سبع من الهجرة أخباره في غزوة خيبر ٣٦٣
ما جاء في تترسه بالباب وقلعه باب الحصن ٣٧٤
غزوة وادي القـرى ٣٨١
خبره في عمرة القضـاء ٣٨١
سنة ثمان من الهجرة غزوة فتح مكة ٣٨٣
يـوم الغميصـاء ٣٨٩
بعث علي عليه السلام إلى اليمن ٣٩٠
بعثه إلى اليمن في آخر سنة ثمان من الهجرة ٣٩١
بعثه قاضياً إلى اليمن بين سنة ثمان وتسع ٣٩٣

قضاياه وأحكامه ومسائله العجيبة ٣٩٤
وهو باليمن ٣٩٦
في غير اليمن ٣٩٨
خبره في سرية ذات السلاسل سنة تسع من الهجرة ٣٩٩
سرية علي بن أبي طالب عليه السلام إلى طيء ٤٠٤
خبر سفانة بنت حاتم الطائي ٤٠٥
مسائل غامضة سئل عنها علي أمير المؤمنين عليه السلام ٤٠٨
ما سئل عنه في حياة الرسول ﷺ من المسائل الغامضة ٤٠٨
أخباره في غزوة تبوك ٤٠٩
بعث سورة براءة مع علي عليه السلام في ذي الحجة سنة تسع من الهجرة .. ٤١١
أخباره في وفد نجران سنة عشر من الهجرة ٤١٣
بعث علي عليه السلام إلى اليمن ٤١٧
أخباره في حجة الوداع ٤٢١
حديث الغدير ٤٢٥
نزول اليوم أكملت لكم دينكم يوم الغدير واستحباب صومه ٤٢٧
سنة إحدى عشرة من الهجرة وفاة النبي ﷺ ٤٣١
جيش أسامة وبدء المرض برسول الله ﷺ ٤٣١
تأكيد الوصاية بالثقلين ٤٣٢
سر الاهتمام بتنفيذ جيش أسامة ٤٣٣
طلب عائشة نقله إلى بيتها والسر فيه ٤٣٥
خروجه للصلاة بالناس وهو في أشد المرض ٤٣٦
طلب الدواة والكتف وقول بعضهم إنه يهجر ٤٣٨

الوصايا الثلاث التي نسيت إحداها ٤٤٧
إيصاؤه إلى علي (ع) ودفعه موجوداته إليه ٤٥١
أقرب الناس عهداً به علي ٤٥١
تغسيل علي (ع) النبي ﷺ وتحنيطه له وتكفينه ٤٥٢
أول من صلى عليه علي ٤٥٢
دفن علي له ومعه أربعة ٤٥٣
ما يتعلق به من خبر السقيفة ٤٥٣
ما فعله أبو سفيان ٤٥٨
تهديد علي ومن معه بالإحراق إن لم يبايعوا ٤٦٠
متى بايع علي بن أبي طالب وبنو هاشم ٤٦٠
لماذا لم يبايعوا علياً ٤٦١
الذين احتجوا على البيعة من المهاجرين والأنصار ٤٦٢
أخباره في خلافة الخليفة الأول ٤٦٣
أخباره في قصة بني حنيفة وهي من حوادث سنة إحدى عشرة ٤٦٤
أخباره في إمارة عمر ٤٧٠
عين أبي نيزر والبغيبغة ٤٧٠
حلي الكعبة ٤٧٥
إشارته عليه في حرب الروم والفرس ٤٧٦
وضع التاريخ ٤٧٧
قضاياه في إمارة عمر ٤٧٧
الشورى ٤٨٢
سنة ٣٠ من الهجرة أخباره المتعلقة بأبي ذر الغفاري في خلافة عثمان ٤٨٦

خبره مع عثمان وعبد الله بن مسعود ٤٩١
خبره مع الوليد بن عقبة حين شرب الوليد الخمر ٤٩١
سنة ٣١ ـ ٣٣ خبره في قصة رسول الكوفيين إلى عثمان في إمارة سعيد
بن العاص على الكوفة ٤٩٢
بعث سعيد بن العاص بهدايا إلى المدينة وإلى علي ٤٩٤
تفسير الغريب في هذا الخبر ٤٩٤
أخباره المتعلقة بمقتل عثمان ٤٩٥
بيعته بالخلافة ٥٠٣
المتخلفون عن بيعته ٥٠٥
أول خطبة خطبها علي (ع) حين استخلف ٥١١
خطبة أخرى له بعد استخلافه ٥١٣
إرسال أمير المؤمنين (ع) عماله إلى الأمصار ٥١٣